

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00313023 4



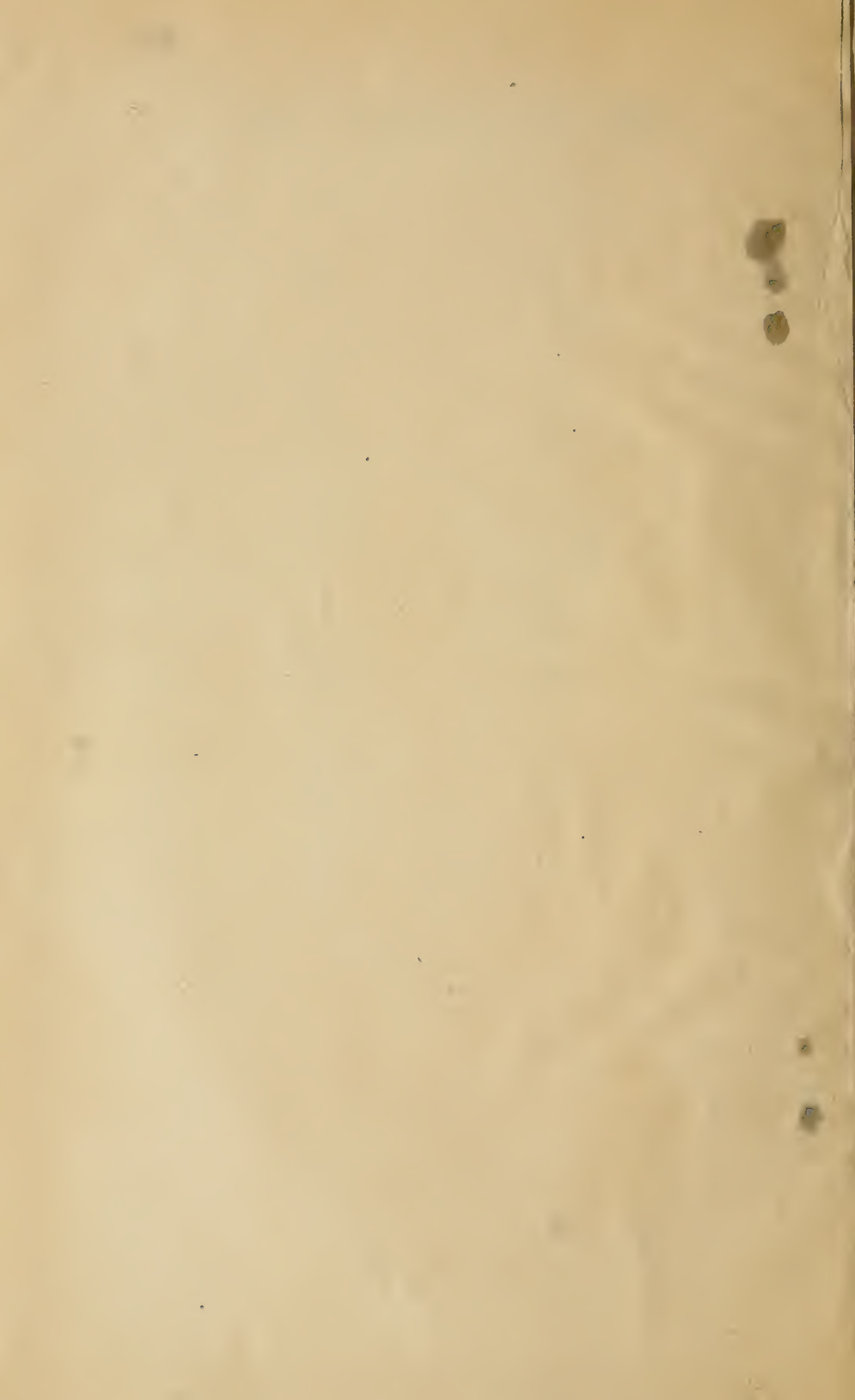






بيان الخطأ الواقع في الكتاب

ص	س	خطأ	صواب
٥١	٣	فهوا	فهو
٥٦	١١	عوصة	عويصة
٥٩	١٦	للولد	لوالد
١١٨	١٤	هكذا	هذا
١١٩	٩	لتمحوا	لتمحو
١٣٠	١٨	تدراكها	تداركها
١٩٤	١٠	اعاة	اعادة
٢١٧	٢٠	ثلثمائة	ثلاثة
٢٣١	٩	اكل	كل
٢٤٤	١١	النافع	المنافع
٢٤٨	٨	صلت	وصلت



مثنوا ترجمهما وأن نسختها موجودة وأسمعي ما بقيت حافظه الى الآن  
مما يبرهن على انه طيب ثراه ترجمهما وهو

وملطبرون يشهد وهو حبر ومتسكو يقول ولا يمارى  
أما مثنوبك على ما شرعت فيه وعلي ما كلفتك بالعمل لا بجاده فاطلبها  
من وهاب التوفيق لعباده العاملين ولا تجعل منها كل ما تنفقه من المصاريف  
على ابراز هذه المنافع الى الوجود فانك ان طلبت ذلك من هذا البلد في هذه  
الأحيان وقفت في وسط الميدان والأولى بمثلك أن لا يشرع ثم يرجع  
فان من حفظك اعلاء ذكر جدك وهو مالا يستعزم معه بالمال  
وفقك الله لخير الاعمال في الحال والمآل امين م

يوم الجمعة ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ (عبد الكريم سليمان)  
ونحن نرف البشرية الى الجمهور بوجود اصول هذين الكتابين في  
خزانة كتب المؤلف وتعويل حضرة حفيده الاكرم على طبعهما اجابة لطلب  
فضيلة الاستاذ وجبا في تعميم النفع لآبناء العصر نرجو الله ان يتوج مسعاها بالنجاح  
ويجعله مقرونا بالخير والاسعاد

هذا وقد وافق تمام طبعه أوائل شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٠ هجرية  
على يد مصححه الفقير الى مولاه الغنى محمود سيد كشك الطهطاوى الازهري  
أحسن الله خاتمته وبلغه في دار الآخرة أمنيته وذلك بمطبعة شركة الرغائب  
المصرية العامرة التي بشارع المنجلة بمصر القاهرة وصلى الله على سيدنا محمد  
النبي الامي وعلي آله وصحبه وسلم والحمد لله ظاهرا وباطنا أولا وآخرا م  
محمود سيد كشك الطهطاوي

ومع ذلك فلم تقف همته عند انجاز طبع هذا الاثر بل عزم حضرة على احياء باقي الكتب التي ترجمها جده عن الفرنسية الى العربية كرواية تليماك الشهيرة وترجمة ملطبرون وترجمة منتسكو وغير ذلك مما سيكون له شأن كبير في عالم التأليف ويقابل لدي الجمهور بالثناء والاعجاب

وقد جاء لحضرة السيد محمد رفاة جملة رسائل عديدة من أعظم الرجال وارباب الاقلام وكلها تعرب عن السرور والابتهاج بظهور هذا الكتاب الى عالم الطباعة بعد أن كان كنزا مخبواً في بطون الكتب خانات فمن ذلك رسالة لحضرة الأستاذ الكبير والعلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ عبد الكريم سليمان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية وهذا نصها  
ولدي المحترم الفاضل محمد بك رفاة حفظه الله

سمعت يا ولدي عنك انك شرعت في طبع كتاب جدك الاربعة رفاة بك (مناهج الالباب) وقد سرني هذا النبأ من أوجه أولها وأولها بالاعتبار منفعة ذوي الالباب من طلاب الآداب ونخب الكتاب ومريدي الدخول من هذه الابواب وثانيها احياء ذكرى ذلك الجد الرفيع وبقاء اسمه العالي على المقام عظيم الاحترام

وقد اذكرني صنيعكم هذا ما كنت أتمناه دائماً من احياء الكتابين الجليلين الذين ترجمهما عن الفرنسية الى العربية ذلك الجد الجليل فاجعل كتابي هذا غير قاصر على تقرير عملك الجديد المفيد ومدّه الى ايجاد ذينك السفين (هما ترجمة ملطبرون وترجمة منتسكو)  
ولقد رويت عن عمك الاعز رحمه الله أن والده الاكرم أكرم الله

بلاغة ورفعة وباجللة فهو وان كان الى التاريخ أقرب وبه اشبه ولكنه تجاذب  
أطراف الفنون وأخذ بيد القارىء الى طريف الادب وتليده وقريبه وبعيده  
فبينما يخيل للقارىء انه بين مواقع الصفاح ووقائع الحرب والكفاح اذ يترآي  
له انه بين محاضرات الآداب ومسامرات الخلان والاحباب

ومن أشرف مزاياه التي قلما توجد في غيره انه لا يقتصر على حكاية الوقائع  
التاريخية بل تراه يمهّد للقارىء سبل استخراج النتائج من الحوادث ويقدم  
له المقدمات التي تساعد على اعمال الفكرة وترقية القرينة كما انه قد تضمن  
كثيرا من الايات القرآنية والاحاديث الشريفة النبوية التي استدعاها الحال  
وكما اورد شيئا يحتاج الى ايضاح شرحه بعبارة تأخذ بالمجامع وتنفذ الى اعماق  
القلوب قبل وصولها الى السامع

كان هذا الكتاب عزيز المنال ينسده طالبه فلا بمجده ويستشرف لرؤيته  
الاديب استشراف العاشق الوهّان الى الوصال والصائم الى شهر الافطار الى أن  
قيض الله له حضرة الحسيب النسيب واللوزعي الفاضل الارب سلاله الاخير  
ووارث الشرف كبرا عن كابر السيد محمد رفاعة حفيد المؤلف فوجه همته لطبعه  
على نفقته احياء لذكرى جده وتعميما لنفعه بين ابناء وطنه وقد شجعه على ذلك  
حضرة القاضي الفاضل والعلامة الكامل حفي بك ناصف وكيل محكمة طنطا  
الاهلية حيث وردت من حضرته رسالة يقول فيها انه رأى هذا الكتاب اثناء  
سياحته الاورباوية في مكتبة أتيناويتني اعادة طبعه بالديار المصرية حتى لا تحرم  
مصر من مشاهدة آثار رجالها الساهرين على رقيها وسعادتها . ومما يعد من حسن  
الاتفاق ورود هذه الرسالة الى حضرته وهو يأخذ لطبع الكتاب اهبة  
ويعد له عدته فكان ذلك من اتفاق الخواطر ومطابقة الضمائر للضمائر



وبوجه خاص بتاريخ مصر الذي هو في الحقيقة تاريخ الدنيا باجمها لانها  
مورد الوافدين من جميع الانحاء ومحط رجال الملوك والامراء فالف  
فيه كتباً جمة منها كتابه المسمى بأنوار توفيق الجليل في اخبار مصر  
وتوثيق بني اسمعيل وكتابه قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر  
ورحلة البارسية الشهيرة وغير ذلك مما لا يحصى فوائده ولا تستقصى فرائده  
ومن أهى محاسنه الجامعة وأبهج مصنفاته العصرية النافعة تأليف هذا  
الكتاب المسمى منهاج الالباب المصرية في مباهج الآداب المصرية فانه  
جمع فيه ما يتعلق بمصر في مدينتها وسياستها الداخلية والخارجية وما كانت  
عليه من الفنون والصنائع واختراع وسائل المنافع مع ما يضاف لذلك من  
مناسبات فائقة واستطرادات شائقة كما انه كشف القناع عما وضعت اليه نظر  
من السعادة والرقى في عهد المغفور له الامير محمد علي باشا ومن تولى بعده  
وأفاض في البحث عن حالتها الاجتماعية والسياسية مع بيان الاسباب التي  
ساعدت على انتشار التمدن وبيان ما أحدثه المصريون من الآراء والتعديلات  
في قوانين البلاد وذكر الاسباب الموصلة الى السعادة والرفاهية وقد رتبته على  
مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة فالمقدمة في ذكر تمدن الوطن والباب الاول  
في بيان المنافع العمومية والثاني في تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب  
والثالث في تطبيق اقسام المنافع العمومية في الازمان الاولى والرابع في التشبث بقود  
المنافع العمومية الى مصر في عهد جنته مكان محمد علي باشا والخامس في الاعمال المستحسنة  
والاصلاحات المصرية والخاتمة فيما يجب للوطن على ابنائه من الامور الجليلة وفضلا  
عن ذلك فقد اشتمل على كثير من ملح الخطب والرسائل النثرية ولطائف  
القصائد الشعرية التي تبرز بطباع الادباء رقة وتسترق خواطر الفضلاء

## \* (تتمت في دور الطباعة) \*

وفيها بيان خطة الكتاب والاسباب الباعثة على احيائه مع ذكر رسالة لحضرة الكاتب القدير صاحب الفضيلة الاساذ الشيخ عبدالكريم سايجان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية بنظارة الحقانية

الحمد لله محي الأثم والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم - (وبعد) فقد علم كل ناطق بالضاد ما لحضرة المؤلف رحمه الله من الايادي الطولى فى العلوم لا سيما العلوم العصرية والاجتماعية فانه استولى بجده واجتهاده على مجملها وتفصيلها وورد منها هلم ظمنا فلم يصدر عنها إلا وهو مرتوب بالطف من ماء الحياة وأرق من نسيمات الأرواح . عرف الشرقيون كغيرهم ذلك الرجل الذى أبرزته الإرادة الإلهية الى الوجود بعد فتره اندرست فيها معالم أمثاله فسا زال يحى من العلوم الرفات ويدرك منها ما فات وما هو آت حتى برز على من سبقه ورفع فى دولة الادب والمعارف رايته - عرف العالم جميعه من هو ذلك الامير الجليل رفاعة بك رافع وكيف كانت حياته الادبية والسياسية وانه الرجل الذى ألقى بالبلاد الغربية عصى التسيار أعواما طوالا وقف فيها على أسباب التقدم واسرار الارتقاء ثم عاد ومصباح الغرب باحدى يديه ومفتاح الشرق باليد الأخرى . عاد الى الديار المصرية فعاد لها المجد المؤثل والسعد الاول وغرد فى روضة المدارس طائرهما الأيمن فبذل جل عنايته لغرس ثمار الفنون اليانعة فى عقول النابتة المصرية ولم يغادر علما من علوم العرب والافرنج الا وقد بلغ فيه المدى وسلك فى اظهاره لآبناء وطنه طرائق قددا أضف الى ذلك انه كان له عناية عظيمة بفتح التاريخ العام

ولا عجب لمن توفيق العزيز رفيقه ان يستمد منه القطر المصري جميع ما يعجبه من  
الكملات ويروقه كما قال بعضهم في هذا المعنى

قد أطلع الله لنا كوكبا      أضاء شرق الارض والمغربا  
صاحب سعد يقتضى سعده      سعادة الوالد اذ انجبا  
والاصل ان طاب يرى غرسه      أنبت فرعا مثمراً طيباً  
مع هبة خص بها الله من      أصبح للنعمة مستوجباً  
قدم قرير العين حتى ترى      خلقك من أولاده موكباً

ولما كانت حسنات ولي النعم تكاثر النجوم عدداً والانفاس مدداً  
هتف لسان الجميع عن خالص الود الشاكر على حسن الصنيع بالدعاء له  
ببسط الاكف الى المولى السميع فقالوا اللهم أدم علينا احسانه العديد وبحر  
انعامه المديد حتى لا يزال يقول طالب رفده واحسانه هل من مزيد

وهذا آخر ما يسر الله جمعه جمع سلامه مما يلوح عليه من القبول أبهى  
علامه وهو جدير باسم مناهج الاباب المصرية في مباهج الآداب العصرية  
واذا انتهت الى السلا      مة في مداك فلا تجاوز  
ان السفين متى يصل      بر السلامة فهو فائز  
حسب الفتى أمنا اذا      في سيره جاب المفاوز  
وهل السلامة للرئ      س سوى مصادقة الجلاوز

والحمد لله ولي النعمة والصلاة والسلام على من هديت به الامة وعلى  
آله واصحابه الذين تلالأت أنوارهم وأضاءت في آفاق المعالي أثمارهم وفتحت  
للسعادة بصائرهم وأبصارهم صلاة وسلاماً دائماً الى يوم الدين والحمد لله رب

العالمين



على قلب رجل واحد في تقديم ابهة الاسلام وان يهتموا بتأييد الاوطان المحمدية  
 بالعلوم النافعة والمنافع العمومية لترقى الديار الاسلامية درجة الكمال العلية الا  
 ان الاولى بالمسارعة في ذلك لسهولة سلوك اقوم المسالك الدولة العلية العثمانية  
 والخديوية الجليلة المصرية فان حصل منهما براعة المخلص وحسن المقطع على  
 شاكلة براعة الاستهلال على وجه ابدع بلغت شهامة الاوطان الاسلامية  
 بالنسبة الى قوة الدولة ونخوة الملة المحل الارفع

فاما تشبث الدولة المحروسة العلية بذلك الآزفنى عن البيان وغير محتاج الى برهان  
 اذا مارحاء الخير دارت على الورى فانك منها قطبها وعمودها  
 واما خديوبينا الجليل فلا زال ينجز ما وعد به عند الولاية ويجدد عند  
 انتهاز الفرص ما يستطيعه بكمالى العناية فكان الفرصة تناجيه بقولها  
 مولاي هذا الملك قد نلته برغم مخلوق من الخالق  
 والدهر منقاد لما شئتـه وذا أوان الموعد الصادق  
 هل مثله وامق ان قدر يرمقها بصحيح النظر والى ما تدعو ينجيها ولكن

ملء عين حبيبها فلا يزال لسانه يلهج بمعنى قول القائل  
 انا لنأمل ما كانت أوائلنا من قبل تأمله ان ساعد القدر  
 ولسان حال النصر الحقيقى ينشد لنيل أكرم مرام وأعظم مقصد  
 من جعل الحق له ناصرا ايده الله على نصرته  
 وهاتف السعادة يحثه على كمال نيل المجادة وكسب السعادة بقوله  
 وكن فاعلا مثل فعل الزمان فان الزمان فعولن فعول  
 ولسان الاعتراف يثبت على سبيل الاجمال ما فعله لوطنه من المحاسن والجمال بانشاده  
 لقد نبتت في مصر منك منافع كما نبتت في الراحتين الاصابع

ثمرات العقول يرثها على التعاقب الآخر عن الاول ويبرزها في قالب أكل  
 من السابق وافضل فهي نفع صرف لرفاهية العباد وعمارة البلاد ومن ذا الذي  
 يخطي صواب رأي هذه الاستمدادات انمينة على المهمات المماشية بطرقها النافعة  
 وأنوارها الساطعة التي لظلام الارحاء دافعه وبسيط الكلام على المخترعات  
 كغيرها من المحسنات البديعات مبسوطة في أقوم المسالك في معرفة أحوال  
 الممالك لحكيم السياسة خير الدين باشا وعمل من طب لمن حب يورث القلب  
 انتعاشا مربع لبعضهم

بدور لهم مغرب بقلبي وان أغربوا فوجدى بهم معرب  
 عن الحال ما أصنع

لكل هوى منتهى \* وحي اذا ما انتهى \* أسلو وأهل النهى  
 على حسنهم أجمعوا

فما اثار به في كتابه من الاشارات القولية جله في مصرنا من قبيل  
 الدلالات الوضعيه ودلالة الفعل في الاصول أقوى من دلالة القول فما أجد  
 ما تجدد الآن في مصرنا من حسن التنظيم المستحق من أهل الوطن كمال  
 التبجيل والتعظيم مما به عظم قدر الوطن وشرفت منزلته ومجده فخامته حيث  
 استأثر بالفوائد الجمة وأي همه مما لا يحصل الامن البررة المشفقين ومن  
 أبناء الوطن الصادقين ممن روض نفسه لخدمة الوطن الحقيقية من الراعي  
 والرعية وقد خرجوا من درجة التصغير والتحقير الى درجة الترفع والكبير  
 بصرف الهمة في حسن التدبير لتنمية المنافع الوطنية الحسية والمعنوية

ومما ينبغي للعاقل أن ينوه بذكره ولا يخرج به العارف من حيرة بصيرته  
 وفكره ان ملوك الاسلام على كثرتهم وان كان يجب عليهم جميعا ان يكونوا

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا  
 ونهجو في الزمان بغير عيب ولو نطق الزمان بنا هجانا  
 وانما حصول مثل هذه الاوهام السوفسطائية ناشيء من فهم كلام  
 العلماء الرسخين على خلاف المعنى المقصود منه وأخذه على ظاهره فاذا حفظ  
 الانسان من جوهرة التوحيد قول الناظم

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف  
 أخذه على ظاهره في أمر الدين والدنيا والمعاد والمعاش والترقي في الرفاهية  
 والزينة مع أنه خاص بالامور الدينية واتباع الاحكام الشرعية من الحلال  
 والحرام دون المباح كما أوضحه بعد قوله

وكل هدي للنبى قد رجع فما أبىح افعل ودع ما لم يبح  
 فبالت من تمسك بتلك الافهام وتنسك بمضامين تلك الاوهام  
 استتمسك بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ومما  
 أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخيل منه تنفقون وبقوله تعالى هو  
 الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه  
 النشور فليس كل مبتدع مذموم بل أكثره مستحسن على الخصوص  
 والقوم فان الله سبحانه وتعالى جرت عادته بطى الاشياء في خزائن  
 الاسرار ليتثبت النوع البشرى بمقله وفكره ويخرجها من حيز الخفاء الى  
 حيز الظهور حتى تبلغ مبلغ الانتشار والاشتهار

اذا حار وهمك في معنيين وأعياك حيث الهدى واليقين  
 تخالف هولاك فان الهوى يقود النفوس الى ما يهين  
 فمخترعات هذه الاعصر المتلقاة عند الرعايا والملوك بالقبول كلها من أشرف

بعد واقعة بدر بن سلام هناك هواراة الصعيد في نحو سنة اثنتين وثمانين  
وسبعمائة وكانت خرابا ليعمروها فأقطع هذه الناحية لاسماعيل بن مازن  
منهم وأقام بها حتى قتله على بن غريب فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهواري  
حتى مات فولى بعده ابنه المعروف بأبي الشوشه ونغم أمره وكثرت أمواله  
فانه أكثر من زراعة النواحي وأقام دوايب السكر واعتصاره حتى مات  
فتولى بعده أخوه يوسف بن عمر وهكذا وهؤلاء الهواراة أصل ديارهم من  
عمل سرت بالمغرب الى طرابلس قدم منهم طوائف الى أرض مصر ونزلوا  
بلاد البحيرة وملكوها من قبل السلطان ونزل منهم هواراة بالصعيد كما  
ذكرنا ونزلوا جهة جرجا التي نابت فيما بعد عن قوص وعن انخيم وصارت  
ولاية في التقسيم فتقاسم مصر الآن أكثر تنوعا وأعظم استقصاء وتبعها  
وان لم تصل فيما يخص العلم والعلماء درجة ذلك الزمن البعيد الذي يعلم كثرة  
علمائه وفضلائه لمن طالع مثالا الطالع السعيد في نجباء الصعيد الا ان المعارف  
الآن سائرة بسيرة مستجدة في نظريات العلوم والفنون الصناعية التي هي  
جديرة بأن تسمى بالحكمة العملية والطرق المعاشية ومع هذا فلم يزل  
التشبث بالعلوم الشرعية والادبية ومعرفة اللغات الاجنبية والوقوف على  
معارف كل مملكة ومدينة مما يكسب الديار المصرية المنافع الضرورية ومحاسن  
الزينة فهذا طرز جديد في التعلم والتعليم وبمحت مفيد يضم حديث المعارف  
الحالية الى القديم فهو من بدائع التنظيم وادا أخذ حقه من حسن التدبير  
والاقتصاد فيه استحق مرتبة التعظيم ولا ينبغي لآبناء الزمان أن يعتقدوا أن  
زمن الخلف تجرد عن فضائل السلف وانه لا ينصالح الزمان اذ صار عرضة  
للتلف فهذا من قبيل البهتان فالفساد لا اعتقاد ذلك لافساد الزمان كما قال الشاعر

مطلب  
اصل الهواراة  
وتوطنهم بالصعيد

مطلب  
انه ليس  
مبتدع مذموم  
وان المبتدع المذموم  
يقع موته  
الاستحسان



القاهرة ثم قليوب ثم الشرقية ومدينتها بليس وأما ما وقع غربى أحد مرمى النيل الفرقتين فى هذا الوجه فأقربها الى الجزيرة بنى نصر ثم منف وكلاهما عمل واحد والاسم انف وهى كانت مدينة مصر المظمى زمن فرعون موسى ثم ابيار وهى من عمل منف أيضاً ثم يليها بلاد الغربية ومدينتها محلة المرحوم وهى عمل جليل متسع يضاهاى قوص ثم يليه أشموم وتعرف بأشموم الرمان لكثرة وجود الرمان بها وهى بلاد الدقهلية والمرتاحية ثم يليها دمياط حماها الله وهى أحد الثغور والضالة المستنقذة بعد طول الدهور واليهما أحد مصبى النيل ثم ما هو غربى الفرقة الثانية من النيل فأقربه الى الجزيرة بلاد البحيرة ومدينتها دمنهور وهذه البلاد تشتمل على بلاد مقفرة وطوائف من العرب وبها بركة النظرون التى لا يعلم فى الدنيا أن يستغل من بقعة صغيرة نظير ما يستغل منها فأنها نحو مائة فدان تغل نحو مائة الف دينار ثم يلي بلاد البحيرة مدينة الاسكندرية ثغر الاسلام المقتر وحمى الملك المحضر حرسها الله تعالى وهى مدينة لا يتسع لها عمل ولا يكثر لها قري فهذه جملة الوجه البحرى ثم لم يبق ما تنبه عليه الاقطيا وهى قرية فى الرمل جعلت لاخذ الموجبات وحفظ الطرقات وأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر وأما الواحات فجارية فى اقطاع امراءهم يولون عليها كل مقطع فى اقطاعه ومغلها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أسوة بقية ديار مصر لوقوعه منطقاً فى الرمال النائية والقفار النازحه وهذه جملة نطق القاهرة المحيطة بمصر سفلا وعلوا انتهى والظاهر ان فى عصر هذا المؤرخ كانت قصبات الصعيد الاعلى قوصا واخميم ولم تكن جرجا من القصبات المشهورة شهرة غيرها وانها صارت فيما بعد متصرفية وقد أنزل الى ناحيتها السلطان الظاهر برقوق

النيل في بر القاهرة تصاقب بركة الحبش وبساتين الوزر ثم يلي الجزيرة  
 مقبلا في برها بلاد البهنسا تصاقب البهنسا من غربها بلاد الفيوم  
 وبينهما منقطع رمل والفيوم هو الذي بحره دائما مستمر ويتقسم به  
 الماء في مقاسم ولا يعرفون قسمة الماء الا بالقصبات ثم يلي البهنسا  
 مقبلا الاشمونين وفيها الطحاوية ثم يليها بلاد منفلوط ثم يليها بلاد أسيوط  
 ثم يليها بلاد أخميم شرقي النيل ويقابل دمنها البرابي المشهورة في البلاد  
 المضروب بها المثل على الالسنه وهي وان كانت شرقي النيل فكل بلادها  
 ومزارعها غربي النيل ثم يليها بلاد قوص وقوص أيضا شرقي النيل وهناك  
 جل العماره وموضع الحرث والزرع وفي غربي النيل قبالتها البلاد المعروفة  
 بغرب قولاً وهي من مضافات قوص وبلادها ثم أسوان وهي من عمل  
 قوص وواليها نائب عن واليها ويخرج مما بين قوص وأسوان الى صحراء  
 عيذاب حتى ينتهي الى عيذاب وهي قرية حاضرة البحر ومنها يمتدى الى جدة  
 ويكون بها جند من قوص وواليها وان كان من قبل السلطان فانه نائب لوالي  
 قوص ووالي قوص أعظم ولاية مصر وأجلهم فهذه جملة الوجه القبلي وفيه  
 الصعيدان الأدنى والأعلى والأدنى كل ما سفلى عن الاشمونين الى القاهرة  
 والأعلى كل ما علا عن الاشمونين الى أسوان وغالب زرعه ورفعه وجلب  
 قوته وحلب زرعه غربي النيل وما يوجد شرقي النيل قليل وهو  
 تبع لامتبوع فاما الوجه البحري فهو كل ما سفلى عن الجزيرة الى حيث مصب  
 النيل في البحر الشامي بدمياط ورشيد وهو أعرض من الوجه القبلي وبه  
 الاسكندرية وهي مدينة مصر العظمى فاما ما وقع منه شرقي النيل في بر  
 القاهرة المتصل بها فأقر بها منه الضواحي وهي القرى التي أمرها بيد والي

فجزنا عنهم لقلّة أنصارنا وكان أول زوال ملكتنا استتار الاخبار عنا انتهى  
وقال المنصور يوما ما كان احوجني أن يكون على بابي اربعة نفر لا يكون  
على بابي أعف منهم قيل يا أمير المؤمنين ومن هم قال هم اركان الملك لا يصلح  
الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ان نقصت قائمة واحدة  
وهي أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة  
ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقضى لى ولا يظلم  
الرعية فاني غني عن ظلمها ثم عض على أصبعه السبابة يقول في كل مرة آه آه  
قيل من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب يريد يكتب بخبر هؤلاء علي الصحة  
انتهي

ومما من الله سبحانه وتعالى على الديار المصرية ان خديويها الاكرم  
يحسن انتخاب وكلائه وينقدهم بعين البصر والبصيرة وانه بترتيبه لراحة الرعية  
الدوائر البلدية وتنظيمه المجالس المحكمية وحسن تربيته لانباء الرعية وتقليدهم  
بالمناصب الادارية لتحوز مصر التي هي منبع كل خير وفضل ومحط رحال  
كل شرق وغرب وبعد وقرب على الفضائل العليا ويصدق عليها اسمها القديم  
وانها أم الدنيا

ومن أمعن النظر في حسن تقسيمها في مطبة السياسة وأمعن الفكر في  
نظام تقويمها في رتبة الرياسة وجدها الآن على حالة أحسن تقسيما وتقويما  
مما كانت عليه في أيام ان كانت كرسى الملك ودار الخلافة في تلك الازمان  
كما يفهم من ذكر تخطيطها في تلك الايام لبعض العلماء الاعلام حيث يقول  
لمصر وجهان قبل وبحري فالقبلي هو أجلهما قدرا وأطولهما مدى واكثرهما جدي  
وهو الجزيرة وهي أقربها الى القاهرة غربي النيل ويقع قبالة القبلي منها بلاد طفيح شرقي

مطلب  
في تقسيم مصر  
اناسق من  
سيماها القديمة

بأفعاله السنية رعيته الى سبيل الرشاد السنية وأن يعينهم على ذلك بالحصول على كمال الحرية متى وجدان رعيته بتلك الحرية حريه حتى يحب الناس أوطانهم ويديموا شكرهم لمن حسن حالهم وأصلح شأنهم

« مطلب »  
فك المهد وتأييد  
الدوائر البلدية  
لراحة الرعية  
المصرية.

فالحمد لله الذي وفق خديوى مصر الاكرم لفعل ذلك بفك عهد المتعدين للبلاد وبتأسيس نظمات الدوائر البلدية المبني على تحرير رقاب اهالى النواحي من شبه الاستعباد فان هذا لا محالة قوام الانصاف والعدالة فان من ملك احرار طائعين كان خيرا ممن ملك عبيدا مروعين ولا شك ان قلوب الرعية هى خزائن ملكها فاما أودعه فيها فهو مستودع في انحاء مسالكها ولا يكون الملك عظيم القدر الا باهال دونه عظموه ولا تقوى قوته الا برجال أطاعوه ولا تشرف منزلته الا بعوام اتضعوا له بالازعان واتبعوه فعليه ان يمنحهم وسائل التعزيز والتكبير وأن يمنع عنهم رذائل التصغير والتحقير فرب صغير ترفع عن دناءة الهمة وتفرغ لجلال التديرو على الملك أن يعامل احرار الناس بعض المودة والعامه بالرغبة والرهبه وان يسوس السفلة بالمخالفة الصريحة وان يحسن سياسة جميع رعاياه على اختلاف أنواعهم لاجتناب الاسباب التى تبث قلوبهم على معصيته ليقود ابدانهم الى طاعته فهذا يستقيم أمره الى الى مدته (وسأل) رجل بعض حكماء بنى أمية ما كان سبب زوال نعمتكم فقال قد قلت ماسمع واذا سمعت فافهم ان شغلنا بلذتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وظلمت رعيتنا ففسدت نياتهم لنا ويئسوا من انصافنا فتمنوا الراحة لغيرنا وخربت معاشهم فخربت بيوت أموالنا وتأخر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا واستدعاهم مخالفوا فانتظا هروا على امرنا فطلبنا أعداؤنا



على تجديد مارستان للفقراء والضعفاء وأوقف الأمير المذكور من أراضيه وعقاره على  
 خيرات ما يقوم بها على كثرتها وأنه أوقف باقي أراضيه وعقاراته على ذرية  
 وشرط أنها تؤل من بعدهم الى محال خيرات توسيعا لها زيادة هكذا يكون  
 الكرم الواسع من الاشراف أهل الديانة والصيانة والعفاف اطل الله بقاء  
 ومن الاسواء حفظه ورقاه وكثير من الامراء والاعيان ممن لا تعلم حقيقة  
 أوقافهم الخيرية الا اجمالا تصد لفعل الخيرات على قدر حاله وبذل فيها جزأ  
 عظيما من ماله فالحمد لله الذي وفق كثيرا من الامراء والاهالي المصريين  
 رجالا ونساء بالحروسة اوبالاقليم على التشبث باسباب الخير العميم والناس  
 كما يقال على دين ملوكهم وهو أدب قديم ومع أن هذه الخيرات تعد نوعا  
 من المنافع العمومية الا ان هناك خيرات أعم منها نفعا وأتم وقعا كالشركات  
 السلمية الشرعية وجمعية الافتراضات المرعية فانها إفحة كل النفع لفك المضايقات  
 عن ارباب الاحتياجات من أهل الصناعة والزراعة لدخلتهم والقيام عند الاقتضاء  
 بقضاء حاجتهم فان هذم الشركات السلمية والجمعيات الاقتراضية من أهم  
 الامور ومفرجة على الجمهور وبها تتقدم التجارة والزراعة وترقى الدولة والملة في  
 الماليه واللوازم الاهليه الى أوج الفخار ودرج الاعتبار كما بينا ذلك في الفصل  
 الاول من الباب الاول

« مطلب »  
 تمام المرغوب  
 فتمام المطلوب  
 كمال المنافع  
 للعمومية من  
 تشكيل شركات  
 مرعية

فإنه من بئس من الاهالي صحائف اعماله النافعة وجعل أنوار فعاله على  
 على آفاق وطنه مشرقة ساطعة وأما من بخل بذلك فقد خلا عن فضائل النفع  
 العام وسود سطور صحائف اعماله بمداد الآثام واخجل عصره الموجود فيه  
 حيث غدره وخانه بدون أن يوافيه أو يضافيه بل كدر رائق نفعه وزلال  
 صافيه وهذا القدر من المكروه كافيه فعلى ولي الامر العادل ان يرشد

الزمنة فان بناءها المسجد المنير للقطب الشهير ولى الله تعالى الشيخ صالح أب  
 حديد هو من أعظم الخيرات لا سيما ما أجرته عليه من الاوقاف الداره  
 والوظائف البارده ومثل ذلك شروع حضرتها السنية فى بناء مسجد القطب  
 الرفاعي الجارى فيه العمل الآن أمام السلطان حسن فانه أيضا صار توسيعه  
 بمالا مزيد عليه من الدور المتخذة له بالشراء وتطبيب خواطر أربابها مع الجد  
 والاجتهاد فى العماره التى يظهر أنها تصير ضخمة جدا وتنافس جامع السلطان  
 حسن المواجه لها مع ما سيرصد عليها من الاوقاف الجزيلة مما ارادت  
 حضرتها العلية تحصيله ومن المعلوم أن لحضرتها المشار اليها من جزيل الخيرات  
 ما لا يحصى ومن جميل المبرات ما لا يستقصى والرافة الكملة الكفالة بالتعطف  
 على كل فقير والتلطف بجبر كل كسير وتوزيع الصدقات على الجمل الفقير فهى  
 سارة مصرها وأين منهاز بيدة فى عصرها

وقد سبق فى الفصل الاول من الباب الاول ذكر ما فعله من الخير  
 العميم وحسن الصنيع الجسيم حضرة خليل أغا باش أغاوات الجهة السامية  
 المشار اليها من المدرسة والتكية ابتغاء مرضاة الله تعالى مما ازداد به وجه مصر  
 ضياء وتلاؤء \* هكذا هكذا والا فلا لا \* وكنافد ذكرنا فى الفصل المذكور  
 ما انشاء من الخيرات الامير الجليل والشريف النبيل سمادة راتب باشا  
 بالجامع الازهر ثم بلغنا فيما بعد انه أنشأ مسجدا جليلا بالاسكندرية ومدرسة  
 جالية عمومية بالاسكندرية أيضا وأرصد لذلك مافيه الكفاية لدوامه وأرصد  
 جرايات لها وقع كبير على الاضرحة والمشهد والمقارى بالمحروسة وأحيا  
 تكية للنساء العجائز الفقراء مرصدة على احدى وعشرين مرأة كان انشاها  
 المرحوم عبد الرحمن كتنخدا ثم دثرت وبلغنا ان حضرة الباشا المشار اليه مصمم

مطلب  
 خيرات سمار  
 راتب باش

فلان فكلمه انسان فقال من تكون أو قال من تريد فقال الله تعالى يعلم اني كنت أودعت لك بوادي الصفراء في الحجاز في السنة الفلانية سبخلة قال فجاء الرجل الذي كله ونحى القرمزية عن رأس البدوي ونظر الى شجرة في رأسه وقال والله أنت هو وأبو فلان مات وأنا أخوه افعد حتي تروح ابنا ففعدنا حتي راحت الابل عليهم فعزل البدوي منها تسع نوق وقال \* الله تعالى يعلم أن السبخلة ولدت وولد اولادها فبعناها واشترينا تلك الناقة فولدت وتولدت فالذي كان منها ذكورا بعناه وأبقينا الاناث وأخرجنا عنك الزكاة وأخرج صرة زرقاء مربوطة بخيط من شعر فقال هذا من ثمن الذكور ففتحنها فوجدنا فيها أما قال تسعة عشر دينارا أو قال اثنين وثلاثين دينارا غاب عني أيهما قال لطول المدة فقال الاعرابي أما هذا الذهب نخذه ولا حاجة لي به وتكفي النياق فقلنا والله ما نأخذ الا الدينارين فاخذناها ورجعنا انتهى فانظر الى قيمة قدر الامانة عند عرب البادية المؤتمنين والتعفف من المتوسطين وسماحة الاعرابي الذي أراد أن يترك الذهب لهم فلا يدري أي الفرق الثلاثة أكرم وأعظم مروءة فلي العاقل أن يتمسك بكل فضيلة يتمدح بها وتبيض بها صحيفته دنيا وأخري من كل ما يحرز المنافع العمومية دنيوية أو دينية مما يكون به لاهل ملته تمام النظام وتعود منفعة عاجلا أو آجلا على قوة دولة الاسلام

وقد اسلفنا في الفصل الاول من الباب الاول في بيان المنافع العمومية ما يتعلق بفعل الصدقات الجارية وان من جملةا بناء المائر الخيرية وان كثيرا من الامراء تشبهوا بذلك ونقول الآن ان من جملة من اجتهد في فعل الخير الجارى على الدوام ما فعلته صاحب الدولة والعصمة والدعة الخديو الاكرم ولي

مطلب  
ماز الحرية  
اجرتها والدعة  
يؤول الى الذمة  
اجرام جناب  
ل اغا المنذور  
نعماتها من  
رسة والتكية  
الهمة

## الفصل الرابع

( في طبقة أهل الزراعة والتجارة والحرف والصنائع )

قد أسلفنا الكلام على هؤلاء بالبيان الشافي في عدة مواطن لا سيما في  
 انباب الثاني من هذا الكتاب فلا فائدة في الاعادة وانما نقول هنا انه  
 ينبغي لآبناء الوطن ان يؤدوا ما يجب عليهم من الحقوق لوطنهم ايا ما كانت  
 طبقتهم لاتحادهم في وصف الاهلية وان يتعاونوا على ما فيه صلاح مملكتهم  
 وجميعتهم السياسية وان يبذل المستطيع ما عنده في اصلاح حالها وما لها حتى  
 يصدق عليه انه ممن أحيا نخوة الملة وأنشأ قوة الدولة فيشكره وطنه الذي  
 هو مصره ويحمده زمنه الذي هو عصره فيكون مخلص الذكر في دفاتر أخبار  
 الذين اشتهروا في سلسلة الاعصار وان يتصف كل عضو من أعضاء الجمعية  
 الاهلية بالامانة التي هي أشرف الخصال التي يحتاج اليها في المعاملات وقد  
 كانت هذه الفضيلة قديما في الديار المصرية على غاية من التمسك بها ولو عند  
 عرب البادية \* ومن غريب ما يحكى في ذلك ما أخبر به الشيخ عبد الرازق  
 القفطي انه جاء اليه الشريف الاحمر ومعه بدوي فقال لعبد الرازق اشتهي أن  
 تقرضنا دينارين وتركب معنا لله تعالى قال فدفعت لهما دينارين وركبت معها  
 فسقنا في الحاجر ساعة فقلت للشريف ما تقول لي ايش أنت تطلب بنا فقال  
 هذا البدوي كان أودع ناسا من العرب سخلة في الحجاز من احدى عشرة  
 سنة وهو يطلب وديعته قال فقلت له ضيمت على دينارين وأتبعتنا فقال لي  
 الدينار الواحد معي والآخر اشتريت به هذا الحمار فان وجدنا شيئا والاردنا  
 لك مالك فصرنا الى أبيات عرب هناك فجلسنا بعيدا وتقدم الاعرابي ونادى يا أبا



الهروب بدا فنجأ بنفسه ولا محالة ورجع الى الامير يرجف فؤاده وقد فاته مراده فقال له الامير بصوت جهوري بغاية من الحماس يسمعه كل من حضر من الناس يا أيها الشقي الاحمق والعدو الازرق كيف عشت بين أظهر مؤمني البرية ولم تعلم حرمة قتل النفس البرية وهل محض اختلاف الاديان يبيح التعدي بقتل الانسان ابتغاء مرضاة الشيطان وكيف نظن أن بتصميمك على هذه النية ترضي الله سبحانه وتعالى أو نبيه وهل من المروءة والسماحة قتل من ألقى سلاحه أما تعلم أن قتل النفس بغير حق من أعظم الآثام عند الله فحجل المغربي بالخزري والحجل يطلب الفقران من الله عز وجل واستحسن جميع الحاضرين ما دبره الامير فما أحسن العدل المرفوق بحسن التدبير لا سيما من قائد خطير (ويحكى) ان عمرو بن معدي كرب مر بحمي من أحياء العرب فرأى فرسا مشدودا ورمحاً مراكوزاً ورجلاً في وهدة يتقاضى حاجته فقال له عمرو خذ حذرك فاني قاتلك فقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معدي كرب قال وأنا أبو الحرب ولكن ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في موضعي فاعطني عهداً أن لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري فمأهده على ذلك فخرج من الموضع الذي كان فيه وجلس محتبياً بسيفه فقال له عمرو وما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسي ولا أنا مقاتلك فان نكشت العهد فأنت أعلم بما يليق بالناسك فتركه عمرو ومضي وقال هذا أجبن من رأيت فانظر الى حفظ اليهود فهو وان كان واجب الوفاء به في حد ذاته الا أن أحق الناس به الامراء والجنود وفي هذا القدر كفاية فيما يتعلق بالطبقة الثالثة التي هي طبقة الغزاة

« مطلب »  
وفاء عمرو بن  
معدي كرب  
بالعهد

من ديارهم بعد تغلبهم عليها وكانوا بقايا من نجا من القتل فكانت العداوة باقية بين القرنيين

وكان اغلب المغاربة يعتقدون حل التقرب الى الله تعالى بقتل النصاري لمخالفة الدين لاسيما اذا كانوا من نصارى الاسبانيول المعتدين وكان من قواد المغاربة الذين يغيرون على بلاد الاسبانيول الساحلية أمير يقال له علي بن جري من قواد ملوك افريقية فانتصر مرة في حربه مع الاسبانيول نصرة عظيمة وقتل واسر وشحن سفينته من أسراهم حتي أرسى على سواحل افريقية وانزلهم الى البر فحضر اليه شخص من حمقى العرب متمثلا بين يديه وجعل يقبل قدميه وقال له يا أيها الامير لقد أسعدك الله تعالى بالظفر والتأييد ووفقك لجلب عدد كثير من النصاري الاساري فهم لجنابك العالي من قبيل الارقاء والبيدوطالما انتهزت الفرصة في سفك دماهم وسبي رجالهم ونسائهم وفي طاقتك ان تقتل منهم ما تشاء من العدد الكثير والجسم الغفير فلا شك أن مثلك من أهل الجنة حيث وفقه الله تعالى الى الحصول على هذه المنة وأما أنا فلم أحظ في عمري بهذه الفضيلة ولا تيسرت لي هذه النعمة الجزيلة فأناشدك الله الاتفضلت على من احسانك وجميل فضلك وامتنانك باحد هؤلاء الاسرى اعداء الدين لا تقرب به الى طاعة رب العالمين فأظهر له الامير حسن الاجابة وانه لبي دعوته لينال الاجر والاثابة وأفهمه أنه يرسل اليه هذا الشاب طويل النجاد في الغابة وأمره ان ينتظره فيها هذه الساعة ليفتك به سرا بدون اشاعه ثم أمر الاسير بالمسير وأطلعه على خبيثة هذا الاحمق وحذره منه وأنذره حتي يعمل لنفسه في الذب عنها أحسن التدبير فاقترح الاسير الغابة شاكي السلاح مصمما على المناضلة والكفاح فلما رآه خصمه على أهبة بهذه الحالة لم يجد من

هذه الصحابي الجليل الذي كان أمير الجيش الاسلامي في ذلك الجليل مجتمعة  
 في أمراء الجنود بالاجيال الجديدة المشهورة بالتمذات المتنوعة والتقدمات  
 العديدة لافادتهم غاية المجد والشرف ونفت عنهم مثالب الجور والسرف  
 فأجل أمراء جيوش الدول العظيمة التمدن في عهدنا هذا لم تبلغ درجة ذلك  
 الامير الخطير الذي هو من بين الفاتحين عديم النظير فكل منقبة من مناقب  
 عدله وحلمه ووفائه تحجل أكابر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة  
 وتزدري بأمرائه انتهى وهذا من قبيل \*ومليحة شهدت لها ضراتها\* ومع ذلك  
 فنقول ان تمدن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين وتابعيهم هو تمدن حقيقي  
 مكتسب من أنوار النبوة وتباع هدى من لا ينطق عن الهوى مع سلامة  
 طبع أبي عبيدة عامر بن الجراح الذي قال في حقه عليه الصلاة والسلام لكل  
 أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح وقد كانت شففته على  
 نصاري الروم بدمشق واجبة لانها نتيجة المصالحة والمعاهدة والافكان  
 لا يخشى في الله لومة لائم فكذلك مكارم أخلاق الصحابة فمن أراد أن يقتدي  
 بهم فهو من أهل السداد والاصابة وما أسعد من يتزهد من أول شببته عن  
 الجهالات ويتمسك بناموس المروءة والشريعة ويخالف أهواء النفس اللوامة  
 ويخالف معالي الامور المؤسسة على مافي الكتاب العزيز من الايات البينات  
 فلا أحق ممن تجرد عن الشفقة والرحمة وأفضى به الجهل الى ارتكاب  
 الامور المحرمة فكأنما هو تربي في الجبال ورضع ألبان الوحوش والوعال  
 كما يحكي عن نية غدر من مغربي مسلم بأسير من نصاري الاسبانيول منقاد  
 لقضاء الله عليه بالاسر ومستسلم وذلك ان أكثر عرب المغاربة المتوطنين  
 ببلاد افريقية أصلهم من عرب الاندلس الذين اجلاهم الاسبانيول

« مطلب »  
 ذم التجرد عند  
 الشفقة والرحمة  
 مدال فقال في حق  
 الاسري

بدون حق وكان شريف النفس عالي الهمة يميل الى العدل والحلم وكان قد  
اشتهر عند الروم بحسن الشئامل ومكارم الاخلاق وصدق المقال فلما التمس  
أهل دمشق الصالح من هذا الامير فأتحوه في شأن ذلك صالحهم على ان  
يؤمنهم على نفوسهم ورخص لمن لم يسلم اذا أراد أن يخرج من دياره خرج  
منها بجانب من أمواله اشترط عليهم ان يبلغوا مأمنهم بعد مضي ثلاثة أيام  
بلياليها من زمن جلائهم يجدون فيها السير كما يشاؤون ولا يقفوا أثرهم أحد من  
جيش الاسلام الا بعد مضيتها فعلى هذا الصالح سلموا له مفاتيح المدينة فلما  
دخل فيها بجنده ووصل فيها الى ميدان عام في وسطها رأى في هذا الميدان  
جند خالد بن الوليد فكانوا نقبوها وأخذوها عنوة من الابواب المسامطة  
للباب الذي دخل منه أبو عبيدة عقب الصالح فكانت عساكر خالد بوصف  
كونهم فتحوها عنوة يقتلون من يجدونه في ممرهم فنهزم عن ذلك بالتي هي  
أحسن وأمرهم بتقوى الله والرفق بعباده وأخبر الامير خالد بن الوليد بما  
صالحهم عليه لان خالد رضي الله تعالى عنه كان بمنزلة عظيمة عند أمير  
المؤمنين وكان قد أتاه كتاب من عمر رضي الله تعالى عنه بتقليده اماره جيشه  
فأقر خالد ما صالح عليه أبو عبيدة ووعد برفع السلاح عنهم وان لا يقفوا  
أثرهم الا بعد مضي الثلاثة الايام المتفق عليها وانجز حراً ما وعد فأتني أثرهم  
بعد مضيتها ثم جد السير فأدركهم وبدد شملهم وسلبهم ما عندهم واغتنم منهم  
ما اغتنم ثم عاد سالماً غانماً الى دمشق وبعث أبو عبيدة بالفتح الى أمير المؤمنين  
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فمدحه المؤرخون بوفائه بنفسه وبتوسطه  
الى خالد بن الوليد وحمله على ذلك

قال بعض من وقف على هذه الواقعة من مؤلفي أوروبا لو كانت اوصاف



يتمادون بالسيوف فقالوا يا محمد هل مربك رجل هارب من صفته كذا وكذا  
فقال عليه السلام أما منذ جلست فلا فصدقه القوم وانصرفوا في غير ذلك  
الطريق

(وقال) بعض المؤرخين لما غزا أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه مدينة  
دمشق في عهد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان قد نازل هذه  
المدينة من جهة باب الجابية ونازلها خالد من جهة الباب الشرقي ونازلها عمرو  
ابن العاص من جهة باب ثوما ونازلها يزيد بن أبي سفيان من جهة الباب  
الصغير وحاصروها قريبا من سبعين يوما وكان خالد بن الوليد رضى الله تعالى  
عنه مصمما على أخذها بأى وجه كان صلحا أو عنوة وكان عساكر الروم  
بدمشق قد أيقنوا أن حصارها على هذه الحالة لا بد أن يعقبه الفتوح  
الإسلامي وأنه لا مفر لهم من وقوعهم في أسر المسلمين وكان محافظ دمشق  
الأمير ثوما صهر القيصر هرقل فدبر حيلة عسى يكون بها نجاة نفسه وجنده  
من الوقوع في أيدي المسلمين فخرج بجنده من المدينة عدة خرجات عساه  
أن يدافع جيوش المسلمين عن المدينة وينتصر عليهم وكان يعتمد على أنه  
سيصله امدادات من القيصر فخاب رجاءه وانهمز في جميع خرجاته ثم لما  
أيس من النصرة والامداد القريب وجزم بأنه واشك بالوقوع في قبضة  
الإسلام شرع في التماس المسألة بمقد الصالح مع أبي عبيدة رضى الله  
تعالى عنه

وكان قد بلغه موت الخليفة أبي بكر رضى الله تعالى عنه واستخلاف  
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وكان أبو عبيدة هينا لنا  
صاحب رافة ورحمة على عباد الله غير متعصب ولا مشدد على أهل الكتاب

مطلب  
فأما أبي عبيدة  
أمر بن الجراح  
هذه الروم عند  
فتح دمشق

قوم خيانة فابذ اليهم على سواء وكذلك اذا كان العهد مؤجلا بمدة فانقضت  
 المدة فبانقضائها ينقض العهد وينبذ اذا كان الغرض عدم تجديده بل العزم  
 على المحاربة والمقاتلة ولا يجوز نقضه في غير ما ذكر لان نقضه يجري مجرى  
 الغدر وخلف القول قال تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم  
 شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدكم الى مدتهم ومضى جاز نقض  
 العهد وجب اخبار المعاهدين بذلك ليكونوا على بصيرة لان النبي صلى الله  
 عليه وسلم حين نقض العهد مع اهل مكة بعث مناديه وهو على رضى الله  
 تعالى عنه في الموسم فنادي يوم النحر عند جرة العقبة بنقض الصلح فينبني  
 لكل أمير أن يتأدب بأدابه صلى الله عليه وسلم في حفظ العهود واجرائها  
 على وجه معهود (يحكي) أن خالد بن الوليد لما حارب بني حنيفة بأرض  
 اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب حتى صار الى حصن لبني حنيفة فخرج الى  
 خالد رجل من الحصن فأسلم على يده ثم قال له ان في هذا الحصن ضعفة  
 ونساء وصبية فأعطهم أمانا ليخرجوا اليك فليس فيهم درك فأخذ أمانا من  
 خالد للجميع ثم أخرجهم فخرج فيهم رجال كانهم الاسد فقال خالد لم أعطك  
 هؤلاء أمانا وانما أعطيتك للضعيف قال الرجل فهم كلهم ضعيف لان الله عز  
 وجل يقول وخلق الانسان ضعيفا فكتب في ذلك الى أبي بكر الصديق  
 رضى الله عنه فاجاز الامان على خالد وما قاله الرجل الاسامى لخالد يعد من  
 باب دفع المكروه بقول صادق في حد ذاته كما يحكي ان رجلا مر برسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة فقال يا محمد أغثنى فان  
 خلفي من يطلب دمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امض لوجهك  
 لأصد الطلب عنك ثم قام عليه السلام وجلس بعد نفوذ الرجل فاذا قوم

فعله بأمرنا المطاع وليتبصر بمن وراءه وليتوق اختلاف كل مبطل واقتراءه  
وليتحقق انه هو المشار اليه دون رفقته والموكل به النظر والمحقق به جملة جنودنا  
المنصور من البدو والحضر واليه مدارج الامراء فيما ينزل وأمر كل جندي  
لهم ممن فارق أو نزل وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور  
الشريف أو على السبابة ومن هو في المساكر المنصورة في الطليعة أو في  
السافة وطوائف العرب والتركان والاكراد ومن عليهم تقدمه أو درك بلاد  
ملازمه أو غير ذلك مما لا يفوت احصاؤه القلم واقصاه أو أدناه تحت كل  
لواء ينشر أو علم فلا يزال لهذا كله مستحضرا وله على خاطره محضرا لتكون  
لغات نظرنا اليه دون رفقته في السؤال راجعه وحافظته الحاضرة غنية عن  
التذكر والمراجعة وملاك الوصايا تقوى الله وهي من أخص أوصافه واجمع بين  
العدل والاحسان وهما من نتائج اتصافه فليجعلهما عمدي حكمه في القول  
والعمل والله يجعله من أوليائه المتقين وقد جعل انتهى

ومما ينبغي ذكره ان امراء الجيوش هم نواب الامام في الجهاد فكما يجوز لهم قتال أهل  
الحرب مقبلين ومدبرين ونصب المنجنقيات والفرادات والقاء الحيات ورمي  
النيران بجميع آلاتها وقطع اشجار العدو ولو ممرة عند الاقتضات والضرورات  
وقتل الشبان والشيوخ ومن يتعرض للطعن والضرب لا قصد قتل النساء  
والصبيان فكذلك يجوز لهم بمقتضى رخصتهم أن يعقدوا عقود العهود  
والامانات ويؤمنوا من التقي السلاح مما شرع جلب المصلحة ودرء المفسدة  
ومتى عقدوا العقود وعاهدوا اليهود فلا يجوز نكثها بوجه من الوجوه الا  
ان ظهر لهم من العدو المتعاهدين معه خيانة مستورة وخوف مضر فينبذ  
العهد اليهم حتي يستووا في معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما نخافن من

« مطلب »  
كون امراء  
جيوشهم نواب  
لي الامر في  
الجهاد وفي عقد  
نود والوفاء  
بالعهود

الشريف بالانصاف والعود على نفسه بالاذعان والاعتراف فخذته بما يشرح صدره ويرفع قدره ويعلي ذكره فبهذا تأمل منه نوال ما تحتاج اليه واستكمال ما تطلبه لديه واما اذا رأيته لاعقل له في موافقة رأيك الصائب فصبر نفسك على ما تجده عنده من التعسف فهو أحدي المصائب ولا تجزع وتجلد الي ان ينتهي الحرب على أحسن حال فانه لا يلام عليك في التمسك بأداب الحرب على هذا المنوال ولكن احترس أيضا أن تفشى لبعض المتملقين والسامة والوشاة من المنافقين شكوي ما تظنه ظالما عن هؤلاء الرؤساء الموجودين في الوجقات والمواقع التي انت فيها معهم في الحروب والوقائع واقع انتهى وقد عمل بعض الملوك وصية لناظر الجيش قال فيها وليأخذ أمير هذا الديوان بكليته ويستحضر كل مسمى فيه اذا دعي باسمه وحليته وليقم قياما بغيره لم يرض وليقدم من يحب تقديمه في العرض وليقف على معامل هذه المباشرة وجرائد جنودنا بما يحصى له من الاعلام ناشرة وليقتصد في كل محاسبه ويحررها على ما يجب أو ما قاربه أو ناسبه وليستنصح أمر كل ميت يأتي اليه من ديوان المواريث الحشرية ورقة وفاته أو يخبره مقدمه أو نقيه اذا مات معه في الاسفار عند موافاته وليحرر ما تضمنته الكشوف وتحقق ما يقابل به من اخراج كل حال على ما هو معروف حتي اذا سئل عن أمر كان لم يخف واذا كشف على شيء أظهر ما هو عليه حقيقته ولا ينكر هذا لاهل الكشف وليحرر في أمر كل مر به وما فيها من الجهات المقطعة وكل منشور يكتب ومثال عليه جمع للأمر يترتب وما يثبت عنده وينزل في تعليقه ويرجع فيه الى تحقيقه وليعلم ان وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحرير كل اقطاع وفي كل زيادة واقطاع وفي كل ما ينسب اليه وان كان انما

مطلب  
وصية بعض الملوك  
لناظر جيشه



والوسعة فتى زادت الحاجة الداعية لاقتحام الاخطار ودعت الدواعى لاقتحام  
العقبات الكبار وجب أيضا الاستحصال على وسائل التبصر والاستبصار  
والحزم فى الشجاعة لبلوغ الاوطار فتقوى الشجاعة بقوة الحاجة اليها ويجب  
توسيع دائرة البالى فى الحصول عليها وبالجملة فتنبه لان تسلك فى امورك كلها  
مسلكا لا يجلب اليك غيرة الباقين ولا يوجب لك عداوة الآخرين فامدحهم  
فيما يستحقون عليه المدح وليكن مدحك مصحوبا بتميز كل على قدر حاله  
لئلا يستحيل الى القدح ان تذكر حسنات ذوى الاحسان والحصول الملاح  
من خالص قلب مهمل بالفرح والانشراح تضرب صفحا عن سيئاتهم وترثي  
الحال فاعلمها وتأسف على وقوعه فى الفعائل القباح ولا تحكم بشيء وتقضى به  
استقلالاً بحضور هؤلاء الرؤساء الافاضل الذين مازسوا الامور وجربوا  
الوقائع والنوازل فلك خلى عن ذلك ولست مثلهم فى سلوك هذه المسالك  
فاسمع قولهم مع الادب والاحترام وشاورهم فى الامر تاخ صحيح المرام  
واخضع لارباب المعارف والموارف وافزع اليهم وتضرع ليعاموك ما لم تعلمه  
من اللطائف ولا تستح من ان تغزو الى من تلمت منهم جميع ما يصدر عنك  
من الامور الصائبة فاناسب لهم واضف اليهم محاسنه وأطايبه ولا نسمع ابداماً لقم  
يثبط همتك بالبعد عنهم واخذ الحذر منهم ليقوع المنافسة والعداوة والمناقشة والقساوة  
بينك وبين هؤلاء الرؤساء السادة وامراء القاده واذا تحدثت معهم فاعتمد عليهم  
كل الاعتماد واركن اليهم وثق بهم وسلم لهم القياد ولا تشك فيهم ولا تتوسوس  
ولا طفهم فى الخطاب ليتمكن الحب ويتأسس واذا ظننت أو رأيت أن أحدا  
منهم حصل منه تقصير فى حقك به عليه يعاب فعاتبه برفق واصف بيتك فى  
العتاب واصدقه فى الدعاوى والاسباب فان وجدت فيه اهلية لفهم مقصده

انتصار ولا هو معدود من فحول الرجال بل محتاج أن يخرج من مركز العقل ويدخل في زوايا الاختلال ليغلب الخوف بصولة الفضب وجوانته ولا يقتدر على غايته لقوة قلبه وحضور عقله واستحضار فكرته فهو في هذه الحالة لا يكر ولا يفر ولا يقبل ولا يدبر وانما يتعكر ويتكدر ولا يتذكر ولا يتفكر بل يخنط ولا يتدبر ويخسر حرية عقله وفكره مما لا يلزم لتنظيم حاله واغتنام تدمير عدوه وتدبير أمره وينسى خدمة الاوطان ومنفعة البلدان وهذا عين الحواز فاذا كان عند ذلك المجازف شجاعة النفر العسكري المجالد فليس عنده فطاة لرئيس الكامل ولا امارة الامير القائد بل ليس متصفا في الحقيقة بحقيقة شجاعة النفر الصحيحة ولا يسأله آحاد الجنود وأفراد العساكر الرجيحة لان النفر العسكري من واجباته ان يحافظ في المعركة على استحضار عقله والاعتدال والحلم حتي يكون ملازما للطاعة في جميع فعله فاي محارب تعرض للمجازفة في الحرب العوان كدر نظام العساكر واخل بالتعليمات والحركة العسكرية في حومة الميدان وكان قدوة للمجازفة والمخاطرة والتماراة والمكابره وعرض الجيش بتمامه بفقده استحضار العقل الصائب للوقوع في مكاييد الخطر والمصائب فكل من يؤثر مطامعه الفاسده ويقدم وسائله ومقاصده على مقتضيات العدل والمصلحة العامة يستحق الجزاء والمقاب لا المكافأة والثواب على رأى الخاصة والعامة فاحذر يا بني ان تطلب الفخار بدون صبر ولا تؤده بل أقرب الوسائل في الحصول عليه ان تنتظر اغتنامه بالفرصة لتستعبده فلا يكن سعيك اليه سعيًا خائبًا ولا ترم سهمك صوبه الاصابا فان الخصلة الحميدة في الانسان صاحب الكمال تحمد ما دامت مبنية على الرفق والاعتدال فهي مادية للزينة وحب الرياء والسمعة وقصد التعمق في المطلوب

عرضه اذا هاله الخوض في المعارك ولم يقتسم الاخطار مع اربابها ولم يشارك  
 ولم يقتحم معامع الحرب والجدال فان هذا يلونه ازيد مما اذا منع من السفر  
 لحضور الحرب والنزال ولا ينبغي لمن يقود الجيوش وله عليهم امره ان  
 تكون شجاعته مترددة بل محققة لينفذ على الجميع فيه وأمره فاذا كانت  
 الرعية تحتاج لحفظ ممالكها وبقائه فهي أحوج لان تجد شهرته مترددة  
 يخشى عليها من السقوط ومن شماته اعدائه ولا تنس أن الذي يحكم الممالك  
 ويقودها في الكفاح لا بد أن يكون انموذج الجمع وشاكي السلاح  
 وبشجاعته الجاسرة الباسله يحيي قلوب الجنود الفاضله فايك ان تهاب الاخطار  
 بل مت في ميدان الحرب ونقع الغبار فهذا خير من ان يرميك الناس  
 بالجن ويصفوك بالذل والصغار وأما المداهنون الذين يصدونك عن التعرض  
 للخطر عند الاقتضاء والرزوم فهم أول من يقول في حقك سرّاً انك ملوم  
 ومذموم وانك ضعيف الفؤاد والجاش وجهدك جهد الأوباش ويفوقونك  
 بسهام الملام متى وجدوا ان يسهل عليك الاحتجاب والأحجام والتأخر  
 عن الافدام ولكن لا ينبغي لك ان تهض وقت لرخاء والسمعه لتطلب  
 الاخطار بدون منفعه فان الشجاعة ليست محمودة العلقه والارتباط الا اذا  
 كانت موزونة بقسطاس العقل وميزان الحزم والاحتياط والا فهي بدون  
 ذلك عبارة عن احتقار النفس النفيسة والمخاطرة بها بدون رأى ولا تدبير  
 فهي اذن خسيسه فترجع الى الحمية الشهوانية والصفة الغضبية الحيوانية  
 فلا تنتج نتيجة محققة مأمونة ولا تثمر ثمرة عن الهوان مصونه مع ان النفس  
 جوهرة مكنونة فيجب ان تكون دماؤها محقونه فالانسان الذي لا يملك  
 نفسه في وقت الاخطار هو انسان غضي ورجل احمق لا شجاع باسل حليف

جامعة لآبواب الحرب وهى الاصل فى تدير الحروب التى وضع الناس لها  
 كتبوا فيها ترتيبا خاصا وتقنوا فيها تقننا عجيبا مع قوله تعالى ان الله  
 يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ومن المعلوم أنه  
 ليس ثم بناء مرصوص أتم ولا أنظم من تشكيل الشكل المربع المسمى بالقلعة  
 فى التعاليم الجديدة النظامية التى تجددت من منذ سنين عديدة فى مصر المحمية  
 فهذه النظامات الحديثة الأخيرة من أعظم ما تكون به ديار الاسلام جديرة  
 والفضل فى ادخالها لىالديار المصرية واقفاء الاقتداء بها وتأليفها فى الديار  
 الاسلامية للحضرة المحمدية العلية ثم قويت واتسعت دائرتها برياسة نجله الاكبر  
 سى الخليل ثم تشكلت أشكال متنوعة الى ان قويت شوكتها بالخديو الجليل  
 عزيز مصر اسمعيل فانه فرع تبع الاصل الاصيل فى كسب المجد الاثيل  
 وهل ينبت الخطى الاوشيجه وتفرس الا فى منابتها النخل  
 فانه ربه للسجال رجال لهم فى ميادين الحرب أعلى مجال  
 يبنى الرجال وغيره يبنى القرى شتان بين قري وبين رجال  
 قلق بكثرة ماله وجياده حتى يفرقها على الابطال  
 (وقال آخر)

وشرط الفلاحة غرس الثمار وشرط السياسة غرس الرجال

« مطلب »  
 وصية حكيم  
 لتلميذه الامير  
 السرية

ولا بأس أن تذكر هنا عظة تمثيلية وصى بها الحكيم منصور تلميذه  
 تليماك حين رياسته على بعض السريات اليونانية وان كانت الواقعة فى حد  
 ذاتها خيالية الا ان لها معنى من المعانى الصحيحة يجب أن يتمسك به امراء  
 الجنود فى سفراتهم النجيحة فنقول قال منظور لتليماك اذهب الى أي خطر  
 كان واقترع المخاوف والمهالك متى احتاج الامر لذلك فان المرء يتدنس



والسيف وهو بحيث تعرفه فرض عليه عبادة القلم  
ولو أر بكل من السيف والقلم قوام الممالك الا أن تقديم الثاني على  
الاول أقرب لان بالاقلام تناس الاقاليم فالقلم أنفع من السيف وان كان السيف  
أرفع منه قال الشاعر

لا يسلم الشرف المنيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم  
فكيف وبه دوام المجد وتمام السعد فما ينقش بالذهب على سيوف بعض  
العرب

ان أسيافنا القصار الدوامي صيرت مجدنا طويل الدوام  
باتحام الاهوال من وقت حام واقتسام الاموال من وقت سام  
ثم ان التعبير في المواطن الحربية بالسيف القصد منه آلات الحرب  
وعدته اذ هو في الازمان القديمة كان أشهرها والا فليس للاهوان والمدافع  
في وقت الاهوال من دافع ولا مدافع فهي أولى من الرمي بالسهم والنبال  
في قول من قال

نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا ما لم ينالوا بجحد المشرفيات  
فانها في العدو انكى والبلغ في الانتقام والبلية وأهلك للاخضام وأملك في قطع  
المنازعات الحربية بين أمم البرية الا انه لم تزل الشهرة للمرهفات وايضا القوة  
كانت في قديم الزمان الرمي بالنبال حيث فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة  
به حين مر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة  
الرمي واراد بالقوة القوة المذكورة في قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة  
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله تعالى ما استطعتم مشتعل  
على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة فالآية الشريفة

فالأولى له أن يجعل عاطلا كما قال أبو العتاهية

فصغ ما كنت حليت به سيفك خائلا  
فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

(ومدح) اعراني قومه قتال قومي لبوث حرب وغبوث جذب ليس

لاسيافهم انعماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام قل الشاعر

كان سبوفه صيغت عقودا      نجول على الترائب والنحور  
وسمر رماحه جملت هموما      فما يخطرن الا في الضمير

وقال عبد الله بن طاهر

بيت ضجبي السيف طورا وتارة      تعرض بهامات الرجال مضاربه  
أخو ثقة أرضاد في الروع صاحبها      وفوق رضاه اني أنا صاحبه  
وليس أخو العلياء الا فتى له      بها كلف ما تستقر ركائبه

وقال ابن الرومي

كتبت لنا أيدي النزل صحائفنا      عجا من الاعراب والافصاح  
أطراسها جثث الكماة وحبورها      مما أسلنا من دم الارواح  
فالشكل فوق سطورها بصوارم      والنقط فوق حروفها برماح

وقد تنازع الادباء في التفضيل بين السيف والقلم ففضل بعضهم السيف في قوله

السيف أصدق انباء من الكتب      في حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لا سود الصحف في      متونهن جلاء الشك والريب

وأشار بعضهم الى تفضيل القلم على السيف بقوله

الكتب عقل شوارد الكام      والخط خيط فرائد الحكم  
بالخط نظم كل منتشر      منها وفصل كل منتظم

مطلب

مدح السيف وإن  
لقد صرته في  
بعض المواطن  
آلات الحرب

إذا مات عمرو قلت للخيل أو طئي زيدا فقد أودى نجاتها عمرو  
وما أحسن قوله في وصف السيف ذاك المدة عند الشدة فقد كان له  
سيف يسمى الصمصامة وكان يضرب به وبسيفه المنزل اذ هو أشرف سيوف  
العرب فيقال ما كل من يسطو بصمصامة عمرو ويقال له الصمصام قال نهشل  
متمثلاً به

أخ ما جدد ما خانتني يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه  
وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه  
خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام فلم يزل عند بني مروان حتى جد  
الهادي العباسي في طلبه فاخذه قال صلى الله عليه وسلم الخير في السيف والخير  
مع السيف والخير بالسيف قال السموئل

وما مات مناسيد خنف أنفه ولا طل منا حيث كان قنيل  
تسيل على حد الظبابة نفوسنا وليست على غير الظبابة تسيل

وقال ابن الرومي

لم أر شيئاً حاضراً نفمه للمرء كالدرهم والسيف  
يقضى له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف

وما أحسن قول الطفرائي

وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل  
ولذلك لما انتصر بعض الأمراء على أعدائه وأطلق أسراهم من عليهم  
بأسلحتهم فقتل موقع جيشه يصف ذلك منا عليهم من الأسلاب بالبيض  
القواطع ليجمعوا حليها أساور في أيدي البيض ذوات البراقع وحلية السيف  
لا يحسن إلا بكف يكون به ضارباً له لا جالباً وإذا عطل في موافق الجهاد

مواقف مذكورة ومواطن مشهورة اسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد  
 حروب الفرس وكان له فيها افعال عظيمة واحوال جسيمة وكان امير المؤمنين  
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذي خلقتنا وخلق عمرا  
 (وروي) عنه رضي الله عنه انه سأل يوما فقال له يا عمرو أي السلاح افضل في  
 الحرب قال فمن أيها تسأل قال ماتقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب  
 قال فما تقول في الرمح قال اخوك وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو  
 الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة  
 (وقيل) انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انني عابر على  
 هذا الجسر فان اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسفي بيدي أقاتل  
 به تلقاء وجهي وقد عرفني القوم وانا قائم بينهم وان ابطأتم وجدتموني قتيلا  
 بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقاتل بمضهم لبعض يابني زبيد علام تدعون  
 صاحبكم والله ما نظن انكم ندركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه  
 وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفراس يضرب فرسه فلم  
 تقدر أن تتحرك فلما رآنا ادركناه رمي الرجل نفسه وحلي فرسه فركبه عمرو  
 وقال انا ابو ثور كدتم والله تفقدوني فقال اين فرسك فقل رمي بنشابة فعار  
 وشب فصرعني

(يروي) انه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك  
 الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل  
 فضرب عمرو والفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج  
 كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وكان عمرو من  
 الشعراء المدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أجمع صباحا  
واحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى  
هذه الايات

تألمان فعلى هل رأيت مثله اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب  
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب الزئمة والقلب  
ألم أعط كلا حقه ونصيبه من السمهرى اللدن والمرهف المضرب  
أنا ابن أبى هند بن قيس بن مالك سليل المعالى والمكارم والسيب  
أبى لى أن أعطي الظلامة مرهف وطرف قوى الظهر والجوف والجنب  
وعزم صحيح لو ضربت بحده الـجبال الرواسى لا نخططن الى الترب  
وعرض نقي أتقى ان أعيبه وبيت شريف فى ذرى تغلب العلب  
فان لم أقاتل دونكن وأحتمى لكن وأحميكن بالطن والضرب  
فلا صدق اللاتى مشين الى ابى يهنينه بالفارس البطل النذب  
هكذا فضائل شبان العرب فى الشجاعة ومكارم الاخلاق

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم فى الحادثات اذا دجون نجوم  
منها معالم للهدى ومصالح تجلو الدجى والاخريات رجوم  
كما ان شجاعة شيوخهم فى قوة آرائهم المؤسسة على التجارب كما حكي  
قريبا عن الشيخ الذي قارب التسعين لما استشاره قوم من العرب فى شأن  
عدوهم فأشار عليهم برأى سديد

ومن الشيوخ من يجمع بين فضيلة الشجاعة والرأى كعمرو بن معدى  
كرب الزبيدى فانه بعد ان عمر وضعف كان فى واقعة الفرس يحمل  
على عدوه وذلك انه معدود من فرسان الجاهلية والاسلام فله فى حروب الجاهلية

مطلب  
من جمع بين  
نبلى شجاعة  
والرأى



وحر المجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب حفظه القرآن  
 فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما ان بلغ  
 الحلم واشتد عظمه وكل خلقه حمله على عتاق الخيل ففرس وتمرس ولبس  
 السلاح ومشى بين بوبات الحى الخيلاء فأخذ في قرى الضيف واطعام  
 الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق ان نزلنا بمنهل  
 من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثارهم وشاء الله تعالى  
 ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق فى الحى  
 غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت  
 علينا غرر الجياد وطلائع المدوفا هو الا هنيهة حتى احرزوا الاموال دون  
 أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به حتى  
 اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يشور الاسد وأمر  
 بأسراج فرسه ولبس لأمة حربيه وأخذ رحمه بيده ولحق حماة القوم فظعن  
 أدناهم منه فرمي به ولحق أبعدهم عنه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه  
 صبيا صغيرا لامددا وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعوا الله عز  
 وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وأمتدوا فى أثره عطف عليهم ففرق  
 شملهم وشتت جمعهم وقتل كثيرهم ومزقهم كل ممزق ومزق كما يمزق السمهم  
 وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به أو لا هلكن دونه أن انصرفت  
 اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتحيزت له الفتيان وحملوا عليه وقدرفعوا  
 اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من  
 وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الامزقها حتى لم  
 يبق من القوم الا من نجابه فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عنده

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتعشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله  
مع الصابرين أحدها الثبات ثانيها كثرة ذكره سبحانه وتعالى ثالثها الطاعة  
رابعها اتفاق الحكمة خامسها الصبر فهذه الخمسة تبنى عليها قبة النصر ولما  
اجتمعت هذه القوى الخمس في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم حتى فتحوا  
الدنيا ودانت لهم البلاد والعباد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل  
أمرهم الى ما آل اليه

ولا بأس أن نذكر هنا من أخبار الشجبان ما حكاه الفضل بن يزيد  
ونقله صاحب المستطرف قال نزل علينا بنو تغلب في بعض السنين وكنت  
مشغوفا بأخبار العرب أن اسمعها وأجمعها فيدنا أنا أدور في بعض أحيائهم  
اذ أنا بمرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام قلما رايت مثله في حسنه  
وجماله له ذؤابتان كالسبيح المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه  
الاسماع وترتاح له القلوب واكثر ما اسمع منها اي بنى وهو يتبسم في وجهها  
قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسننت ما رايت  
واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت انظر اليهما  
فقال يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستماع بما ارى من  
هذا الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو احسن من  
منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد  
حملا خفيفا حتي مضت لة تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن أضعه في موضعه  
خلقا سويا فوربك ما هو الا أن صار ثالث أبويه حتى افاضل الله عز وجل  
وأعطي وآتي من الرزق بما كفي وأغني ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم  
الرضاع نقلته من خرق المهدي الى فراش ابيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء

رضى الله عنهم ولم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام أشجع من خالد بن  
الوليد ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله لم يهزم في  
جاهلية ولا في اسلام ومات على فراشه وقيل لعبد الملك بن مروان من أشجع  
الناس فقال العباس بن مرداس السامي الذي يقول

أشد على الكتيبة لا أبالي      أحتقن كان فيها أم سواها  
وقيس بن الحطيم حيث يقول

واني في الحرب العوان موكل      باقدام نفس لا أريد بقاءها

ومن اشهر بالشجاعة أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي فارس بطل  
شاعر ندبم جامع لما تفرق في غيره حمل على فارس ووراءه رديف فطعنهما  
فانتظما في رحه وكان ذلك في بعض حروبه وفيه يقول بكر بن النطاح ويذكر  
طعنته

واذا بدا لك قاسم يوم الوغي      يختال خلت أمامه قنديلا  
واذا تلذذ بالعمود ولينه      خلت العمود بكفه منديلا  
واذا تناول صخرة ليرضاها      عادت كشيئا في يديه مهيلا  
قالوا وينظم فارسين بطعنة      يوم اللقاء ولا تراه كليلا  
لا تعجبوا لو كان مدققاته      ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

ومن كلام أبي دلف العجلي المذكور

ليس المروءة أن تبت منما      وتظل منعكفا على الاقداح  
\* ما للرجال وللتنعم انما      خلقوا ليوم كريهة وكفاح

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى عباده المجاهدين بخمسة أشياء ما اجتمعت  
في فئة قط الا نصرت وان قلت وكثير عددها وهي مجموعة في قوله تعالى

مطلب  
من اشهر  
بالشجاعة  
الابطال

(وقال) الحكماء أصل الخير كله في ثبات القلب وهو الشجاعة وأعظم أهل الجند شجاعة واقوام جاشا من اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه فمن وقع أقاله ومن وقف حملة ومن كبابه فرسه حماه حتى يأس العدو منهم حتى قيل ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم في الشجاعة الدفاع عن الحرم

ولقد اعترف الجميع لابي بكر الصديق رضي الله عنه بقوة الجاش والصبر في المواطن الكريمة وكان عمر رضي الله عنه موسوما بالشدة والشجاعة كان يضع يده اليمنى على أذن فرسه اليسرى ويجمع بدنه ويثب على ظهرها كأنما خلق عليها

• مطلب •  
لا اعتراف من  
جميع شجاعة  
الصحابه

وكان على رضي الله تعالى عنه شجاعا بطلا اذا ضرب لا يثنى وكذلك الزبير بن العوام معدود من شجعان الفرسان قالوا لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل أشجع من الامام علي كرم الله وجهه ومن الشجعان بنو قيلة وهم الانصار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرثون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد أنهم يقاتلون ابتغاء مرضاة الله لا علاء كلمته لا للغنيمة ومن شجعان الانصار معاذ بن عفراء قطع كتفه يوم بدر فبقى معلقا بجارده فلم يزل يقاتل جميع يومه وهو معاق حتى وجد ألمه فوضع رجله على يده وتمطأ حتى قطع الجاردة ومن شجعان الصحابة خارجه بن حلافة والمقداد بن الاسود

ولما كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو يحاصر مصر بطلب ثلاثة آلاف فارس ليعث اليه بها بعث اليه بهؤلاء الثلاثة

الشجاعة الهامة سمي بذلك لاهتمامه وعزمه ثانياً المقدم سمي بذلك للإقدام وهو ضد الاحتجام ثالثاً الباسل من البسالة وهي الجرأة والشدة رابعاً البطل أي الذي يبطل فمل الاقران ويطنىء شجاعة الشجاعة خامساً الصنديد وهو الذي لا يقاومه مقاوم

وحكم الشجاعة ومظهرها وثمرتها الاقدام في موضع الاقدام والثبات في موضع الثبات والزوال في موضع الزوال وضد ذلك يخجل بالشجاعة وقالوا الحرب كالنار ان تداركت اولها خمد اضرامها وان استحك اضرامها صعب اخادها وهذا معنى قولهم ينبغي أن تغدى بالعدو قبل أن يتعشى بك (وزعم) بعضهم ان السخاء والكرم دليل الشجاعة وان كل سخى شجاع والصحيح ان ذلك أغلبي غير مطرد بل بنو آدم على أربعة أحوال فمنهم الجواد الشجاع يجود بماله ونفسه وهو أعلاهم مرتبة ومنهم البخيل الجبان وهو أذلهم وأكثرهم مذمة ومنهم الجواد الجبان يجود بماله ويضن بنفسه ومنهم الشجاع البخيل بضد ذلك والاخلاق مواهب من الله يهب منها ما يشاء ان يشاء ويجبل خلقه على ما يريد وانما الاخلاق الفاضلة تتلازم غالباً وكذا الاخلاق الدنيئة

(قال أنس) بن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجهها وأجود الناس كفاً وأشجع الناس قلباً لقد فرغ أهل المدينة ليلة فانطلق الناس ثأرين قبل الصوت فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم الى الصوت وسبر الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيوف في عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا (وقال) عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب

• مطلب •  
كونه صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلباً



ولربما طعن القتي افرائه بالرأى قبل تطاعن الاقران  
ولو ان الشجاعة هي عماد الفضائل ومن فقدوها لم تكمل فيه فضيلة  
الا ان الراى مقدم عليها كما حكى ان الاسكندر حاصر قلعة سنة كاملة فلم  
يفتحها فكتب اليه الحكماء لوجاست سبعين سنة لانه لم يفتحها الا بالأكيدة  
للاعداء وان يكون بأسهم بينهم فبعث لبعضهم وخدعهم ثم بعث الى آخرين  
بضد ذلك فتنازعوا وتحاربوا ثم سلموا القلعة

« مطلب »  
يف الشجاعة

وعرف بعضهم الشجاعة بأنها غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده  
وقيل في تعريفها أيضا هي سعة الصدر بالاقدام على الامور المتلفة (وقد روى)  
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الشجاعة ولو في قتل حية \* وقال  
بعض أهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذى يشد  
اذا شدوا قال عامر بن الطفيل

وانى وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور فى كل موكب  
فما سودتنى عامر عن وراثته أبى الله أن أسمو بأمر ولا أب  
ويكنى بابى على وهو ابن أخى عامر بن مالك المعروف بلعاب الاسنة  
أحد فرسان العرب المشهورين وكبارهم ومراد عامر بن الطفيل اذ قبيلة عامر  
لم تجعله سيدا لاجل وراثته من أبيه السيادة بل الامر آخر ولمح بعضهم لهذا  
المعنى بقوله

يسود من يسود بغير ريب اذا الاسباب كان لها وجود  
ألم تسمع أخى ما قال قيس لامر ما يسود من يسود  
واما الشجاع فالداعي الى البراز والمجيب داعيه الى ذلك والبطل المحامى  
لظهور القوم اذا ولوا والعرب تسمى ذلك كله شجاعة ويحملون أول مراتب

أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويمدح قبل أن يجرب ويندم قبل أن يختبر ولن  
تصحب هذه الصفة أحدا الا صاحب الندامة وجانب السلامة قال الشاعر

الصبر مفتاح ما يرجي وكل صعب به يهون  
وربما نيل باضطبار ما قيل هيات لا يكون  
فاصبر وان طالت الليالي فربما أمكن الحزون

وقال تعالى في نهى نبيه عن العجلة تعلما لامته ولا تعجل بالقرآن من  
قبل أن يقضى اليك وحيه وقال بعض الحكماء تأن واحزم فاذا استوضحت  
فاعزم فاذا اجتمع في الرجل الحزم والشجاعة فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش  
وشجاسة امر الحروب والناس رجل ونصف رجل ولا شيء فالرجل من اجتمع له  
اصابة رأى وشجاعة ونصف الرجل هو الذي انفرد بأحد الوصفين دون  
الآخر والذي لا شيء هو من عري من الوصفين

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الغزاة المجاهدين الذين هم انصار الوطن والدين  
بوصف في حقهم بالخصوص فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا  
كأنهم بنيان مرصوص وقد أعد الجنة لمن منهم ذاق بالشهادة طعم الخوف  
بدليل قول صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف وحسبك  
قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم  
يرزقون الآية ومدار فن الحرب الآن على تعليم الحركات العسكرية وحسن  
الرأى والشجاعة وخبرها أوسطها قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال  
المتنبي

الراى قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثانى  
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

( قال ) الحكماء الناس حازمان وعاجز فأحزم الحازمين من عرف  
 الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم بعده من اذا نزل به الامر تلقاه وعمل  
 الحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد بين ذلك لا ياتمر رشيداً ولا يطيع  
 مرشداً حتى تفوته النجاة ويقال احتل تغم وتفكر تسلم ويقال ترك التقدم  
 أحسن من التندم ( وأوصى ) ملك قائد سريته فقال له كن كالتاجر الكيس  
 ان وجد ربها اتجر والا حفظ رأس ماله ولا تطلب الغنمة حتى تحمد  
 السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك  
 ويقال لا تشب في حرب وان وثقت بقوتك حتى تعرف وجه الحرب منها فان  
 النفس أقوى ما تكون اذا وجدت سبيل الحيلة مدبرة لها واختلس من تحاربه  
 خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان التحرز زمام الشجاعة والتهور عدو  
 الشدة

ومما يجب مع التفكير على المحارب مشاورة العقلاء من النصحاء أولى  
 التجارب فقد حكى ان قوماً من العرب أتوا شيخاً قد أربى على الثمانين وقارب  
 التسعين فقالوا ان عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار وننقى  
 العار قال ان ضعف قوتي نسخ همتي ونقض ابرام عزيمتي ولكن شاوروا  
 الشجعاء من ذوى العزم والجناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برايه ما وقى  
 مهجكم والشجاع لا يألو ما يشيد ذكركم ثم خلاصو من الرأيين نتيجة تبعد  
 عنكم معرفة نقص الجبان وتهور الشجعان فاذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ  
 على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب وملاك التحيل في بلوغ  
 الامانى رفض العجلة واستعمال التواني ( قال ) الحكماء اياك والعجلة فانها تكني  
 ام الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويحجب قبل أن يفهم ويعزم قبل

« مطلب »  
 لا يجب على  
 الحارب مشاورة  
 العلماء اولى  
 التجارب

« مطلب »  
 كيف الشجاعة

## الفصل الثالث

في طبقة الغزاة المجاهدين

قال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس درجة من درجة النبوة أهل الجهاد وأهل العلم أما أهل العلم فقالوا ما قال الانبياء وأما أهل الجهاد فجاهدوا على ما جاءت به الانبياء (وسأل) رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الجهاد أفضل فان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء ويقاتل ابتغاء عرض الدنيا فاي ذلك فى سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله وهذا الحديث مرآة لكل غاز ومجاهد بحيث يكون جهاده لله عز وجل حتى يستحق الثواب أما من حارب للحمية أو لطلب الدنيا أو لسبب من هذه الاسباب فلا يكون غاز ياتم ان المحاربة لا تجوز الا فى ستة مواضع الاول محاربة المشركين وأهل الحرب الثانى محاربة الملحدين لانهم شر الخلائق الثالث محاربة المرتدين الرابع محاربة البغاة الخامس محاربة قطاع الطريق السادس محاربة القاتلين ليقص منهم

ومن شهامة الملك أن يتولى الحرب العظيم بنفسه وأن يتحفظ من لقاء العدو فى بلاده لسلامة نفسه كما قيل

«مطلب»  
كون تولى الملا  
للحرب العظ  
بنفسه من شهامة

ان السلامة من سلمى وجارتها أن لا تمر على حال بواديها وينبى أن يخوف الملك العدو بما يمكنه فربما رجع ويجهد فى قمع العدو بالحيلة والمكيدة فالحيلة أنفع وسيلة واذا حضره العدو أجزل العطاء للمسكر ووفى بالمواعيد لهم لئلا تنكسر قلوبهم فبهذا يبيعون ارواحهم لقتال عدوهم لانهم حماة الوطن والدين

ما يتعلق بذلك في المقدمة عند التكلم على حرية الذمة التي تعتبر عند أهل  
الاديان وفي الفصل الثالث الآتي بعد هذا ما يتعلق بوفاء اليهود فايراجع  
(ومما يحكى) مما يناسب ذلك في الجملة ان البرنس جرجس بن جاكس  
الثاني ملك الانكليز وولى عهده الذى هو بروستاني المذهب لما سافر الى  
مملكة فرانس للسياحة ذهب لزيارة فنلون القسيس الفرنساوى صاحب  
التأليف الكثيرة التى منها سياحة تلاك أوصاه بقوله اذا آل الملك اليك  
أيها الامير لا تجبر رعيتك القاتوليكية على تغيير مذهبهم ولا تبديل عقائدهم  
الدينية فانه لا سلطان يستطيع أن يتسلطن على القلب وينزع منه صفة الحرية  
فقوة العنفوان الحسية والشوكة الجبرية الفاصلة لا تفيد برهانا قطعيا في  
العقيدة ولا تكون حجة يطمئن اليها القلب فلا ينتج الا كراه على الدين الا  
النفاق واطهار خلاف ما في الباطن انتهى

« مطلب »

ومن هذا يعلم ان الملوك اذا تعصبوا لدينهم وتدخلوا في قضايا الاديان وأرادوا  
قلب عقائد رعاياهم المخالفين لهم فانما يحملون رباعام على النفاق ويستعبدون  
من يكرهونه على تبديل عقيدته وينزعون الحرية منه فلا يوافق الباطن  
الظاهر فمحض تعصب الانسان لدينه لا ضرار غيره لا يعد الا مجرد حمية  
وأما التثبت بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب  
ولذلك كان الجهاد الصحيح لقمع العدو انما يتحقق اذا كان القصد منه اعلاء  
كلمة الله عز وجل واعزاز الدين ونصرة المسامين لا لحياسة الغنيمة واسترقاق  
العبيد واكتساب اسم الشجاعة وتحصيل الصيت وطلب الدنيا ففاعل ذلك  
تاجر أو طالب وليس بمجاهد كما ستعرفه في الفصل الثالث

ان محض  
تعصب في الدين  
لا كراه عليه  
ينتج الاتفاق  
ن المدوح انما  
هو التعصب  
علاء كلمة الله



في جيشه بالشام جبلة بن الايهم الغساني على من معه من العرب  
ليحاربوا معه عرب الاسلام وجعل جبلة وقومه مقدمة لجيش الروم  
وكانت جبلة قد أسلم ثم ارتد وانضم للروم ليخلص من حكم عمر رضى  
الله تعالى عنه حيث أراد ان يسوى بينه وبين خصمه في القصاص في نظير  
لطة لطمها جبلة فقال هرقل حين صدر به في حرب الاسلام لا يقطع  
الماس الا الماس يعني لا يغلب العرب الا العرب أى لا يغلب الجنس  
الاجنس

« مطلب »  
مخالطة أهل  
الكتاب  
ومعاشرتهم

فلا شك في جواز مخالطة أهل الكتاب ومعاملتهم ومعاشرتهم وانما  
المحذور الموالاة في الدين ومما يقرب ذلك حل الكتابة للمسلم وولاية العقد  
له من وليها لقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي  
حل لكم مع جواز التسرى بالكتابات اللاتي وقعن في أسر الاسلام  
بجرب لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بصفية وريحانة قبل اسلامهما ومن  
تزوج بالكتابات من الخلفاء الراشدين ذو النورين عثمان بن عفان رضى  
الله تعالى عنه فانه تزوج بنصرانية كتابية لكن أسامت بعد ذلك وحسن  
اسلامها

وبالجملة فرخصة تدين أهل الكتاب بدينهم مؤسسة على اليهود  
الماخوذة عليهم عند الفتوح الاسلامي وكل مسلم يحفظ العهد لان العهد  
في الحقيقة انما هو لله تعالى وفي العادة ان العهد ياتزمه من يعقده بالطوع  
والاختيار فهذا يجب الوفاء به قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان  
الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينعكث  
على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً وقد ذكر بعض

من طلب يهودي في سبته والزامه الحكم فيه أو يكره ذلك قال المسلمة  
 قاضي القضاة البساطي وعندي انه يمنع الا ان تقوم القرائن على ان المسلم  
 اضطر الى ذلك ولم يقصد ضررا قال ولقد حكى لنا ان بعض الناس يتعيش  
 بذلك فيذهب الى بعض القضاة ويدفع اليه ورقة ويطلب فيها يهوديا وربما  
 كان معه ورقتان أو ثلاث من قضاة مختلفة واذا كان يوم السبت توجه الى  
 اليهود ومعه رسول قد أطلعه على سره ويقول طلبتك الى الشرع فلا يسمعه  
 الا ان يصلحه علي الترك في ذلك اليوم انتهى كلام الشيخ بدر الدين ثم قال  
 في محل آخر تغليظ اليمين يكون في المحل المعظم وهو الجامع للمسلمين ولا  
 يقوم مقامه مسجد ويحلف غير المسلم حيث يعظم فيحلف اليهودي في البيعة  
 ويحلف النصراني في الكنيسة والمجوسي في بيت النار انتهى وعند الامام  
 الاعظم أبي حنيفة النعمان لا يحلفون في بيوت عبادتهم وانما يحلفون عند  
 القاضي فتد راعي مذهب الامام مالك عالم المدينة معتقدهم ثم قال الشيخ بدر الدين  
 ايضا في محل آخر قال الشيخ سراج الدين عمر الحنفى قارىء الهداية اذ ابني دارا  
 عالية بين دور المسلمين وجمل لها طاقات وشبابيك تشرف على جيرانه هل يمكن من  
 ذلك فاجاب بقوله أهل الذمة في المعاملات كالمسلمين وما جاز للمسلمين جاز لهم وانما  
 يمنع الذي من تعلية بنائه اذا حصل ضرر لجاره من منع ضوء أو هواء هذا هو  
 ظاهر المذهب انتهى وقال الامام النووي في التحفة ما نصه وللإمام أو نائبه  
 الاستعانة بأهل الذمة والاستئمان على العدو بشرط ان تؤمن خيانتهم بان  
 يعرف حسن رأيهم فينا ويشترط في جواز الاعانة بهم الاحتياج اليهم ولو  
 نحو خدمة أو قتال لقلتنا ونفعل بالمستعان بهم الا صلاح من افرادهم أو تفرقتهم  
 في الجيش انتهى ويحسن هنا ان نقول ما قاله هرقل ملك الروم حين أمر

مطلب

أمر قسطنطين بن  
 لايم من قبل  
 صر الروم على  
 حمله من عرب  
 بأن الحرب عرب  
 لا سلام بالنام

والحكم فيهم على قواعد ملته وعوائده أئتمته في الحكم اذا وضع له بأداته وعقود  
الانكحة وخواص ما يعتبر عندهم فيها على الاطلاق وما يقتقر فيها الى الرضا  
من الجانبين في العقد والاطلاق وفيما أوجب عنده حكم دينه عليه التحريم  
وأوجب عليه الانقياد الى التحكيم وما نص فيه الاحبار التواتر من الاخبار  
والتوجه تلقاء بيت المقدس الى جهة قبلتهم ومكان تعبد أهل ملتهم والعمل في  
هذا كله بما شرعه موسى الحكيم والوقوف معه اذا ثبت انه فعل ذلك النبي  
الكريم واقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحريف ولا تبديل  
لكلمة بتأويل ولا تحريف واتباع ما أعطوا عليه العهد وشدوا عليه العقد  
وأبقوا به ذمامهم ووقفوا به دماءهم وما كان يحكم به الانبياء  
والربابيون ويسلم اليه الاسلاميون منهم ويعبر عنه العبرانيون كل هذا مع  
الزام الرئيس لهم من حكم أمثالهم من أهل الذمة الذين أقرروا في هذه الديار ووقاية  
أنفسهم بالاتصاف بالخضوع والانكسار ومد رؤسهم بالاذعان الى ملة الاسلام  
وحفظ شعار الذمة بتمام الانقياد والاستسلام وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة  
وينهم معه المعارضة وعلى هذا الرئيس ترتيب طبقات أهل ملته من الاحبار  
فيمن دونهم على قدر استحقاقهم وعلى ما لا يخرج عنه كلمة اتفاقهم وكذلك له  
الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة الى الآن المستقرة بأيديهم من  
حين عقد عهد الذمة ثم ما تأكد بعده بطول الزمان وتقريرهم على ما سلف  
عليه سلف هذه الامة وفي هذا كفاية وتقوي الله واطاعة الدولة الاسلامية  
رأس الامور المهمة

قال الشيخ بدر الدين بن عبد الرحمن البرلسي المالكي في كتابه المسمى  
بالقول المرتضي في أحكام القضا مسألة اختلف القرويون هل يجوز تمكن الخصم

وانهما سواء في الاتباع ومتساويان فانه لا يزيد مصراع على مصراع فدأبه  
التخاق من الاخلاق بكل جميل وان لا يستكثر من متاع الدنيا فانه قليل فليقدم  
المصالحة بين المتحاكين اليه قبل الفصل البت فان الصالح كما يقال سيد الاحكام وهو  
قاعدة دينه المسيحي ولم يخالف فيه المحمدية الغراء دين الاسلام ولا ينظف صدور  
اخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الاجسام وهو رأس جماعته  
والكل له تبع فلا يتخذ له تجارة مربحة أو يقتطع بها مال عيسوي يقريه فانه ما يكون  
قد قرب به الى المذبح وانما ذبحه وكذلك الديارات وكل عمر والقلالي فيتعين  
عليه ان يتفقد فيها كل أمر ويجتهد في أجراء امورها على ما فيه رفع الشبهات  
علما انهم انما اعزّلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ منزهات وانهم انما احدثوا  
هذه الرهبانية للتقليل في هذه الدنيا والتعفف عن الشهوات وحسبوا فيها أنفسهم  
حتى ان أكثرهم اذا دخل اليها لا يعود يبقى مع المطالوقين من الجماعات  
فليحذرهم من جعلها مصيدة للمال بل خلوة منزهة عن الحرام مرصدة على  
الخلال لا يأوى اليها من الغرباء القادمين عليه من يريب ولا يكتم عن  
الحكومة مشكل أمر ورد عليه من بعيد أو قريب وليتجنب ماله فيما يخص  
المذاهب من طرف الاجانب ينوب وليتوق ما يأتيه من تلقاء الحبشة حتى اذا  
قدر فلا يشم انفاس الجنوب فمادة سودد السودان وان كثرت مقصرة فان  
الله تعالى جعل آية الليل مظلمة وآية النهار مبصرة والتقوى مأثور بها أهل  
كل ملة وكل موافق ومخالف في القبله فليكن عمله بها على وجه صحيح وفي  
السكنايه ما يغني عن التصريح وبالتقوى رضا الله ورسوله وبها أمر المسيح  
وأما رئيس اليهود فهو الضابط لطائفته على قلائهم والمؤمن لسرهم الذي  
للمؤمنوا فيه لا كلهم الذنب لذئهم فعليه بضم جماعته ولم شملهم باستطاعته

« مطلب »  
آداب رئيس  
اليهود



قدر ولا يغفر اذا ظفر ولا يرحم اذا استرحم انتهى  
وقد كان بعض الامراء رحمه الله تعالى اذا جاءه أحد ورافع كتابه  
والمباشرين الذين في بابه قال هؤلاء قد أخذوا وشبعوا لا تغيروهم فان الذي  
يجي بعدهم يكون جوعانا ونقل نحو ذلك أيضا عن المرحوم محمد علي وما أطف  
قول البهاء زهير رحمه الله تعالى وارقه في عدم سماع قول الوشاة

حبيبي ماهذا الجفأ الذي أري وأين التقاضي بيننا والتعطف  
لك اليوم أمر لا يسئك يريني فواجبك الوجه الذي كنت اعرف  
نعم نقل الواشون عنى باطلا وملت كما قالوا فزادوا وأسرفوا  
كأنك قد صدقت في حديثهم وحاشاك من هذا فخلقك اشرف  
وقد كان قبل الناس في الناس قبلنا فكذب يعقوب وسرق يوسف  
بعيشك قل لي ما الذي قد صنعته فانك تدري ما أقول وتصف  
فان كان قولا صح اني قلته فلقول تأويل وللقول مصرف  
وهب انه قول من الله منزل فقد بدل التوراة قوم ومرفوا  
وها انا والواشي وانت جميعنا يكون لنا يوم عظيم وموقف

« مطلب »  
رؤساء اهل  
الكتاب

« مطلب »  
آداب بطريك  
القبط

ولا بأس بتعقيب هذا الفصل بالتمة مما ينبغي ذكره في رؤساء اجبار  
اهل الذمة ليكون فيه أوفر سنهم واوفي قسط لرؤساء العبرانيين والبطارقة فاما  
بطريق اليعاقبة فهو اكبر اهل ملته والحاكم عليهم ما امتد في  
مدته واليه مرجعهم في التحريم والتحليل وفي الحكم بينهم بما  
انزل في التوراة ولم ينسخ في الانجيل وشرعته مبنية على المسامحة  
والاحتمال والصبر على الاذى وعدم الاكتراث والاحتفال وهو مؤدب لنفسه  
في الاول بهذه الآداب وفي المدخل الي شريعته قسيم الباب أي (بابا رومه)



فوقع فيها هذه نصيحة لم يرد بها ما عند الله فنحن لا نقبل قول من آثرنا على الله \* ومما انفق في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه حضر في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة تاج الدين كاتب المفتاح إلى الأمير علاء الدين مغلطى الجمالى لما كان وزيراً وذكر عنده أناساً بكل قبيح والنزم فيهم جملة من الذهب إذا صودروا وأخذت منهم وظائفهم فدخل الجمالى إلى السلطان وحكى له ما قاله الكاتب فقال أحضره لى فلما استحضره سمع كلامه وقال له هل لك علم بأحد في القاهرة يعرف شيئاً من هذه الأحوال فقال نعم جماعة وعدمهم فقال للوزير خذ هذا عندك واحتفظ به وأحسن إليه وإذا حضر إليك كل هؤلاء الذين ذكرهم عرفنى بهم فخرجوا من عنده وذكر له الكاتب جماعة وهو يحضرهم إلى أن لم يبق منهم أحد ودخل الجمالى إلى السلطان وعرفه بهم فقال أخرج الآن في هذه الساعة وجهز الجميع ولا تدع أحداً منهم في القاهرة فان هؤلاء مناحيس يرافعون الناس فتفاهم اجمعين

وقال رجل للمهدى عندي لك نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن هي أنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قل ليس الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالاً من قابل سماعته ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفى غيظك أو عدوا فلا نغالب لك عدوك ثم أقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه رضى الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح فانما لنا الأبدان وليس لنا القلوب ومن استتر لم تكشف له ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأ أفلنا عثرته انى أزرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالمعقوبه والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة والقلوب لا تبتقى لوال لا ينطف إذا استمطف ولا يعفو إذا

ميراث النبوة ما قلت شعرا منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد  
أو عتاب صديق فقل له اجلس فجلس وناولوه قدح نبذ كان في يده فأعول  
وكي وأخذ القدح من يده وقال والله يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء  
قط مما يختلف في تحليه فقال لملك تريد نبذ التمر أو الزبيب فقال لا والله  
يا أمير المؤمنين لا أعرف شيئا من ذلك فأخذ المأمون القدح من يده وقال  
أما والله لو شربت شيئا من هذا لضربت عنقك ولقد ظننت أنك صادق في  
قولك كله ولكن لا يتولى القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الاسلام  
انصرف الى منزلك وأمر علوية فغير هذه الكلمة وجعل مكانها حرمت مكاني  
منك فكان ما جرى للأمرن عفا الله عنه مع هذا القاضي المسكين هو  
المعهود من حلم هذا الخليفة ومكارم اخلاقه وكان غير هذا الفعل أولى به  
وبريسته ولكن الخليفة صان منصب القضاء ووقره وأجله فعفا الله عنه وأما  
هذا القاضي الخنيجي رحمه الله فقد احتاج في خاطره من الوشاة ما أضربه  
عند محبته وعند الخليفة وهذا من كهانة الشعرو مما يتفق وقوعه للشاعر بعد  
مدة مديدة وأما علوية فأعله الله ولا أعلى له كعبا فلقد أضرب ابن أخته وعطله  
من حلى القضاء وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقليل  
يارسول الله وما المثلث قال الذي يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه  
وصاحبه وسلطانه

قال الواثق يوما لابن أبي داود قد سمى بك عندي قوم قال فما قلت لهم  
يا أمير المؤمنين قل ما قال صاحب عزة

وسمى الى بعيد عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها

ورفع بعض الساعة الى الخليفة السفاح قصة بسعايا على بعض عماله

« مطلب »  
عدم قول وش  
الوشاة وبجيبه

الامر يجب عليه عزله ان كان ذلك بعلمه وأخذ ما حصله أولاده وحاشيته  
بجاه المنصب ويضعه في بيت المال ويؤدبهم ولا تأخذه رافة عليهم ولا يقبل  
في القاضي ولا في أولاده المذكورين شفاعاة أحد فان ذنبهم كبير وفسادهم  
متعد

وقد أسلفنا ان شرط الباحث الكاشف عن أحوال القضاة وغيرهم  
الأمانة والعفة والوثوق فهذه الوسيلة يقبل ولى الامر قوله في القاضي  
بخلاف ما اذا كان الخبير لولاية الامور من السعاة المشائين بالقيمة المتخلفين  
بالاخلاق الذميمة فلا ينبغي أن يقام لقولهم في حق القضاة وزن ولا قيمة  
ان نصف الناس أعداء لمن ولى الاحكام هذا ان عدل  
كما يحكى عن الخليلي القاضي عبد الله بن محمد بن أخت علوية المغني  
وكان هذا القاضي قد تقلد القضاء للامين العباسي وكان خاله علوية عدو له  
فجرت له قضية في بغداد فاستعفى عن القضاء وسأل أن يولى بعض الكور  
البعيدة فتولى قضاء دمشق وحصص فاما تولى المأمون الخلافة غناه يوما  
علوية بشعر للخلنجي وهو

« مطلب »  
سعي دلوية المغني  
إلى أخته القاضي  
الخلنجي عند  
المأمون

برئت من الاسلام ان كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا  
ولكنهم لما رأوك غريبة بهجرتوا صوابا بالقيمة واحتالوا  
فقد صرت اذنا للوشاة سميمة ينالون من عرضي فلو شئت ما نالوا  
فقال له المأمون من يقول هذا الشعر قال قاضي دمشق فأمر المأمون  
بإحضاره فأشخص وجلس المأمون للشرب وأحضر علوية ودعا بالقاضي  
فقال له أنشدني قولك برئت من الاسلام الايات فقال يا أمير المؤمنين  
هذه ايات قلتها منذ أربعين سنة وأنا صبي والذي أكرمك بالخلافة وورثك

كان بسبب قوة نفسه وتحامله في الحكومات وهوى النفس يجب على ولي الامر عزله والاستبدال به ولا يغره كثرة تلمه ولا ديانتة في الظاهر فان التحامل من القاضي من أصعب الامور ومما يوجب عزله ولا يلتفت الى انتصاره لحكمه بعد أن يعرف ولي الامر منه الهوى والغرض والتحامل وله أن يعزره بسبب ذلك اذا تحقق جوره كي يتأدب به غيره وان كانت الجريمة بسبب ارتكاب بعض المعاصي من شراب وغيره سأل ولي الامر عن هذا الامر من النقات فان صح عنده ذلك عزره سرّاً ورفع له ولا يشهر ذنبه بين الناس وان جمع القاضي مالا من الحكومات أخذه ولي الامر ووضعه في بيت المال

وان كان هذا القاضي نائباً وقد قيل عنه شيء مما ذكرنا كشف عن حال مستخلفه فان تبين عند ولي الامر أنه كان يعلم به ويستتر عليه عزله أيضاً وان كان لا يعلم واشتبه فيه فهو بالخيار ان شاء عزله وان شاء تركه واذا صح عند ولي الامر أن القاضي جمع مالا بعد تولية القضاء وقد كان فقيراً قبل التولية ينبغي أن يفحص عن ذلك الجمع فان كان من متعلقات المنصب كما يأخذه بعض القضاة بدون حق من قضاة النيابات أو من ديوان الايتام أو الصدقات أو الاوقاف فان ولي الامر يأخذه منه ولا يترك في يده منه شيئاً ويضعه في بيت المال وان عرف أنه من مال الايتام أو الاوقاف رده على من أخذ منه وان كان من غير منسقات المنصب بأن يكون اتجر أو ورث أو استفضل من مألوم مدارسه وكسبه فهو له وان كان للقاضي حاشية وأولاد يتعرضون الى أموال الناس وقطع مصانعتهم كما كان وقع في زمن الملك الناصر بن قلاوون بمصر من القاضي الشافعي والحنفي وعزلها بسبب أولادها فان ولي

• طلبه •  
التفتيش عن  
أحوال القضاة  
من طوف ولي  
الامر كنفيش  
يرهم ن الولاة

البنود ثم انه من حيث يجب على ولي الامر الكشف عن أحوال الولاة الدواوين  
في كل وقت ومحاسبتهم فيما يلزم بواسطة كشف من أعقل الناس وأكثرهم  
أمانة وعفة والقضاة ونواهم داخلون في هذه الزمرة ولو أنه سبق اشتراط  
شروط في ولاية القاضي اذا توفرت يحصل الامن من وقوع شئ منه مما  
يخل بمنصب القضاء الا أنه غير معصوم من حب المال الذي يكون الطمع  
فيه طبعاً فلهاذا وجب التثبت في ذلك بالتفتيش فقد يحدث اليب وتخالف  
الشهادة الغيب

فكل يسلي النفس عند خلوه بزهده ولكن لا تصح العزائم  
فيذنبى لولى الامر أن يتخذ عليهم باحثا في السر يكون ثقة دينا عفيفا  
أميناً قبل الكلام لا يتفطن له من منلهم ولا يدري به انه مطلع عليهم بحيث  
يطالع ولي الامر بأحوالهم في السر ساعة بساعة ويكون ولي الامر في  
العلاية معظماً للقضاة لا يظهر منه أنه يتكشف عن أحوالهم أبداً لحفظ  
ناموسهم الرفيع وشرف منصبهم المتبع فإذا صح عنده أنه وقع من أحدهم  
جريمة فإن كانت من أخذ رشوة أرسل الى القاضي وطلبه اليه سرّاً وسأله  
عن الواقعة فإن اعترف بذنبه أخذ الرشوة التي التمسها من الناس وردها على  
صاحبها وأدب الذي بذلها في السر من غير أن يظهر تأديبه عما ذا وعزل  
القاضي وكشف عليه فإن وجده التمس من الناس مالا أو اكتسبه باقضاء  
أخذه لبيت المال كالهديّة ونحوها وإن لم يعترف القاضي وظهر لولى الامر  
من قرائن الاحوال أو من صدق الناقل اليه ذلك عن القاضي عزل القاضي  
ولا يظهر بأى سبب عزله

وان كانت الجريمة من غير أخذ الرشا ولم يكن من هذا القبيل وانما



ومما يشمله بالنظر وينعم فيه الفسك أمر دعاوى بيت المال العمور  
ومحاكماته التي فيها حق كل فرد فرد من الجمهور فليحترز في قضاياها غاية الاحتراز  
وليعمل بما يقتضيه لها الحق من الصيانة والاحتراز<sup>(١)</sup> وليثبت في قضايا أموال  
اليتام الذين حذر الله من اكل مالهم بالمعروف لا بالشبهات وقدمات آبائهم ومنهم  
صغار لا يهتدون الى غير انهم يرضاعهم منهم حمل في بطون الامهات فليأمر  
المتحدثين لهم بالاحسان اليهم وليعرفهم بأبائهم سيجزون في بنهم بمثل ما  
يعملون معهم اذا ماتوا وتركوا ما في يديهم وليحذر منهم من لا ولد له وليخش  
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم وليقص عليهم في مثل  
ذلك أبناء من سلف تذكيرا وليلت عليهم قوله تعالى ان الذين يأكلون  
أموال اليتامي ظالما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سميرا فهذه وصية  
قاضي العمل المستقل

فاذا كان قاضي العسكر منفردا فليكن مستحضرا لهذه المسائل وليعلم ان  
العسكر المنصور هم في موطن الحرب أهل الشهادة وفيهم من يكون جرحه  
تعديلا لهم وزيادة فليقبل منهم من لا يخفى عليه سيما القبول ولا يرد منهم  
من لا يضره ان رده هو وهو عند الله مقبول وليجعل له مستقرا معروفا  
في العسكر يقصد فيه اذا نصبت الخيام وموضعا يمشي فيه ليقضى فيه وهو  
سائر وأشهر ما كان على عيين الاعلام وليلزم ذلك طرل سفره وفي مدة المقام  
وليأخذ معه كتابا تكتب للناس والا فمن أين يوجد مكر شهود ويسجل  
لذوي الحق بحقه والا فما انسد باب الجحود وتقوى الله هي التي لها ينصر  
الجنود وما لم تكن أعلى ما يكون على أعلام الحرب والا فما الحاجة الي نشر

« مطلب »  
آداب قاضي  
العسكر المستقل

(١) قوله الاحتراز اي النصح في الحرز اه مؤلفه

الشهود حتى لا يدخل عليه زيف وليتحرفي استئذاء الشهادات قرب قاض  
 ذبح بغير سكين وقاتل قتل بغير سيف ولا يقبل منهم الامن عرف بالعدالة  
 وألف منه أن يرى أو أمر النفس أشد العدى له وغير هؤلاء ممن لم تجر  
 له بالشهادة عادة ولا تصدي للارتزاق بسحبها ومات وهو حي على الشهادة  
 فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامة قرب عدل بين منطقة وسيف  
 وغير عدل في فرجية وعمامة ولينفث على ما يصدر من العقود التي يؤسس  
 أكثرها على شفا جرف هار ويوقع في مثل السفاح الا أن الحدود تدرأ  
 بالشبهات ويبقى العار وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق  
 ومال كل يتيم ويقلد شهاداتهم أمر كل عظيم فلا يعول منهم الا على كل رب  
 مال عارف ولا يخفى عليه القيم ولا يخاف معه خطأ الحدث وقد صقل التجريب مرآة  
 فهمه على طول القدم وليتأني في ذلك كله اناة لا تقضي باضاعة الحق ولا الى المطاولة  
 التي تقضى الى حرمان من استحق وليهد لرمسه ولا يتعلل بأن القاضي أسير  
 الشهود وهو كذلك وانما يسمى خلاص نفسه والوكلاء هم البلاء المبرم والشياطين  
 والمسولون لمن يوكلون له بالباطل ليقضي لهم به انما يقطع لهم قطعة من جهنم  
 فليكيف بمهاتة وساس افسارهم ومساوى لخارهم ولا يدع لمجنى أحد منهم  
 ثمرة ممنوعة ولا يد اعتداء تمتد الا منلوالة الى عنقه والامقطوبة ويطهر بابه  
 من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق واذا رأى واحد منهم درهما  
 ودلو حصل في يده ووقع في نار الحريق وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن  
 يوصي ولا أن يحصى عليه منه افراد عمله وهو لا يحصى وعليه أن ينظر في أمور  
 أوقاف مذهبه نظر النعموم ليعمرها بحميل نظره قرب نظرة أنفع من مواقع  
 النجوم

اجتمع الأدين والأعلم قدم الأدين وانما وجب الفحص عن أهلية القاضى وقت الولاية وانه يكون أدين أهل مذهبه وأعقلهم لقوله عليه السلام من قلد انسانا عملا وفى رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين فبلى ولاية المسلمين أن لا يخرجوا عن هذا الامر الذى قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى أيضا يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون

ثم ان القاضى متى تقلد منصب القضا وحصل على توليته التوافق والرضا فقد أصبح بيده زمام الاحكام وفصل القضاء الذى عساه أن يعرض على غيره من الحكام وما منهم الا من ينقد نقد الصيرفي وينفذ حكمه نفاذ المشرفي فليترو في أحكامه قبل امضائها وفي المحاكمات اليه قبل فصل قضائها وليراجع الامر مرة بعد مرة حتى يزول عنه الالباس ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجماع والقياس وما أشكل عليه بهد ذلك فليجمل مظلمه بالاستخاره وليحل مشكله بالاستشارة ولا ير نقضا عليه اذا استشار فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باشورى ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين خطأ الاجتهاد سورا فقد يسنح للمرء ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب وتفتن الصغير لما لم يفتن اليه الكبير كما فطن ابن عمر للنخلة ما منعه أن يتكلم الا صغر سنه ولزومه مع من هو أكبر منه للادب ثم اذا وضع له الحق قضي به لمستحقه وأسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه وحكم له به حكما يسره يوم القيامة أن يراه واذا كتب له به تذكر اذا بلى وأبقى الدهر ما كتبت يداه وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر وليجمل كل عمله على الحق فيما أباح وما خطر وليجد النظر في امر

مطلب  
آداب القاضى  
ورعاياه

ينكر لدين الاسلام من النفع خيره فانه حمل هموم أوطانه واخوانه المسلمين عملا بحديث من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم ومن لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم \* وكان عمر بن الخطاب اذا نزل بالمسلمين بلاء لا يضحك قط حتى يرتفع ذلك البلاء وكذلك عمر بن عبد العزيز وسفيان الثوري وغيرهم فتتظيم كتاب للاحكام الشرعية بمناسبة تفرع النوازل في هذه الايام باكل نظام مما تنتظم به الاحكام القضائية في أوطاننا ويكون عمدة للقضاة والحكام

« مطلب »  
حديث من لم يحمل  
هم المسلمين فليس  
منهم

وعلى ولى الامر اذا أراد أن يولى القضاء لاحد على مذهبه ان يطلب أعيان ذلك المذهب ويسأل كل واحد بانفراده سرا عن رجل يصلح للقضاء يكون كاملا فى العقل والدين وان اجتمع مع هذين الوصفين الكمال فى الفضيلة فهو أجود والا فالمتوسط فى الفضيلة مع كمال هذين الوصفين أولى فاذا اتفقوا أو أكثرهم على تعيين شخص صرفهم عن مجلسه ثم سأل عن هذا الشخص الذى عين من غير أهل مذهبه سرا فان اتى عليه باه اكل أهل مذهبه فى العقل والدين استخار الله تعالى وولاه وان اشوا على غيره أكثر منه جمع أعيان ذلك المذهب فى مجلسه وأهل المذهب الآخر وذكر لهم ذلك الشخص الذى عين أولا وهذا الشخص الآخر وطلب منهم أن يتفقوا على الارجح منهم فان اتفقوا أو أكثرهم على أحد الشخصين ولله ولا يعتمد الترجيح الا على الدين والعقل ولا يغتر بكثرة الفضيلة مع قلة الدين والعقل فيكون الضابط لولى الامر حينئذ فى هذا الباب اعتبار الدين الأعقل وان لم يكن له فضيلة تامة فان المتدين تنهيه دينه عن أن يقع فيما لا يجوز وان يحكم فى شيء لا يعرفه ولا كذلك الأعم اذا كان متهاونا فى الدين فانه يخشى منه وهكذا أصحاب أبي حنيفة نصوا أنه اذا

« مطلب »  
تتخاب القضاة

أو يقول الرسول أو أجمع الخ **ق** على ما أقول ذلك حكيم  
وأما الاوزاعي وهو أبو عمر وعبد الرحمن بن عمر وابن  
محمد الاوزاعي امام أهل الشام روى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله  
بن المبارك وجماعة كثيرة ولد ببعلبك ثم نقلته أمه الى بيروت ودفن  
بقرية على باب بيروت يقال لها حنتوس في قبة المسجد ولا يعرف  
قبره بها الا الخواص من الناس وأما أهل القرية فيقولون ههنا رجل صالح  
ينزل عليه النور وأما ذكر العلامة الصبان نقلا عن الزركشي استفتاء ولد ان  
القاسم وافتاء أبيه له على مذهب الامام الليث فيدل على جواز الافتاء بغير  
المذاهب الاربعة كجواز العمل في حق نفسه فحينئذ قول السبكي يجوز تقليد  
غير الائمة الاربعة في العمل في حق نفسه لا في الافتاء والحكم كما قاله ابن  
الصلاح فلم له ليس على إطلاقه وأما ذكر العلامة الصبان أصحية تقليد  
الصحابه فيما علم دليله وصح عنهم فظاهر لان جميعهم رضي الله عنهم لا يتطرق  
الي آرائهم ترجيح اذ كلهم عدول لان الله عز وجل ورسوله زكيان وعدلاهم  
فذهب كل منهم صحيح رجيح ومما يدل على ان التشديد والتخفيف في  
الاحكام قد يختلف باختلاف الازمان والايام ما قاله العلامة السيوطي في  
كتاب الانصاف في تمييز الاوقاف انك اذا تأملت فتاوى النووي وابن  
الصلاح وجدتهما يشددان في الاوقاف غاية التشديد واذا تأملت فتاوى  
السبكي والبلقيني وسائر المتأخرين وجدتهم يرخصون ويسهلون وليس ذلك  
منهم مخالفه للنووي بل كل تكلم بحسب الواقع في زمنه انتهى وقد أتى بمثل ذلك  
نادرة عصره خير الدين باشا التونسي وذكر في كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال  
الممالك ما لم يسبق به غيره ونصح أهالي الاوطان في سائر الممالك الاسلامية بما لا



وقوله وسفيان لعله اراد به أبا عبد الله سفيان بن سعد الثوري نسبة  
الى ثور بن عبد مناف وقيل الى ثور همدان السكوني مات بالبصرة في شعبان  
ودفن بها لاحدى وستين ومائة ولم يزل مقلدوه الى القرن السادس ومن  
الناس من يعد من أصحاب المذاهب سفيان بن عيينه فيدخل تحت كاف  
التبيل كما يدخل أيضا اسحق بن راهوية ومحمد بن جرير الطبري وقوله  
وداود على خلاف فيه لعله نظر الى قول امام الحرمين ان المحققين لا يقيّدون  
للاظهارية وزنا وان خلافهم لا يعتبر ولكن قال الملامة اللقاني في شرح  
الجوهرة عند قوله ومالك وسائر الائمة الى آخره حمل ابن السبكي قول امام  
الحرمين على ابن حزم وأمثاله قال السبكي وأما داود فهاذا الله أن يقول امام  
الحرمين أو غيره ان خلافه لا يعتبر فلقد كان جبلا من جبال العلم والدين وله  
من سداد النظر وسعة العلم ونور البصيرة والاحاطة بقول الصحابة والبابين  
والقدرة على الاستنباط ما يعظم وقعه وقد دوت كتبه وكثرت أتباعه وذكره  
الشيخ أبو اسحق الشيرازي في طبقاته من الائمة المتبوعين في الفروع وقد  
كان مشهورا في زمن الشيخ وبده بكثير لا سيما في بلاد فارس شيراز وما  
والاها انى ناحية العراق وفي بلاد المغرب انتهى على ان ابن حزم المحمول  
عليه عدم اعتبار المذهب نسب اليه بعضهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن  
العربي وانه من مقالاته حكاه الملامة الامير في حاشيته على شرح الملوي  
للسمرقندية عند التكلم على البسمة ثم قال وجدت في ديوان محيي الدين  
ما يدل على اجتهاده وهو قوله

نسبوني الى ابن حزم واني      لست ممن يقول قال ابن حزم  
لا ولا قال غيره فمقلالي      قال نص الكتاب ذلك عامي

الى أن قال الثانية أن يقصد بتقليده الرخصة فيأهو محتاج اليه لحاجة لحقته أو ضرورة  
أرهنقه فيجوز الى أن قال السادسة أن تجمع من ذلك حقيقة مركبة متممة  
بالاجماع فيمتنع كما اذا افتصد ومس الذكر وصلى (أى لان ذلك يعد تليفقا  
في مسألة واحدة) ثم ذكر الخلاف في جواز التقليد بعد العمل والخلاف في  
جواز تتبع الرخص ورجح المنع وحكي الجواز عن بعض مشايخ الشافعية ثم  
قال لا ينبغي اطلاق القول بالجواز لكل أحد بل يرجع الى حال المستفتي  
وقصده كما وقع لابن القاسم مع ولده اذ حنث في يمين بالمشى الى الكعبة  
فاستفتى أباه فقال له أفتيك فيها بمذهب الليث كفارة يمين وان عدت أفتيك  
بمذهب مالك يعنى الوفاء ويجوز عمل الشخص بالقول الضعيف في حق نفسه  
خاصة اذا دعت اليه حاجة ولم يلزم تتبع الرخص ولا تركيب حقيقة أجمع على  
بطلانها وانما المنوع ان يفتى به أو يحكم وفي البحر المحيط أيضا مجتهد الصحابة  
اذ لم يجعل قوله حجة في جواز تقليده في هذه الاعصار خلاف ذهب امام الحرمين  
 وغيره الى ان العامى لا يقلده وبه جزم ابن الصلاح وزاد انه لا يقلد التابعين أيضا ولا  
غير من لم يدون مذهبه لعدم الوقوف على حقيقة مذاهبهم فانهم انما نقل عنهم فتاوى  
مجردة ففعل لها مكمل أو مقيدا أو مخصصا لو انضبط كلام قائله لظهر فقلدهم على غير  
ثقة وعلى هذا فينحصر التقليد فيمن دون مذهبه كالاربعة والاوزاعي وسفيان  
واسحق وداود على خلاف في داود ومذهب غيرهم الى ان الصحابة يقلدون وهذا هو  
الصحيح ان علم دلائله وقد قال الشيخ عز الدين في فتاويه اذا صح عن بعض الصحابة  
مذهب في حكم جاز تقليده والا فلا انتهى وبالجملة فلا يختص التقليد بالاربعة على كلا  
القولين والله أعلم كتبه الفقير محمد الصبان الشافعي

موضع الختم

مرتجى الغفران محمد الصبان

و مطالب  
صحة تقليد غير  
الارادة العاجلة  
واذا العلامة  
الصافي في شأن  
ذلك مع بعض  
ملحوظات

في انقياد شمم كل عرنيث اليها صاغرا بدوام النفوذ ولم تخرج الاحكام  
السياسية عن المذاهب الشرعية لاعلى سبيل التهاون ولا على سبيل الشذوذ  
بل سارت على مشاعب المذاهب لمجاراة ما جريات الزوازل والنوائب وما  
شرع مذهب السيف الانصرة مذاهب الشرع لانها اصل وجمع مذاهب  
السياسات عنها بمنزلة الفرع باختلاف مذاهب الائمة رحمة وجواز تقليد أي  
واحد منهم والرجوع الى اجتهاد الآخرين للحاجة نعمة ومما يستأنس به في  
الاقضية والاحكام هذه الازمان ما أنقضى به وقد سئل عنه العلامة الشيخ محمد  
الشافعي الشهير بالصبان وقد عثرت بهذه الفتوى الجليلة وهي جديرة بان  
يجعلها من يريد التقليد للحاجة دليله

ونص السؤال ما قولكم دام فضلكم في الانتقال في بعض المسائل الى  
غير المذهب الذي عليه الشخص هل يجوز ولو كان متبوعاً في هذا البعض  
مفضولاً وهل يجوز العمل بالقول الضعيف في خاصة النفس وهل يجوز تقليد  
غير الائمة الاربعة أفيدوا الجواب

ونص الجواب بخطه مشمولاً باسمه وختمه محفوظاً عندى برسمه ووسمه  
الحمد لله وحده

قال الزركشي في البحر المحيط في تقليد المفضول مذاهب أحدها امتناعه  
ونقل عن احمد وابن سريج ثانيها هو الاصح واختاره ابن الحاجب وغيره  
الجواز ثالثها يجوز لمن يعتقد فاضلاً أو مساوياً وقال في موضع آخر لو التزم  
العامي مذهباً معيناً واعتقد رجحانه من حيث الاجماع فهل يجوز أن يخالف  
امامه في بعض المسائل وياخذ بقول مجتهد آخر فيه خلاف والاصح الجواز  
كما في الرافعي ثم قال وقسم بعضهم المتزم لمذهب إذا اراد تقليد غيره الى أحوال

الصمدانية فيجوز تقليد الامام غير القرشي المناصب والاعمال وأصله قصة معاوية فان الصحابة تقلدوا منه الولايات واستدل الشافعية بقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قریش فبهذا كان مذهب أبي حنيفة أوفق للملوك وأصلح

ومن الفروع أن من له أرض خراجية عجز عن زراعتها وأداء خراجها فلامام على مذهب أبي حنيفة أن يؤجرها من غيره ويأخذ من أجرتها الخراج سواء رضى صاحبها بذلك أم لم يرض \* ومنها أن من عزره ولى الامر لاستحقاقه التعزير فأتى أثناء تعزيره فلا ضمان عند أبي حنيفة على ولى الامر وهذه المسئلة موافقة لولاية الامور ولولاها لفسد أمرهم \* ومنها أن من أحيأ أرضا ومات باذن ولى الامر ملكها وان كان بغير اذنه لم يملكها عند أبي حنيفة \* ومنها اذا احتاج ولى الامر الى تقوية الجيش له ان يأخذ من أرباب الاموال ما يكفيه من غير رضاهم على مذهب أبي حنيفة فقيهه مساعدة لولاية الامور على شروعاتهم حتى لو اضطرت الحكومة الى تولية قاض غير حنفى وجب تقليده لمذهب أبي حنيفة لاجل الولاية واجراء الاحكام عليه

« مطلب »  
اقتضاء الاحوال  
والمعاملات  
العصرية تنقيح  
الانضباط والاحكام  
الشرعية بما يوافق  
مزاج العصر  
بدون شذوذ

ثم ان الحالة الراهنة اقتضت أن تكون الافضية والاحكام على وفق معاملات العصر بما حدث فيها من المتفرعات الكثيرة المتنوعة بتنوع الاخذ والاعطاء من أئم الانام وقد تقدم بعض ما يتماق بذلك فى الفصل الرابع من الباب الثاني ومن المعلوم ان بحر الشريعة الغراء على تفرع مشاريعه لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وأحيأها بالسقي والري ومصدق ذلك قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شيء فلا ريب

المبنى على شكل حمام الرحوم مطلوش باشا بالاسكندرية مما به صارت طهطا  
 بهية جزاه الله خير الجزاء واحسن له الحال والمآل وفي هذا القدر مقنع وان  
 كان مجال الكلام أوسع وقد كان كل من القاضى حسام الدين والقاضى  
 سراج الدين ابني حريز بلفظ التصغير بحاء مضمومة ثم راء مهملة ثم زاي  
 معجمة خلافا لما وجد من الرسم في طبع حسن المحاضرة في ذكر قضاء  
 المالكية بأن حسام ابن جرير وصحته ابن حريز بالحاء والراء والزاي وكان  
 توليتهما القضاء في زمن ملوك الجراكسة وكان منصب القضاء في ذلك العهد  
 وما قبله يتعدد بمصر بتعدد المذاهب الاربعة حتي منصب قضاء العسكرية  
 فكان تارة يضاف الى القاضي الحنفى وتارة يضاف الى القاضي الشافعى وتارة  
 ينفرد به قاضى حنفى وما ذاك الا لان قاضى العسكر انما ينفع به في الجهاد  
 ووقت خروج العسكر وتقع وصايا من الامراء وشهادات بينهم ولا يوجد  
 في العسكر الجالسين في المراكز أحد ويحتاج الى اثبات ذلك عند القاضي  
 الشافعى فلا يسمع شهادة العسكر فيتعطل اثبات ذلك فتبطل  
 وصاياهم وشهاداتهم فلهذا السبب ولى الملك الظاهر يبرس القاضى الحنفى  
 لما اتفق له في الجهاد مثل ذلك وامتنع القاضى الشافعى في ذلك الوقت من  
 سماع شهادتهم ثم بتداول الايام ودخول أكثر الممالك الاسلامية في قبضة  
 الدولة العثمانية المقلد جمهور حكاهم لابي حنيفة النعمان انتهى الامر أن صار  
 حصر القضاء على مذهب امامهم الذى هو أول من دون الفقه وجمعه وتقدم  
 وسبق من العلماء من تبعه واختص بكثير من الفروع التى تلائم ولاية الامور  
 وأعظمها عدم اشتراط أمور كثيرة في المراسم السلطانية والفسحة في اشتراط  
 المعدلة وان كانت في الغالب لا يخلو منها من قضت له بالتولية الارادة

« معاذ »  
 سبب تخصيص  
 لقضاء على مذهب  
 في حنفية النعمان  
 مد اركان تعدد  
 القضاء بمد  
 لذهاب الاربعة  
 في سائر الزمان



معنى قول النسابة عبد الواحد بن ابراهيم الحسينى الهاشمى فى نبذة  
الانساب عند ذكر الاشراف بعد ان ذكر بنى الحسن وانهم فى جرجاينى  
اشراف منشاة النيدة قال وفى أسبوط طائفة من أولاد جعفر الصادق بن محمد  
الباقر بن على الحسين بن على عليهما السلام يعرفون بأولاد الشريف قاسم انتهى  
ومن أولاد حريز اشراف منفلوط وفيهم النقابة والقضاء الى الآن  
ومنهم فرع العالم الفاضل السيد حسن بن حريز الغرراوى احد فضلاء الجامع الازهر  
ومدرس الجامع العالى بالقلمة العامرة ومنهم فرع منتشر فى بلاد أناطلى

واما أولاد سيدي على نور الدين البصير المدفون بجزيرة شندويل  
بعمالة جرجا وله مشهد بزار فهم اشراف جزيرة شندويل ومنهم جماعة بقرية  
مطاي بالاقليم الوسطى ومنهم اشراف عربان بالوجه البحرى مشهورون  
بالقواسم منهم العالم الفاضل الشيخ اسمعيل رأس نقباء الطريقة المحمدية  
الدمرداشية حالا وفيهم من قول العلامة السخاوى ان القاضى حسام الدين  
جده لاهه الشيخ محمد الهلالى العريان ومع ذلك فسيدي ابو القاسم استاذ هذا  
الشيخ المذكور حيث يوجد فى مناقبه ان الشيخ محمد الهلالى العريان ألبسه  
طاقيته كما أشرت لذلك فى قصيدة جامعة لمناقبه منها قولى

طاقيـة العريان قد البستها      رمزا لسر خلافة آتتها

كم صنت طهطا من اذى وحرستها      كم من يد بيضاء منك غرستها

ثم راتها لبديك أضيت مكسبا

وقد جدد الامير الكبير والمفرد العلم الشهير لطيف باشا ناظر عموم  
البحرية سابقا جامع سيد أبى القاسم بطهطا وناق فى بناءه بالبناء العجيب الذى  
صرف فيه جزيل الاموال من ضمن ما جدد بطهطا من المنار كالحمام النفيس

قاضى القضاة أبو عبد الله حسام الدين محمد حدث عن أبي زرعة العراقي واخوه  
 سراج الدين عمر توفى سنة ٨٩٢ هـ ومالك بن بيت بالصعيد يقال لهم المحارزة والحريزون  
 وقول السخاوي في ترجمة الاول في حق جده انجب اولادا وذكر  
 منهم اثنين واقول ان الثالث منهما يسمى يحيى وعائلتنا بطهطا الموجودة  
 الآن هم من ذرية يحيى المذكور وينتهي نسبنا اليه حيث ان المرحوم والدى  
 السيد بدوي بن علي بن محمد بن علي بن حريز بن أبي القاسم الصغير بن جلال  
 الدين وليس عندي الآن بمصر السلسلة الموصلة الى سيدى أبي القاسم

احببت أروي صحاح در عن حسن جاء عن مسدد

سلسلة أطلقت يساني لكن رقى بها مقيد

ومن جهة الام فوالدتي فاطمة بنت المرحوم الشيخ احمد الفرغلي  
 الانصارى ابن المرحوم الشيخ عبد العزيز الانصارى ابن المرحوم القاضي أبي  
 الحسن الانصارى ابن المرحوم العلامة القاضي محمد الانصارى ينهى نسبهم  
 الى الامام العالم القطب الرباني سيدى رفاة بن عبد السلام الانصارى المشهور  
 بالخطيب المكتوب على ضريحه

اقصد رفاة كلما كرب يضيق سبيله

وانزل بساحته وقل حاشا يضام نزيله

وعلى كل حال فما أحسن قول من قال

يزدادنى مسمعى تكرار زكركم طيبا ويحسن فى عبنى مكرره

ويتفرع عن عائلتنا التي بطهطا عائلة شريف ابيار المشهورة فانها نزلت

بابيار فى القرن الحادى عشر وعم بيت مجد مؤثر كاصولهم واما اولاد سيدى  
 حريز فهم اشراف اسبيوط وفيهم النقبابة الى الآن ولعل هذا هو

« مطلب »  
 الاشراف  
 اترعن ذرية  
 قدى الى القسم  
 ليطاراد منهم  
 شراف ابيار  
 « اسماء »  
 مري وغير ذلك

وبين العلاء بن الاهناسي الوزير ما يقتضى الاستيحاش فقام في معاونة الشرف يحيى بن صنيعة أحد الكتاب حتى استقر عوضه في الوزارة في ربيع الآخر سنة ست وستين بعد ان رسم بالقبض على ابن الاهناسي وهو بالوجه القبلي في الصعيد ولزم من ذلك قيامه معه خوفا من حصول خلل يعود اللوم عليه بسببه حتى يقال انه تكلف في تلك الحادثة نحو ثلاثين الف دينار فتزايدت ديونه بسبب ذلك وطمع فيه أرباب الدولة وأدي ذلك الى انحطاط جانبه وهو مع ذلك لا ينفك عن التجميل جهده واطهار الجلد والصبر لمن يحيى عنده الى ان كاد الامر يتفاقم فلطف الله به ومات في ليلة الاثنين مستهل شعبان سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة بمنزله بمصر وصلى عليه من الغد بجامع عمرو تقدم للصلاة عليه أخوه السراج عمر الماضي ودفن بتربة جده من قبل امه الشيخ محمد الهلالى العريان بجوار تربة الشيخ أبى العباس الجرار من القرافة الكبرى عند اولاده واستقر أخوه في المنصب بعده ولم يتعرض لوظيفة الشيخونية وجامع طولون كما سلف وقد قتل بسيف الشرع جماعة من المفسدين منهم حمزة بن غيث بن نصير أحد مشايخ العريان أبوه بالغربية ومنصور بن صفى الاستادار وما خلا عن عتب في بعضهم جريا على عادة الناس في اختلاف أغراضهم وكان منفحاً على قتل سعد الدين بن بكير القبطي فكفه عنه بعض الخبالة العز الكنانى كما سلف في ترجمته وفى تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى في صحيفة ٢٥ من الجزء الرابع مانصه والشرىف أبو المعالى حرير كزير ويدعى ايضا محرز بن الشرىف أبى القاسم الحسينى الطهطائى التلمسانى تقدم فى القراءات كاتبه وروى وحدث وكذا ولده الامام المحدث شمس الدين محمد وحفيده القاضى مجد الدين ابو بكر بن محمد بن حرير تولى القضاء بمنفلوط وحسنت سيرته وولده

تردد اليه الشهاب بن صالح أحد نوادر أئمة الادب وسمعت حينئذ قاضي  
 المذهب الحنبلي وناهيك بذلك من مثله يقول ان الشهاب لا ينهض  
 ان يغرب عليه في فنه اشارة الي ملاءته وتقدمه في جودة محاضراته وكذا كان  
 الشهاب بن أسد شيخ القراء في زمنه ممن يتردد اليه وقد صحبته قبل استقراره  
 في المنصب وساعدني في بعض القضايا وكان يجلني وسمع من لفظي بعض  
 تصانيفي بحضرة الامام الزين البيهقي وتفضل هو بسؤالي في الاذن له  
 بالاجازة وكتب القاضي خطه بما يشهد لهذا

ولما استقر التمس مني اسنادي بالبخاري ونحوه فخرجت له جزءا فيه  
 أسانيد كثيرة من الكتب الحديثية والعلمية فسر بذلك ورغب الي في  
 تبليص ما علم انني جمعته من طبقات المالكية والرواية عليه عنده ففاق عنه  
 بعض الشواغل وكذا رغب في قراءتي الجامع للترمذي عنده في رمضان  
 فعملت وحرص على المداومة على ذلك فثقلت على الحركة بسبب ذلك خصوصا  
 في شهر الصوم فبادر صاحبنا الشمس بن الفالاتي لذلك وانتهز الفرصة فلم  
 يزل يقرأ عنده حتى مات واقتصر في آخره الامر عليه بعد أن كان يقرأ عنده  
 الثلاثة فأكثر وينعم على القراء بالخلع والجوائز وغير ذلك في الضحايا وغيرها  
 بل ويصرف على جميع من يحضر عنده يوم الختم دراهم متفاوتة على قدر  
 منازلهم ولما مات يحيى العجيسى استقر في تدريس الشيخونية ثم لما مات  
 ولده استقر في تدريس جامع طولون وباشر التدريس فيهما وكذا درس  
 بالمؤيدية نيابة عن ولد صاحبه البدر بن الخلطة بعد وفاة والده وفي سائح الحرم  
 سنة ثلاث وستين لبس خلعة الاستمرار

ولم يزل علي جلالته وعلو مكانته في جميع ما أشرت اليه حتي حصل بينه



زرع الفلال والقصب وطبخ السكر وغير ذلك وحمد الناس معاملته في صدق  
 اللهجة والسماح وحسن الوفاء حتى رغب ذوو الاموال في معاملاته وممن  
 كان يتردد اليه من مشايخنا لمزيد احسانه واكرامه السيد النسابة وربما  
 سمع الحسام عليه بعض النساء الكبير بل استكتبه ليسمعه بتمامه فما تيسر  
 والزين البوتيجي وكان يحكي من كرامات بعض سلف الحسام شيئاً كثيراً ولم  
 يزل دأبه ما حكيناه الي ان مات القاضي ولي الدين السنباطي في ليلة الجمعة  
 تاسع شهر رجب سنة احدى وستين والتمس من يصاح لقضاء المالكية  
 ويستقر لمن بعده فيه وتطاول لذلك غير واحد فاقتضى رأى الجمالى ناظر  
 الخاص استقراره به ولما علمه فيه من رياسته وشهامته وراسل كلا من القاضي  
 الشافعي ابن البلقيني والقاضي الحنفى ابن الديري في الثناء عليه عند السلطان  
 واستحقاقه له ففعلاً واستقر في يوم الاحد ثانى عشر الشهر المذكور وركب  
 في أبهة وخفر وفرح الناس به لاسيما رفقة من بقية المذاهب لما وقر عندهم  
 من حشمته ومحاسنه الجملة وحيثما باشره بعفة ونزاهة وشهامة مفرطة وقيام  
 باعباء جماعة مذهبه والانعام عليهم بأنواع من الاكرام فاجتمع شملهم  
 بوجوده وبلغ كلهم فيما يؤمله غاية مقصوده ومنعهم من تعاطي الاخذ على  
 الاحكام وأكد على من لم يثق به منهم في ذلك التأكيد التام حتى بالايان  
 ونحوها ولزم الاختصاص به من أعيانهم البدر بن الخلطة وقرأ عنده في  
 المدارك للقاضي عياض وفي الجواهر لابن شاس وغيرهما واستتاب في  
 بعض الاوقات في تدريسه أعيان المذهب قصد البرهم في المنصورية الشيخ  
 يحيى العلمى وفي الناصرية الشيخ نور الدين السنهورى وفي الصالحية الشيخ  
 نور الدين الوراق وتراحم عليه الفضلاء من سائر أرباب المذاهب وممن



وحفظ قبل ذلك العمدة والشاطبية والرسالة والالافية وعرضها على الجمال  
 الاقنسي والبدر الدماميني والشمس البساطي وابن عمه القاضي جمال الدين  
 والشمس بن عماد والولي العراقي والعز بن جماعة والجلال البلقيني والشمس  
 والمجد البرماوين وشيخنا والتلواني وآخرين وتفقه على الزين عبادة قرأ عليه  
 الرسالة مرتين وصل في الثانية الى الوصايا وربع العبادات فقط من ابن  
 الحاجب والرسالة فقط على الشمس الفهاري المغربي نزيل مصر غتمشية وكذا  
 أخذ عن الشمس البساطي وغيرهم وسمع على الولي العراقي بعض الصحيح  
 وعلى الزين بن عياش بمكة صحيح مسلم والسنن لابن داود وعلى البدر حسين  
 الاهدل بقراءته الشفاء وبقراءة القاضي فتح الدين بن سويد الموطأ وعلى  
 الشرف أبي الفتح المراغي بقراءة ابن سويد أيضا الشفاء كل ذلك في مجاورته  
 الماضية بعينها وكان حج قبل ذلك في سنة اثنتين وعشرين وولى قضاء  
 منفوط عن شيخنا فمن بعده وأورد شيخنا في حوادث سنة اثنتين وأربعين  
 ان القاضي بهاء الدين الاخواني حكم بحضرة مستنبيه بقتل بخشيدياي الاربلي  
 حدا لكونه لعن أجداد صاحب الترجمة بعد ان قال له أنا شريف وجدى  
 الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتصل ذلك بقاضي  
 الاسكندرية فأعذر ثم ضربت عنقه

ولازم القاضي حسام الدين المطالعة في كتب الفقه والتفسير والحديث  
 والتاريخ والادب حتى صار يستحضر جملة مستكثرة من ذلك كله ويذاكر  
 بها مذاكرة جيدة مع سرعة الادراك والفصاحة والبشاشة والحياء والشهامة  
 والبذل لسائليه وغيرهم والقيام مع من يقصده في مهماته واقتناء الكتب  
 النفيسة والتبسط في أنواع المباح ونحوها والقيام بما يصلح معيشته من

الى أن أمر السلطان بالترسيم عليه وأقام بطبقة الزمان بضعة عشر يوما وعد  
ذلك في النوازل ثم أطلق وبعد ذلك أهدى الى السلطان في شيء من تمتات  
ما أشير اليه يقتضى تغير خاطره منه فبادر يوم الاثنين سادس صفر سنة  
سبع وسبعين الى التصريح بعزله وتقرير الشيخ برهان الدين اللقاني وجاءه  
الشرفى الانصارى مبشرا بذلك وتأم السراج لهذا الامر كثيرا وظن انه  
بسبق سعى من البرهان والظاهر خلافه وكذا تألم له أحبابه هذا بعد أن كان  
في أول هذا الشهر وقت التهئة بالغ في المشى فيما رأى انه الحق مما هو  
موافق لغرض السلطان في قتل شاه سوار الذي شرحت خبره في غير هذا  
المحل وجهر بذلك جهرا زائدا عن رفقته وانه لا تقبل توبته بل يضم اليه  
فى القتل كل جماعته ولم يعجب السلطان فيما قبل الجهر بذلك بل كان يحب  
اخفاء الامر فيه والله يحسن العاقبة ثم ترجم لاختيه فقال

« مطلب »  
تقليد القاضى  
محمد بن أبى بكر  
حسام الدين  
المنفلوطى  
الطهطاى قضاء  
مصر

محمد بن أبى بكر بن محمد بن حرير وبقى نسبه مضى فى أخيه عمر القاضى  
حسام الدين أبو عبد الله الحسينى المغربى الاصل الطهطاى المنفلوطى المصرى  
المالكي عرف بابن حرير ولد فى العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربع  
وثمانمائة بمنفلوط وانتقل منها وهو صغير مع أبيه الى القاهرة فقرأ القرآن بها  
على الشريف جمال الدين بن الامام الحسينى وتلاه برواية أبى عمرو من طريق  
الدورى على الجمال يوسف المنفلوطى أحد تلامذة جده الاعلى أبى القاسم  
المذكور بالامامة فى القراآت وغيرها كما ساف فى أخيه عمر ثم على الشهاب  
ابن البابا والشهاب الهيمى وتلاه بعد ذلك وهو كبير فى مجاورته بمكة بالسبع  
افرادا وجمعا على الشيخ محمد الكيلانى أحد أصحاب الشمس بن الجزرى  
ابتدأ عليه فى عاشر المحرم سنة ثمان وأربعين وختم فى رابع ذى الحجة منها

منهم نور الدين ابو الحسن على الضرب المقرى وجد والد صاحب الترجمة الزين  
 أبو المعالي حريز الموصوف من بعض من لقيه في سنة ثمان وسبعين بالشيخ  
 الامام المحدث المقرى وكان مولد صاحب الترجمة في سنة تسع عشرة بمنفلوط  
 ونشأ بها فحفظ القرآن والرسالة والملحة وجود القرآن على الشهاب الطهطائي  
 وقرأ الفقه على الزينين عبادة وطاهر والشهاب السخاوي وعليه قرأ في  
 العربية والفرائض ولازمه وانتفع به وأخذ في علم الكلام عن ابي عبد الله  
 اليشكري المغربي وسمع الحديث عن النجم بن عبد الوارث فن دونه ومن سمع  
 عليه الشيخ أحمد محمد بن يونس المغربي نزيل مكة حين اثبات هذه الترجمة واجاز  
 له العلم البلقيني وناب عنه وكذا عن غيره من الشافعية بعده وعن الولى  
 السنباطي المالكي وحج في سنة أربع وستين وتعالى ادارة الدوايب  
 والمعاصر (أى معاصر قصب السكر) ونحوها كاخيه

ولما استقر اخوه في قضاء المالكية صار يكتب على الفتوى وعرف  
 بالديانة والامانة والتصلب في امر دينه ومزيد اليبس وحسن المعاملة وصدق  
 اللهجة والوفاء بالعهد وذكر باستحضار فروع الذهب فصار الى رئاسة وجلالة  
 فلما مات أخوه استقر في قضاء المالكية بعده في شعبان سنة ثلاث وسبعين  
 وأعرض عن بعض وظائف كانت مع أخيه كتدريس الشيخونية فاستقر  
 فيها المحيوى بن تقى وتدریس جامع طولون أيضا فاستقر فيه التورى بن  
 التيسى ثم رجع اليه بعد وفاته وقام بالمنصب مقاما حسنا متحريرا فيه جهده  
 وشكرت سيرته فيه وصمم في قضايا وبرز في مواطن جبن فيها غيره كل  
 ذلك مع اشتغال فكره بما ألزمه من ديون أخيه وكثرة التعرض له بسببها  
 من الدواidar الكبير وكذا الثاني مرة بعد أخرى وآل الامر في بعضها

ان لله علينا نعماء يعجز العبد عن العد لها

فله الحمد على نعمائه وله الشكر على الحمد لها

و كنت أسمع من أسلافنا أن من ذرية جدنا أبي القاسم الطهطائي من تقلد بحروسة مصر بولايات شريفة وحظي عند ملوكها بالمراتب المنيقة حتى وقفت الآن على كتاب يسمى ذيل رفع الاصر في قضاة مصر للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي صاحب الضوء اللامع ترجم فيه لاثنتين من اقاربنا توليا قضاء مصر بانهما قبلا ولما كان هذا الكتاب مرتبا على حروف المعجم ترجم لالخلف منهما قبل السلف فقال هذا المؤلف مانصه عمر بن أبي بكر بن محمد بن حريز ويديعي محرز بن أبي القاسم بن عبد العزيز بن يوسف ابن رافع بن جندی بن سلطان بن محمد أحمد بن حجون ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن اسماعيل بن جعفر الزكي بن محمد المأمون بن علي الحارث بن الحسين بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القاضي سراج الدين بن الشيخ مجد الدين الحسيني المغربي الاصل الطهطائي المنفلوطي المصري المالكي الشهير بابن حريز بضم المهملة وآخره زاي وهو أخو القاضي حسام الدين محمد الآتي والحسام هو الذي أملى على هذا النسب بعد أن أثبتته ثم أوقفني عليه صاحب الترجمة في جزء فيه ترجمة جده الاعلى الشيخ أبي القاسم المذكور بالسكرامات والاحوال السنية وكون الشيخ عبد الرحيم القناني ابن عم جده وتقدمه في الزمان واز من جملة من لقيه السراج البلقيني وانه مات في مستهل سنة اثنتين وستين وسبعمائة عن نحو تسعين سنة ودفن بزوايته التي أنشأها بطهطا وقبره هناك ظاهر يزار انتهى أنجب أبو القاسم هذا عدة أولاد كانت لهم جلالة وهيبة وكلمة نافذة

« مطلب »  
تقليد القاضي  
عمر سراج الدين  
المنفلوطي  
الطهطائي قضا  
مصر ونسب جد  
أبي قاسم  
الطهطائي

وللشيخ المذكور هوامش أيضا وجدتها بأكثر التواريخ وعلى طبقات  
الاطباء وغيرها وكان يطلع دائما على الكتب العربية من تواريخ وغيرها وكان  
له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية مع غاية الديانة والصيانة وله بعض تأليف  
في الطب وغيره زيادة عن تأليفه المشهورة فلو تشبث من الآن فصاعد  
انجباء أهل العلم الازهرين بالعلوم العصرية التي جردها الخديو الاكرم  
بمصر بانفاقه عليها أوفر أموال مملكته لفاضوا بدرجة الكمال وانتظموا في  
سلك الاقدمين من فحول الرجال وربما يتمللون بالاحتياج الى مساعدة  
الحكومة والحال ان الحكومة انما تساعد من يلوح عليه علامات الرغبة  
والغيرة والاجتهاد فعمل كل من الطرفين متوقف على عمل الآخر فترجع  
المسئلة دورية والجواب عنها ان الحكومة قد ساعدت بتسهيل الوسائط  
والوسائل ليغتنم فرصة ذلك كل طالب وسائل وكل من سار الى درب وصل  
وانما تكون المكافأة على تمام العمل فهذا ما يتعلق بطبقة العلماء وقد ذكرنا  
ما يتعلق بالعلم في الفصل الاول من الباب الاول من هذا الكتاب مبسوطا  
بما فيه الكفاية

ومن أجلاء طبقة العلماء القضاء فرتبة القضاء قد جمل الله اليها منتهى  
القضايا وانهاء التظلمات والشكايا ولا يكون صاحبها الا من العلماء الذين هم  
ورثة الانبياء فالقاضي متولى الاحكام الشرعية لهذه الرتبة كما ورث عن  
النبي صلى الله عليه وسلم علمه ورث عنه بهذه الوظيفة الشريفة حكمه  
ومما ينبغي ذكره هنا بالنسبة ان من من الله سبحانه وتعالى على عائلتنا بطهرا  
أن اجتمع فيها مع منصب نقابة الاشراف التي هي لم تزل في بيتنا الى الآن  
منصب قضاء الولاية في كثير من نسلنا

« مطلب »  
منصب القضاء  
وجلالته قدره

« مطلب »  
اجتماع منصب  
قضاء مع نقابة  
الاشراف في  
عائلة مؤلف  
الكتاب ومن  
ولي من عائلته  
قضاء مصر  
وذكرهم نسبهم



ولما ذكر ما تلقاه من هذه العلوم أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الاخذ  
عن شيخ فقال طالعت كتاب احياء الفوائد بمعرفة خواص الاعداد في علم الارتماطيق  
في نحو كراسين وكتاب عين الحياه في علم استنباط المياه في نحو كراسين  
ورسالة في الكلام اليسير في علاج البواسير في نحو كراسين ورسالة  
التصريح بخلاصة القول الصريح في علم التشريح في نحو كراسين ومنها كتاب  
اتحاف البرية بمعرفة الامور الضرورية في علم الطب في نحو خمسة كراس  
ومنها رسالة القول الاقرب في علاج لسع العقرب في نحو كراس ومنها  
منهج السلوك في نصيحة الملوك في نحو عشرة كراسين ومنها كتاب بلوغ  
الارب في أسماء سلاطين العجم والعرب معنونا باسم السلطان مصطفى خان  
ابن السلطان احمد خان المولود في رابع عشر شهر صفر سنة تسع وعشرين  
ومائة والف يوم الاربعاء اول النهار في الساعة الاولى بعد الشمس الجالس  
على سرير الملك في سابع عشر شهر صفر الخير سنة احدى وسبعين ومائة  
والف يوم الاحد قبل الشمس انتهى كلامه ملخصا بتصرف فانظر الى هذا  
الامام الذي كان شيخ مشايخ الجامع الازهر وكان له في العلوم الطبية والرياضية  
وعلم الهيئة الحظ الاوفر مما تلقاه عن أشياخه الاعلام فضلا عن كون أشياخه  
كانوا أزهريه ولم يفهم الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة في الوطنية  
وفضل العلامة الجبرتي المتوفى في أثناء القرن في هذه العلوم وفي فن التاريخ  
أمر معلوم وكذلك العلامة الشيخ عثمان الورداني الفلكي وكان للمرحوم  
العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الازهر أيضا مشاركة في كثير من هذه  
العلوم حتى في العلوم الجغرافية فقد وجدت بخطه هوامش جلية على كتاب  
تقويم البلدان لاسماعيل أبي الفداء سلطان حماه المشهور أيضا بالملك المؤيد

الموجز واللمحة العفيفة في اسباب الامراض وعلاماتها بشرح  
 المشاطي وبعض من قانون ابن سينا وبعض من كامل الصناعة وبعض من  
 منظومة ابن سينا الكبرى والجميع في الطب وقرأت على أستاذنا الشيخ  
 عبد الفتاح الديماطي كتاب لقط الجواهر في معرفة الحدود والدوائر لسبط  
 المارديني في الهيئة السماوية ورسالة ابن الشاط في علم الاسطرلاب ورسالة  
 قسطاس لوقا في العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها والدر لابن المجدي  
 في علم الزيج وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومي اشكال التأسيس في  
 الهندسة وبعض من الجفميني في علم الهيئة وبعض من رفع الاشكال عن مساحة  
 الاشكال في علم المساحة وقرأت على شيخنا الشيخ عبد الجواد المرحومي جملة  
 كتب منها رسالة في علم الارتماطقي للشيخ سلطان المزاحي وقرأت على الشيخ  
 محمد الشهير بالسجيمي منظومة الحكيم درمقاش المشتملة على علم التكسير  
 وعلم الاوافق وعلم الاستنطاقات وعلم التكعيب ورسالة أخرى في رسم ربع  
 المقنطرات والمنحرفات لسبط المارديني وعلم المزاوول ومنظومة في علم الاعمال  
 الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن ساعد الانصاري  
 وهي كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علما اولها علم الحرف وآخرها علم  
 الطلاسم ورسالة للاسرائيلي ورسالة للسيد الطحان كلاهما في علم الطالع  
 ورسالة للخازن في علم المواليد أعنى الممالك الطبيعية وهي الحيوانات والنباتات  
 والمعادن وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندي شرح الهداية في  
 علم الحكمة ومتن الجفميني في علم الهيئة بمراجعة قاضي زاده ومطالعة السيد  
 عليه وأخذت عن سيدي احمد الشرفي شيخ الغاربة بالجامع الازهر كتاب  
 اللمعة في تقويم الكواكب السبعة

اخلص والعالم حتى اذا دخلوا في امور الدولة يحسن كل منهم في ابداء المحاسن  
 المدنية قوله فان سلوك طريق العلم النافع من حيث هو مستقيم ومنهجه  
 الابهج هو القويم يكون بالنسبة للعلماء سلوكه أقوم وتلقيه من أفواههم أتم  
 وأنظم لا سيما وان هذه العلوم الحكيمة العملية التي يظهر الآن انها أجنبية  
 هي علوم اسلامية نقلها الاجانب الى لغاتهم من الكتب العربية ولم تزل  
 كتبها الى الآن في خزائن ملوك الاسلام كالذخيرة بل لا زال يتشبت  
 بقراءتها ودراستها من أهل اوربا حكماء الازمنة الاخيرة فان من اطلع على  
 سند شيخ الجامع الازهر الشيخ أحمد الدمهوري الذي كانت مشيخته قبل  
 شيخ الاسلام الشيخ أحمد العروسي الكبير جد شيخ شيوخ الجامع الازهر  
 الآن السيد المصطفوي العلم الشهير رأى انه قد أحاط من دوائر هذه العلوم  
 بكثير وان له فيها المؤلفات الجمة وأن تلقيها الي أيامه كان عند أهل الجامع  
 الازهر من الامور المهمة فانه يقول فيه بعد سرد ما تلقاه من العلوم الشرعية  
 وآلاتها معقولا ومنقولا أخذت عن استاذنا الشيخ المعمر الشيخ علي الزعري  
 خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات وبما توقف عليها كالفرائض  
 والميقات وسيلة ابن الهائم ومعونه كلاهما في الحساب والمقنع لابن الهائم  
 ومنظومة الياسميني في الجبر والمقابلة ودقائق الحقائق في حساب الدرج  
 والدقائق لسبط المارديني في علم حساب الازياج ورسالتين احدهما على  
 ربع المقنطرات والاخرى على ربع الجيب كلاهما للشيخ عبد الله المارديني  
 جد السبط ونتيجة الشيخ اللادقي المحسوبة لعرض مصر والمنحرفات لسبط  
 المارديني في علم وضع المزاويل وبعض اللمعة في التقويم وأخذت  
 عن سيدي احمد القرافي الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب

حيث جعلوا فيها شمس العلوم ساطعة الاشرار ثم من عليها بدولة آل عثمان حفظت بالنسبة اليها ما بقي فيها من مكارم الاخلاق مع المحافظة على القوانين الشرعية لاسيما وان من نتيجة تسلطهم عليها تشريف ذي النفس الزكية والمناقب السنية جئتمكان المرحوم محمد علي الذي أبقى بحسن صنيعه ذكره مدي الايام وآل أمر الملكة لحفيده الرفيع المقام

انما المجد ما بنى والد الصدق وأحيا فعاله المولود

فقد جدد دروس العلوم بعد اندراسها واوجدت بعد العدم الرؤساء العلماء والفضلاء نتيجة قياسها لقصد انتشار العلم والزيادة في الفضائل فأتى من ذلك عالم تستطعمه الاوائل غير انه حفظه الله وأبقاه ولوانه أعلى منار الوطن ورقاه لم يستطع الى الآن ان يعمم أنوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الازهر الانور ولم يجذب طلابه الى تكميل عقولهم بالمعلوم الحكيمية التي كبير نفعها في الوطن ليس ينكر نعم ان لهم اليد البيضاء في اتقان الاحكام الشرعية العملية والاعتقادية وما يجب من العلوم الآلية كعلوم العربية الاثنى عشر وكلمنطق والوضع وآدب البحث والمقولات وعلم الاصول المعتبر ومثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون غير ان هذا وحده لا يفي للوطن بفضاء الوطر والسكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر

ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة منوط بعدولي الامر بهذه العصابة التي ينبغي ان تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع اعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقديم الوطنية من كل ما يحمد على تعلمه وتعليمه علماء الامة المحمدية فانه بانضمامه الى علوم الشريعة والاحكام يكون من الاعمار الباقية على الدوام ويقتدي بهم في اتباعه

• مطلب •  
انه ينبغي للعلماء الشرعيين ان يتشبهوا ايضا بمعرفة المعارف البشرية كالمعلوم لحكمة العملية

كذلك ويحترم ويكرم العلماء المشتغلون بجملة علوم شريفة ينتفع بها ويحتاج اليها  
 في الدولة والوطن كعلم الطب والهندسة والرياضات والفلكيات والطبيعات  
 والجغرافيا والتاريخ وعلوم الادارة والاقتصاد في المصاريف والفنون  
 العسكرية وكل ما كان له مدخل في فن او صناعة فان أهله يجب اكرامهم  
 من أهل الدولة والوطن وكذلك يجب اسداء المعروف واصطناعه لارباب  
 المعارف الادبية والفصاحة العربية فقد ذكر ابن رشيقي في العمدة ان اعرابيا  
 وقف لعلي رضي الله عنه فقال ان لي اليك حاجة رفعتها الى الله قبل أن ارفعها  
 اليك فان انت قضيتها حمدت الله وشكرتك وان انت لم تقضها حمدت الله  
 وعزرتك فقال خطها في الارض فخط اني فقير فدفعت اليه حلة فلما تسامها أنشد  
 كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن التناحلا  
 ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبال  
 لا تزهده الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزي بالذي فعلا  
 فامر له بخمسين ديناراً وقال الحلة لفاقتك والخنسون لادبك سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم

وقد نص المؤرخون على انه لم يك في الدنيا في قديم الزمان اعظم دولة  
 ولا اشمخ مملكة ولا ادم اياما وذكرنا من دولة مصر والفرس واليونان  
 وسبب ذلك تعظيمهم للعلوم والحكمة وتمكين من يشتغل بذلك ورعاية  
 جانبه حتى كان اكثر ملوكهم علماء وحكماء فمن تمام رونق المملكة اشتغالها على  
 أئمة في هذه العلوم بأسرها فما اضيع دولة قل علماؤها وحكامؤها وفسدت  
 مزارعها وكسدت منافعها ولم تجد من يحياها ولا من يحيي بتحيات العلوم معالمها  
 ونواحيها ولكن الحمد لله الذي من على مصر بخلافة الخلفاء على الاطلاق



الناس فيجب على الدولة ان تحترم علماء الشريعة وتكرمهم وتبنيهم على تعليمها  
 والمحافظة عليها بل عليها أيضا ان تتحرى ادخال السرور عليهم واستمالة قلوبهم  
 والتعطف عليهم وان تقرب اليهم بالصلات وان تحف اولادهم بالتحائف  
 رفقابهم وتلطيفا لهم وان تحملهم على الاشتغال بالعلم والمراد بعلماء الشريعة  
 العارفون بالاحكام الشرعية والعقائد الدينية اصولا وفروعا يعنى الاحكام  
 المتعلقة بالعمل عبادات ومعاملات ويلحق بهم أهل العلوم الآلية العقلية التي  
 يتوقف عليها فهم العلوم الشرعية لان الوسائل تشرف بشرف المقاصد وينبغي  
 زيادة الاجلال والتبجيل لاهل التفسير والحديث وهم العلماء المنتدبون لعلوم  
 القرآن وتفسيره ورواية الحديث باسانيده وعلوم الترغيب والترهيب وتبجيل  
 علماء الحقيقة الذين انجلي عن قلوبهم الخبث وقاذورات الدنيا وارتفع عنها  
 الغطاء والرين حتى اتضحت لهم حلية الحق عيانا وانتظمت شمائلهم في سمات  
 الصالحين الذين بذكرهم تنزل الرحمات من رب العالمين فثل هؤلاء ينبغي  
 الاتحاد بهم لاستفادة الخير منهم فمن كان جلسه صاحب علم أو صلاح  
 استفاد منه خيرا لانه قلما يخلو مجلسه عن مسئلة وعظ أو نصح

أحب الصالحين ولست منهم لعلي ان أنال بهم شفاعه  
 وأكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في البضائه

(وقيل)

لى سادة من عزم أقدامهم فوق الجباه

ان لم أكن منهم فلي من حهم عزوجاه

فجالسة الصالحين فائدة عائدة بالخير العميم على مجالسهم وفي الحديث  
 بحشر المرء مع من أحب وقال صلى الله عليه وسلم العالم والعلم شريكان في الخير

عليه فاذا استقرضهم أقرضوه واذا استعان بهم أعانوه وان عدل فيهم مدحوه  
وان ثقل عليهم شيء من أحكامه صبروا الى ان يفتح الله لهم باب هدايته  
للخير وارشاد دولته للعدل وزوال الضير ويسألون الله تعالى ان يرزقه  
بطانة أهل حكمة وشجاعة وعفة وعدالة

فالملك المرزوق بموظفين متصفين بهذه الخصال المحمودة هو مسعود  
الرعية فهو الذي يتجمل به الزمان ويرضى عنه الرحمن واهتمام الملك وموظفيه  
بمصالح الرعية لا يمنع من سعيهم أيضا في اصلاح انفسهم بقدر الامكان  
لان من لم يصلح نفسه عسر عليه اصلاح غيره وكيف يعرف رشد غيره  
من لا يعرف رشد نفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

## الفصل الثاني

( في طبقة العلماء والقضاة وأمناء الدين )

والمراد بهم هنا ما يشمل علماء الحقيقة وعلماء الشريعة وعلماء الحكمة  
والامور النافعة التي عليها نظام الدنيا والدين فأما علماء الحقيقة أهل الزهد  
والورع وقليل ما هم فهم أصحاب الاخلاص في الدين وعن محبة الدنيا تراهم  
متباعدين وأما العلماء وهم ورثة الانبياء وحملة الشريعة فدرجتهم من أمة النبي  
صلى الله عليه وسلم مثل درجة انبياء بني اسرائيل وكرامتهم عظيمة ولحومهم  
مسمومة من شمهها مرض ومن أكلها سقم فمن عظمهم فقد عظم الله ورسوله  
وأعطى درجة العلم حقها وهو فضل الله يؤتيه من يشاء ( قال ) صلى الله عليه  
وسلم لولا العلماء لهدكت أمتي اللهم احفظ العلماء واعف عن الجهال وارحم

التدبير وسرعة الفهم والعلم بالامور السياسية والقوانين الملكية والاحوال  
الديوانية والوقوف على أحوال المسالك والممالك وما بينهما من العلاقات  
والروابط والعهود والضوابط وان يكون معروفا بالصدق والوفاء متبحرا في  
أنواع العلوم السياسية له خبرة بكتابة الانشاء والمحاسبات ذكي الفطنة سريع  
الجواب كثير الصواب متيقظا في تدبير الدولة العادلة معمر اللجج والنواحي  
والاعمال مثمرا لاصناف الاموال وتحصيل الغلال مقتصدا في وجوه صرفها  
ونفقاتها ( قالت ) الحكماء يجب أن يكون الوزير مثل المرأة التي لها وجهان  
ينظر بوجه منها الى الله تعالى وبالاخر الى الرعية انتهى ومثل الوزير في  
ذلك سائر رؤساء المملكة فانهم جميعا كالراعي الذي استؤجر لحفظ الاغنام  
فاذا حفظوها استحقوا الاجرة وان ضيعوها أخذوا بالغرامة وحبسوا في  
سجن الملامة وخسروا الدنيا والاخرة ويقال لهم يارعاة السوء اكتم  
السمين وضيعتم الهزيل فحق منكم الانتقام بخلاف الوزراء الذين يعامون أن  
الشريعة معيار المملكة والسياسة ميزان السلطنة فيزنون الرعايا كأنفسهم  
بميزان الشريعة والسياسة فهؤلاء يفوزون بسلامة الدنيا والاخرة لما  
حفظوه من الوزن بقسطاس العدل في صيانة النفس والمال والعرض فبالعدل  
قامت السموات والارض

وبالجملة فعلى ولي الامر ان يجتهد حتى يرضى عنه جميع رعيته وان  
ينزل نفسه منزلتهم وكل ما يحبه لنفسه يحبه لهم وعليهم الطاعة الكاملة له  
لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فقد قرن تعالى  
طاعة ولاية الامر بطاعة نفسه ورسوله فهذه عظمة جميلة لولاية الامر ومنزلة  
جميلة تبلغ النهاية في رفعة القدر فاذا ظهر لولي الامر عدو لزمهم معاونة الملك

وحدوده ماعدا بعض أشياء جسيمة يحتاج فيها للاستئذان من الرئيس الذي هو أعلى منه وهو المدير بالنسبة للإدارة البلدية ونائب الملك في المحاكم بالنسبة للضبطية الحامكية فما يحتاج فيه العمدة للاستئذان شراء عقارات أو أراضى للناحية أو بيع مثل ذلك من الناحية أو ضرب عوائد على الأهالي غير المقتن فوق العادة لمصروف الناحية لاحتياجاتها وكافتراض أموال على طرف الناحية للوازنها وكتجديد اشغال ومنافع وعمارات وسكك وكالتجارة في أموال الناحية المتوفرة في صندوقها بعد المصرف وكالتداعي في قضايا تخص الناحية أو قبول الخصام والتداعي مع احد ادعي على دائرة الناحية بشيء فكل هذا على العمدة أن يستأذن فيه من محل الاقتضاء وما عدا ذلك من حقوق الناحية هو من دائرة تصرفه وحدوده فيجب على العمدة بحسب الامكان ان يباشرها بنفسه فهو المحامي عن الناحية محاماة الولى لليتيم والكفيل للمكفول وللحكومة العليا تولية من يفتش احوال الدائرة البلدية كالناظر الحسبي

« مطلب »

ما يجب أن يكون عليه شيخ البلد من المعلومات

« مطلب »

كون الملك ينتخب للولايات المهمة من ارباب المعارف السياسية من فيهم الكفاءة اللازمة والمعلومات لكافية

فيجب على كل عمدة أن يكون له الملم بالاحكام الشرعية والقوانين الوضعية وممارسته للاحكام الملكية فان جهله لهذه الاحكام يحبط بمقامه وزير به بين أقرانه واقوامه ولهذا اعتنى المؤلفون في سائر الدول والملل في تأليف كتب السياسة على سائر الفنون وجعلوها في طاقة الحكام واذا كان هذا وصف شيخ البلد وانه يزرى به جهل شريعة البلد واحكامها السياسية والشرعية فما بالك بمن هو اعلى منه من الموظفين كوكلاء المملكة ووزرائها ونوابها وحجابه فالملك العاقل المدبر لا ينتخب للوظائف المهمة الا من يكون جامعاً لنخصل الخير حسن الخلق والخلق يجمع بين البشاشة والوقار والحلم والهيبة والعفة والنزاهة وعزة النفس وسداد الرأي وحسن

وظائفه وتشعبت خصائصه كان شيخ الناحية بالنسبة لها كمدير صغير وولى على دائرتها فهي كاليتيم وهو كالكفيل النصير فمن خصائصه مباشرة املاك دائرة الناحية وعقاراتها وايراداتها وتقنين مصاريفها بما تقتضيه المصلحة والغبطة وتسديد ما عليها من اموال الميري ومن الديون

« مطلب »  
خصائص شيخ  
الدائرة البلدية

ومن خصائصه ايضا ترتيب الاشغال العمومية واجراء العملية اللزومية على طرف الدائرة البلدية اذا كانت هي الملزومة بالمصاريف ومن خصائصه ايضا مباشره ادارة عمائر المحال الخيرية التابعة للناحية اذا كان مصاريفها على دائرة الناحية او كانت المصاريف على الحكومة وكانت المحال الخيرية معدة لمنافع الدائرة البلدية كلاسبتياليات والمكاتب ومن خصائصه ايضا التثبيت بكافة الوسائل التي تجلب الراحة والامنية وحسن الانتظام لاهالى البلدة وكذلك الاعتناء بتهديب الاخلاق والتأديب والتربية للاهالى وتحويلهم على الاستقامة وعدم ارتكاب ما فيه سقامة ومن مامورياته ايضا توزيع ما يخص دائرة الناحية فى ضمن عموم المديرية من الاموال والعوائد وتوزيعها على اشخاص الناحية بحسب ميسرة كل منهم بالاتحاد مع شورى الناحية لعدم المغدورية وكذلك يجب تحصيل الاموال والعوائد بحسب التوزيع وتوريدها الى خزينة القسم أو الى خزينة المديرية حسب الاصول المقررة وعليه أيضا الملاحظة للاشغال العمومية والعمليات والمحافظة على أملاك الحكومة والبحث عن اصلاح المساجد والمعابد والمشاهد والقرافات والاضرحة والمكاتب والمدارس والآثار القديمة وكل ما هو فى الناحية من أمثال ذلك

« مطلب »  
الترخيص لشيخ  
الناحية باجراء  
ما هو من خصائصه  
بدون استئذان  
منه وفوقه من  
الحكام الا في  
امور جسيمة

وبالجملة فعمدة البلد أو الناحية مرخص له بدون استئذان من ديوان القسم أو المديرية أن يجرى من بادية رأيه جميع ما هو من خصائصه ووظائفه



وأقوم والسيرة العمرية صادقة فيما هو أتم من ذلك كله وأنظم والاسلام  
سوى بين الجميع في العدل والانصاف وقد عم به التمدن في سائر الاقطار  
والاطراف واعترف له بذلك جميع أئم الدنيا كمال الاعتراف فلا يضره  
ولا يضره سفاهة بعض حكام سلفوا حيث خالفوا أحكامه المرضية في أيامهم  
فلا يقاس على تلك الايام وذلك لحكومة الممالك في مصر وتحميلهم لاهلها  
ثقل الاصر فهذه قضية شخصية لا تنقض العموم بدليل زوالها في أجل مسمى  
ووقت معلوم

فقد وفق المولى تبارك وتعالى المرحوم محمد على صاحب المساعي المشكورة  
وكذلك من بعده من ورثائه على قدر حاله وامكانه لاسيما حفيده خديو مصر  
العاقل فقد شرع في تأسيس الدوائر البلدية المحررة وبني ذلك على قواعد ثابتة  
مقررة فالآن بعناية هذا العزيز الجليل وحسن رعايته الظاهرة كالشمس فلا  
يقام عليها دليل تقوز مصر بنجح الآمال وترقى الى درجة الكمال

ثم ان ترتيب عمد الدوائر البلدية التي هي النواحي وترتيب معاوينهم ومأموريهم  
ومعاوني الضبطية انما هو بحسب جسامته كل ناحية واتساع دائرتها وثروة أهلها  
حتى ان الناحية الجسيمة يترتب فيها ايضا مشورات بلدية رشيدة للاتحاد مع العمدة  
ومساعدته في الامور المهمة فالمدار في ادارة الناحية وضبطها على العمدة وهو  
كثير الوظائف ومنوط بامورجة منها تنظيم جرائد الانساب وهو تسجيل  
المولودين والمتزوجين والمفقودين على الرسوم المربوطة وهو من أهم أمور  
المملكة في حفظ الاموال والنفوس والقرايات يبنى عليه ابواب كثيرة من  
الفقه والسياسة فالعمدة من ذوي الادارة البلدية والضبطية الحاكمية الان  
الادارة البلدية التي هي اصل وظيفته الاصلية تحت رئاسة المديرية ولما تفرعت

« مطلب »

كون الاحكام  
الاسلامية مقتضية  
تسوية جميع الناس  
في العدل  
والانصاف

« مطلب »

ترتيب عمد  
الدوائر  
والمشورات البلدية

النواحي أملاكهم وأنفسهم بالاموال ومنهم من اشترى الامتياز بحق تنصيب شيخ من الناحية للمحاماة عن الحقوق الالهية فتمتعوا من ذلك الوقت بالازايا الالهية والحقوق المدنية وتمسكوا الاملاك وخرجوا من رتبة التبعية وصاروا على تداول الايام يزدادون في القوة بقدر ضعف المتزمين وفقدتهم للنخوة فتواجهت عند الجميع الحرية وصارت ممالك أوروبا بالتمدن حقيقة وحرية

وقد ترتب على اعتناق اغناق الدوائر البلدية وتحرير رقاب النواحي في البلاد الاروباية كما في غيرها من البلاد المتقدمة فاندتان مهمتان ( احدهما ) تمتع أهالي النواحي بثمرات الاكتساب وتحصيل المنافع وتحسين أحوال أهاليها بالثروة والغنى والاخذ في التمدن والتقدم في العمران ( وثانيتهما ) قوة الحكومة وتمكين الدولة حيث صارت جميع النواحي بالملكة تابعة لها مباشرة بدون توسط المتزمين والامراء والاساتيد والكبراء لان النظام العمومي في الدولة انما يتم بوحدة الحكومة واستبدادها بالتصرفات الملكية ورفض مذهب السيادة الارضية وطرح مشعب الالتزامات البلدية ظهريا وبذ طرق تعدد الاحكام المختلفة مكانا قصيا فالملكة المتوحدة يضرها كثرة الاحكام المتعددة

ثم لم تزل النواحي تأخذ في التمكن من التصرفات الرشدية والتقدم في محافظات حقوق الدوائر البلدية بعناية الحكومة الكلية حتى صارت قوية متينة محررة مصونة لان قوة الاجزاء مستلزمة لقوة الكل فتمتع جميع الاهالي اذ ذاك بثمرات مهارتهم الصناعية وآثار براعتهم الزراعية ومن المعلوم ان الشريعة الشريفة من صدر الاسلام ناطقة بما هو أقوى من ذلك

## المحلية من المزايا الخصوصية

وفي الازمان السالفة قبل تقدم الجمعية في البلاد الاروبية وقبل أخذها من التمدن بالحظ الاوفر كان أكثر أهالي حكوماتها ملتزمين وأمرأ كبار مستقلين بتملك الدوائر البلدية والاراضى الزراعية يملك الواحد منهم القسم بتمامه ويستبد فيه برأيه وتنفيذ أحكامه ويدفع خراجا مقررًا للرئيس الحكومة الكبيرة فكان هؤلاء الملتزمون والأمراء مستبدين بما تحت أيديهم من المدن والقرى والبلاد ومستعبدين لما فيها من الفلاحين والاهالي والعباد وفي مقابلة ذلك يدفعون الخراج المقرر المعلوم لولاة الامور بشرط اتباع القوانين المعلومة والاصول والرسوم فكانت النواحي تابعة لهؤلاء الاساتيد الملتزمين التابعين تبعية ضعيفة لملوكهم مع مبارزتهم لهم بالمشاحنات في كل وقت مثل ما كان جاريا بالديار المصرية في عهد المماليك

فلما دعت الحروب الصليبية والغزوات الافرنجية في البلاد المشرقية الاسلامية الى سفر رؤساء الجيوش بأنفسهم الى هذه الحروب وكانوا هم أرباب الالتزام واقتضى الحال أن يأخذوا من التزاماتهم ما قدروا عليه من الاموال والنفوس لحرب الاسلام وكانوا أرباب حمية قوية وغيرة دينية وطالت أزمنة الغزو والقتال للتعاقب على القدس الشريف العزيز المنال مع كثرة الانفاق لطول الشقاق وتبصرهم في ادخال محاسن التمدن المشرقية في بلادهم المغربية وتعلمهم من الاسلام ما حسن بلادهم وانفاقهم النفقات الجسيمة في الحصول على ذلك كله مددا مديدة فتضعف بهذا من جهة المعاش حالهم وضاعت في الازمان المختلفة أموالهم ورجالهم وعمتهم لضرورة الحروب القافة وعجزوا عن الاطاقة واضطروا الى بيع الاراضي والرجال فاشترى منهم أهل

« مطلب »

تحكيرا للتميزين  
في اور، ما قدما  
على الاراضي  
والفلاحين

« مطلب »

ما نتج في اور  
من الحروب  
الصليبية لاخذ  
القدس الشريف  
وغيره من بلاد  
الاسلام

أودها فاختر أهل هذه الدائرة لهذه الوظيفة أعقل العشيرة وانورهم بصيرة  
 وكانوا في مبدأ الامر يختارون بالرغبة والطوع لمثل ذلك شيخا من شيوخ  
 الاهالى الطاعنين في السن ممن أفادتهم كثرة التجارب المعلومات القوية  
 والهيبة والوقار ويجعلونه كبير الناحية ومن المعلوم ان من طعن في السن  
 يطلق عليه اسم الشيخ فلذلك قيل لهذا الشيخ شيخ البلد أو شيخ الناحية  
 أو شيخ الحارة وقيل للبلد وللناحية وللحارة مشيخة فاستمر الحال على هذه  
 التسمية حتى انتظمت النواحي في الحكومات وانخرطت في سلك الممالك  
 وصارت أجزاء لكل أو جزئيات لسكليات وبقي اسم الشيخ دالا على كبير  
 القوم أي ما كان عمره

مطلب  
 سبب تلقب  
 رئيس الناحية  
 بشيخ البلد

ثم بتداول الازمان وترتيب البلدان وانضمام عدة أقاليم أو مدن تحت  
 رئاسة واحدة تنظمت النواحي تنظيما رسميا تابعا لانقسام البلاد الى ممالك  
 والممالك الى ايلات والايالات الى كور أو مديريات والمديريات الى أقسام  
 والاقسام الى أخطاط والاختاط الى نواحي ودوائر بلدية أو الى مدن  
 والمدن الى اجزاء وسمى شيخ المملكة سلطانا أو ملكا أو رئيس جمهورية  
 وسمى حاكم الایالة والیا أو أميرا وحاكم المدينة محافظا أو مأمورا وحاكم  
 المديرية مديرا وهكذا وحاكم البلد شيخ البلد أو عمدة وهكذا على حسب  
 عرف كل بلاد واختلفت الاسماء باختلاف عرف الاقاليم والنواحي والمسمايات  
 متحدة

فقد تأسست كلية الحكومة على عمد نواحيها ومعاونيهم فهم أعضاء  
 لجسد الحكومة وجميع الخدمات المحلية محالة على عهدتهم واعتماديتهم حتى  
 ان القوانين قد ترتبت في الحكومة بحسب دوائرها البلدية واقتضاء مواقعها

والدعوى والبيانات والاقضية فالحقوق المدنية المذكورة هي حقوق أهل العمران بعضهم على بعض لحفظ أملاكهم واموالهم ومنافعهم ونفوسهم واعراضهم ومالهم وماعيلهم محافظة ومدافعة ويتفرع من حقوق المملكة العمومية أى السياسة والادارة المملكية ومن الحقوق المدنية الشخصية فرع آخر من الحقوق يسمى بحقوق الدوائر البلدية يعنى حقوق النواحي والشيخوخة البلدية فهذه الحقوق تتعلق بالامتيازات الخصوصية لكل ناحية

« مطلب »  
حقوق الدوائر  
البلدية التي هي  
فرع من المراتب

ثم ان الدائرة البلدية والناحية والشيخوخة الفاظ مترادفة في عرف الادارة على معنى واحد فحقوق الدوائر البلدية الامتيازية هي استقلال النواحي بالتصرفات الرشدية يعنى استقلال كل ناحية بتحسين نظامها من حيث خصائصها البلدية وحال أهاليها واستبدادها بحفظ مصالحها الخاصة بها تحت ظل الحكومة وهي مجموع قرية أو حارة أو أكثر صارت ناحية لما فيها من الروابط والعلاقات الخصوصية التي استدعتها المنافع العمومية فهي جزء من المملكة الكلية امتازت من اجزاء مملكتها بالمزايا الخصوصية البلدية كاختصاصها بأسواق دورية ومواسم سنوية وعوائد محلية وعمائر خيرية ثم ان تكون النواحي سابق الوجود على تكون الحكومات واقدم منها في التجمعات التأسيسية فالنواحي أصل الممالك فقد كانت النواحي مشيخات صغيرة مستقلة منفرد بعضها عن بعض على قرية أو أكثر أو على بندر أو مدينة بوصف دائرة بلدية وكان الحامل لاهلها على الاجتماع والاتحاد اقتضاء الحاجة الانسانية للناس والتعيش والتحفظ حيث أحسوا باحتياجهم الى ادارة داخلية لدائرهم فاحتاجت تلك الادارة الى عمل ومحافظة وحسن تدبير وملاحظة فاستدعي الحال الى رئيس يقوم بادارة تلك الدائرة ويسوس امرها ويقوم

« مطلب »  
سبق تكون  
الدوائر البلدية  
على تكون  
الحكومات  
والممالك



الحديث الشريف الراحون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من  
في السماء وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتي  
فارحموا عبادي وقيل في هذا المعنى

ان كنت لا ترحم المسكين ان عدما ولا الفقير اذا يشكو لك العدما  
فكيف ترجو من الرحمن رحمته وانما يرحم الرحمن من رحما

(وقال اخر)

ابغ للناس من الخير كما تبغى لنفسك  
وارحم الناس جميعا انهم أبناء جنسك

وأما الرعية فهم طبقات متكاثرة فينبغي للملك ان يحسن تربية رعيته على  
اختلافهم ويهذب اخلاقهم بالآداب الحسنة وان يحمل أرباب الزراعة والتجارة  
والعمارة على تأدية حرفهم جميع حقوقها وينهاهم عن استنفاد الذهب والفضة فيما  
لا يحل كالأواني والأطواق واللجم والمناطق لئلا يضيق عليهم أمر المعاش  
بمعنى انهم لا يستعملون التقدين في الاشياء المستغنية عنهما فان الملوكة المتقدمين  
كانوا لا يفعلون ذلك هم ولا رعاياهم فكثرت في أيامهم النقود والخيرات وينبغي  
ان يشوق المحترفة بالعطايا والمسكافات وشمول النظر والمساحات حتى يتسابقون  
الى تكثير مصنوعاتهم وهكذا كل طبقة

« مطلب »  
الكلام على  
الرعية وما يفعله  
الملك لاصلاحهم

وبسط الكلام على عموم الرعية ان يقال ان لهم حقوقا في المملكة تسمى  
بالحقوق المدنية يعنى حقوق أهالي المملكة الواحدة بعضهم على بعض وتسمى  
بالحقوق الخصوصية الشخصية في مقابلة الحقوق العمومية وهي عبارة عن  
الاحكام التي تدور عليها المعاملات في الحكومة وهذه الحقوق في كتب الفقه  
عبارة عن المعاملات والانكحة والفرائض والوصايا والحدود والجنايات

« مطلب »  
حقوق الرعية  
السماة بالحقوق  
المدنية اي حقوق  
أهالي المملكة  
الواحدة بعضهم  
على بعض

بالصفح عنه حكم أمر الملك قال له القاضي لقد صدر أمر الملك بالعفو عن  
ذنبك فاذهب سريعا فقد ارتفع عنك العقاب وبقي عليك الوزر (وقال)  
قاض آخر لا انسان آخر قتل شخصا بالسم وحكمت عليه المحكمة بعقوبة  
القتل تخففها الملك باستبدال القتل بالليمان اذهب الي الليمان لتزعج أهله فقد  
قدم عليهم معتدا أثم قبيح الفعال ليصاحبهم فلا شك انهم ينفرون منك  
كل النفور

« مطلب »  
كون صفح المر  
لا يكون في  
حقوق العباد  
وفي الممالك المدققة في الاحكام العدلية لا يصفح الملك عن الجاني في  
الغالب الا في ذنب الخوض في الناموس الملوكي أو في الصغائر الخاصة  
بالسياسة الملوكية ولا يتجاوز الملك عن المتعمد في شيء بالنسبة لحقوق العباد  
المبنية على المشاحة فلا يمنع حدود الله ولا يصفح عن القاتل لشخص له ورثة  
أبدا لان الديه أو القود حقهم ومع صفح الملك عن الجاني فلا يبطل تحقيق  
الدعوى المقامة في شان الجناية فان حقوق الملك انما هي تخفيف عقاب المذنب  
نظرا للنفوذ الملوكي والناموس السلطاني المبني على الشفقة والرحمة فليس من  
المصلحة عفو عن الذنب قبل ظهوره ولا اظهار ذلك للمحاكم قبل التحقيق  
لان ذلك يفضي الى ستر الحق وله في حقوق الحكومة اذا حصلت فتنة عمومية  
وخمدت نارها وظهر رؤساء الفتنة وبان المفسدون ان يخبر المجالس المحكومية  
المقامة فيها قضاياهم بأنه قد عفا عن الجنب السياسية وكذلك اذا حصل اتهام  
للمستخدمين في الاموال الميرية باختلاس او اهمال وكان عليهم تحقيق  
أو محاسبة أن يسامحهم مما اتهموا به ويحلى سبيلهم

« مطلب »

في أن عفو الملو  
مطلوب لكونه  
أولى بالتخلق  
بأخلاق الرحمن

وبالجملة فحق العفو من الملوك الذين هم خلفاء الله في أرضه على عباده مبني على  
وجوب التخلق بأخلاق الرحمن أي الاتصاف بصفاته كالأفة والرحمة والحلم وفي

وهذه المزية الجلية لا ثقة بما ينبغي ان يكون عليه الملك من الرأفة والرحمة  
والحلم فان الحلم يجب ان يكون من الاوصاف الذاتية للملوك وليس لهذا  
الحلم المطلوب حد محدود ولا قيد مخصوص بل على اطلاقه وعمومه في حقه  
ومفوض فيه أمره اليه وانما ضابطه ان يكون لرعيته بمنزلة الوالد في الشفقة  
على أولاده وان حدث في الرعية حادث فليتداركه بلطفه وتديره لئلا يتسع  
الخرق على الرافع فان أصابهم خلل في أمر المعيشة من الطعام والشراب  
والكسوة والدواب أو في الذهب والفضة فانه يوسع عليهم ويلم الشعب  
الحادث بهم كما فعل السلطان الغازي محمود بن سبكتكين سلطان غزنة فانه  
لما اجذبت رعيته وكان له طعام فقال بعض وزرائه ينبغي ان يعطي لهم ثمن  
عدل فقال لا بل نوسع لهم ونصدق به عليهم فانهم رعيتنا لا ينبغي ان نأخذ  
منهم شيئا ولا يستحسن منا ان نكون في الرخاء ورعيتنا في الشدة والغلاء ثم  
أمر حتي أفيض عليهم فان ضاقت البلدة بالرعية وشق عليهم المقام في ازدحامهم  
فليزد في البلد فان لم يمكن فليقل من البلد جانبا من الاهالي الى بلد آخر فهذا  
هو الملك الحليم العادل

• مطلب •  
كيف الحليم  
انفسه للملوك

• مطلب •  
ان صفح الملك  
الجاني يحجو  
المقوبة ولا  
يحجو الذنب

ويجوز له ان يبذل حاميته الى مالا نهاية فلا يليق الاستفسار منه عن  
الاسباب الحاملة له علي الصفح عن الجاني في حالة ما اذا صفح عنه ولا عن  
عدم الصفح في حالة ما اذا لم يصفح وانما اللائق في حقه في حالي العفو  
والعقاب ان لا يتجاوز في ذلك الحد حفظا لناموس الشريعة وصونا لحدود  
الله من التعطيل ومحافظة علي ابقاء قوة السياسة الشرعية الضامنة للامن العام  
ومنعا للتجري وتعدي الناس بعضهم على بعض ولهذا لما صدر من بعض  
الملوك الصفح عن بعض الجانين وحضر الجاني أمام القاضي ليصدر له الامر

وهو من خصائص الوزراء ونظار الدواوين وغيرهم فالنفوذ الملوكي هو الترتيب والإمر بالنفوذ الاجرائي لمن يجريه فهو حق محترم لا مسؤولية فيه على الملك ولا يكون لغيره فكيف وهو رئيس المملكة وأمير الجيوش البرية والبحرية وقائدهم الاول وعليه مدار الامور الملكية والعسكرية الداخلية والخارجية وهو الذي يقلد المناصب العمومية لمن يستحق باصدار أوامره فيها ويرتب الوظائف وينظم اللوائح المبينة لطرق اجراء الاصول والقوانين ويأمر بتنفيذ الاحكام الصادرة من ديوانه ومحاكمه ومجالسه وله الرياسة على امانة دين مملكته وله الحق في ان يمنح المناصب والالقباب العالية وأن يعطي عنوان الشرف ونيشانه

واذا أمر المجالس بتنظيم لوائح فانها لا يجري مفعولها ولا يعتد بها الا اذا صدق على نفس اللوائح وعلى ترتيب الجزاء على من خالفها وترتيب الجزاء على مخالفة القوانين هو ما يسمى تقرير القوانين وترسيخها فانها بدون ترتيب الجزاء ليس على مخالفتها لوم

وأما وظائف المجالس الخصوصية ومجالس النواب فليس من خصائصها الا المذاكرات والمداولات وعمل القرارات على ما تستقر عليه الآراء الاغلبية وتقديم ذلك لولي الامر وكذلك من خصوصيات ولي الامر نشر القوانين واجراء مفعولها من يوم نشرها ومن المزايا الملوكية ما يسمى حق الصفح عن الجانين وهو أجل المزايا الثلاثة بالمنصب الملوكي وهو ان له الحق في الصفح عن العقوبة المترتبة على الجاني الذي جنائته من قبيل وخلق الانسان ضميما أو تخفيف جزاء هذه الجناية فان العظيم يعفو عن الذنب العظيم وكذلك له ان يسامح من جزاء المذنب بالصغار وان يقبل توبة من يتوب

« مطلب »  
وظائف المجالس

« مطلب »  
كون ذاب  
المنصب الملوكي  
الصفح عن الجاني  
أو تخفيف  
العقوبة عنه



لست بعدهم من ذراريهم وخلفهم من الاجيال الآتية فان المؤرخ يذكر  
للأمة أخبار ملوكها فينتقل من العين الى الأثر ومن البيان الى الخبر فيبحث  
محاسن الملوك ومثالبهم ليعتبروا فداب الملك العاقل أن يتبصر في  
العواقب وأن يستحضر في دائم أوقاته وفي حركاته وسكناته ان الله سبحانه  
وتعالى اختاره لرعاية الرعية وجعله ملكا عليهم لا مالكا لهم وراعيهم يعني  
ضامنا لحسن غذائهم حسا ومعنى لا آكلأ لهم وانه تعالى خصه بمزايا جليلة  
اولها انه خليفة الله في أرضه على عباده وقد أمر الجميع بالعدل والاحسان  
وما بعده حيث قال جل من قائل ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية  
فأمورية العدل أول واجبات ولاية الامور وهو وضع الاشياء في مواضعها  
واعطاء كل ذي حق حقه والمساواة في الانصاف بميزان القوانين وأفضل  
الازمنة أزمنة أئمة العدل قال تعالى وأقسطوا ان الله يحب المقسطين وقال  
صلي الله عليه وسلم ان الله يحب العدل وقال بعض الحكماء اذا نطق لسان  
العدل في دار الامارة فهو بشرى لها بالعز وعلى السعادة أمانة فتدير الملوك  
أمر العباد والبلاد بالعدل ارفع لذكركم وأعلى لقدركم (وسأل) الاسكندر  
حكماؤه أهل بابل هل الشجاعة عندكم أبلغ أو العدل فقالوا اذا استعملنا العدل  
استغنينا عن الشجاعة فالى العدل انتهت الرئاسة الكاملة والمملكة الفاضلة  
ومن مزايا ولاية الامور أيضا ان النفوذ الملوكي بيدهم خاصة لا يشاركهم فيه  
مشارك وهذه المزية العظمى تعود على الرعية بالفوائد الجسيمة حيث ان  
اجراء المصالح العمومية بهذه المثابة ينتهى بالسرعة لكونه منوطا بارادة  
واحدة بخلاف ما اذا نيط بارادات متعددة بيد كثيرين فانه يكون بطيئا  
وهذا النفوذ الملوكي القضائي غير النفوذ الاجرائي الذي هو مباشرة العمل

« مطلب »  
ان نفوذ ولاية  
الامور يعود  
على الرعية  
لفوائد الجسيمة



قال أهل السنة والجماعة ان العقل في القلب وله شعاع متصل بالدماع  
فالقلب يطمئن للعمل الصالح طمأنينة تبشره بأمن العاقبة فصاحب هذا  
العمل قضى له قاضى الذمة بأنه محق في عمله بخلاف العمل السيء فإنه يورث  
القلب تنديما وحسرة ويكسبه ملامة تنذره بسوء العاقبة فصاحب هذا العمل  
السيء قضى عليه قاضى الذمة بأنه آثم مبطل في عمله ولذلك قال صلى الله عليه  
وسلم لوابيعة بن معبد لما أتاه في وفد جئت تسأل عن البر البرما اطمأنت  
اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر  
فاستفت نفسيك وإن أفتوك الناس وأفتوك وسبب ذلك أيضا ان الله سبحانه  
وتعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركز في الطباع محبته  
ومن ثم ورد حديث كل مولود يولد على اصل الفطرة قال ابوهريرة اقرؤا  
ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وهذا يؤيد قول بعضهم ان عمل القلب ان  
كان خيرا أو شرا كصدى الصوت في الجبل يعود على القلب برنة الخير  
أو الشر وهو معنى قولهم كاد المرتاب أن يقول خذنى

فدومة الملوكة كذمة غيرهم تتأثر بالانبساط من الخير والانقباض من  
الشر فالذمة حكم عدل تنفر غالبا من الظلم والجور فهي عنوان الخوف من الله  
تعالى في كونها تحمل الملوكة على العدل ومما يحملهم على العدل أيضا وحاسبهم  
محاسبة معنوية الرأي العمومي أى رأي عموم اهل ممالكهم أو ممالك غيرهم  
ممن جاورهم من الممالك فان الملوكة يستحيون من اللوم العمومي فالرأي العمومي  
سلطان قاهر على قلوب الملوكة والا كابر لا يتساهل في حكمه ولا يهزل في  
قضائه فويل لمن نفرت منه القلوب واشتهر بين العموم بما يفضحه من العيوب  
ومما يحاسب الملوكة أيضا على العدل والاحسان التاريخ أي حكاية وقائعهم

« مطلب »

كون الراي  
العمومي بحمل  
ولاية الامور  
على العدل  
والاحسان

لحفظ حرمة الملك فان بت الحكم في عهد الملك أثر نتائج أفكاره أو ثمره أو امره ونواهيته وتصديقه عليه فهو منسوب الى المنصب الملوكي فلا يسوغ نقضه وقد كان للمنصب الملوكي في أول الامر في اكثر الممالك انتخابيا بالسواد الاعظم واجماع الامة ولكن لما ترتب على أصل الانتخاب ما لا يحصى من المفاسد والفتن والحروب والاختلافات اقتضت قاعدة كون درء المفاسد مقدما على جلب المصالح اختيار التوارث في الابداء وولاية العهد على حسب أصول كل مملكة بما تقرره عندها فكان العمل بهذه الرسوم الملوكية ضامنا لحسن انتظام الممالك

ثم ان للملوك في ممالكهم حقوقا تسمى بالازايا وعليهم واجبات في حق الرعايا فمن مزايا الملك انه خليفة الله في ارضه وان حسابه على ربه فليس عليه في فعله مسؤولية لاحد من رعاياه وانما يذكر للحكيم والحكمة من طرف ارباب الشرعيات أو السياسات برفق ولين لا يخطاره بما عسى أن يكون قد غفل عنه مع حسن الظن به لقوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقلنا لمن يارسول الله قال لله وكتابه ولرسله ولائمة المسلمين وعامتهم وايضا للانسان في نفسه محكمة تجري الاحكام على صاحبها وهي الذمة التي هي النفس اللوامة أو المظمنة فهي قاض لا يقبل الرشوة فاذا فعل الملك كغيره مالا يوافق لامته عاقبته نفسه لان نور الحق بسطع في القلب واذا فعل الملك مالا يبنى فعله لا تطمئن نفسه الى ذلك ولا يركن قلبه اليه ولا يفرح به واما فعل الخير فطمئن اليه النفس ويركن اليه القلب وينشرح له الصدر

وبيان ذلك ان القلب مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة وان صدرت عنه ارادة فاسدة تحرك البدن حركة فاسدة فالقلب كالمالك والاعضاء كالرعية ولذلك

• مطالب •  
خصائص الملوك  
فيما يجب لهم  
وعليهم

• مطالب •  
كون الذمة  
محكمة قضائية  
تتبع صاحبها  
وتعاقبه على الخير  
والشر

وكاذب الصبح يبدو قبل صادفه وأول الغيث قطر ثم ينهمل  
(وقال آخر)

رب قليل غدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير  
ثم ان الحكومة التي عبرنا عنها فيما سبق بالقوة الحاكمة هي من مقولة  
النسب والاضافات تقتضى حاكما ومحكوما يعنى ملكا ورعية فلا يفهم الملك  
الابالرعية ولا تفهم الرعية الا بالملك كالأبوة والبنوة فلماذا يجب ان نبين كلا  
منهما مع ما يتعلق به ونبتديء بولاة الامور فنقول  
ولي الامر هو رئيس أمته وصاحب النفوذ الاول في دولته وحاكم متصرف  
بالاصول المرعية في مملكته ولا توجد رعية في مملكة منتظمة بدون راع  
والا ضعفت واختلت وشقى اهلها لعدم من يسعى في اسعادهم بتحسين شؤونهم  
وقد تأسست الممالك لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الاحكام والحرية وصيانة  
النفس والمال والعرض على موجب احكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية  
فالملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين

ولما كانت السياسة جسيمة لا يقوم بها واحد اختص الملك بمعالي الاحكام  
وكلياتها وخلع بعض نفوذه في جزئيات الاحكام على المحاكم والمجالس وجعل  
لهم لوائح وقوانين خصوصية ترشدها فاعلمهم ولا يتعدونها قال بعضهم ليست في  
الدنيا جمعية منتظمة ولا مملكة معتدلة الاحكام الا وتكون القوة فيها بالاصول  
العديلية فالاصول العادلة تصون ناموس الدولة عن الملامة ولهذا كان جميع ما امضاه  
الملك السالف من الاحكام واجرى مقتضاه بالفعل والتنجز لا يسوغ لمن جاء  
بعده ان يخذله ويبطل احكامه التي جرى مقتضاها وهذه القاعدة جارية في سائر  
الممالك فخرمة الاصول الملكية بصونها عن نقص ما جرياتها راجعة في الحقيقة

مطلب  
احتصاص الملك  
بمعالي الاحكام  
وكلياتها  
وتفويضه  
جزئياتها لوكلاء

« مطلب »

سبب كتمان  
الاور السياسية  
من العموم  
وجماها من  
اسرار الدولة  
في الازمان  
السابقة

لا ينبغي علمها الا لرؤساء الدولة ونظار الدواوين مع كون لفظ البوليتيكة كان  
معروفا أيضا بمعنى آخر وهو الحيلة والخداع والتدبير مما لا يابق الا بالملكة  
الجائرة وفي هذه الايام جميع الاحكام الملكية مؤسسة على العدل والامانة  
وخلوص النية المتقوم منها الحق وهو أبيض أبلج لا ينبغي الا على الاخلاص  
في القول والعمل وحسن العلاقات بين الراعي والرعية مما يغرس المحبة  
والمودة في قلب الملك ورعاياه بسبب اتباعه الاصول المربوطة وسيره على  
السنن القويم حسب احكام المملكة المشروطة وهي غير مكتومة ومن  
المعلوم ان الملك الذي يحب رعاياه يحب تقدمهم في المناصب الملكية  
للاستعانة بأرائهم التي هي في حقه ضرورة فهو أحق باصطفاء رجاله منه  
باصطفاء امواله لانه مع استبداده بالنهي والامر وسدو المقام وجلالة القدر  
لا يكتفي بالوحدة ولا يستغنى عن الكثرة فثله كمثل المسافر في الطريق  
البعيد يجب ان تكون عنايته بفرسه المجنوب كعنايته بفرسه المراكب ومن  
احب المقاصد والنتائج سهل الوسائل والمقدمات وأيضا من البديهي ان  
للانسان حقوقا وعليه واجبات فطلبه لحقوقه وتأديته لواجباته على الوجه  
الاكمل يقتضيان معرفة الحقوق والواجبات ومعرفة ما متوفقة على فهمهما  
وفهمهما عبارة عن معرفة قوانين الحكومة التي هي السياسة فالذي لا يريد  
خدمة الحكومة هو أيضا مثل المستخدم فيها لمعرفة قوانينها

« مطلب »

صدور الاوامر  
لخدمية بقيد  
اناء وجوه  
لأس بوظيفة  
ماونين ليمرنوا  
على الاحكام

وقد تجدد في مديريات مصر في هذا العهد الاخير مبادي ما اشرنا  
اليه وهو صدور الاوامر الخديوية بجلب من يرغب من ابناء الهمد ووجوه  
الناس الى دواوين المديريات ليمرنوا على تعليم الاحكام والادارة لتوظيفهم  
فيما بعد في الوظائف الادارية ونعمهم كمال النفع للحكومة قال الشاعر

الاسلامية مقام الزكاة المعطلة وكذلك ليعرف الاهالى أسباب ايجاب  
الحكومة عليهم ان يتنازلوا عن شىء من أملاكهم وعقاراتهم عند الاقتضاء  
واحتيال الحكومة لذلك للمصلحة العمومية كتوسيع الطرق وما أشبه ذلك  
من العمليات التنظيمية فإذا ارتكز في أذهان الصبيان من زمن شبوبيتهم  
أصول هذه السياسات الشرعية وفروعها وأسباب والمسببات سهل  
عليهم عند بلوغ الرشد والوصول الى كمال الرجولية اجراء مفعولها وهل هذا  
التعليم الا إيقاف أهل الوطن على معرفة حقوقهم وواجباتهم بالنسبة لاملاكهم  
وأموالهم ومنافعهم ومآلهم وما عليهم محافظة على حقوقهم ودفعاً للتعدي عليها  
فاللائق ان يكون بكل ناحية معلم لمبادئ الادارة ومنافع الجمعية العمومية في  
مقابلة ما تدفعه الجمعية للحكومة فان هذا التعليم مع تقديمه للشخص المتعلم له  
تأثير معنوي في تهذيب الاخلاق ومنه تفهم الاهالى ان مصالحهم الخصوصية  
الشخصية لا تتم ولا تتجزأ الا بتحقيق المصلحة العمومية التي هي مصلحة  
الحكومة وهي مصلحة الوطن فتدعن نفوسهم بأن الفوائد الخصوصية  
ليست في حد ذاتها مضمونة الحصول الا في ضمن الفوائد العمومية المذكورة  
وأيضاً مما يقتضي لياقة تعليم مبادئ الادارة بالنواحي كون قانون الحكومة  
لا يمنع من جواز استخدام أحد من الاهالى لاستخدامه في الملكية لا سيما  
منصب المشيخة البلدية كما سيأتي ذكره يستدعي سبق معرفة بأصولها والا  
ترتب على استخدام الجاهل بها من السقاية ما لا يخفى وإنما العلم بالتعلم لا سيما  
أيضاً مع تجديد جمعيات الانتخاب ومجالس النواب  
وكان المانع لتعلم البوليتيكة والسياسة في الازمان السابقة ما تشبث  
به رؤساء الحكومات من قولهم ان السياسة من أسرار الحكومة الملكية

« مطلب »  
ان استخدام  
الانسان في  
الحكومة

يستدعي سبق  
معرفة بأصول  
وظيفته



غيره كما انه هو الذي ينسب اليه تقنين القوانين حيث يتوقف على أوامره تنظيمها وترتيبها واجراء العمل بموجبها فقد انحصرت فيه القوي الثلاثة التي هي أركان القوة الحاكمة

« مطلب »  
علم تدبير المملكة

ثم ان الاصول والاحكام التي بها ادارة المملكة تسمى فن السياسة الملكية وتسمى فن الادارة وتسمى أيضا علم تدبير المملكة ونحو ذلك والبحث في هذا العلم ودوران الالسن فيه والتحدث به والمنادمة عليه في المجالس والمحافل والخوض فيه في الغازيات كل ذلك يسمى بوليقيقة أي سياسة وينسب اليه فيقال بوليتيقي أي سياسي فالبوليقيقة هي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلائقها وروابطها فقد جرت العادة في البلاد المتمدنة بتعليم الصبيان القرآن الشريف في البلاد الاسلامية وكتب الاديان في غيرها قبل تعليم الصنائع وهذا لا بأس به في حد ذاته ومع ذلك فبإدنى العلوم الملكية السياسية التي هي قوة حاكمة عمومية وفروعها مهمة في الممالك

« مطلب »  
ان البوليتيقة هي العلم بالسياسة واحوال الناس

والقري بالنسبة لآبناء الاهالي مع ان تعليمها أيضا لهم مما يناسب المصلحة العمومية فما المانع من ان يكون في كل دائرة بلدية معلم يقرأ للصبيان بعد تمام تعليم القرآن الشريف والعقائد ومبادئ العربية مبادئ الامور السياسية والادارية ويوقفهم على نتائجها وهو فهم اسرار المنافع العمومية التي تعود على الجمعية وعلى سائر الرعية من حسن الادارة والسياسة والرعيا في مقابلة ما تعطيه الرعية من الاموال والرجال للحكومة ويفيدهم أسباب ايجاب الحكومة على الاهالي ان تخدم وطنها بنفسها خدمة شخصية في العسكرية واسباب الزام الاهالي بدفع حصة مخصصة من أموالهم بوصف خراج أو ويركو أو عوائد أو نحو ذلك من جبايات الحكومة القائمة في الدول

« مطلب »  
استصابة تعليم ادارة الحكومة لآبناء الاهالي في صغر سنهم

من لطف الله تعالى بعباده أنه أجرى عادته في كل زمان ان ينصب في الارض  
من ينصف المظلوم من الظالم ويردع أهل الفساد عن المظالم ويصنع للرعية  
جميع المصالح ويقابل كل أحد بما يستحقه من صالح وطالح

« مطلب »

احتياج الانتظام  
العمراني الى  
قوتين قوة حاكمة  
وقوة محكومة

فقد استبان من هذا احتياج الانتظام العمراني الى قوتين عظيمتين  
احدهما القوة الحاكمة الجالبة للمصالح الدارئة للمفاسد وثانيهما القوة  
المحكومة وهي القوة الاهلية المحرزة لسكمال الحرية المتمتعة بالمنافع العمومية  
فيما يحتاج اليه الانسان في معاشه ووجود كسبه وتحصيل سعادته دنيا وأخرى  
فالقوة الحاكمة العمومية وما يتفرع عليها تسمى أيضا بالحكومة وبالملك  
هي أمر مركزي تنبعث منه ثلاثة أشعة قوية تسمى أركان الحكومة وقواها  
فالقوة الاولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها وترجيح ما يجري عليه العمل

« مطلب »

أركان الحكومة  
وقواها

من أحكام الشريعة أو السياسة الشرعية الثانية قوة القضاء وفصل الحكم  
الثالثة قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاء بها فهذه القوى الثلاثة ترجع الى  
قوة واحدة وهي القوة الملوكية المشروطة بالقوانين لان القوة القضائية انما  
هي في نفس الامر راجعة للملك لان القضاء نواب ولي الامر على المحاكم وما أذنون  
منه فهو الذي يقلد القضاء بالولايات القضائية وحكام المجالس أي قضاتهم بالأحكام  
الشرعية أو السياسية الشرعية وينتخب لكل ولاية قضائية أو مجلس من يرى  
فيه الاهلية لذلك على موجب أصول المملكة المرعية فالقضاء في الحقيقة من  
حقوق ولاية الامور والقضاء خلفاؤهم في مباشرته ولذلك كانت أحكام القضاء  
التي على طبق الشرع لا تنقض لاعتبار اذن ولي الامر بها ضمنا من حيث  
فصل الحكم فرجعت هذه القوة الى الملك وكذلك قوة تنفيذ الاحكام بعد  
قطع الحكم فيها فانها حق خاص بولي الامر من أول وهلة لا يشاركه فيه

## ( خاتمة )

وهي ان شاء الله تعالى حسنة فيما يجب للوطن الشريف على أبنائه من الامور المستحسنة  
وفيها أربعة فصول

وذلك لان أهل الوطن اربع طبقات فالطبقة الاولى ولاية الامور  
والطبقة الثانية طبقة العلماء والقضاء وأمناء الدين والطبقة الثالثة الغزاة والطبقة  
الرابعة أهل الزراعة والتجارة والصناعة فلهذا كانت الخاتمة مرتبة على أربعة فصول

## الفصل الاول

( في ولاية الامور )

وظيفة ولاية الامور من أعظم واجبات الدين وأهم أمور المتوطنين فهم  
قوام الدين والدنيا وعليهم في حركة الاعمال مدار البركة العليا وبدونهم يختل  
نظام العالم لوجود المفسدين من بنى آدم فلولوا ولي الامر لما قدر العالم على  
نشر علمه ولا الحاكم الشرعي والسياسي على تنفيذ حكمه ولا العابد على عبادته  
ولا الصانع على صناعته ولا التاجر على تجارته ولولا هم لانقطعت السبل  
وتمطت الشغور وكثرت الفتن والشرور ولولا ردع الملوك لتغلبت الناس  
وتهاجرت وطمع بعضهم في بعض واستولى الاقوياء على الضعفاء وتمكن  
الاشرار من الاختيار فيضطرون الى التشرذم والتفرد وفي ذلك خراب البلاد  
وفناء العباد فالملك كالروح والرعية كالجسد ولا قوام للجسد الا بروحه ولكن

موفورا وفقيرهم محبوبا (أى مسرورا) قال عمر الله أكبر لو كانت لا تتم  
 خصلة من هذه الا بفقد عضو من أعضائى لكان ذلك يسيرا  
 وبالجملة فالسعى فى أداء الحقوق الوطنية منحة الهية يمنحها الله سبحانه  
 وتعالى من يصطفيه من خلقه فانها مرتبة جسيمة ونعمة وفيه عظمة فيجب  
 علينا ان نقيدها بشكر المولى سبحانه وتعالى على انعامه بها علينا ولقد كان  
 السلف الصالح كالفضيل بن عياض والامام احمد بن حنبل وغيرهما يقولون  
 لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها لولى الامر لان فى صلاحه صلاح  
 المسامين أصلح الله حال ملكنا وسلطاننا وسائر الملوك والسلاطين آمين  
 وهذا دعاء لا يرد لانه يزان به كل الورى والممالك  
 تراه بلا شك أجيب لانه اذا ما دعونا أمنت الملائك  
 وسيأتي بسط الكلام على سياسة ولادة الامور فى الخاتمة



أو باقتضاء طالع الوقت وعلى التقديرين ليس للطبيب قدرة على أحدهما فانتفت الحاجة اليه ( قلنا ) لو كان الامر كذلك لكان الاكل والشرب وسائر ما به القوام من هذا القبيل فكان يجب تركه لأن المقدر من بقاء الاجل ان كان بدونها فلا فائدة في تعاطيها أو بها لزم ذلك والكل باطل بل تقادير علق الامر عليها كما في محله فكذا الطب وبه جاءت السنة عن أرباب النواميس فقد قال صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذي انزل الداء انزل الدواء وما من داء الا له دواء الى غير ذلك فقليل له أيدفع الدواء القدر فقال صلى الله عليه وسلم الدواء من القدر انتهى

ونتيجة هذه المسئلة ان مباشرة الاسباب من هذا القبيل والتشبث بتصحيح الاعمال تطيب للنفس وتعليل والملوك في الظاهر حكام وفي الباطن حكماء يقال انه كان بين يدي الاسكندر كرة مثمرة من الذهب وضعها له الحكيم أرسطاطاليس على كل جهة منها كلمة سياسية تتعلق كل واحدة بالآخرى لتكون بين يديه يلقاها في حركاته ويعمل بما فيها وهي هذه العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان يحفظها السنة السنة شريفة يحوطها الملك الملك راع يعضده الجند الجند اعوان يكلفهم المال المال رزق تجمعهم الرعية الرعية خدام يتعبدهم العدل العدل مألوف وبه صلاح العالم تحقيق لمن قلده الله أمر عباده وبلاده ان يعطف عليهم ويعدل فيهم وينصف ضعيفهم من قوبهم ويساوي في الحق بين شريفهم ومشروفهم ويتدى أولا بالانصاف من نفسه وولده وأهله وخاصته فالناس على دين الملك كما قيل بمعنى أنهم يتبعونه في أحواله وأفعاله ولذلك لما قدم بريد من الشام على عمر بن عبدالعزيز فقال له كيف تركت الشام قال تركت ظالمهم مقهورا ومظلومهم منصورا وغنيهم

« مطاب »  
الصورة المثلثة  
الشكل التي كانت  
عند اسكندر  
والمكتوب على  
اضلاعها من المسائل  
لسياسية الحكيمية



والمراد من الاسماء الخمسة أبوك وأخوك وحموك المرتجى نعمهم ونجدتهم  
 عند الشدائد وهنوك وهو كناية عن الشيء وفوك وهو الفهم والمراد الفصاحة  
 والبلاغة وسادس الاسماء ذو مال وهو سيدها فذو المال اقرب لاكتساب  
 المعالي لذويه ولوطنه وان يقلده قومه ويتبعوه في ذلك

تناهض القوم للمعالي لما رأوا نحوها نهوضي

فكل ما يتمناه المتعنى بلسان الاستعداد وشهادة الاستحسان والرشاد من  
 المراتب الباهية والمناصب الزاهية والمقاصد السنية والموارد الهنية والعدة والجاه  
 بلغ فيه رجاؤه فطمع نظر مصر الآن التبصر في تكميل وسائل التمدن والتحصن من  
 باب احسان العمل وقد قال تعالى انا الاناضيع اجر من احسن عملا وقال صلى الله  
 عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شيء فباشرة الاسباب مظنة الانجاب  
 ولذلك أوصى بعض الصالحين بعض أرباب الفلاحة بقوله لا تدعي غرس أرضك  
 وان سمعت بخروج الدجال فالاسباب لا تنكر (وقال) داود البصير بمناسبة  
 ذكر الاسباب ان قيل اذا كان الطب حافظا للصحة دافعا للمرض فالواجب البقاء  
 وعدم اختلال البنية خصوصاً من نفس الطيب ونحن نرى الحكماء فضلا عن  
 غيرهم يرضون ويموتون فلا فائدة حيثئذ في الطب قلنا ليس على الطيب منع  
 الموت والمهرم ولا تبليغ الاجل المطول ولا حفظ الشباب لعدم قدرته على ضبط  
 ما ليس اليه أمره كتغيير الهواء ووروده في الاغذية من حيوان وغيره ومشقة  
 الاحتراز في تعديل أمور الماء كل والمشرّب وغيرها وعدم إمكان جلب  
 الفصول على طبائنها الاصلية فقد يتقلب كل منها الى الآخر وانما عليه اصلاح  
 ما امكن من دفع طارئ مناف وحفظ صحة الى الاجل المعلوم (وان قيل) موجبات  
 الموت والحياة ولوازمها اما ان تكون بتقدير الصانع ايجابا وسلبا كما هو الحق

مطلب  
 ان زينة الاسماء  
 الخمسة سادسها

مطلب  
 ان مطمع نظر  
 مصر التمدن  
 بالاعمال الراجحة

مطلب  
 ان تماطى  
 الاسباب لا ينافى  
 التوكل ولا ينافى  
 القضاء والقدر

اني لاهوى ازا كون لصاحبي غيشا وغوثا في النداء والباس

واذا اكتسى ثوبا جميلا لم اقل ياليت هذا الثوب كان لباسي

وهذه السياسة في الغالب لا يحسنها الا اشراف الناس كما قيل

لعمرك ما الاشراف في كل بلدة وان عظموا الا لفضل صنائع

الخامس السياسة الذاتية وهي تفقد الانسان أفعاله واحواله واقواله

واخلاقه وشهوته وزمها بزمام عقله فان المرء حكيم نفسه وبعضهم يسميها

بالسياسة البدنية قال الشاعر

تعلمت فعل الخير من غير أهله وهذب نفسي فعلمم باختلافه

أرى ما يسوء النفس من فعل جاهل فأخذ في تأديبها بمخلافه

وما أخرى من الملوك من يتسك بهذه السياسات الخمسة لينزه بها وطنه

عن النقائص ويحلي بها نفسه لان تفاضل الانفس انما هو بقدر تحصيلها من

الفضائل التي يظهر بها التفاوت في القيم وذلك بمقدار ترفع الهمم والكيس

من ينافس في تحصيل النفيس والانفس ليتوصل الى درجة الكمال فيما هو

أصون لحفظ الناموس وأحرص

من يستطيع بلوغ أعلى رتبة ما باله يرضى بأدنى منزل

ومن العار على كامل التميز ان يطلب رتبة دون الرتبة القصوى وأن يقصر

عن الوصول الى وصال سعدى وعلوى وأما قول الشاعر

والنفس راغبة اذا رغبها واذا ترد الى قليل تقنع

فهو قول من يقنع بالدون ويرضى بصفقة المغبون وما أحسن ما قاله بعضهم

ان الغني لشهاب كلما اعتكرت دجى الكروب جلاعها حنادسها

لا تنفع الخمسة الاسماء محدقة لديك الا اذا ما كنت سادسها

« مطلب »  
مدح حب العالي  
بعدم الارتفاع  
بالدون

العمل بها من الفرض وهي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم  
ومما أخرجناكم من الارض يعني من التجارة والزراعة فسياسة الحكومة  
الحالية الالتفات الى جذب النفوس الى هذه المنافع العمومية من أعجب  
التأثيرات العصرية وفي الحقيقة

لولا السياسة ما قامت لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا  
فمدار انتظام العالم على السياسة وهي خمسة أقسام الاول السياسة النبوية  
والله يختص بها من يشاء من عباده كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته  
وهو الذي يهدي لاتباعهم من يشاء من فضله بسابق السعادة ولا معقب  
لحكمه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال سيدي محمد وفا

قد كنت أحسبان وصلك يشترى بكرائم الاموال والاشباح  
وظننت جهلا ان حبك هين تفنى عليه نفائس الارواح  
حتى وجدتك تجتبي وتخص من أحبيته بلطائف الامناح  
فجعلت في عشق الغرام اقامتي ولويت رأسي تحت طي جناحي  
الثاني السياسة الملوكية وهي حفظ الشريعة على الامة واحياء السنة والامر

بالمعروف والنهي عن المنكر

الثالث السياسة العامة وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان  
أو على الجيوش وترتيب احوالهم على مايجب من اصلاح الامور واتقان التدبير  
والنظر في الضبط والربط والحسبة

الرابع السياسة المنزلية وهي معرفة كل انسان حال نفسه وتدبير أمر  
بيته وما يتعلق به وقضاء حقوق اخوانه شرعا وفتوة وعرفا كما قال من يميل  
بطبعه الى حب المعروف

الصلاة والسلام فهو ممدوح شرعا فلا بأس أن يتشبه بالوصف به الملوك  
والرعايا

«مطلب»

ما نتج من ثروة  
الحكومة

المصرية واسعادها  
للاهل بهذه

الوسيلة في  
الاحوال

الضرورية

وأقل مزايا غنى الحكومة المصرية انه لما قصرت بلادها عقب آفات  
قسرية كمرت المواشي وقلة المحصول وعز على الاهالى تحصيلها الا بالاثمان  
الغالية من البلاد الاجنبية ولا يتيسر لكل انسان جلبها استجلبها الخديو  
الاكرم بنفوذ يسار الحكومة بالاثمان الثلاثة وصار التوسيع بذلك على  
الاهالى فكان كما قيل

فتي كسما الغيث والناس حوله اذا أجذبوا جادت عليهم سحائبه  
ولقد أحسن من قال

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

فكم له من جدوى على الاوطان في قضاء أوطار وكما استمدت الرعايا  
في هذه الاعصار استمداد الجداول من البحار مما تعجز البقول عن فهم  
كنبه وعن حق أداء الشكر على الانعام به فقد أنجز الله لمصر ما قدره لها  
من السعادة وأبرز في حيز الوجود ما كتبه لها من الحسنى وزيادة

واذا السعادة لاحظت عيونها نعم فالخاوف كلهن أمان  
واصطد بها العنقاء فهي حبايل واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ومع ان كل قسم من أقسام الدنيا له كوكب من الممالك في أفقه مشرق  
فصرنا بأعلى منارها كوكب قسم افريقية وشمس افق المشرق فقد كسيت  
في هذا العهد حلة المهابة والنباهة وخرج أهلها بصقال البراعة واليراعة عن لكنة  
القصور والفهامة واكتسبت الفنون والمنافع حتى صارت ترنو اليها الابصار  
وتومي اليها الاصابع وتوفيق الله تعالى تمسك أهلها بالآية الشريفة التي

«مطلب»

ان مصر كوكب  
المشرق

يستوى عندك الحبر والذهب لا تجد في قلبك سوى ربك فربك غني عن  
الاشياء لا بها وأنت بقناعتك استغنيت عن الاشياء وان الغني الاعلى الغني  
عن الشيء لا به وهذا المعنى الاخير ما أشار اليه البوصيري في قوله

ورأوته الجبال الشم من ذهب      عن نفسه فأراها أيما شمم  
وأكدت زهده فيها ضرورته      ان الضرورة لا تعدو على العصم

أي طلبت الجبال العالية أن تصير ذهباً له صلى الله عليه وسلم فارتفع  
عنها ارتفاعاً معنوياً أعلى وأرفع من ارتفاعها الحسي وذلك بالاعراض عنها  
الاعراض السكلى وعدم الالتفات الى جهتها كما أمره ربه سبحانه وتعالى في  
قوله جل من قائل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة  
الدنيا أي لا تنظر نظراً طويلاً الى ما متعنا به المذكورين استحساناً للمنظور  
اليه واعجاباً به كما فعل نظارة قارون حيث قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون  
انه لذو حظ عظيم

ولما كان النظر الى الزخارف كالركوز في الطباع نهى الله سبحانه  
وتعالى رسوله ومن المعلوم ان النهى له نهى لا ممتنع وقيل ان الذي نهى عنه  
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو  
الاسف أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا لانك غني عنها  
بربك حيث هي غير ممدوحة والدنيا اذا كانت ممدوحة فانما يكون مدحها  
باعتبار انها وصلة لدار القرار ولذلك قال بعضهم وأجاد

لا تتبع الدنيا وأيامها      ذما وان دارت بك الدائرة

من شرف الدنيا ومن فضلها      ان بها تستدرك الآخرة

فكيف يذم مطلق الغني وهو وصف الله سبحانه وتعالى ولنبيه عليه



(راجع الفصل الاول من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب)

فلا شك ان الغنى حلية تحلى بها أغنياء الانبياء كداود وسليمان ويوسف و ابراهيم وموسى وشعيب على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام وكثير من الصحابة والتابعين كانوا من الغنى في روضة غناء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصف بالغنى بدليل قوله جل من قائل ووجدك عائلاً فأغنى فقد امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه باغنائه عن فقر كما هو صريح الآية فهو غنى وان كان في كيفية الاغناء وجوه عند المفسرين فمنهم من قال ان الله تعالى أغناه بتربية أبي طالب ولما اختلت أحوال أبي طالب أغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه باعانة الانصار ثم أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم

« مطلب »  
مدح الغنى وانه  
صفة من صفاته  
صلى الله عليه  
وسلم

وروى أنه عليه السلام دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له مالك فقال الزمان زمان قحط فان أنا بذلت المال ينقد مالك فأستحي منك وان أنا لم أبذل أخاف الله فدعت خديجة قريشا وفيهم الصديق رضى الله عنه قال الصديق فأخرجت دنائير وصبتها حتى بلغت مبلغا لم يقع بصري على من كان جالسا قدامى لكثرة المال ثم قالت اشهدوا أن هذا المال ماله ان شاء فرقه وان شاء أمسكه ومن المفسرين من قال أغناه بأصحابه كانوا يعبدون الله سرا حتى قال عمر حين أسلم أتعبد اللات جهراً ونعبد الله سرا فقال عليه الصلاة والسلام حتى تكثر الاصحاب فقال حسبك الله وأنا فنزل قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فأغناه الله بمال أبي بكر وبهية عمر ومنهم من قال في التفسير أغناك بالقناعة فصرت بحال

الى ما ينبت من الارض فاذا كانت مخصبة سلكوها أو مجدبة تجنبوها وكان ينفق  
 في هذه المحرقات في كل سنة من خزينة دمشق جملة من الاموال ويجهز منها  
 لذلك شجعان الرجال وكان شأنهم في الاحراق استصحاب اشغال الوحشية  
 والكلاب المستنفرة ثم يكمن المجبرون لذلك عند امناء النصارى وفي كهوف الجبال  
 ويطون الاودية وتمضى الايام حتى يكون يوم ريح عاصف وهو اؤه زعزع فتعلق  
 النار موثقة في اذنان الثعلب والكلاب ثم تطلق الثعلب والكلاب في أثرها  
 وقد جوعت فتجد الثعلب في الهرب والكلاب في الطلب فتحرق ما مرت به وتعلق  
 الريح النار منه فيما جاوره ويضاف هذا الى ما كانت تلقيه الرجال بايديها في الليالي  
 المظلمة وعشايا الايام الممتعة وكان يستثنى من ذلك أرض الجبال التي هي بلاد البقية  
 القادرية من ولد شيخ الاسلام عبد القادر الجيلي فكانت ذريته معظمة عند  
 الاكابر والملوك لقديم سلفهم وصميم شرفهم ولما كان الاسلام وأهله من  
 اسماهم بما تصل اليه القدرة وبلغه الامكان

فمن هذا كله يفهم ان من تولى مصر من الملوك والسلاطين كان يجدد  
 فيها بقدر استطاعته من المنافع ما يظنه لازما لسعادتها وأول مسعد لمصر من دبر  
 أمر النيل بالمقياس وصعد الى منبعه ومسيله ودبر وزن الماء والارض بمصر ورسم  
 التعاليم وبنى القناطر واصلاح مجرى النيل من جبال الحبشة الى مصر ولا زالت  
 المنافع تتزايد ثم تتناقص على حسب صروف الدهور والعصور الى أن توازنت  
 الاحوال في جميع الممالك والمسالك بحركة عمومية وأسباب بلغت درجة الاهمية  
 ودواع دعت الى أنه يجب على كل مملكة أن تضرب في الاجتهاد بسهم  
 ونصيب والا أصابها سهم غيرها اذا قصرت في أن تجتهد وتصيب فعلى الملة  
 العاقلة أن تتشبهت بأسباب الغنى لتحظى في أيام ملكها العادل ببلوغ المنى

في كل منور ما يلزم من المراقبين والنظارة لرؤية ما وراءهم وأراءة ما أمامهم وكان لهم على ذلك جوامع مقررّة كانت لا تزال دارة وكانت المناور المذكورة على رؤس الجبال وفي الابنية العالية ومواضعها معروفة وكانت من أقصى ثغور الاسلام كالبيرة والرحبة الى ديوان السلطان بقلعة الجبل حتى ان المتجدد بكرة بالعراق كان يعلم به عشاء بمصر والمتجدد به عشاء كان يعلم به بكرة وكانت تأتي أخبار لسان التتار على الجناح والبريد وهذه المناور في الدولة السلطانية الاخيرة لها شبه بما صنعته في الاحقاب الخالية دلوكه المعجوز ملكة مصر التي توات على مصر بعد اغراق فرعون واشراف اهل مصر فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها من مزارع ومدائن وقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والخلجان وجعلت في ذلك الجدار محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومساحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا اتاعمت بخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فيأتيهم الخبر من اى وجه كان في ساعة واحدة فينظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن يطمع فيها ويمد عينه اليها وفرغت من بناء ذلك الجدار في ستة أشهر فكانت فكرتها في ذلك لا بأس بها في ذلك الوقت واما المحرقات فكان الاهتمام بها أول كل شيء وهى مواضع ما يلي بلاد سلطنة مصر والشام من حد الشرق داخل في تلك المملكة فكان يخشى من مجاورها من الاعداء مباغته الاطراف ومهاجمة الثغور كجهة بلاد الموصل وبلاد الاكراد فكان يجهز رجال لتحرق زرعها ونباتها حيث هى أرض مخصبة كانت تقوم بكفاية خيل المغيرين مرعى اذا قصدوا البلاد فكان في حرقها إضعافهم واقعاد حركاتهم اذ كان من عاداتهم أن لا يسكنوا غلوفة خيلهم بل يكلوها

« مطلب »  
ترتيب المحرقات  
للمراعي  
والخصبات التي  
يأتي من جهتها  
العدو ومنما  
لا غارته على  
لمالك المصرية

« مطلب »

مراكز هجن  
الثلج في الممالك  
المصرية وسفن  
الثلج بها

الثلج فان الثلج كان يحمل في البحر خاصة الى مصر من الثغور الشامية الى  
الى دمياط في البحر ثم يخرج الثلج في النيل الى ساحل بولاق فينقل منه  
على البغال السلطانية ويحمل الى الشرا بجانة الشريفة ويخزن في صهرج أعد  
له ثم صار يحمل في البر والبحر وكانت مدة ترتيب حملته من حزران الى  
آخر تشرين الثاني وعدة نقلاته في البر احدى وسبعون نقلة متفاوتة مدة  
ما بينها بل ربما زاد على ذلك وكان يجهز لكل نقلة بريدي يتدركه ويجهز  
معه بالسلاح وكان المرتب لكل مركز ستة هجن خمسة للحمل وواحد  
للحجان وكانت المراكز البريدية مرتبة في المسافات من مملكة الشام الى  
مصر والكلفة على مال مصر

واما عدة المراكب المسفرة به في البحر فكانت في أيام الملك الظاهر ثلاثة  
مراكب في السنة ثم أخذت بعد ذلك في الزيادة الى ان بلغت احد عشر مركبا  
من مملكتي الشام وطرابلس ثم صارت من السبعة الى الثمانية واذا سمرت  
المراكب من البلاد الشامية سفر معها من يتدركها مع الملاحين ولا يصل الثلج  
متوفرا الا اذا أخذ من الثلج المجلد واحترز عليه من الهواء فانه اسرع اذابة  
له من الماء ومنذ ترتب من الثلج ما يحمل برا على ظهور الهجن استقر منه خاص  
المشروب لانه يصل أنظف وأمن عاقبة لاسيما وان المسافرين به ياخذون  
الجشني منه بحضور أمير مجلس وناظر الشرا بجانة السلطانية وخزائنها وكان  
المنقول في البحر لسوى ذلك وكان للحاضرين بالثلج من الخلع والانعام رسوم  
مستقرة وعوائد مستمرة

« مطلب »

مواضع المناور  
بالممالك المصرية  
لمعرفة الاخبار

واما المناور فكانت مواضع معدة لرفع النار في الليل والدخان في النهار  
للاعلام بحركات التتار اذا قصدوا البلاد للدخول لحرب أولا غارة وقد ارصد

## وقال بعضهم

فخذ الطائر الميمون يطرقنا  
 فأت على الهدهد المذكور اذ حملت  
 تأتي بكل كتاب نحو صاحبه  
 فلا تمكن غير الشمس تنظره  
 منسوبة لرسالات الملوك فبالا  
 اكرم بجيش سعيدى سعادته  
 حمامتا الغار يوم الغار تحرسه  
 وقوفه عند ذاك الباب شرفه  
 ويوم فتح رسول الله مكة عن  
 صفت تظلل من شمس كتيبتة الخ  
 فعند ما حظيت بالقرب أمنها  
 فما يحل لذى صيد تناولها  
 سمع بملك المعالي غير ذى دنس  
 وانظر لها كيف تأتي للخلائق من  
 من المقام الى دار السلام ولم  
 وربما ضل نحو الهند ملتقط  
 نجاء في يومه في اثر سابقة  
 مناقب لرسول الله أيسرها

فى الامر بالطائر الميمون تنبها  
 كتب الملوك وصانها أعادها  
 تصون نظره صونا وتخفيها  
 ولا تجوز أن تلقيه من فيها  
 منسوب تسمو ويدعوها مسميا  
 مما يشكك فيها ذكر حاكيا  
 فيالها وقفة عزت مساعيا  
 والسعادة أوقات تواتها  
 الدخول اليها من بوادها  
 ضراء مظهرة فيه تواليها  
 فشرفت بعطايا جل مهديها  
 ولا ينال المنى بالنار مصلها  
 لا ترتضيه ولو جرت نواصيها  
 آل الرسول لحب كامل فيها  
 يمض النهار لعزم فى دواعيها  
 حبات فلفلة واربد مبطيها  
 حفظا لحق يد طابت أياديها  
 لدى نبوته الغراء يكفيها

وأما مراكز هجن الثالج فكانت تعمر فقط فى أوان نقل الثالج من  
 دمشق الى قلعة الجبل وهذه المصلحة متأخرة الانشاء عن مصلحة سفن



ومن انشاء القاضي الفاضل في وصفها سرحت لا تزال أجنحتها تحمل  
 من البطائق أجنحه وتجهز جيوش القاصد والاقلام أسلحه وتحمل من  
 الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح للطائر وتزوى  
 لها الارض حتى يرى ما سيلبغه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى  
 ترى ما لا يلبغه وهم ولا همه وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا  
 ويركب البحر بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات  
 على اعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها وقد أشار ابن الوردي في  
 اشارة الحماسة الى ما يفيد مزية حمام الرسائل مستوفيا لكل خاصة فيه وعلامة  
 حيث قال فينما الباز سكران بما بان له من البان واذا حمامة قد وقفت امامه  
 وقالت له كم تفتخر وأنت عظم نحر أنت من آلة اللعب والصيد وأنا من  
 آلة الجد والسكيد انا مع الطوق والخضاب من حملة الكتاب ومع حذري  
 من شرك الشرك وخوفي من فيخ الافك حملت الامانة التي أبت الجبال عن  
 حملها وامثلت مرسوم ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلما  
 أوصلت الحقوق أمنت العقوق وقوبلت بالبشائر والخلق ومما اعجب  
 العالمين اني مخضوب البنان ولي يمين أقول للملك دع الاهتمام لا تلعب بي  
 فأنا الحمام فهما حدث على البعد من أخصامك فأنا آتيك به قبل أن تقوم  
 من مقامك كتمت عن الناس سري وأبهمت بين الغناء والنوح أمرى

رأوا خضابي وطوقي فاستنكفوا من بكائي

ثم ادعوا ان زبي مناسب للغناء

فقلت كفوا فعذري بادبغير خفاء

فالخضب من فيض دمعي والطوق عقد ولائي

وقد كان بالديار المصرية تدريج الحمام بالوجه القبلي بالرسائل فكان متصلا  
 من القاهرة الى قوص وأسوان وعيداب ومن القاهرة الى الاسكندرية ومن  
 القاهرة الى دمياط ومن القاهرة الى السويس من طريق الحاج ومن القاهرة  
 الى بلبيس متصلا بالشام وبالجملة فكانت مراكز الحمام في سائر البلاد الاسلامية  
 حتى قيل ان الحمام ملائكة الملوك

مطلب  
 مراكر الحمام  
 بالديار المصرية

وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام  
 البطاقة اعتناز اذ احتى صار يكتب بالنسب الطير المحاضر انه من ولد الطير الفلاني  
 وقيل انه بيع بألف دينار وقد جرت العادة في مصر ان الحمامة لا تحمل البطاقة الا في  
 جناحها الامور منها حفظها من المظرولقوة الجناح والواجب انه اذا بطقت الحمامة من  
 مصر لا تطاق الامن امكنة معلومة فاذا سرحت الى الاسكندرية لا تشرح الامن  
 منية عقبة بالجيزة والى الشرقية فمن مسجد التبين ظاهر القرافة والى دمياط  
 والذي استقر عليه قواعد الملك ان طائر البطاقة لا يلهو عنه الملك ولا يغفل  
 ولا يعمل لحظة واحدة فنفته مهمات لا تستدرك اما من واصل واما من  
 هارب واما من متجدد في الثغور ولا يقلع البطاقة من الحمام الا السلطان  
 بيده من غير واسطة احد فان كان يأكل لا يعمل حتى يفرغ أو نائما لا يعمل  
 حتى يستيقظ بل ينبه وينبغي ان يكتب البطاق البطاقة في ورق الطير  
 المعروف بذلك وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنة ومما قيل في حمامة البطاقة  
 من الادب

مطلب  
 ما قيل في حمامة  
 البطاقة من  
 الادب نثرا  
 ونظما

خضر تفوت الريح في طيرانها  
 تأتي بأخبار الغدو عشيية  
 لا بعد بين غدوها ورواحها  
 كسير شهر تحت ريش جناحها  
 وكأما الروح الامين بوحيه  
 تفت الهداية منه في ارواحها

وهي أول بريد الشهادة ثم منها الى اشموم الرمان ثم منها الى دمياط فهذه  
المراكز الخاصة بالديار المصرية وكان ثم مرا كز آخذة من قلعة الجبل المحروسة  
الى الفرات بتدبير من سرياقوس وتجتمع ببريد دمياط وتفترق من السعيدية  
السالفة الذكر وتشعب في البلاد الشامية الى جهات مختلفة

وأما حمام الرسائل فان منشأه من بلاد الموصل وحافظ عليه اخلفاء  
الفاطيون بمصر وبالغوا حتى أفردوا المراكز ديوانا وجرائد بأنساب الحمام  
وأول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل هو الشهيد نور الدين  
محمود بن زنكي رحمه الله سنة خمس وستين وخمسمائة حيث بنى الابراج على  
الطريق بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها وفوقهم الحمام الهوادي  
فاذا رأوا من العدو أحدا أرسلوا الطيور فأخذ الناس خبرهم وتجهزوا لهم فلم  
يبلغ العدو منهم الغرض وكان هذا من ألطف الفكر وأكثره نفعا وهذا  
معنى قول الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه اتخذ السلطان نور الدين  
الشهيد الحمام الهوادي في سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك لامتداد مملكته  
واتساعها فانها من حد النوبة الى همدان فذلك اتخذ في كل قلعة وحصن  
الحمام التي تحمل الرسائل الى الآفاق في أسرع مدة وأيسر عدة انتهى  
وتسمى حمام الرسائل حمام البطاقة أيضا ولعل تربية حمام البطاق في بلاد  
الموصل التي بها جبل الجودي مستنبطة من بعث نوح الغراب ثم الحمامة  
لاستعلام خبر الطوفان فقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس  
قال استقرت السفينة على الجودي فبعث نوح الغراب ليأنيه بالخبر فذهب  
فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأنته بورق الزيتون ولطخت رجليها  
بالطين فعرف نوح أن الماء نضب أي نشف

« مطلب »  
حمام الرسائل  
وان منشأه  
بالموصل ونقل  
نور الدين الشهيد  
له لترتيبه في  
ممالكه

به الظفر والناب وجهرز الى الاسكندرية ليتها ملكها فشنق على بابها ثم من ذروة الشريف الى منفلوط وهي اجل خالص السلطان ثم منها الى اسيوط ثم منها الى طما ثم منها الى المراغة ثم منها الى بلسبوره ثم منها الى جرجا ثم منها الى البلينة ثم منها الى هو ويلها السكوم الاحمر وهما من خالص السلطان وعندهما ينقطع الريف في البر الغربي ويكون الرمل المتصل بدندره ويسمى خائق دندره ثم من هو المذكورة الى قوص ثم من قوص يرك البريد الهجن الى اسوان والى عيذاب ثم الى النوبة او الى سوا كن على ما يكون

واما جهة اسكندرية فالراكن من القلعة اليها في طريقين فالوسطى تشق العامر الآهل وهي من مركز القلعة المحروسة الى قليوب ثم منها الى منوف ثم منها الى محلة المرحوم مدينة الغربية ثم منها الى النحريرية ثم منها الى الاسكندرية والطريق الاخرى وهي الآخذة من طريق البر وتسمى طريق الحاجز وهي من مركز القلعة الى الجيزة ثم منها الى جزيرة القط ثم منها الى وردان ثم منها الى الطرانة ثم منها الى زاوية مبارك ثم منها الى دمنهور ومدينة اعمال البحيرة ثم منها الى لوقين ثم منها الى الاسكندرية

واما طريق دمياط فن القلعة الى سرياقوس ثم منها الى بليس وهي آخر المراكن التي لخليل السلطان أي الخليل التي تشتري بمال السلطان ويقام لها السواس والعلوفات على طرف السلطان ثم مما يليها خيل البريد المقررة على عربان ذوى اقطاعات عليها خيول موظفة تحضر في هلال كل شهر في مراكن اصحاب النوبة بالخیل فاذا انساخ الشهر جاء غيرهم ولهذا تسمى خيل الشهارة وعلى بريد الشهارة وال من قبل السلطان يستقبل في رأس كل شهر خيل اصحاب النوبة فيه ويدونها بالداغ السلطاني ثم من بليس الى السعيدية

وسقوط أقدامهم وتبعها على ذلك أوائل الدولة التركية المصرية فبطل في  
 اثناها البريد حتى صار الملك الى الظاهر بيبرس رحمه الله واجتمع له ملك  
 مصر والشام وحلب الى نهر الفرات وأراد تجهيز دولة الى دمشق فعين لها  
 نائبا ووزيرا وقاضيا وكتبا للانشا وكان الصاحب شرف الدين محمد عبد  
 الوهاب هو كاتب الانشاء فلما مثل بين يديه ليودعه اوصاه بوصايا كثيرة  
 أكدها مواصلته بالاخبار لا سيما ما يتجدد من اخبار التتار والفرنج وقال له  
 ان قدرت أن لا تبتنى ليلة الا على خبر ولا تصبحني الا على خبر فافعل فعرض  
 له بما كان عليه البريد في الزمان الاول وايام الخلفاء وحرصه عليه فحسن موقعه منه  
 وامر به ورتب عليه جمال الدين عبدالله الدوداري البريدي المعروف بابن السيد  
 فكان جمال الدين في ذلك الوقت جناح الاسلام الذي لا يقص وتربت في ايام  
 نظارته مراكز البريد في الممالك الاسلامية ومنها في محروسة مصر ومركز  
 قلعة الجبل الى نواحيها الخاصة بها وهي ثلاث جهات اولها الى جهة قوص ثم  
 الى اسوان ثانيها من القلعة الى جهة الاسكندرية ثالثها الى جهة دمياط فالاولى  
 من مركز القلعة الى الجزيرة ثم منها الى زاوية حسين والى منية القائد ثم منها  
 الى ونا ثم منها الى ببا ثم منها الى دهروط ثم منها الى اقلوصنا ثم منها الى  
 منية ابن خصيب التي يقال ان الخصيب أيام ولايته عمرها لابنه وسماها باسمه  
 ثم من منية بن خصيب الى الاشمونين التي كانت احدى مدن الصعيد العظيمة  
 وكان بها اذذاك مقر الولاية ثم منها الى ذروة الشريف نسبة الى الشريف  
 حصن الدين بن ثعلب فانها كانت دار مقامه وبها دوره وقصوره وكان قد  
 خرج ملك الصعيد وعجز منه ملوك مصر وأمن ايام المعز ايبك ومن بعده فلم  
 يظفر به ثم خدعه الظاهر بيبرس ومنه العوض بالاسكندرية فلما اناب اعلق

مطلب  
 ترتيب راك  
 البريد من قه  
 مصر الى ولايا



ما كان عليه كان صلاحاً للملك فامر به فقرره يحيى بن خالد ورتبه على ما كان عليه أيام بني أمية وجعل البغال في المراكن وكان لا يجهر عليه الا الخليفة أو صاحب الخبر ثم استمر على هذا في خلافة المأمون واتسع أمر البريد فيها حتى رتب لصاحب البريد أربعة آلاف من الهجن مع مؤنتها وآلاتها ليستخير بها عن أمور المملكة فكان يعلم أمور العالم في يوم واحد

ولما دخل هذا الخليفة بلاد الروم نزل على نهر البردون وكان الزمان حاراً فقعده على هذا النهر ودلى رجله فيه وشرب من ماء فاستعذبه واستبرده واستطابه وقال لمن كان معه مستقيماً ما أطيب ما يشرب عليه هذا الماء فقال كل برأيه فقال هو أطيب ما يشرب عليه هذا الماء رطب ازاد فقالوا له يعيش أمير المؤمنين حتى يأتي العراق وياً كل من رطبها الا زادي فما استتموا كلامهم حتى أقبلت بغال البريد تحمل أشياء منها رطب ازاد فأتى للمأمون منها فأكل وشرب من ذلك الماء فاكثر فمجب الحاضرون لسعاده حيث لم يقيم من مقامه حتى بلغ امنيته مع ما كان يظن من تعذرها فلم يقيم للمأمون حتى حم حمي حارة كانت فيها منيته

ولما جاءت دولة بني بويه وعلموا على الخلافة وغلبوا عليها الخلفاء العباسيين قطعوا البريد ليخفوا على الخليفة ما يكون من أخبارهم وحركاتهم أحياناً قصدهم بغداد وكان الخليفة يأخذهم على بغتة وجاءت الملوك السلاجقة على هذا وكان بين ملوك الاسلام اذ ذاك اختلاف ذات بينهم وتنازعهم فلم يكن بينهم الا الرسل على الخيل والابل كل أرض بحسبها فلما أتت الدولة الزنكية أقام السلطان نور الدين الشهيد للبرد النجاة وأعد لها النجب الجيدة ودام هذا في جميع أزمان الدولة وفي أيام بني أيوب رحمهم الله الى آخر أيامهم

انما كانت منافع سلطانية كما سيعلم

فقد كان البريد في عهد الالكاسرة والقياصرة موجودا وانما احواله  
مجهولة وأول من وضع البريد في الاسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله  
عنهما حين استقرت له الخلافة ومات أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وسلم  
اليه ابنه الحسن وخلا من المنازع فوضع البريد ليسرع اليه أخبار بلاده من جميع  
أطرافها فأمر باحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم  
ما يريد فوضعوا له البريد واتخذ لها بغلا با كف كان عليها سفر البريد ثم اتسع  
الامر في زمن عبد الملك بن مروان حين خلا وجهه من الخارجين عليه كعمر  
ابن سعيد الاشدق وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد  
واستعمل البريد الوليد بن عبد الملك بعد أبيه فكان يحمل عليه الفسيفسا وهي  
الفصوص المذهبة من القسطنطينية الى دمشق حتى صفحها حيطان المسجد الجامع  
ومكة والمدينة والقدس الشريف ثم لم يزل البريد قائما والعمل عليه دائما حتى أن  
لبناء الدولة الروانية أن ينتقض ولحلبها أن ينتكب فانقطع ما بين خراسان والعراق  
لا نصراف الوجوه الى الدعوة القائمة للدولة العباسية ودام الأمر على هذا حتى  
انقرضت أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وملك السفاح ثم المنصور ثم المهدي  
والبريد لا يشتد له سرج ولا ياجم له دابة ثم ان المهدي أغرى ابنه هرون الرشيد  
بلاد الروم وأحب أن لا يزال علي علم قريب من خبره فرتب ما بينه وبين معسكر  
ابنه بردا كانت تأتيه بأخباره وترىه متجددات أيامه فلما قفل الرشيدى قطع  
المهدي تلك البرد ودام الأمر على هذا باقى مدته ومدة خلافة موسى الهادي بعده  
فلما كانت خلافة هرون الرشيد ذكر يوما حسن صنع أبيه في البرد  
التي جعلها بينهما فقال له يحيى بن خالد لو أمر أمير المؤمنين بأجراء البريد على

مطلب  
وجود البريد  
في عهد الالكاسرة  
والقياصرة ومن  
بعدهم من ملوك  
الاسلام

بعض الأمم الى درجة الثروة وبضعفها تتراجع الاخرى فعمار المملكة  
موقوف على وصولها الى الدرجة الكمالية وذلك موقوف على اتساع الدائرة  
الصناعية وهو موقوف على تميم الصناعات الموروثة سلفا عن خلف وتقل  
ما اخترع منها في الممالك الى البلاد التي ليست فيها هذه الاختراعات موقوف  
على صرف المهمة اليها والسعي فالمدار في استكمال أسباب الثروة على السعي  
وحيث كانت التجارة من منافع الثروة العظيمة فلا شك  
ان صاحب الاشتغال بها الباذل همته وسعيه فيها ذهنبه مصروف اليها  
بالكلية ففكره عادة ملهي عن الافكار الباطلة التي يتسبب عنها هدم  
بنيان الامة بالفتن والشور ومثي كانت التجارة متسعة في مملكة  
تنصرف الهمم الى التشبث بالارواح الحقيقية وتشتد الرغبات في الاسباب  
والمسببات المكونة لاتساع رؤس الاموال وفي تمكين القوة الصناعية بالقوى  
العلمية من كل مايسهل طرق المكاسب ويحولها الى درجات كمالية مما يهتم  
به الآن بالنظر لتقديم المنافع العمومية اصاله وللمنافع السياسية تبعا

• مطلب •  
ان صرف المهمة  
الى الصنائع في  
بلدة من البلاد  
يقطع عرق  
الفتن والشور  
فيها

وقد اختلفت هذه الازمان الحديثة عما كان يجري في الازمان القديمة  
من صرف المساعي والهمم في تسهيل وسائل الدولة بالاصالة مما يكون لمنافع  
الرعية حاصلًا غير مقصود فقد دلت التواريخ على أن المخترعات الجديدة في  
الدول التأخرة لم تخل عن مقابل لها من بعض الوجود في الدول القديمة كالطرق  
الجديدة والتلغراف ونحوها فكان البريد وحمم الرسائل قائما مقامها في مصالح  
الدولة وكذلك هجن النالج والمراكب المسفرة بالثلج في البحر لشرائح السلطنة  
المصرية وكذلك المناور لاستطلاع اخبار العدو والاحتراس منه والمحركات  
للزروع والمراعي لقطع رجاء العدو المريد الاغارة على بلاد السلطنة فجميع هذه

• مطلب •  
ان الاختراعات  
الجديدة كان لها  
نظائر في الازمان  
القديمة تقوم  
مقامها من بعض  
الوجود

نظر في الهيئة الاجتماعية وجد ان الارض في جميع الازمان على طبيعتها وانما  
اختلفت باختلاف الاطوار الحاصلة كاختراع السفن البخارية والطرق الحديدية  
واستعمال السلوك البرقية المسماة بالتلغراف في المخبرات مما يخترعه الانسان  
بواسطة توسيع دائرة العلوم والفنون فيجعل الانسان ما لا يمكن تحويله  
بطبيعته في طرز آخر وبالذات في احوال الامم المختلفة والممالك الداخلة في  
حوزة حكوماتها يعلم اختلاف الامزجة والطباع من وجهين

الاول ان أهالي الممالك التي تحت المنطقة الحارة ليست مثل الممالك التي  
تحت المنطقة المنجمدة كالبلاد التي باطراف القطب في اللوازم الضرورية فان  
أهل المنطقة القطبية المنجمدة تقتقر الى زيادة الملابس للحفاظ من تأثير البرد  
بخلاف أهل المنطقة الحارة فهي بعكسها مفتقرة الى ما يقيها من تأثير الحرارة  
والرطوبة وبخلاف أهل المنطقتين المذكورتين أهالي المنطقة المعتدلة

الثاني ان طبيعة الاراضي والاقاليم ترشد الانسان الى وسائط متنوعة  
في الصناعة ونماء النبات والحيوان انما يكون بالنسبة لأهوية المملكة  
الموجودة هي فيها وبعض الممالك مشهور بكثرة الطيور والمراعي النضرة  
والمعادن وبعضها ليس فيها شيء من أسباب الثروة الطبيعية بالسكية ومن  
الممالك ما تسهل المخبرات فيه بكثرة الانهار ومنها ما تشق فيه لعدم ذلك  
فالانسان لا يمكنه محوها وانما بالقوة الصناعية العالمية يمكنه تحويل الحال الى  
حالة أخرى وحصول هذه الحالة واختراعها وبلوغها درجة كاملة كالتلغراف  
مثلا انما يكون بصرف المساعي والهمم وكذا سائر الوسائل كالسفن البخارية  
والطرق الحديدية وسائر المخترعات النافعة فكلها من أعظم أركان القوة  
المحصلة وتزايدها موقوف على ترقى الفنون والصنائع وبمعظم هذه القوة يرتقى

الابيض الذي كان للحرث مثيرا وللدوايب مديرا وبالسبق الي سائر المنافع  
شهيراً وعلى شدائد الزمان مساءدا وظهيراً لعمر ك لقد كان بعمله ناهضاً  
ولحماقات البقر رافضاً أنى لنا بمنله وشرأوه ولا شروى فانه من أعيان البقر  
وانفع أجناسه للبشر مضاف ذلك الي أخلاق لولا خوفاً من تجدد الحزن  
عليه وتهيج الجزع وانصرافه اليه لعدتها ليعلم أدام الله عزه ان الحزين عليه  
غير ملوم وكيف يلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاء ومن خدم  
معيشته بهيمة تعين على الصوم والصلاه وقد احتذيت ما مثله الوزير من شمل  
الاحتساب والصبر على المصاب فانا لله وانا اليه راجعون قول من علم أنه أملك  
لنفسه وماله وأهله وانه لا يملك شيئاً دونه اذ كان جل ثناؤه وتقدست اسماءه  
هو الملك الوهاب المرتجع ما ارتجع مما يعوض عليه نفيس الثواب وقد  
وجدت ايد الله الوزير للبقر خاصة فضيلة على سائر بهيمة الانعام تشهد بها  
العقول والافهام ثم ذكر جملة من فضائله لا يحتاج اليها هنا انتهى وانما نقول  
انه لا يتوجه على مثل هذا القاضى في مصيبته ملامة لأتم فكيف والسعد في  
طالع البهائم ولهذا نقول العامة ان الدنيا على قرن ثور وقال الشاعر

والدهر كالدولاب يدس يدور الا بالبقر  
وأما التعزية فلا بأس بها

فلعمرى يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الحجر

قال بعضهم ومن موجبات الثروة المهمة والصناعة فان الهمم الموجبة  
لها في المملكة يقال لها القوة المحصلة وهي مختلفة في الممالك فبعض الممالك ما  
تكون ثروته أزيد من الاخرى وذلك بنسبة تزايد القوة المحصلة لها ونقصها  
والقوة المحصلة للثروة عبارة عن شيئين سعي الانسان وموضوعه الارض فاذا

مطاب  
نوة المحصلة للفنى



فكتب هذه الرقعة فاصابها من ألحق في مصابه هذا بقدر ما أظهر من  
 اكثاره اياه وأبان من اعظامه له وأسأل الله تعالى ان يخصه من المعوضة  
 بأفضل ما خص به البشر عن البقر وان يفرد هذه البهيمة العجاء بأثرة  
 من الثواب تضيفها الى المكلفين من الالباب فانها وان لم تكن  
 منهم فقد استحققت ان لا تفرد عنهم بان مس القاضي سببها وصار اليه  
 منتسبها حتى اذا أنجز الله ما وعد به من تمحيص سياهم وتضعيف  
 حسناتهم والافضاء بهم الى الجنة التي رضىها لهم دارا وجعلها لجماعتهم قرارا  
 واورد القاضي أيده الله تعالى موارد أهل النعيم مع أهل الصراط المستقيم  
 جاء وثوره هذا مجنوب معه مسموح له به وكما ان الجنة لا يدخلها الخبث  
 ولا يكون من أهلها الحدث ولكنه عرق يجري من أعراضهم كذلك يجعل  
 الله ثور القاضي مركبا من العنبر الشحري وماء الورد الجوري فيكون له ثورا  
 وجونة عطر له طورا وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر ولا مستصعب ولا  
 متعذر اذا كانت قدرة الله بذلك محيطه ومواعيده لامثاله ضامنة بما أعده  
 الله في الجنة لعباده الصادقين وأوليائه الصالحين من شهوات أنفسهم وملاذ  
 أعينهم وليس ما منحه من غامر فضله وفائض كرمه بمانع له من صالح مساعيه  
 ومحمود شيمه وقلبي متعلق بمعرفة خبره أدام الله عزه فيما ادرعه من شعار  
 الصبر واحتفظ به من اثار الاجر ورفع اليه من السكون لامر الله تعالى  
 في الذي طوقه والشكر له فيما ازججه وافلقه فليعرفني القاضي من ذلك ما  
 أكون ضاربا معه بسهم المساعدة عليه وآخذا بقسط المشاركة فيه فأجاب  
 القاضي ابو بكر بقوله وصل توقيع سيدنا الوزير أطال الله بقاءه وادام  
 تاييده ونعماءه وأكمل رفعتة وعلاه وحرس بهجته ومرقاه بالتمزية عن الثور

« مطلب »

تبصروا بمصر  
مصر عند نفق  
المواني بالوباء  
وذكر نادرة  
تأب ذلك في  
تعزيزه بنورا: بض

والتصبر عند حلول مثل هذه المصيبة الفظيعة لحزنوا جميعا في سنة نفق المواشي  
بالوباء ولا حزن ابى بكر بن قريمة حيث نفق له ثور أبيض وجلس على  
العزاء عليه تراقعا وتحامقا حتى ان أبا اسحق الصائبي كتب اليه يزيه على  
هذا المفقود عن لسان ابن لعبة في أيام وزارته فقال التعزية على المفقود انما  
تكون بحسب محله من فاقده من غير أن تراعي قيمته ولا قدره ولا ذاته ولا  
عينه اذا كان الغرض منها تبريد الغلة واختاد اللوعة وتسكين الزفرة وتنفيس  
الكربة قرب ولد عاق وأخ ذي شقاق وذو رحم أصبح لها قاطعا وقريب  
قوم فقدم عارا وناط بهم شنارا فلا لوم في ترك التعزية عنه وأحرى بها أن  
تكون تهينة بالراحة منه ورب مال صامت غير ناطق قد كان به مستظهرا وله  
مستثمر االفجيعة به اذا فقد موضوعه موضعها والتعزية عنه واقعة منه موقعها  
وبلغنى ان القاضي أصيب بثور كان له مجلس للزء عنه شاكيا وأجهش عليه  
باكيا وللندم مواليا وحكى عنه حكايات في انتأين له واقامة الندبة عليه  
وتعديد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت في غيره واجتمعت فيه  
وحده فصار كما قال أبو نواس في مثله من الناس

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

لانه يكرب الارض معمورة ويشيرها مزروعة ويدور في الدواليب  
ساقيا وفي الارحاء طاحنا ويحمل الغلات مستقلا والاثقال مستخفا لا يؤده  
عظيم ولا يعجزه جسيم ولا يجري في الحائط مع شقيقته ولا في الطريق مع  
رفيقه الا كان جلدا لا يسبق ومبرزا لا يلحق وفائتا لا ينال شأوه وغايتة ولا  
يلغ مداه ونهايته ويشهد الله ان ما ساء ساءني وما آلمه آلمني ولم يحز عندي  
في حق المودة استصغار خطب جل عنده فأرمله وأرقه وامرضه وأقلقه

## الفصل الرابع

( في اسعاد الحاكم للبلاد والعباد )

ليس من ملوك مصر من تفتخر به الالهالى مثل افتخارهم بالخديو الاكرم  
حيث انه تأسس في أيامه قواعد عدلية لا تحصى وما أثر منافعها جليلة لا  
تستقصى ولو لم يكن له من المآثر الا كونه حمل الالهالى على أن يستنيبوا  
عنهم نوابا ذوى فكرة ألمعية ليتذكروا في شأن مصالحهم المرعية لكفاه ذلك  
شرفا ومجدا وعزا وسعدا حيث صار مستويا على أمة حرة الرأى باستشارتها  
في حقائق التراتيب والتنظيمات التي يراد تجديدها لاجلهم كما ان له الفخاري  
أنه لا يضع حقوقهم حيث جعله الله أمينا عليها فهذه الوسيلة القوية يتمكن  
من أداء ما وجب عليه في حق الرعايا مع كونه يتمدح بالحكم على رعايا أحرار  
يتمتعون بحقوقهم ويحفظون بمزاياهم وبهذا أيضا يكون على يقين من التسلطن  
المبنوي على النفوس والأرواح وان يدرك بمساعدتهم اياه في اسعاده لوطنهم  
تمام النجاح حيث القلوب جبلت على حب من أحسن اليها فقل أن تخلع  
الرعايا خلعة محبتها القلبية ومودتها الاخلاصية على حاكمها مجانا فالعاقل من لا  
يحب أو يبغض الا بسبب من الاسباب وقد تقدم غير مرة ان غنى مصر  
ورأس مالها الحقيقي انما هو متكون بالاصالة من زراعتها وبالتبعية من تجارتها  
في محصولات الزراعة مع ما يتبع الزراعة من تنمية المواشى وتكثيرها لا سيما  
ما يعين على الحرث وتنمية النبات كالبقرة الذي هو خاصة مصر قديما وحديثا  
أنفع بهيمة الانعام وأجل غنيمة الانعام بدليل ان البلاد تذوق مرارة المضرة  
في السنة التي يذوق فيها هذا النوع كأس الحمام ولولا الهام أهلها التبصر

• مطلب •

تأسيس شورى  
النواب

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب  
الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب

مطلب  
تمثل المال والعقل  
السعد للاسكندر

يحكي أن اسكندر الاكبر تشككت له ثلاث معادن في جلاب الجبال  
وثياب المهابة والاجلال فأول شكل دخل عليه في حلل الحسن والبها والشمائل  
التي يزهبها فأخذ بقلبه ولبه فاحله منه بقربه ثم سأله من أنت فقال أنا المال  
فقال الاسكندر لولا انك ميال ثم دخل عليه الشكل الثاني يرفل في حلل  
الوقار والمعاني فأدناه منه ثم سأله من أنت فقال أنا العقل فقال لولا انك في  
بعض الاحوال عقل ثم دخل عليه الشكل الثالث ترفه الغايات بالمثالب وقد  
أشرقت بجماله وجوه المطالب وانجملت باقباله ظلم الغياهب فقام له على قدميه  
وقبل ما بين عينيه ثم قال من الزائر أيها البهي الزاهر فقال أنا السعد فقال  
أشهد أنك عناية الحق وميزان اختبار الخلق فالويل لمن جهل حقوق اقبالك  
عليه ويا سعادة من وفي حق الخلافة اذا سلمت اليه ثم عاهده على أن يكون  
من أعوانه وعلى وفق ما يقتضيه حكم ميزانه والحمد لله الذي جعل نعمة مصر  
في المزيد ليزداد الشكر والمحبة لوليها الذي أجريت النعمة على يديه اذ هو  
السبب الاصلي الحامل على ذلك والدال عليه والمائل بالطبع اليه وستأتي  
الاشارة الى ما يجدد من المحاسن الحالية في الفصل الرابع من هذا الباب



تحضر التجار بسن الفيل والصموغ وريش النعام وغيرها وانما اهل اقاليم  
 تنيكتو وهي بلاد التكرور لا يحضرون الا لقضاء الحج وكذلك الفلانة السودانية  
 يعمرون بمصر لسفر الحجاز وما ذاك الا لبعده المسافة لا لقلة أمن الطريق أو وجود  
 مخافة فالتجارات في داخل افريقية الحقيقية تيسر بعد تخطيط المسالك الطرية  
 وهي لا تيسر الا بحركة عجيبة من الحكومة المصرية واستكشافات جلية عصرية  
 واجتماعات من قبائل اسلامية متمدنة وتوقيفات لاهالي تلك البلاد على وسائل  
 التمدن المستحسنة وان شئت فقل ان حسن تمامها انما يكون بنوع من الفتوحات  
 والتشبيث بعمارتها وادخال ما يلزم لها من الاصلاحات حتى يصير جنوب افريقية  
 كالأقاليم الجنوبية بقسم امريقة فان كان من السابق في علم الله تعالى أن يكون  
 لمصر فيه قوة التتجير (فما ذلك على الله بعزير)

فكم من صغير أسعفته عناية من الله فاحتاجت اليه الاكابر  
 وكم خامل جاءت اليه اشارة من الله فانجازت اليه الاشارئ  
 فمن هذا نجد أن ماحوظات الفصل الثاني التي سبقت اليها الاشارة قد  
 اجريت بتداول الايام (وما البهر الا تارة بعد تارة)

فكاه اخطر بالبال أمر خطير من الاعمال الصالحة يحتاج الى حسن التدبير  
 كان الوطن معانا عليه من المولى القدير فالمقاصد الخيرية ميسرة الوسائل قريبة  
 المشارع عذبة المناهل وحق على الامير الطالب للمعالي أن يتغالى في المطالب  
 ويتعالى في مدارج العلى باجمل اسلوب ويبرز في مظهر البلاغة نظام بيت ملكه  
 المشيد حتى يظهر في نظم سلوك الملوك بيت القصيد ومن أحسن من ولاية  
 الامور سلوك أقوم سنن تأيد بحسن نيته في ميدان الانتصار على مشروعه  
 الحسن ان ينصركم الله فلا غالب لكم



نقله بل الانسان ينتقل اليه والقسم الثاني القباب والخيام والفساطيط واليها  
 الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتات تستخفونها يوم ظعنكم ويوم  
 اقامتكم وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله والمراد بها الانطاع يعني  
 السط المتخذة من الجلد وما يعم البيوت منه مما تستعمله العرب وغيرهم من اهل  
 البوادي والمعنى يخف عليكم حملها في أسفاركم وفي اقامتكم أي لا يشغل عليكم في  
 الحالين وقوله تعالى ومن أصوافها وأوبارها واشعارها قال المفسرون الاصواف  
 للضأن والاوبار للابل والاشعار للمعز وقوله تعالى أنثاء الاثاث أنواع متاع البيت  
 من الفرش والاكسية وقديم النياب والكسوة وقوله تعالى ومتاعا الى حين أي  
 ما تتمتعون به الى يوم القيامة واستقرب بعض المفسرين أن المراد بالاثاث  
 ما يكتسى به المرء ويستعمله في الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل  
 وزين به وقد ذكر الله تعالى الاصواف وما بعدها في معرض النعم العظيمة التي  
 يجب شكرها فيجب الاعتناء بتكثيرها على اختلافها في جميع أطراف وكناف  
 الممالك المصرية بعناية الحكومة الخديوية وهم عمد اهل الاراضي الزراعية  
 لتعميم المنافع الاهلية فان مصر المتشبهة الآن بأريكون لها في الصنائع والفنون  
 قدم رسوخ لا ينبغي ان تياس من تجديد مصانع الجوخ فكم من أشياء لا يحظر  
 انشاؤها بالبال ويظن أن تحصيلها من قبيل المحال وعند اقتضاء الاوقات وتعلق  
 الآمال يتم الحصول عليها بأسهل طريق وأتم منوال وأما تبيينه صاحب  
 الملاحظات على وفود قوافل داخل افريقية الى الديار المصرية واستعاضتها بضائعها  
 بمشغولات مصر وأوربا وخلاصة صنائعها فهو في محله وقد جرى مفعول هذه  
 المبحوظة على أصول مصنوعة مخفوظة فتجار دارفور وبرنو ونحوهما تحضر في  
 ميعادها ونأتي بسائر بضائعها على حسب متادها ومن جهة سنار والبحر الأبيض

• مطلب •  
 ورود قوافل  
 افريقية الى  
 مصر للتجارة

ثناقص جودة أوصافها للجز كل سنة وان كل جزء من سنة سابقة أجود  
 من اللاحقة وان الاوصاف اذا بقيت على الضأن عدة سنوات لا ينمو صوفها  
 نماء يكون كفؤا لجزها عدة مرات فحرب ذلك بالامتحان عدة من أعضاء  
 الجمعية الزراعية الفرنسية بأن أبقوا قطيعا من الغنم ثلاث سنوات بدون  
 جز لتظهر النتيجة فلم يجدوا تنافسا في الكم والكيف بل رأوا ان أوصافها  
 قد اكتسب طولا متساويا ودقة متساوية ووجدوها ناعمة الملمس كما  
 لو كانوا جزوها على مرار عديدة وظهر من هذه التجربة تجديد فرع  
 للصناعة وهو تطويل الصوف بعدم جزه وتفويت أوانه مدة ليدخل في مصانع  
 أخرى تحتاج اليه ومن هذا اخترعوا صنفا من الجوخ الشهير المسمى بالكز مير  
 فاكثروا من اصطناعه وتحسينه وقدموه في أحد المعارض العمومية بفرنسا  
 فاستحسن الجميع جودة صناعته لعلوم رتبته وحسن أوصافه بحيث صار يرضاهي  
 بالسكية مشغولات الكز مير الانكليزية

وقد تبين أيضا بالملاحظة ان الغنم التي لم تجز مدة طويلة وتبقى هذه المدة  
 بقصد طول أوصافها لا يؤثر فيها تأثيرا ظاهرا ثقل الصوف على أبدانها وهذا  
 بخلاف ما تعتقده العامة وقد أطلنا الكلام في الاوصاف وحسبك فيها الآية  
 الشريفة وهي قوله تعالى والله \* جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من  
 جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أوصافها وأوبارها  
 وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين \* ومن المعلوم ان البيوت التي يسكن الانسان  
 فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها  
 يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتهم سكنا  
 وهو ما يسكن اليه الانسان أو يسكن فيه وهذا القسم من البيوت لا يمكن

« مطلب »  
 ابقاء الصوف  
 بلا جزءة  
 سنوات وان  
 التجربة افادت  
 حصة بعدم جزه  
 كل سنة

« مطلب »  
 الجوخ الفرنسي  
 المسمى بالكز مير

فأنهى الامر بنجاحها في تجهيز الاصواف حيث شرعت ان تدخل في بلادها  
الدوايب والآلات اللازمة لحاج الصوف وغزله فشوقت من يستجلب من  
الاهالى هذه الدوايب لتنظيف الصوف وغزله فكثرت في فرنسا أبواب  
الصناعات والبراعات ممن يحسن عمل هذه الدوايب

فهذه الوسيلة تقدمت الصنائع الآلية في بلادهم وكثرت المكافآت  
من جمعية التشويقات الاهلية حيث ان هذه الجمعية الاهلية خصصت ثلاثة  
آلاف فرنك لكل من يخترع دولا بالغزل الصوف فاخترع بعضهم دولا با  
لذلك وأخذ المكافأة وكثر الاختراع للدوايب التنظيمية بهذا التشويق  
فوجود اغنام المارينوس وحدها — في البلاد لا يكفي ولا يتم الانتفاع  
بأصوافها الا بالدوايب المذكورة فان صوف المارينوس كان موجودا في  
فرنسا من عدة أجيال وكان يساوى في النعومة والجودة مارينوس اسبانيا  
ولم يتم الانتفاع به الا باختراع الدوايب

ومن المجرى عند الفرنسيين ان غنم المارينوس كلما طالت مدتها في  
البلاد وتربت أغنامها وتطعت بالتوليد لا يزال يأخذ صوفها في النعومة  
وينجح النجاح التام في مصانع الجوخ العال والمدار على حسن تعهده بالتنظيف  
والتصفية فان ذلك يزيد في قيمته ولم يكن بفرنسا من حيضان تنظيف الصوف  
الاحوض واحد فالآن كثرت حيضان التنظيف حول باريس فلعل يوما  
من الايام تدرك الديار المصرية منها في اغتنام فرصة الاقتناء والاعتناء  
بتحصيل مزايا هذه الاغنام ثم ان مزية أصواف هذه الاغنام المارينوسية  
ليست منحصرة في النعومة والامتداد بل من جملة جودتها طول قرون  
أصوافها فكما طالت كثرت فيها الرغبات وكان الناس يعتقدون ان الاغنام

« مطلب »  
جلد ادوارد  
ملك الانكيز  
من اسبانيا  
مقدم اجيبا  
من الغنم البيض  
الى مملكته للتنمية

في ابتداء أمرها يتحصل في خزانة مملكتها من مغنم الاصواف الجيدة ما ينيف  
عن ثلاثين مليوناً من الريالات ثم ان ملك الانكيز المسمى ادوارد الرابع  
جلب من بلاد اسبانيا باذن ملكها ثلاثة آلاف رأس من الغنم البيضاء الى  
مملكة الانكيز فمن هذا الوقت انفتح منبع جديد للثروة والغنى والسعادة  
المالية لخزانة المملكة والتجار الملية

« مطلب »  
ورود نوع  
مخصوص من  
غنم الهند الى  
بلاد الانكيز  
لتحسين الصناعة  
باصوافها وما  
تنتج عن ذلك  
من البراعة

وفي القرن السابق الهجري ورد من بلاد الهند الشرق الى بلاد الفلمنك  
صنف من الغنم من ذكور واثان على القامة مستطيل البدن غزير الصوف  
فاجتهد أهل الفلمنك بتربيته وتوحيده على مزاج اقليمهم فنجح فيها كل النجاح  
حتى ان اثنائي هذه الاغنام كانت تلد في السنة الواحدة أربع أغنام وصوف  
الرأس الواحد يزن من عشرة أرطال الى ستة عشر رطلاً فثقل هذه الاغنام  
تتجح ولو في البلاد الباردة مثل مملكة أسوج فانها اعتنت بتربية أغنام  
المارينوس أمثالها وغلبت على الموانع القطرية كبرودة الاقاليم بحيث ان  
هذه المملكة كانت تجلب قبل ذلك أصوافها من اسبانيا والفلمنك والآن  
استغنت عن ذلك فما ظلك بالخدوية الجليلة المصرية التي أقاليمها معتدلة ملائمة  
لتربية الاغنام في الفيوم وغير الفيوم فان النجاح فيها محقق لا محالة فمن جد  
وجد فان مملكة فرانس كانت أهاليها في الازمان القريبة يشترون غزل  
الاصواف بالاموال الجسيمة جداً فكأنهم كانوا يدفعون للبلاد الاجنبية  
في الثمن هذه المبالغ الثقيلة كالجزية والخراج فلما تقدمت حركة الصناعة من  
منذ نحو السبعين سنة استشعرت بما يلحقها من العار في ذلك لا سيما وأنها  
بهذه الحالة لا تستطيع مصانعها أن تساوي مصانع غيرها من الانكيز  
والفلمنك ونحوهم فتملقت آمالها أن تجتهد في تقديم صناعاتها لتفوق على غيرها

« مطلب »  
شراء مملكة  
فرانسا في  
الازمان السابقة  
الاصواف  
المزولة باثمان  
ذاتية قبل تحديده  
دواليب الحلج  
والغزل



الفقير والجموع التكاثر من المحادثة والذاكرة غير السارات المتعلقة بخصوص  
الزراعة ونها ام النعم وزينة الامم وجميع اهل الزراعة من مبادئ امرهم يعتنون بتربية  
الواشي لاسيما الغنم ويطرائق تحمين حالها وناجها و كانت الغنم في الازمان السانفة  
أصل ثروة سكان المعمورة حتى ان لرومانيين كانوا يعدونها راع من الفلاحة لكونها

مطلب

الاعتناء بتربية  
الواشي لاسيما  
تربية الغنم

مطلب

الاعتناء بتربية  
الغنم لبيض  
عند الرومانيين  
والنسي عن ذبحها

الزمن الاشياء لطريق التعيش وكانوا يتخذون المعاملة من جلود الغنم يطبعونها بطابع  
السكة وقد مكثت الغنم البيض مدة نحو ستة وثلاثة سنين في بلاد الرومانيين يحسنون  
تربيتها وتنميتها ولا يهتمون فيها حتى انهم رتبوا ما موربن للتفتيش عليها فكانوا لا  
يعدونها للذبح بل اصوافها البيضاء معدة للصناعة ومن اهل في تربية لماشية  
على العموم ونمية الغنم على الخصوص عافوه بدفع المغارم الجسيمة ومن  
أحسن تربية ذلك وتنميتها كالأرء بالجوائر السنية وشوقه بالتحف البهية  
والانعامات لاسيما من جلب من الخارج من ذوات الاصواف الجيدة الى  
موطنه حيوانات للتوليد وكان الرومانيون ينسجون من هذه الاصواف  
جميع الملابس المختلفة والامتعة المتنوعة كالجارى الآس عند المتأخرين من الامم  
فكانوا يبحثون مع غاية الاعتناء عن الاصواف الفيسة الجامعة بين الطول  
والنعومة واللين كالصوف الانجورى وكصوف نالى واثينا ومطية  
وسواس وكلها أصواف ممدوحة ولم يكن في ذلك الوقت يتخذ من الاصواف  
اليونانية في التجارة الا أصواف خشنة لا تصلح للمصانع الا بالتنظيف ما  
عدا أصواف أثينا فان أصواف أغنامها تضاهي أصواف أغنام اسبانيا المسماة  
بالمارينوس مع النعومة التي تجددت في الازمان الاخيرة فهذه الاغنام  
الاندلسية انتقلت فيما بعد الى بلاد الانكايز والفلمنك فأثقت هذه الدول  
تربية هذا الصنف وزادت كمية محصوله بتربيته حتى ان ولاية اسبانيا كانت



مرغوب حتى انه يعتبر من أول عمر الدنيا ومن تاريخ الخليفة كأنه يخذ للصناعة والنسج فلا شك انه معلوم الصنعة في الازمان الاولى فهو قرين الفلاحة التي هي معلومة قبل الطوفان ولم تعطلها حادثة الطوفان ولا أبطلتها فقد دلت التوراة على أن نوحا عليه السلام لما نجا من الطوفان بسفينته اشتغل بحراثة الارض وعلم أولاده الناجين معه ما كان يعرفه في أصول الزراعة وقد ذكر قدماء المؤرخين أن العراقيين والكنعانيين والمصريين اشتغلوا بالفلاحة من الازمان القديمة والأعصر الخالية حتى ان المصريين كانوا يعتقدون أن أول مخترع للزراعة أسلافهم وزعم أهل الصين ان لهم الاسبقية في ذلك قبل غيرهم وأن أول رؤساء ملتهم هو الذي اخترع علم الفلاحة والمحقة بالاخذ من التواريخ الصحيحة الجامعة بين الاقوال المختلفة ان قدماء الامم لا ضطار لهم إلى القوت والمؤنة كل منهم اخترع علم الفلاحة وبرع فيه ومن أقاليهم التي لها الاسبقية في مزية الاختراع انتقلت الزراعة الى غيرهم بالتدريج وان جميع الامم أجمعوا على ان الزراعة أمر مهم وأدركوا انه علم نفيس ولا يقتدر على ابتداعه من حيث كونه علما الا أرباب العقول الذكية فنسبوا اختراع علم الفلاحة لا كابر عقلائهم وفي كتب اليونان ما يفيد أنهم تعلموا الزراعة من مصر وقال الرومانيون ان هذا العلم وصل الى بلادهم يعني الى ايطاليا من اليونان ومن مصر نعم المحقة أن أهل الصين يعتنون بزراعة الارض ويجهدون في تكميل علم الفلاحة ومما يدل على ذلك ان لهم عيداً مشهوراً في كل سنة بمدينة تونكين وهو يوم مشهود يحضر محفله ملك الصين بموكب عظيم مع أعيان دولته فيأخذ الملك المحراث ويحرث قطعة من الارض بنفسه وينتهي هذا الموسم بولية عظيمة على طرف الملك وهذا اليوم معدود عند أهل الصين من ايام المواسم والافراح الاهلية وفي محفل هذا اليوم لا يدور على السنة الجلم

مطلب  
تشریف ملك  
الصين للزراعة  
حرثه بنفسه قدرا  
من الارض في  
يوم مشهود

هو الرمح حاصل بذلك فلي فرض غرس شجرة البن بمصر وفلاحها تكون  
 عديمة النكهة كالدخان البلدي بالنسبة للجبل والصوري وكذا ذاك البلدي بالنسبة  
 للعجمي والحجازي وعلى كل حال فليست الحاجة ماسة لغرس شجر البن في  
 مصر بل ربما عد من الامور النافلة لان ما ينبغي تجديده هنا من المحسنات ان  
 لم يكن عظيم الجودة أو تدعوا اليه الحاجة فالتشبت به ليس تحته عظيم طائل  
 وأما ما ذكره صاحب الملاحظات من تربية أغنام المارينوس في الفيوم فأراه  
 فيه أدق من رأيه في غرس شجرة القهوة فترية المارينوس محض منفعة لا محض  
 شهوة اذ القهوة محض كيف ولهذا انكر على متعاطيها بعضهم وهو الخطيب  
 غير القزويني والشريني ورد عليه بعضهم بقوله

قهوة البن حرمت فاحتسوا قهوة الذيب  
 ثم طيبوا وعربدوا واصفعوا الى قفا الخطيب  
 (وقال آخر)

قهوة البن حرمت فاشربوا قهوة الغنم  
 ثم قوموا وعربدوا واصفعوا من هو السبب

وقال بعضهم في مدحها

قم واسقني قهوة بنية فضحت بنت الدنان وشنف لي الفناجينا  
 من كف ظبي رشيق القدذي حور نادته عشاقه يا الف ناجينا  
 تدعو الى نحو ما فيه البقاء ولو دعت الى نحو ما فيه الفناجينا  
 لو أن ألف امرئ طافوا بساحتها راموا النجاة وجدت الالف ناجينا

ثم ان اغنام المارينوس المقصودة بالتربية هي الاغنام الاندلسية ذوات  
 الصوف الناعم والصوف من حيث هو في جميع بلاد الدنيا قديما وحديثا

« مطلب »  
 اة-مية الحاذ  
 صوف الصناعة  
 قديمة الالاحة  
 بان من اخترعها  
 من الامم

معتنى به من ايام المرحوم محمد على كمال الاعتناء وأعظم من اعتنى لغرسه والاكثار  
منه واستخراج أنواع العسل والسكر مما يكنى القطر المصرى هو المرحوم  
ابراهيم باشا فانه عمم زراعته فى شفالكة التى بغر الصيعد وبالصعيد بمدرية المنية  
أو غيرها حتى نافست مصانعه السكرية مصانع الافرنج وهو أول من جدد  
الوابورات لسقى ذلك وصناعته وجلب القصب الجمايكي حتى انحطت بمصر اثمان  
السكر وقد كان الاورايون يتغالون فى اثمانه كل المغالاة وتبعه فى ذلك كثير  
من دوائر الدوات وأوسيات الاعمال حتى كاد لا يخلو منه قسم من الاقسام  
المصرية لكثرة أرباحه ثم لما آلت الدوائر الابراهيمية أى أغلبها لملكه  
الخدوي الاعظم اتسعت مصانعها وكثرت وابوراتها واعظم محصولها حتى كادت  
تجارة أوروبا فى السكر أن تكون كالسدة فى القطر المصري خصوصا وسكر  
مصر لا يفوقه فى الجودة والحلاوة غيره واماما أشار اليه من غرس شجر البن  
فى الصعيد وانه يمكن أن يخصص لغرسه مقدار جسيم من الاراضى فالظاهر  
أن الحكومة لم تمتن بذلك لانه سبق تجربته وانه لا يبلغ فى الجودة درجة  
البن اليمنى بل يكون دونه بكثير ونهاية الحال انه يصير كالبن الخارج من جزيرة  
فرنسا وغيرها المسمى بالبن الافرنجى وهو قليل الرواج بالديار المصرية وغيرها  
من البلاد حتى انه على كثرته فى بلاد السودان المصرية ورخص ثمنه لا يعتنى  
أحد بجلبه الى الديار المصرية لان شرب القهوة بديار مصر وغيرها بالبلاد  
الاسلامية انما هو من قبيل السكيف والتلذذ بالنكهة كشرب الدخان وقل من  
يستعمل القهوة ممزوجة بالبن وحده أو مع البيض لا كل ما يخبز كما يستعمله أهل  
أوروبا بكثرة فيقومون بأى بن كاد على أن أكثر تجار مصر ينجون فى البن اليمنى  
ولهم فيه عملاء وشركاء فهو من أهم التجارات اليمنية فالقصد الاكبر الذى

لزراعة القطن حيث اتسعت دائرة مزارعه بعناية الحكومة كما هو ظاهر  
للعيان وغني عن الدليل والبرهان هذا ما ابداه موسيو فوناس غوطيه المولى  
اليه في هذا الفصل بصريح قوله

ومن المعلوم ان ملحوظه في محله وانما فيما سلف كان قد شرع في تربية  
دود القز جتتمكان المرحوم محمد على وحصل من ذلك النفع الجلى ولا زالت  
الى الآن تربية دود القز في حيز الموجودات وانما هي مقصورة على بعض  
جهات في المديرية فاذا حصل التعميم كان بالنسبة لتقدم صنائع الوطن  
معدودا من النفع العميم وأما ما أشار اليه صاحب الملاحظات المذكورة  
من تحسين زراعة الارز فلا يجهل انسان أن زراعة الارز في الاقاليم البحرية  
ملتفت اليها كل الالتفات ولها خصائص ومزايا بمعاونة زراعتها من كثير من  
العمليات وأنه قد تجدد في أكثر دوائرها للتنظيف والتبييض كثير من  
الوابورات وقد صح بالاجماع والاتفاق على أن أرز مصر أجود من غيره  
على الاطلاق فأرز عين البنت أجود من أرز أمريقة وأرز ايطاليا الخارج من  
من أرض البنادقة وهذا الرأي لا ينافي ما قضى به قضاة المعرض الباريسى من  
الحكم بالاولوية والامتياز لصف أرز ايطاليا لان مطمح نظرهم فيه انما  
كان للون فانه أشد أنواع الارز بياضا فهو بهذا المعنى يعجب الناظر أكثر  
من أرز مصر

« مطلب »  
تحسين زراعة  
الارز بالاقاليم  
المصرية

وأما أرز أرض مصر فهو وان كان دون ما ذكر في اللون الا انه  
شتان ما بينهما في الطعم فلا يفوقه في طعمه صنف من أصناف أرز الدنيا لا  
سيما نموه بالنضج نموا وافرا فهو أخص أوصافه وأما ما أشار اليه المؤلف  
المذكور من غرس قصب السكر في مديرية المنية لصلاحيتها له فهذا أمر

« مطلب »  
غرس قصب  
السكر في  
مديرية المنية



والتعود على الحر وأبناء مصر متوفر فيهم ذلك كله بخلاف أوروبا وبالفوجب أن تكون مصر مثرية في المواد الحريرية الاولى غرسا وتربية وأن لا تجلب حريرها من الخارج وأن تشتغل المشغولات الحريرية الدقيقة والغليظة بنفسها في مصانعها وأن تتخلص من ربقة شراء الحرير من البلاد الاجنبية بالاثمان الغالية فانها الى الآن تصرف الاموال الجسيمة على الاستحصال على الحرير فيجب عليها ان توسع دائرة محصولاتها وتجارتها فاذا وصلت الى اقصى درجات جهدها في تربية دود القز اتسعت دائرتها في غزله وفتله سريعا وفي صناعة نسج الحرير ومشغولاته فتأخذ من حرير بلادها مقدار ما يكفي حاجتها وما زاد على الحاجة من الخام والمشغول تنفذه الى البلاد الاجنبية لبيع فيها بالملايين من الاموال وهذا خير من أن تبقى على حالتها الاصلية فاقدة لهذه المزية مقتصرة على اشتراء الحرير المصنوع أو غيره من البلاد الاجنبية

فمن أمعن النظر وأنعم الفكر في تربية دود القز بالديار المصرية ظهر له بالحساب الصحيح مقادير الارباح الجسيمة التي تكتسبها مصر من هذا الصنف فان صناعة الحرير لم تزل الى الآن في ديار مصر قليلة التقدم بالنسبة لغيرها من الممالك فبالطريقة السابقة تتقدم تقدما عظيما بحيث تم سائر الجهات المصرية وتمتد باطرافها واكتافها لان العمدة في مشغولات الحرير وأقشته على صبغته ولونه

ومياه النيل المبارك تساعد كل المساعدة على حسن الصبغة واللون مما به تزين المشغولات الداخل فيها الحرير كالمناديل والمحارم والملابس فجميع مشغولات الحرير تبلغ الدرجة العالية في عدة من السنين بشرط أن يحصل التشويق من الحكومة المصرية للحرير كالتشويق الحاصل الآن

مطلب  
مساعدة مياه  
النيل على حسن  
التلون بالصباغة



الحرير من جوزه فتحتهج الى كثرة المصاريف للاحتراس والتدارك  
وكذلك فصل تربية الدود غير موافق في تلك البلاد فان الدود يضعف بواسطة  
دى الربيع ويضر بالاوراق الشابة المتجددة في اوان توليدها للحرير وبقسمها له فبهذا  
تكون التربية بطيئة فيقاسى الدود مدة ما يقاسى من التعب ثم يتغير الربيع بالصيف  
فينضج الدود بفترة وجأة فتتشف الاوراق وتحترق فتخبب التربية ولا يحصل  
المقصود منها بل يعتري الدود اسباب الامراض فلا تصادف التربية محلا  
فى الغالب ببلاد أوروبا وأما فى بلاد الهند والصين وياپونيا فلا يمنع الحر من  
تربية دود القز بل له فيها منفعة فاذا احتاج الحال الى رطبيه وتعديله فان ذلك يحصل  
برش المعامل بحسن التدبير وأما من البرد والصقيع الذي يقع فى اوربا فى فصول  
البرد ولو فى الربيع والخرىف فلا يمكن مداواة نزول الصقيع فيها من اسباب مرض  
الدود فليس له علاج أبدا على أوراق الشجر النقرة المتجددة فيكون الصقيع  
فمن هذا يفهم أن مصر صالحة جدا لتربية دود القز ولا يساويها فى  
الصلاحية لذلك غيرها من البلدان فيها يحصل الغنى والثروة زراعة وشغلان  
زراعة التوت متى تتجت وتجت التربية والاستحواذ على جوز الحرير ترتب  
على ذلك نتاج المصانع والمشغولات الحريرية اذ ليس فى اقليم مصر مانع يمنع  
من ذلك كله لا اعتدال اقليمها ووجود الحرارة الملائمة للتربية بها واستواء  
الحرارة فى فصل الربيع الذى هو عبارة عن برمهات وبرموده وبشنس فهذه  
الشهور الثلاثة تكفى لتربية دود القز فهي صالحة له من جهة مزاج القطر  
وموافقة أيضا لدود القز من جهة أخرى وهي مواظبة أهلها على أشغال  
الزراعة والفلاحة وعلى أشغال التربية والجنى والحصد فان لين أعضاء الاولاد  
والبنات يوافق شغل الحرير اذ شغل الحرير يحتاج الى شينين وهما خفة الايدي

الزراعات الاخرى فان غرس اشجار التوت يكون علاوة على غيره من  
الزراعات حيث يغرس على حافات الترع والخلجان العديدة وعلى الطرق  
الكبيرة والصغيرة العمومية والخصوصية وعلى حدود الشفالك والواسي  
والاراضي المملوكة والاتربة وعلى الجسور وأسوار المدن والقرى والكفور  
لتكون أشجارهم مظلة حول القرى والغيطان والكروم والبساتين وهي  
أعظم ما يكون في الوقاية من حر الشمس

فاذا تم غرس هذا الصنف على هذا الوجه فانه يكون في آن واحد  
ابتداء مغروسات سريعة الانبات بديعة المحصول ولا يخفى أن مديرية البحيرة  
واسعة الاراضي المسطوحة فاذا غرست شطوط ترعها بأشجار التوت كان  
لها منظر الظرافة والثروة وتعد من المنزهات الخلائية يستظل الفلاح تحتها  
وقت الاستراحة ويستريح المسافر عندها وارباب السياحة وتحجب الرياح  
الشديدة المهبوب وتطفئها وتمنع شدة مضرتها وحده اذاها لا سيما في ايام  
القيظ وحرارة الخمسين وتنفع أيضا هندسة الطرق المدبرة لتحسين حصيد  
جوز الحرير فانه ينمو فيها الغرس فتكون تربية الدود تربية متوالية وأجود  
من تربته في اوروبا اذ ثمر دود القز يخرج أربع مرات في السنة كما يحصد  
في بلاد الصين والهند وياپونيا وفي مملكة برمان وكما أن مصر صالحة لدود  
القز استخراجا بزراعة التوت فهي صالحة لحلجه وتظنيفه وغزله وصناعته  
أكثر من غيرها فينجح فيها كل النجاح اذ يتحصل منه أصناف جيدة  
منتظمة بهيجة النعومة واللون والقوة والتمدد واللين مستكملة لجميع ما استدعيه  
جودة هذا الصنف بخلاف الحرير في اوروبا فلا يعطي الا محصولا واحدا  
فان شهور فصل الشتاء طويلة الليالي كثيرة الرطوبة، ووجهة لاستخراج

الصناعات الى الاقطان فكذلك المنافع العظمى تستدعى نمو الحرير لرواجه  
فان مصانع فرانسا الآن في اشد الاحتياج الى الحرير وهو مطلوب أيضا  
لمصانع ايطاليا واسبانيا نعم ان بلاد يابونيا والصين والهند والدولة العثمانية  
مجلوب منها هذا الفرع التجارى الصناعى الا انه لا يفي بحاجة الصناعة لعموم  
الجهات وحيث ان الاقاليم المصرية مملكة مستجدة بالنسبة للصنائع الحالية  
ومتشبهة بالحصول على درجة الكمال فاستخراج الحرير فيها يكون من صالح  
المصالح فاذا غرست فيها أعواد التوت الصغيرة فلا تمكث مدة الا وتجمد  
وتعلو اذ ليس من الشجر ما يقوى على الشموخ مثل شجر التوت ولا من  
البلاد التي في دائرة البحر الابيض الرومي من له هذه المنقبة مثل مصر ففيها  
يكثروا ويسعف جميع الجهات فان الحرير الآن في سائر البلدان متجاوز الحد  
في الاثمان فلا يقدم على شرائه الا أصحاب الاموال الجسيمة وهم الاغنياء  
المفرطون في جمع الاموال فهم يفتنمون فرصة احتكار زراعته أو الاستيلاء  
عليه فلا يكادون يخرجونه الا بالاثمان الغالية لقلته فتكثيره في بلاد الدنيا لا  
يكون الا بواسطة الحكومة المصرية حيث مواقعها الطبيعية أصلح المواقع  
لزراعته اذ ما فيها من التوت العجوز يتحصل منه حالا بواسطة التربة والخدمة  
أجود ما يكون من الحرير فاذا صار تعليمه بمعرفة أهل الصناعة بالطريقة  
اللازمة زاد محصوله وسهل اجتناء ثمره ثم تغرس عيدان التوت الشابة بترتيب  
لطيف فيتحصل منها أوراق ظريفة مع حسن الاقتصاد في مصاريف الصناعات  
المستخدمين لذلك

فاذا صار في الاقاليم المصرية الابتداء بخدمة الحرير الكثير المحصول  
على هذا الوجه في الاقاليم البحرية فانه يصير كثير الارباح جداً ولا يضر في

الفرز بالاقليم البحرية وظهر له أن استخراج الحرير من غرس شجر التوت  
وتربية دود القز واستخراج الحرير منه يزيد في عمارية مصر وفي مصانعها  
وثروتها

ونص عبارته فيما كتبه في هذا المعنى قد كان محصول القطن في العهد  
القريب بغية تجار مصر وزراعتها وكان الاشتغال به مستوليا على عقولهم وجل  
مراهم وأقوى غرامهم وأغلبهم يحبس رأس ماله عليه ولا تميل نفسه الا  
اليه ولم يخطر ببال أحد منهم أن يميل الى غرس التوت ولا تنبه للاستحصال  
على الحرير ولا استيقظ لما يترتب عليه من المنافع العمومية المهمة مع انه  
أيضا منبع الغنى والثروة والظاهر أنه لم يعزب ذلك من عقول المتقدمين منهم  
وانما لم تساعدهم الاوقات والاحوال ولا أعانهم على ذلك ولالة الأمور في  
الازمان السابقة والآن قد حان أو ان الوعظ باتخاذ ولعل الوعظ فيه يقرع  
الاسماع ويؤثر في النفوس الزكية المحرصة على جميع انواع الانتفاع ولا أنفع  
لمصر من غرس التوت لتحصيل الحرير فانه ينشأ عن ذلك الخير الجزيل والغنى  
الغزير فان غنى مصر يكون في المستقبل بدون الاستحصال على الحرير ضيق  
الدائرة كما يكون كذلك بدون القطن فان زراعة شجرة التوت القزى لم يأخذ  
من اراضى مصر الا الاماكن الخالية الآن عن الغرس فاذا انضمت من  
الآن فصاعدا زراعة هذا الصنف الى زراعة القطن على طريقة حسنة فلا  
ينقص ذلك من اراضى مصر شيأ ولا ينقص كمية زراعة القطن

فهذه الطريقة الجامعة بين الزراعتين يزيد غنى أهالى مصر عما كانوا  
عليه قبل كساد القطن عقب صلاح أمريقة ولا شك أن كل عاقل يتنى شدة  
الاعتناء بغرس التوت بقدر اعتناء الحكومة بتنمية القطن لادراكه احتياج



كالكمثرى وغرسه في أول شباط وإلى آخر أذار وتغرس أصوله بعروقها  
وقضبانها انتهى كلام ابن وحشية

وقال ابن بصال وجه العمل في غرسه ان تحفر له حفر رقيقة ثم يغرس كما  
يغرس التين ومن الناس من يغرسه كما يغرس الرمان او تارا واذا نبتت عروقه حول  
(قال) أحمد بن وحشية التوت أعز الاشجار لان دود القز لا يأكل الامنه  
ومنافعه كثيرة جد اوقد قال المعتصم العباسي لعمال البلاد استكثروا من شجر  
التوت فان شعبها حطب وثمرها رطب وورقها ذهب انتهى قال الشاعر في ثمر  
التوت

ومختضبات من نجيع دماؤها اذا حبست من بكرة الغدوات  
تكاد بأن تطفى اذا ما لمستها فأرحمها من سائر الثمرات  
ولما من الله سبحانه وتعالى على الملكة المصرية بتقديمها في طريق التمذات  
العصرية وفد على مصر كل وافد وقصدها كل قاصد ممن له نصيب في المعلومات  
الصناعية والمنافع التجارية والزراعية رجاء ان يجد في مصر نصيبه في النعمة وأن  
يروج صناعته بانفس قيمة فكان ممن حضر من بلاد فرنسا شخص يسمى  
الفونس غوطيه من أرباب الزراعة يتشبت بفلاحة غرس التوت وتربية دود  
القز واستخراج ابراره للسماء بالشنارق وطرق حلجه وتصفيته وتنظيفه وكيفية  
غزله وهذا الوافد كغيره من الوفود الاغراب انما حضر الى مصر رجاء ان  
يجد فيها نصيبه من الربح بحولان النظر فيما يديه من التعريفات لتنمية هذه  
المنفعة فهو متشبت بالتجربات والعمليات من منذ ستة أشهر يجتهد كل الاجتهاد  
في تجاربه العديدة وهو الآن مشغول بتجربة ذلك في الجزيرة بأمر عزيز  
بمصر الجالب لها الفوائد الغزيرة ويقال انه كان قد نجح أيضا في تربية دود



وأما اذا صار تسبيخ أرض القطن فلا بد من سقيها وفيض الماء فوقها ولا مانع من استمرار السقي كل خمسة عشر يوما مرة ان كان من كل الارض ومزاج القطر صالحا لذلك وهذا في غير زمن الاثمار وبعضهم يقول ان السقي غير لازم من ابتداء التزهير ويرجع ذلك لان الشجرة في زمن تزهيرها موجود بها ما يكفيها من الفواعل المعينة على تغذيتها لاسيما وان ساقها مغطى بما يظللها من الفروع والاوراق التي من عاداتها تجديد الرطوبة المساعدة على تنضيج الاثمار وبلوغها حد الكمال

واما غرس شجرة التوت وتربية دود القز بالديار المصرية فيحتاج أيضا الى بعض اطناب فنقول ان من المعلوم أن التوت مألف الفرس عند العرب ويسمى الفرساد قال ابن وحشية صاحب الزراعة التوت انواع يخالف بعضها بعضا في الطعم والطبع وفيه ألوان فمنه الأبيض والأسود والاحمر والاصفر والاغبر وكذلك طعمه فيه الحلو والمر والتفه واكثر ما يتخذ غرسا وتحويلا وأجود ما ينبت منه ما أكله بعض الطيور الموجودة في البساتين وزرقه لان بزر التوت لا ينهضم في معد الحيوانات كلها فالطيور اكله ويزرقه على شطوط الانهار وتحت سقوط مجارى الامطار فينبت نباتا جيد الا أنه اذا وقع الى الارض من جوف الطائر وقع وزبله معه فينبت بسرعة والطيور التي تحب لقط ثمر التوت كثيرا هي الفواخت والوراشين والعصافير والغربان وهذا النبات يوافقه الماء موافقة كثيرة وليس له زبل يختص به بل جميع الازبال على اختلافها موافقة له ويحتاج الى التسبيخ مرتين في السنة وقد ينبت في البرارى بنفسه ويعظم فيها الا انه اذا نبت بقرب المياه وعلى اطراف الانهار كان اجود ويوافقه ريح الجنوب وتلقحه لقاحا حسنا وهو يدعرقه الى أسفل الارض

وبدون اعطاء الارض حقها في السقي لا تجدى ولا تثمر ولو توفرت الشروط  
الاخري فسقى الارض في الاوقات اللازمة عليه نجاح زرع القطن فلا  
تستغنى أشجار القطن عن أخذ حقها من الماء خصوصا في الاقاليم الحارة  
المتمكنة منها أشعة الشمس المحرقة وينبغي أن يحترس في السقي أن لا يكون  
زيادة عن المقنن

فقد ظهر بالتجارب الصحيحة ان سقى القطن اذا زاد عن المقنن ينقص  
جودة جنس القطن وسواء كان ذلك في زمن حرث الارض أو بذر التقاوى  
فينبغي أن يكون تقسيم المياه وتوزيعها بحسب الحاجة  
ثم ان السقي للاراضى القطنية وريها قد يكون لازما قبل دخول زمن  
البذر وتارة يكون عقب اتمامه والارجح ان لا يصير سقى الاراضى المبدورة الا  
بعد البذر بخمسة عشر يوما أو بعد تخفيف الارض من أعواد القطن الضعيفة  
مالم تكن المزرعة كثيرة اليبوسة فانه ينبغي الاهتمام بسقيها عند مجرد الانبات  
وقديعتى في بعض البلاد يرى الحفر المعدة لبذر القطن وتركها مدة من الزمن حتى  
تنشف قبل وضع التقاوى فيها

ولا يمكن تحديد زمن لسقى الارض ولا تقدير كمية الماء الذى يسقى به  
بل هذا موكول لمهارة الزارع حيث يراعى ما يوافق مزاج قطر بلده وطبيعة  
أرضه حيث أن الارض المرملة المتشققة تسقى أكثر من الارض الطينية المتكاثفة  
التي من طبيعتها الرطوبة وكذا اذا كان القطر حارا يابس قليل الامطار يلزم  
تواتر السقى مالم يكن معتادا بكثرة الندى لان نفع الندى في كثير من البلاد  
مثل نفع الامطار ولذلك كثير ما تنجح شجرة القطن وغيرها من النباتات  
الشديدة الحرارة المعدومة الامطار

واما الدور الثالث فيكون في وقت دخول زمن التزهير ولا يجب عمليات اذا نبتت الازهار وظهرت لانه يخشى في ذلك الوقت من سقوط شيء من الازهار بعملية العزق والتنقية فان المزرعة اذا حسنت تنقيتها قبل دخول التزهير فان العيدان تكون في هذا الاوان مظلة على ماتحتها من الارض فلا تضرها النباتات الاجنبية ومع ذلك فمن اللازم أن تكون الارض دائما بالتلطيف نظيفة نقية خالية من الحشائش الاجنبية بحيث لا يصير ابقاء الحشائش الاجنبية حتى تنمو وتظهر ويلزم انه لا يمس قشر جذوع اشجار القطن جرم أجنبي فيلزم لهذا عزق الارض وتنظيفها ثلاث مرات فأزيد في العام الواحد خصوصا في مزارع القطن التي تزرع بالسقي لانها في العادة تكثر بها الحشائش الاجنبية فيجب تعهد هذه الحشائش بالقلع وابعادها خارج المزرعة

ويكون تزهير شجرة القطن بعد انباتها على سطح الارض بنحو خمسة أشهر بل بما دون ذلك في الاقطار الحارة وبأزيد من ذلك في الاقطار الباردة وكذلك بدو ثمرتها قد يتقدم أو يتأخر حسب مزاج طبيعة القطر وسم الاشجار ولا مانع من ابتداء جني القطن في آخر الشهر الخامس أو السادس وتقل العمليات المقتضى اجراؤها في اثناء زمن التزهير الى استواء الاثمار وربما انحصرت جميع العمليات في تقليم الفروع الميتة ويجب على المزارع الماهر أن يستيقظ بين مسافة التزهير والانبات لحفظ الشجرة ووقايتها مما يعثرها من الآفات

وأما سقي شجرة القطن بالبلاد الحارة اليابسة فهي أعظم ما تعين على انبات النباتات فان الماء اقوي الاسباب الموجبة لحياء الارض وخصوبتها

التقاوى لكي يمكنهم اعادة الغرس مرة أخرى فالزراع المتبصر بالعواقب  
يحرص دائما على قدر التقاوى مرتين فأكثر

ينبغي تعهد مزرعة القطن للتنظيف وازالة ما ينبت فيها من الحشائش  
الطفيلية والنباتات الاجنبية وخلعها اما بالايدي واما بالآلات وكذلك يجب  
الاعتناء بعملية تقليمها تقليما جزئيا أو كليا وينبغي الاعتناء بها في زمن بدو  
ازهارها وأثمارها والاعتناء بكيفية سقيها

و مطلب  
لاعتناء بشجرة  
القطن في اثناء  
انشاؤها ونموها

وبيان ذلك أنه متى شوهذ أن الحشائش الاجنبية زاحمت عيدان شجرة  
القطن النابتة يجب عزق الارض وتنظيفها من الحشائش وقد جرت العادة  
أن أ بذار شجرة القطن تخرج من الارض بعد مضي أسبوع من بذرها اذا  
كانت الارض محتوية على درجة الليونة اللازمة وكان الحر شديدا ومع ذلك  
فقد يتقدم الانبات أو يتأخر عدة ايام بحسب ما يقتضيه مزاج القطر وطبيعة  
الارض وتكون تنقية الحشائش في المرة الاولى متى بلغت عيدان القطن  
أربع ابهامات أو خمسة أو ستة يعني متى مضى شهر كامل تقريبا بعد البذر  
وأما يلزم الاحتراس من اتلاف العيدان الصغيرة المستورة بالحشائش والاحسن  
استعمال اليد في قلعها أو بالمنجل المقور وكذلك ينبغي في عزق الارض الاهتمام  
بقلع عيدان القطن الضعيفة وابقاء القوية للتخفيف مع الاحتراس من أن  
لا تترجح العيدان الباقية عن مكانها ولا تتلف جذوره ومن الواجب  
لتثبيت الجذور وتمكينها بعد خلع العيدان الضعيفة أن يصير دك الارض  
بالرجل في جميع أجزاء الغيط وهذه العملية تكون في التنقية الثانية يعني متى  
بلغت العيدان في الارتفاع ثمانية عشر اصبعًا ويقال لهذه العملية عملية الدور  
الثاني

الاجزاء الصغيرة من اجزاء قطعهم ومن جزورها واوراقها ولوزها وعيدانها فيحرقونها وينشرونها في الارض المعدة لزراعة القطن قبيل غرسه وقد صار الآن رجميع عصير الزيوت مستعملا في اوربا لتسبيخ المزروعات ولا يفرط أهل الصين في شيء أصلا من الفضلات الانسانية فيدخلونها في انبات البقول على الاطلاق لتقوية الانبات وفي جميع البلدان يستعان بها مائة أو يابسة على تقوية المزروعات بخلاف أهل الصين فانهم ينتفعون بها في زراعة القطن من وجهين الاول طرحها في النقر مختلطة بكمية كافية من الماء لسقى الارض منها الثاني انهم يخلطونها خلطا جيدا بجانب من الطفل أو من طين المزارع ويصنعون من ذلك اكرا صغيرة وينشفونها في الشمس ثم يسحقونها في وقت الطلب وينثرونها على سطح الارض المقتضى زراعتها وقد يستعمل في بلاد الصين التسبيخ بالجير لاصلاح اراضي القطن كما يستعمل ذلك في بلاد أوربا وهذه الطريقة نافعة لزراع القطن اذا كانت أرض القطن خالية من المادة الجيرية

مطلب  
زمن بذر القطن

وزمن بذر القطن يكون تارة مقدما وتارة مؤخرا بحسب ما يوافق مزاج القطر وطبيعة الارض ومع ذلك فهو دائما قبل دخول الشتاء بشهرين أو بثلاثة في البلاد الباردة الثلجية والبلاد الحارة القليلة الرطوبة وينبغي بذر التقاوى في الاراضى حين وجود درجة الحرارة المطلوبة فان بذرت قبل ذلك لا تنبت ويصير تعفين البذر وينبغي أن يكون رمى البذر في يوم الصحو ولا يجوز أن يكون في زمن نزول الامطار الكثيرة فانه يترتب على ذلك تعفن البذر ايضا

ومن الواجب أن يحافظ المزارعون في كل عام على أكثر مما يلزم لهم من



محصول السنة الماضية وهناك عادة مطروقة في بعض البلاد وهي خدمة التقاوي  
 لانفصال الجبوب من بعضها وتفريقها وتنظيفها من الالياف القطنية المشتبكة بها  
 وطريقة ذلك وضع التقاوي في الماء عدة ساعات ومزجها بعد  
 بالرمل أو الرماد أو الطين المسوس ثم دحكها فيما بعد بعضها فوق بعض بالأيدي  
 أو بالارجل وبعض الناس يغمسها في الماء اثنتي عشرة ساعة لقصد تعجيل  
 انباتها ويحسن استعمال هذه الطريقة في الاراضي اليابسة القليلة الرطوبة وأنفع  
 من ذلك لتكثير المحصول غمس التقاوي في الماء المزوج بهباب المداخن أو  
 برجيع معاصر الزيوت فانه يقيها أذى الحشرات الارضية كاللدود

ومن المعلوم عند أرباب الزراعة ان الارض المتكونة من طرح البحار  
 والانهر الغزيرة الطمى غنية عن التسبيخ ومثلها في ذلك الاراضي البور التي  
 صارت اصلاحها قريبا وأما ما عدا ذلك من الاراضي فلا يستغنى عن التسبيخ  
 وبيان ذلك ان القطعة من الارض يمكن للزارع خدمتها وغرسها اقطناء والاستحصا  
 منها على ما يشاء من المحصول بشرط أن يكون تسبيخها حسب اللزوم  
 وأن يكون سببخها موافقا لطبعها وان يوضع فيها من السبخ القدر اللازم  
 على قدر الحاجة فوضع السبخ بالقدر اللازم والجودة المطلوبة متعلق بمعرفة  
 الزارع وبطبيعة الارض وأهل الصين هم الذين يحسنون زراعة القطن ويحيدون  
 تسبيخ أراضيهم الا ان استعمال التسبيخ بروث المواشي والخيول قليل جدا  
 عندهم لعدم اعتنائهم بتربية الحيوانات فلهذا يقوون الارض بطين الانهر  
 والخليجان والوديان والبرك وبأنواع الرماد ورجيع عصر الزيوت وبالفضلات  
 الانسانية الا انهم يفضلون الرماد على غيره خصوصا رماد القصب  
 والخيزران والحشائش الطبيعية واوراق الاشجار ويحترسون على تجميع

مطلب

بيان تسبيخ  
 الارض المهيأة  
 لزراعة القطن

يخاطه بالسبخ ولا يترك مكشوفاً فيها بوسة واحدة ويضع في الجزء المكشوف  
تقاوى القطن بالوجه اللائق وفي كل نقرة يضع من البذر ثلاثة أو أربعة أو خمسة  
ثم يتم ردم النقرة بباقي الطين الذي خرج منها ويجعل ارتفاع النقرة مساوياً لارتفاع  
مسطح سطح الأرض المجاورة لها لئلا تكون مخزناً للمياه التي تعفن البذر ويلزم أن  
تردم جميع النقر التي وضع فيها البذر في يوم حفرها خوفاً من اتلافها بنزول المطر أو  
نحوه وينبغي أن تكون أشجار القطن متباعدة عن بعضها لتمكن الهواء والضوء  
منها وينبغي بعد حرث الأرض لزراعة القطن أن تمر فوقها الآلة المهراسة لتكثير  
قطع الطين الكبيرة وفكها ومن أهم الأمور انتخاب التقاوى بأن تكون كاملة  
النضج سليمة خالية عن العيوب مأخوذة من ثمار الأشجار القوية النمو والا كان  
محصولها ضعيفاً وخسيساً وخلياً عن الجودة ولذلك ينبغي للزارع البارع أن  
يختب قطعة أرض في جهة من الجهات المعتدلة الهواء ويزرعها من الأشجار  
الشديدة القوة ويعدها للتقاوى فينتخب منها ما يكون متكاملًا في الحب ثقيلاً  
في الجرم ولا يخلطه بنيره من الجبوب ثم يبذر منه في الأرض ومن محصولة  
بالخصوص إلى أن يظهر له انتقاص المحصول في الكمية والجودة فيتدارك  
غيره أو أعظم منه من التقاوى فقد صح بتكرار التجارب أن تكرار زراعة  
الصنف الواحد في الأرض نفسها يعتريه على مدى السنين تناقص في الجرم  
والجودة فالأرجح لمصلحة أرباب الزراعة القطنية استبدال تقاوى أراضيهم  
بتقاوى الجهات المجاورة لهم أو جلب تقاوى أجنبية من الخارج وعلامة الخساسة  
في تقاوى القطن أن يكون مفتوح اللون عظيم الجرم وأن يكون غلافه  
محتوياً على نقط بيضاء وأن يعوم على وجه الماء وعلامة الجيد أن يكون  
صلباً ثقیلاً الوزن والغالب عند أرباب الزراعة أن التقاوى تكون قديمة من

الاراضى وان لم يكن شديد القوة لكن كثير المحصول الجيدا الصنف وسريع الاستواء وقد ينجح غرس القطن في الاراضى المتوسطة الخصوبة التى يتعسر فيها نجاح غيره من الزروع والحاصل ان تمام نجاح غرس القطن ونموه يكون في الاراضى المحتوية على الرمال الدقيقة السهلة الحرث القليلة الرطوبة وانما ينبغي الاعتناء باصلاح الارض قبل البذر فيها وينبغي النفطن الى ان ساق شجرة القطن لا بد أن يدخل فى الارض ثمان عشرة بوصة يعنى أصبعاً لا اقل من ذلك وانها لا بد لسيقانها من التعريش والامتداد فالارض الصلبة الكثيفة الصعبة المنافذ لا تليق لها ولا يدرك الزارع التعمق والتجنب الا بمعرفة درجة العمق المطلوب لوصول الساق فى الارض ومقدار مسافة البعد المطلوب بين ساق كل عود مع العود المجاور له أما معرفة العمق فيسهل الوصول اليها بحرث الارض والتعمق فيها بقيمة ثمان عشرة بوصة الى عشرين بوصة واما معرفة قدر مد الساق من الفراغ لتعريشه فهى تابعة لطبيعة الاراضى والمعتاد فوات الفراغ بين الخطوط بقدر سبعة اشبار ونصف فى الاراضى الضعيفة وثلاثة عشر واربعة عشر شبرا فى الاراضى الخصبه القوية فينبغى للزارع أن ينتخب محلا مخصوصاً ويفرس به جملة أشجار بعضها متقارب وبعضها متباعد فالانجح منه يتبعه

وينبغي الابتداء بحرث الارض وازالة ما بها من آثار النباتات الطفيلية والحشائش وان يشق جوفها بالحرث أو بالعزق الا ان العزق ينفع فى الاراضى المنفصلة الاجزاء دون السمينة القوية وبعد الحرث والعزق يرتبها حفرا وشقوقا ونقرا ويتركها عرضة للشمس والهواء مدة من الزمن مع تنقية ما فيها من الاحجار ثم يردها بالتانى باعادة كمية الطين الذى أخذ من جوفها بعد أن

وفي زمن جنيتها يقتضى تأخير المحصول ووساخة القطن والاضرار بما يجنى  
وأما اذا كانت الامطار غير متعاقبة بل متباعدة المسافات فانها تنفع لنمو  
أغصان هذه الشجرة وكبر حجمها وجودة جنس القطن

ويجب ان تفرس اشجار القطن في جهات متباعدة عن الاورمان  
والغابات وأن تكون بحيث لا يمنع ظل الجبال والتلول تمكنها من اشعة  
الشمس لان الظل يؤذى شجر القطن ولو في الاقطار الشديدة الحرارة  
ويسقط ازهارها وكذا الرياح العاصفة والباردة تضربه فينبغي أن يزرع  
القطن في الجهات التي ليست عرضة لهبوب الرياح

ومن المجرى ان نفع الهواء مثل نفع النور للزروعات فينجح زرع القطن  
في التلول المتوسطة الارتفاع التي تربيها الأهوية النافعة وان لا يظلها ظل  
وان يكون عمق الارض الدرجة اللازمة لها وان لا تكون الارض صلبة  
ولاحجرية ولا يابسة فاذا كانت الارض يابسة ينبغي سقيها وتنجح شجرة  
القطن في الاراضي المتخلخلة المشوبة بالرمل أكثر من نجاحها في الاراضي القوية  
الابليزية وتنجح في الاراضي الخفيفة اللينة أكثر من نجاحها في الاراضي  
اليابسة لان ذلك نافع لتشعب سيقانها وتعريشها ومن المجرى انها في الارض  
القوية الخصبية ولوانها تنمو بليغا وتكثر ازهارها غير ان الازهار تسقط  
بالسرعة فلا تنتج المحصول الكثير ومثل ذلك ما اذا كانت الارض شديدة  
الرطوبة فان ازهارها تسقط سريعا وربما حدث من ذلك عفونة سيقانها وبزرتها مما  
ولا تنمو شجرة القطن كما لا ينمو غيرها من النباتات اذا غرست بالاراضي  
الصخرية والحجرية لان سيقانها لا تجد شيئا تخترقه وتنمو فيه ويصلح لغرس شجرة  
القطن الاراضي الرملية الدقيقة الرمل المشوبة بالطفل أو بالجير فنموها في هذه



أيام من اعتنى من بعده ووفى لعمار المملوكة المصرية بالشروط والاركان فاما ما يتعلق بالبور المذكور فقد انتظم من أيام الرحوم محمد على الى وقتنا هذا في سلك المعمور إما بالاقطاع والتليك لقصد الاصلاح واما بالضريبة أو التأجير للفلاح وغير الفلاح ومن وقت الحكومة الاسمعية صار احياء ثلثمائة الف فدان من الموات حتى قل أن توجد من غير المزرع الا اطيان جزئية في محال عالية أو كالحواجز التي انحسر عنها النيل ولم يبق من البور الا القليل

« مطلب »

بعدم ضرورية  
الروج المدبرة  
في مصر

واما تجديد المراعي المدبرة فقد تجدد شيء من البرسيم الحجازي في الدوائر والاواشي المتبعة الا ان مصر تزرع البرسيم المعتاد في فصله بكثرة للتسمية ثم عقب الصيف يكثر فيها المراعي بعد الحصيد مجانا ولكثر علفها اليابس لها عن المروج المدبرة مندوحة

« مطلب »

زروع القطن  
غرس شجر  
توت وتربية  
دود القز

واما زراعة القطن فتحتاج الى زيادة بسط الكلام والتوفية بالمرام لانها من انفع المواد للديار المصرية لدخولها قديما وحديثا في المصانع البلدية ومع ان ارباب زراعتها بمصر بأرياف مصر لهم خبرة تامة بغرسها ومباشرتها فلا بأس بذكر بعض مسائل تتعلق بذلك مما هو جار في شأن زراعة القطن في البلاد الاجنبية ليكون به كمال المعلومات فنقول

ان شجرة القطن تنبت بالقرب من سواحل البحار والانهار وفي داخل البلاد بالبعد عن السواحل ايضا ولا يضرها الهواء الرطب متى كانت درجة الحرارة كافية بخلاف ما اذا كان الهواء رطبا والزمن باردا ولا يصالح لشجرة القطن البلاد الكثيرة الا مطار المتعاقبة لاسيما في ابتداء غرسها وفي زمن تزهيرها وفي زمن جنينها فان المطر في زمن غرسها يوجب الغفوة للبذر وفي زمن تزهيرها يسقط الازهار



## الفصل الرابع

في بيان بلوغ المنافع العمومية بالديار المصرية درجة  
ارتقاء جاية في عهد الحكومة الحالية مع بعض ملحوظات بهية

يفهم من الملحوظات المذكورة في الفصل الثاني أن بمصر من البور الصالح  
ما يذيف عن مليون فدان وانه ينبغي اصلاحها والانتفاع بها وانه ينبغي في  
القطر المصري تجديد المروج المدبرة يعني المراعي كالبرسيم الحجازي ونحوه  
وانه ينبغي لا سيما بالصعيد غرس اشجار التوت وتربية دود القز وتعميم  
ذلك في البلاد الصالحة له بالاقاليم البحرية وتحسين احوال الارز وعمل  
طواحين الهواء لتبييضه وتنظيفه والاكثر من غرس القطن واصلاح  
أراضي الفيوم بزرع الاصناف كالسكرتار والنيلة والقطن والاكثر من قصب  
السكر في الاقاليم التي ينمو فيها كراضي المنية وماوي وغرس شجرة البن في مساحة  
عظيمة من ارض الصعيد وتربية اغنام المارينوس الاندلسية في الفيوم وتحسين  
أجناس الخيل بتوليد الخيول المصرية من الخيول العربية الاصائل وعمل  
اصطبلات لذلك بالفيوم والشرقية وتوصيل البحرين الاحمر والابيض  
لتسهيل الاسفار واتخاذ العريش مركزا للتجارة مصر والشام وغرس الاشجار  
العالية بالصعيد لمنع مفسار الريح السموم وتسهيل ورود القوافل من داخل  
افريقة الى مصر لانساع التجارة

فهذا مضمون ما أشار اليه صاحب الملحوظات كما يعلم ذلك من مطالعة  
الفصل السابق ولا يخفى على الخبير باحوال مصر الآن أن كثيرا من  
ذلك قد كان بحسب الامكان في ايام المرحوم محمد علي جنتم كان لا سيما في

فكلامه مبني على شبهة واهبة وهي ان مصر يسوغ أن تصاحف افرانسا  
وأى مملكة تكون لها مضاعفة فاعتقاد ذلك من الاينال المدهي أو من باب  
التشبيهات الفاسدة وانما يقتل النفوس التشهبي تشطير البيت الشهير

جاء شقيق عارضا رحمه صوب بني عم يروم الكفاح  
قيل أما تخشى انكسار القنا ان بني عمك فيهم رماح  
وفي الحقيقة فأغلب ما ذكره صاحب الملحوظات وعليه عول فقد قام  
باغلبية جنتم كان الذي كان هو المجدد الاول وقام بانتميم والكميل خلفه الذليل  
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها  
ولو سامها أحد غيره زلزلات الارض زلزالها

ونقول هنا أيضا ان علة الضم الجنسية فان بنى اسمعيل مستعربة ولا  
يتعجب من هذا ولا يجهله غير غي\* الله أكبر كل الحسن في العرب وسنذكر  
في الفصل الثالث ما يفيد ان هذه الملحوظات لم يعزب منها مثقال ذرة على  
المرحوم محمد على

فان تك افنته الاليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الليالي  
بل ولا على خلفائه من بعده لا سيما الحفيد المفيد الذي لا زال القطر  
المصري يكتسب في ايامه من معالى الامور ويستفيد فالمجددان الالمجدان  
أخرجا المنافع العمومية في مصر من حيز العدم الى حيز الوجدان

وللمككارم أعلام تلمنا مدح الجزيلين من بأس ومن كرم  
وللعلا السن ثنى محامدها على الحميد من فعل ومن شيم  
وراية الشرف البزاخ ترفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم

التجارية لاطمئنانهم على نجاح مقاصدهم وفلاح مواصدهم فاذا اتصفت مصر  
بهذه الصفات وصفت أحوالها هرع اليها كل فريق وحج اليها الناس من  
كل فج عميق فهذا يعمر السكان وتكثر السكان وتجدد البركة يكثر العمل  
وتنبسط الحركة فيستدعي حال المدن الاصلية تكثير المدارس العمومية  
والكتبخانات الاهلية المشتملة على جميع العلوم والفنون لتنوير عقول ذوي  
المعارف ويكثر العلماء والمتفنون وتنتشر على آفاق مصر أنوار المعارف الخارجية  
وأسرار اللطائف الانسانية لا سيما وان أبناء مصر أرباب قرائح ذكية  
وحافظتهم قوية متى قصدوا شيئاً تعلموه في أقرب وقت وزمان وكم قام على  
قابليتهم واستعدادهم لعظام الامور أعظم برهان

« مطلب »  
استعداداً بناء  
مصر بقراينهم  
الذكية لجميع  
المعارف والمنافع  
البشرية

ثم ان تغير حالة مصر الى حالة مستحسنة لا يستدعي من الزمن عشرين  
سنة لان تربتها طيبة ومزارعها مخصبة وواديها سعيدوبها ينمو الحيوان والنبات  
في أقرب وقت ويزيد تنبت الاطفال فيها نباتا حسنا ويتزعرعون في أقرب  
وقت وتنمو أبدانهم نماء مستحسنا والنوع الانساني في مصر يتعود على لطافة  
الاخلاق وانتظام المعيشة والاقتصاد فيها وعدم التكليف بما لا يطاق  
والغالب على أهلها ان تبقى قواهم العقلية الى آخر أعمارهم بدون ان يحصل  
فيها خسافة واذا بلغ الانسان منهم سن الهرم فلا يتكلم بكلام خرافة  
قال صاحب هذه الملاحظات لا شك أن ما ذكرته من التحسينات  
في شأن المملكة المصرية يقع معظمه موقع التحقيق لو دامت هذه المملكة  
في قبضة الفرنسيات انتهى

« مطلب »  
حفظ قوى اهل  
مصر العقلية الى  
آخر عمرهم  
الغالب

ونحن نقول من القواعد الاساسية ان علة الضم الجنسية  
نعم بيننا جنسية الود والصفاء ولكنني لم ألفها علة الضم

السير في البحر ولا يؤمن عليها فيه ان يرسى بلا خطر في ميناء مياطيكون  
سفر التجارة في البر آمن ولهذا يلزم النشاء رعة ما بين مينتي الاسكندرية  
لمن لا يريد التجارة في البر فبانشائها يسهل عبور السفن وخروجها من الاقطار  
الشامية واذا غرست الاشجار في صعيد مصر فانها تحفظ القطر المصري من  
ريح السموم وبقية من وخامة الهواء المسموم لان الاشجار العالية الجافة متى  
غرست في الجهات لمجاورة للبراري والصحاري وقت المزارع من التلف  
وحفظت الاهالي من الامراض الناشئة في الغالب عن هبوب هذه الرياح  
المسمومة المضرة فاذا حصل ذلك كله توفر في قطر مصر الخير والبركة في  
محصولاتها وتواجد فيها من المؤنة والمعونة قوت أهلها فيفيض فيها ما يكفي  
لقوت أهالي جنوب أوروبا ويمكنها أيضا ان يغتذى بها من مراعها ما ينيف  
عن خمسمائة ألف من الابل ومائتي ألف من الخيل وأربعمائة ألف من الحمير والبغال  
واربعة ملايين من الابقار والجواميس وعشرة ملايين من الضأن والعز واذ اتخذ  
فيها نحو ثمانمائة معمل لترقيد البيض واخراج الدجاج نتج من ذلك خمسة وعشرون  
مليوناً من الدجاج وهذا كله ينتج الغنى والثروة مع ما يتجدد بها من العلاقات  
التجارية والتواصل بالمعاملات الاستمرارية بينها وبين جميع المدن التي على  
البحر المسال من بلاد الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب وبلاد الحبشة ويكثر  
تردد السفن منها بطريق السويس والقصير على الميناء العربية والحبشية  
كما تصير مورداً لذلك وكذلك اذا زالت موانع الاوبية والمضار من الجهات  
الجنوبية فان قوافل داخل بلاد افريقية تتردد الى ديار مصر بمناجرتهم  
ليستعصوها بمحصولات فبريقات أوروبا الواردة الى مصر وبواسطة ما في مصر  
من الامنية والمساعدة للاجانب والاغراب ترسل جميع البلاد اليها الرسائل



بذلك الجهات الصعيدية تبلغ تقريباً نحو نصف ما يورث فدان من الاطيان التي  
تخرست بالحلفاء وبغيرها من الحشائش الطفيلية كالشوك والسعدان ويصح  
في هذه الاراضي الصعيدية شجرات التوت الذي يتغذى به دود القز لان الصعيد  
ينبت الجوز في كل ناحية من نواحيه فيفلاح فيه التوت ولا يخشى على دود  
القز فيه من التلف لقلة الامطار والعواصف المتلفة لدود القز في بلاد امريقه  
ويمكن في مصر وقايتها والتحفظ عليها من هبوب الرياح الجنوبية الرئيسية  
بغرس الاشجار اللطيفة لتلك الرياح

• مطلب •

تاج اغنام  
المارينوس  
باودية الفيوم

وفي اودية الفيوم تنتج اغنام المارينوس ذوات الصوف الموصوف  
وتحسن للغاية لجودة مرعاها فبذلك يتحصل في مصر الاصواف الجيدة وتتخذ  
منها المنسوجات الظرفية والمشغولات اللطيفة ولا مانع من تخصيص اصطبلات  
عظيمة في جزء من اقليم القوم وفي جانب من مديرية الشرقية لتحسين جنس  
الخيول فان توليد الكحائل العربية وحياد الخيول الدقلاوية للتجنيس على  
الخيول المصرية ينشأ عنها اصناف جيدة متجنسة تعتبر من الاصناف وكذلك  
اذا بلغت ترعة السويس المرام بوصلة النيل المبارك بالبحر الاحمر فان مزاياه  
لا تحصى ولا تحصر واذا سهلت المواصلات بين قنا والقصر للاخذ والاعطاء  
بتجديد منازل خانات للماكل وبناء صهاريج تمتلئ من الامطار الشتائية  
بقدر لوازم المسافرين واحتياجاتهم فان فوائد هذه التجديدات مما لا مزيد  
عليه الراوج المخالطات والمعاملات وكذلك اذا صار العريش الذي بين مصر  
والشام مركزا للتجارات والبضائع وتأكدت المعاوضات والمبادلات  
والاخذ والاعطاء بين الاقاليم المصرية والشامية فان القوافل تنقل محمولات  
القطارين من احدهما الى الآخر مدة الفصل الذي يخشى فيه على السفن في

• مطلب •

تحسين جنس  
الخيول في الفيوم  
والشرقية بائيس  
اصطبلات  
خصوصية



والطف منه بكثير قول بعضهم فيه ماغزا

جعلت فداك هل لك من حبيب      مجيب في الوصال بلا محال  
نقي الثغر معسول الثنايا      له ريق ألد من الزلال  
له قد القضيبي اذا تثنى      وهزت عطفه ريح الشمال  
يقام عليه حيد القطع ظلما      ولم يسرق ولم يتهم بال  
ويعصر كعبه من غير ذنب      فييدي الشكر من كرم الخلال

وهو كثير في الديار المصرية لا يكاد ينقطع عنها الا في خمسة أشهر في السنة  
(وقد نقل) عن الشافعي رضي الله عنه انه قل لولا قصب السكر عصّر  
ما سكنها وكان يكثر من مصه للذته التي لا يملها أحد وقد تجد صنف آخر  
من قصب السكر مشبع في المائة والحلاوة لكنه لا يساوي في اللذة القصب  
البلدي وقد كثر هذا الصنف بأقاليم مصر ولكن استنجات أعواد في مديرية  
المنية لشدة صلاحيتها لزرعه وفيها ثلاثون ألف فدان من البور فاذا زرعت  
يتحصل منها محمولات عظيمة

واما مديرية أسيوط وجرجا فإنها مشتملة أيضا على نحو ستين ألف فدان  
بدون فلاحه لكنها صالحة لذلك ينجح في أرضها الحنطة والفل والذرة والعدس  
والنيلة والدخان والسلجم والقرطم والخشخاش وقصب السكر وغير ذلك ومن  
أسيوط الى أسنا سائر الاراضي صالحة للقطان والكتان والقرطم والسلجم  
وقصب السكر والقمح والفل والذرة والعدس واللوبيات وغير ذلك وجميع  
أراضيها صالحة لزراعة شجرة البن وانما تستدعى بها أعمالا خصوصية يعني اذا  
خدمت الارض خدمة مخصوصة وزرعت فيها شجرة البن فانها تثر ثمارا  
عظيما فهذا تستغني مصر عن بن بلاد اليمن فالارض الصالحة لهذه الشجرة

« مطلب »  
طيان مديرية  
المنية

« مطلب »  
اطيان مديرية  
أسيوط وجرجا

« مطلب »  
صلاحية ارض  
الحميد الاعلى  
لزراعة شجرة  
البن

واما مديرية الجيزة ومديرية القليوبية فانهما تعطيان محاصيل مائة  
 لمحصولات المنوفية والغربية اذا صار تهدهما بالحرث والغرس كما ينبغي بل يزيدان  
 على ذلك بصلاحيتهما لزراعة الفرطم واذا صار اصلاح ما فيهما من البور الذي  
 يناهز ثمانين الف فدان يكثر محصولهما كثرة بالغة وكذلك اقليم الفيوم اذا  
 استمر على زراعة الزيتون والورد واخذ في الكثرة فان محصول هذين  
 الفرعين يزيد في قيمته زيادة ذريعة فانه اقليم ظريف منخضب بكثرة الاجتهاد  
 وتقديم فن الزراعة فيه وانما يتخصص منه جزء عظيم من الاراضى لزراعة الفلال  
 بقدر الحاجة والباقي تصح فيه زراعة النيلة والكتان والبرسيم بترتيب زراعة  
 كل صنف بما يلائمه من فصول السنة لصلاحيته ارضه للزراعات الراتبة وما فيه  
 من الاخراس يقارب ستين الف فدان قابلة للاصلاح خالية اراضيه التي فسدت  
 بالحروب واغارة العرب قابلة للاستحسان وان يعود خصبها كما كان

« مطلب »  
 اطيان مديرية  
 بني سويف

واما مديرية بني سويف فهي منبثة للحنطة والذرة والفل والكتان  
 والنيلة والدخان ومع ذلك ففيها من الاخراس نحو اربعين الف فدان اذا انصلحت  
 نصير جسيمة المحصول

« مطلب »  
 اطيان الاطفيحة

وفي اقليم الاطفيحة يصح القمح والنول والذرة والدخان وفيه من  
 لاراضى الغير المفلحة نحو ثلاثين الف فدان اصلاحها من الواجبات واما  
 اراضى المنية فاكثرها صالح لزراعة قصب السكر لاسيما نواحي ملوي ( قال )  
 الحكيم جالينوس لولا قصب السكر بمصر ما برئت اهلها من العلل سريعاً وقيل  
 عمل من قصب السكر نحو الف نوع من الحلوا اقل بعضهم واحسن في الجناس  
 سبحان من أنبت في ارضنا ما بين شوك وحلافيها  
 أنبوبة في حشوها سكر قد كان ماء وحلافيها

فرنسا وقد سلك هذا المسلك المرحوم محمد علي في مبدأ الامر برفع الاموال  
عن اراضي الضواحي التي يزرع فيها قدر مخصوص من شجر الزيتون وكما  
صدر في هذا العهد الاخير من قرارات مجلس النواب فيما يخص الاراضي  
المتبحرة والموات من تمييزها برفع الاموال عنها مدة محدودة للمنفعة  
العمومية ولا بأس ان يعمل في مصر مثل ما يعمل في فرنسا في ربط الاموال  
على العقارات المجددة من بيوت الابحار والورش والمعامل وهو ان لا يربط  
عليها عوائد الا في آخر السنة الثالثة التي تمضي من تمام عمارتها ترغيا  
للمجددين حيث انهم في اثناء هذه السنين الثلاثة يحضون جميع ثمرة مبانهم  
ويوفون غالبا ما عليهم من الديون للصناع وارباب مهتات البناء فيمثل هذه  
الترغيات يكثر التجديد للامور النافعة النادرة فالتشويق لغرس شجر التوت  
لتنمية دود القز يكون من هذا القبيل

فبحسن ادارة تربته يكون عدة وعمدة لامداد الفبريقات الاروباوية  
كما سيأتي توضيح ذلك فيما بعد الفصل الثالث من هذا الباب  
وفي اقليم الشرقية نحو اربعين الف فدان من البور اذا صار تعهدا  
بالزراعة يتبدل البوار بالعمار وقلة المحصول بالاستكثار وكذلك بالدقيلية نحو  
ستين الف فدان بدون زراعة اذا انصلحت راجت وكانت كنزا للبراعة  
واذا تقدمت زراعة الارز بجوار رشيد ودمياط عما هو جار الآن وتحسن  
تبويض الارز بتكثير الطواحين التي تدور بالآلات المائية فان ارباب  
الزراعة بتلك الجهات يكتسبون الاموال الجملة من هذا الفرع الذي هو اجدود  
من اُرز ايطاليا وأمريكة والاقطار الهندية لاسيما وان بتلك النواحي يوجد  
من الاراضي البور الصالحة لزراعة الارز نحو اربعين الف فدان

« مطلب »  
اطيان مديرية  
الشرقية

والقول والشعير والكتان والنيلة والدخان الا انه لا بد من تقدم الزراعة بها  
تقدما أجسم من ذلك لازدياد المحصول وكثرته فان روضة البحرين التي هي  
عبارة عن الغربية والمنوفية فيها نحو مائة وعشرين ألف فدان من البور منها  
بالغربية نحو ثمانين ألف فدان والباقي وهو مقدار النصف من ذلك بالمنوفية  
ومن تحسين الزراعة بمصر ان يخصص جزء من اراضي الشرقية  
والدقهلية لزراعة القطن والكتان والنيلة وما يتبقى بعد هذا التخصيص يكون  
لزراعة الحنطة والذرة والقول والشعير والعدس ونحو ذلك ويخصص في  
مديرية الشرقية جملة أفدنة لزراعتها على هيئة المروج الصناعية والمراعي المدبرة  
ويصح في هذه المديرية زراعة الكرم والتوت كما صحت زراعة التوت في  
بعض الجهات الاخرى من الاقاليم الجنوبية الافرنجية الشبيهة بالاراضي  
المصرية فان تربية دود القز بمصر تعطي مع السهولة محصولا عظيما لمساعدة  
الحكومة له واستثنائه من دفع العوائد تميزا له في الحال المقتضى لها ذلك  
فان في مملكة فرانسأ أشياء تستثنى من دفع العوائد والضرائب لقصد  
ترغيب الزراعة وتكون معافاة من ذلك وقتيا يعني لا تدفع العوائد الا  
بعد مدة فمن ذلك التزام ردم قدر مخصوص من البرك والمستنقعات لمن يريد  
غرسها فانه يجوز في فرنسا الترخيص له في ذلك القدر ومعافاته من دفع  
المال مدة لا تزيد عن خمس وعشرين سنة تمضي بعد التنشيف وصيرورته  
صالحا لغيره هذا في الاراضي البور وأما الاراضي المعمورة فيجوز بموجب  
الوائح الصادرة في ذلك معافاتها من المال لمنفعة الاراضي نفسها اذا زرعت  
زراعات مخصوصة أنفع من غيرها للمملكة كزراعة الكرم أو الاشجار  
والتوت كتنمية دود القز أو الاثمار فتكون لها امتيازات خصوصية في

« مطلب »  
ما يستثنى من  
دفع العوائد  
المالية ترغيبا  
لتكثير العمالة



« مطلب »

إلى فرنساوية  
دين تغلبهم على  
مصر في عمارها

« مطلب »

حالة اطيان  
مديرية البحيرة

ولما حل بها جيش فرنساوية آمن النظر فيها وعرف قيمة الطرق المعاشية  
وان مصر لو حكمت بحكومة ماثلة لدول أوروبا المنتظمة لا يمكن تكثير  
أهلها وبلوغهم إلى ثمانية ملايين متممة وانها قابلة لنمو الزراعة والصناعة  
والتجارة وأن أهلها فيهم القابلية لاجتناء ثمرات العقول وفوائد المهارة وقطرها  
مستعد لتحسين الصحة العمومية بطرد الأمراض الوبائية وماء النيل اذا  
توزع على الاراضي بالوجه اللائق يروي من القداين فوق اربعة ملايين  
وتكون كثيرة المحصول فان فلاحتها المختلفة تمكث ثمانية اشهر من السنة  
يتقلب عليها الحرث والزرع المختلف باختلاف الفصول فان اراضي اقليم البحرية  
متساوية الاطيان تقريبا في طبيعة المزارع مستوية الاجزاء فجميع اراضيها  
صالحة للزراعة والفلاحة بالسهولة لان الرطوبة تبقى بها مدة فصل الشتاء  
وبعده فيسهل انباتها بواسطة ما ينزل فيها من الامطار بدون الاستعانة  
بالسواقي فتخرج منها الحنطة الجيدة فما يوجد فيها من البور بدون زرع فهو  
ناشئ من مجرد اهمال الاهالي وسوء ادارة الحسكام مثلا جميع الاراضي الواقعة  
على شطوط ترعة الاسكندرية هي أشبه بالصحراء والبرية خلوها عن الحرث  
والفرس ولو زرعت جميعها لخرج من المحصول الجسيم مقادير وافرة  
فالاراضي التي لا تزرع بمديرية البحيرة نحو مائة وثمانين الف فدان تقريبا منها  
أرض بحيرة مريوط تشتمل على ستين الف فدان مع انه يمكن تخفيف جزء  
منها وزرعها

« مطلب »

حال اطيان  
مديرية روضة  
البحرين

واما روضة البحرين فانها خصبة جدا الا انها لم يعطها الفلاحون في  
الفلاحة ما يجب لها فبني في الجملة تعطي محاصيل جيدة ولو أعطي لها حقها  
من الفلاحة لكثير محصولها كثرة بالغة في أقسامها تخرج الحنطة والذرة



## الفصل الثاني

في ملحوظات عمومية تتعلق بالديار المصرية أبداها بعض من أرخ مصر من أرباب السياحة وحرص فيها على ما يلزم من تقديم التمدن بتحسين أحوال المنافع العمومية تجارة كانت أو زراعة أو فلاحه وهذا باعتبار ما كان كما لا يخفى على ذوى العرفان

ومضمون كلام هذا المؤرخ ان خصوبة أرض مصر واعتدال قطرها وصحور منها كل ذلك يؤذن باستعدادها الى الوصول لدرجة السعادة وأوج الثروة ومع ذلك فقد توالى عليها من منذ قرون عديدة عدة من الدول ولم يتشبث أحد من ملوكهم الي ابلاغها درجة كمال ولا مرتبة اعتدال وذلك لانها في عهد خلفاء كان يتولى عليهما من العمال والنواب من لا يسلك أكثرهم في حسن الادارة والتدبير سبيل الصواب وانما كان النائب فاعلا مختارا ليسيء معاملة الرعية بما عنده من المرخصية وربما حدث في أيام نيابته اختلال جسيم يتسبب عنه الدمار وانحلال العمار فقد رأى نيل مصر بعينه أن رمال الصحراء والبراري انهالت عليه وامتدت على جزء عظيم من الارض التي كان يروها حتى أعقمت سواحلها ببوار نواحيها وأفسدت رساقها وضواحيها

« مطلب »

عدم الوقوف على حقيقة مصر لارباب السياحة

وقد ازداد هذا الضرر وتجسم الخطب والخطر في أيام حكومة سلاطين الشراكسة وبقيت أيضا في أيام الدولة العلية للاختلاف الواقع بين ولااتهم والماليك الوجافلية ففسدت مملكة مصر بين الفريقين وضاعت كضياع السفينة ذات الرئيسين ولم يصفها أرباب السياحة من المتقدمين والمتأخرين حق وصفها الصحيح بل تكلموا عليها بكلام ناقص فيها يتعلق بالتعديل والتجريح لا وفوا لها بما يجب من الطب والملاح ولا بينوا طرق التقدم والرواج

الحكومة التي أنعم الله عليها بمن يسارع في اعزاز الوطن وتبليغه مناه واعلاء  
الحمي وتكثير غناه ولو بانفاق المال لتحسين الحال

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله دون العرض في المال

أحتال للمال ان أودى أحصله ولست للعرض ان أودى بمحتال

فالملك العاقل من يستطيب المتاعب في استحصال المعونة ويستجلب  
لمكاسب ليقوم أود وطنه ويتعهد شؤونه ويجتهد في تنمية الاراد والمصرف  
الى حد التعديل بسلوك أرشد طريق وأعدل سبيل حتي يبلغ السعي في التنمية  
درجة الموازنة والتسوية فإذا امتلأ الحوض وسقى الروض لطف السعي وذاتت  
الرعية حلاوة الرعي وظهرت ضخامة مصر التجارية ونفحاتها السياسية الفرس  
أصول المنافع الاسياسة فان حسن الادارة والاقتصاد والتدبير باب عظيم لفتوح  
الخير الكثير وطريق لتأسيس الثروة وتمهيد الغنى ولتجديد النعمة وازدياد الهنا  
وكل ما يوجب حسن الثنا مما يحسن فيه قول الشاعر

بدائع من صنع القديم ومحدث تأتق فيه المحدث التأنق

إذا أنت من اعلاه أشرفت ناظرا تحيل عنان الطرف فيه وتطلق

وتجمع فيه كل حسن مفرق وشمل الاسى عن حاضريه تفرق

فكم من غياض في رياض وجنة بها كثر من مائها يتدفق

ولقد حصل في هذا الزمن الاخير في الحكومة توسيعات وتسخيرات  
عجيبة لم يتمكن منها المرحوم محمد علي وكان يتنى حصولها بعض المؤرخين حيث  
أبدي فيه ملحوظة لطيفة تفيد أنه لو ظفرت ديار مصر بهذا التكميل ثم لها  
الدست وفازت بالخط الجزيل فاتمناه المؤرخ المذكور ثم في هذه الحكومة  
الحالية كما سندكر ملحوظ ذلك في الفصل الثاني المتكفل لبيان مباني تلك المعاني

المجاورة لها وبالجملة فأرض مصر الاريضه الطويلة العريضة طيبة التربة كريمة  
 المنبت ومضافتها من بلاد السودان جسيمة المقدار خصبة ايضا على الاكثر  
 وترتها أيضا معشوشبة فيها تعظم سعة الخديوية الجليلة المصرية بحيث لا تنقص  
 في المقدار عن ثلث الممالك العثمانية فمساحتها مساحة الممالك العظيمة وجميع أهاليها  
 وأهالى البلاد الملحقة بها نحو ستة ملايين كل ذلك يجعلها مضاهية حسا ومعنى  
 لبعض الممالك المعتبرة في ميزان البولييتيقية

فلا غرو أن كانت بجزاياها وخصائصها منتظمة في سلوك أحاسن الممالك بل  
 هي واسطة سلوك العقود الجوهرية ومالكها خير مالك ومن وقت ما حسن  
 فيها مذهب الادارة والترتيب جاد مصدر ارادها بالبحصول العجيب فمن  
 قدره بزهاء مليون من الاكياس فقد أصاب حدسه وما حاد عن القياس  
 وأقوي الدلائل في الحالة الراهنة على طيب حال مصر وما يرجى لها  
 في المستقبل من نمو الخير وانتهاء محو الاصر ما هو جار الان من ازدياد تجارتها  
 وامتداد معاملتها فان ما خرج منها الى البلاد الاجنبية سنة سبع وستين ومائتين  
 وألف هجرية قد زاد الآن خمسة أضعاف على السابق والذي دخل اليها زاد  
 ضعفين فالיום صارت قيمة تجارتها الداخلة والخارجة جسيمة جدا من رؤس  
 أموال وأرباح حتى أبلغها بعضهم نحو مائة وخمسين مليوناً من الليرات وان  
 كان هذا لا يخلو عن المبالغة

ولا تزال مصر بالتقدمات التحسينية المنتشرة بها الحكومة الحالية  
 تتأدى في الازدياد وتتهادى بحسن سلوك سبيل الرشد والسداد فلا غرو أن  
 استحال حالة الحكومة في أحوال متعددة الى أطوار حسنة متجددة  
 ونهض بها حسن الجد والطالع الى أسمى الطوالع وأسنى المطالع فما أحسن

# الباب الخامس

في الآمال الحسنة والاعمال المستحسنة من الاصلاحات المصرية بمتنصي اصطلاحات  
الحال العصرية وفيه فصول

## الفصل الرابع

(في ذكر تقدم مصر في هذا الوقت الحالي)

من المعلوم ان مصر في هذا العهد من احسن البلاد المشرقية حكومة  
وافضلها ادارة اذ فيها من كمال حسن الادارة والضبط والربط ما يفيد الا من على  
الارواح والاموال والاعراض كما في اعظم الممالك المشرقية والمغربية وفيها  
الصنائع آخذة في النمو والازدياد وما أنشئ فيها من سكك الحديد الكثيرة  
الفروع ومن الترع والجسور والقناطر زاد كثير في تجارتها وزراعتها ولولم يكن  
للحكومة الحالية الاحوض السويس العجيب والترعة الابراهيمية التي صار  
انشاؤها بالصعيد على وجه من السعة غريب لكفاها ذلك على رغم حاسدها  
المريب فنهايك بترعة كادت ان تكون بحرا وحفرها في اقرب مدة يكاد  
أن يعد سحرا وكلما للحكومة الحالية غير ذلك من التجديدات والمآثر الخالدات  
فلو نظرت الى تحسين المحروسة بتوسيع المزارع والمسالك وانها في اقرب مدة  
صارت كاعظم مدن الدول الكبيرة والممالك لازدرت من تولى حكومة مصر  
من الملوك والخلفا ولصغر في عينك مجددم الاثيل الذي ذهب جفاء واختفى  
فشأن مصر اليوم مما يغبط عليه فهي حرة أن تكون قدوة لجميع البلاد

« مطلب »  
توسيع المزارع  
والمسالك

فقد أدى في حقها من البحث عنها ماوجب فاذا كانت الغايات لا تدرك فالميسور  
منها لا يترك فكان لسان حاله يقول

سأضرب في بطون الارض ضربا وأركب في الملا غرر الليالي  
فاما والثرى وأصيب عذرا واما والثريا والمعالي  
وفي الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي رواية فكل مهيا لما

خلق له وبالجمله فكان تهيوه للمعالي عجيب

« مطلب »

ان المرحوم محمد  
على كان يجعل  
كسر المعالي  
دائما نصب  
عينه وكان  
لا يحرم منها

الحمد لله انني رجل مذكنت لا تنقضي اعاجيب  
وحسبه من الافعال العجيبة وقاية مصر من الاوبية بحسن النظافة  
وبالاحتراسات الحكيمة وتجديد المطبعة لنشر المؤلفات العلمية وانشاء مسجد  
القلعة العامرة لتعزיד المعالم الاسلامية وقطع دابر النفسدين للحصول على  
التأمينات العمومية ومع ذلك فكم ترك الاول للآخر وكم ابقى لمن بعده من  
تكميل المفاخر فلهذا وجب على الخلف تميم مالم يتيسر فعله للسلف واعمال  
فكره في استنتاج نفائس المنافع كما يعلم ذلك من فصول الباب التابع





والحكم حيث اعتني بترجمته في سائر لغات الأمم وكذلك قد تعلم فقهاء الخرطوم  
 ممن معي من المشايخ القراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا  
 ماهرين في ذلك وفي آخر الأمر تنظمت المدرسة نحو تسعة شهور وتعلم فيها  
 التلاميذ من أبناء المصريين القاطنين هناك طرفا من النحو والحساب  
 والهندسة وحسن الخط وظهرت نتيجة ذلك في الامتحان العام والآن حين  
 جددت الحكومة الاسمعية عدة مدارس بالاقليم السودانية توظف بها  
 البعض من هؤلاء المتعلمين ولا بد انه يرجى نجاح تلك المدارس بداعي ان  
 تأسيسها مبني على الاخلاص في النية وحسن الطوية الخديوية  
 وبالجمله فتى زالت من السودان وسائل الخوامة والسقامة ودخلت  
 اهلها بحسن الادارة في دائرة الاستقامة صارت هي وديار مصر في العمار  
 كالتوأمين وفي ايناع الاثمار صنوين حتي ينشد لسان حالهما  
 نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد --- جميعا في الحب ضم النطاق  
 في جبين الزمان منك ومنى غرة كوكبية الانفلاق  
 وقد لاح على قرب عماريتها علامة ظاهرة وهي فتح المدارس الخمسة  
 من ابتداء الحكومة الاسمعية الباهرة وكذلك ارسالية اسماعيل بك الفذكي  
 ناظر المهندسخانة والرصدخانه الى سواكن في رمضان سنة الف ومائتين  
 وثلاثة وثمانين مع بعض المهندسين والرسامين لتعيين الطرق الحديدية المزمع  
 على انشاءها بالاقليم السودانية وارسالية بعض ارباب المعارف الانكليزية في  
 سنة ١٢٨٦ لاستكشاف منابع النيل واعطاء ملحوظات خيرية كل هذا وامثاله  
 دلائل قاطعة على ان السودان سيحظى عن قريب بالوسائل اللافعة فلا شك  
 أن سياحة الرحوم جنتمكان في بلاد السودان وان لم تفتح بها كنوز الذهب

وتنتهي وقريب العفو يشملها عليك منى صلات الله اكملها  
ياماجدا عمت الدارين أنعمه

يسقى البرابا جميعا ري عارضها انسا وجنا ووحشا في مرابضها  
تشفى الخلائق طراً من تمارضها يبدى عيبر او مسكاسك عارضها  
ويبدأ الذكر ذكرها ويختتمه

وها تحية ربي اكرم السكرما تنحوضريحك ياخير الورى كرما  
سواطع النور منها تملأ الحرما مارنح الريح أغصان الاراك وما  
حامت على أبرق الحنان حومه

تحية بصلات البر عائدة بالخير موصلة للرشد قائدة  
تثني عليك وليست عنك حائدة وتنثني فتعم الآل جائدة  
بكل عارض فضل جاد مسجمه

رفاعة خمس المنظوم مرتجلا قريضه وهو بالخرطوم قد وجلا  
قالت هو اتفه بالله كن رجلا فان جدك طه للخطوب جلا  
فأمر خطبك هذا الجدي يحسمه

ما ذا العناء وأهل البيت قد كفوا عودا جميلا وما عن وعدم غفلوا  
لا تعن بالغير جدوا السير او قفلوا هم أجمعوا أمرهم الكيد واحتفلوا  
والامر لله ما يرضاه يحكمه

ومع ان مدة الاقامة تلك الجهات كانت لمجرد الحرمان من النفع  
لوطني فتد اقتضت الحكمة الالهية ان سفرى لم يضع هباء مشورا فقد  
اعتنيت في مدتي هناك بترجمة وقائع تلياك وهو بكل من في حماك وهو الذي  
صار طبعه فيما بعد في مدينة يروت ولا شك انه من انفع كتب الآداب

أصبحت كلا على نمالك بل نكلا أثقلت ظهري بأوزاري وجئتك لا

قلب سليم ولا شيء أقدمه

سلكت في هذه الدنيا سلوك غبي وما عدت ومن الأخرى على رهب

لكن تعلقت في اذيال خير نبي يا صاحب الوحي والتنزيل لطفك بي

لا زلت تغفو عن الجاني وتكرمه

رفاعة يشتكي من عصبية سخرت لما رأته أبحر العرفان قد زحرت

فارفع ظلامه نفس عدلك ادخرت وهالك جوهر ابيات بك افتخرت

جاءت اليك بخط الذنب ترقه

قبول تخميسها فضل عليه ومن لانه زمن قاسى صروف زمن

تلا مؤلفها يرجو الخلاص ثمن فانهض بقائها عبد الرحيم ومن

يليه ان هم صرف الدهر يهزمه

فاكشف بحقك عند اليوم مظلمة من الهموم غدت كلاليل مظلمة

وانظر اليه بعين الفضل مكرمة واجعله منك بمرأى العين مرحمة

اذا ألم به من ليس يرحمه

ارحم غريبا بعيد الدار غائبه حبل النوى حمل الاثقال غاربه

فصل رغائبه وافصل غرائبه وان دعا فأجبه واحم جانبه

ياخير من دفنت في التراب أعظمه

أسير بين قليل الصبر قاصره وعصره بفراق الاهل عاصره

وانت ذوكرم لا شيء حاصره فيكل من أنت في الدارين ناصره

لم تستطع محن الدارين تهضمه

وهذه حاجة الملهوف مجملها وأنت أعلم والى يجمعها

من للمريد وقد أقصاه مرشده      منى أناديه من قرب وأنشده  
قصيدة فيه أملاها خويده

حديثه السن ما نيطت تمامها      نصيرة الغصن قد غنت حمائمها  
راجت حواسدها جارت لوائها      مهاجرية افترت كمامها  
عن ثغر در لسان الحال ينظمه

عذراء منذورة في خدمة الحرم      عسى يكون بها صفح لمجترم  
ويبلغ القصد قبل الفوت بالحرم      كم يأمل الروضة الغراء ذوكرم  
يرجو الزيارة والاقدار تحرمه

لما تجنى زمانى الذنب واقفلا      وابيض مسود شعر الرأس واشتغلا  
قصدت من جل فى سلطانه وعلا      مستعديا بحبيب الزائر ين على  
دهر تنكر بالاهمال معجمه

هل سام فخرك انسان ولا ملك      أو رام قدرك سلطان ولا ملك  
فان ألم زمان خطبه حلك      فقم بعبدك ياشمس الوجود وكن  
حماه من كل خطب مر مطعمه

فكم سقاه الردى اقذى مشاربه      من حيث ساق له ادهى نوائبه  
فاجعل زيارته أبهى مناقبه      وادع الاله اذا ضاق الخناق به  
ما خاب من أنت فى الدارين مكرمه

أرجوك نصرة اعزاز موزرة      على هوى النفس اذ كانت معذرة  
وقد توالى جيوش الهم منذرة      ياسيد العرب العرباء معذرة  
لنادم القلب لا يغنى تدمه

الى حماك ضعيف أمره وكلا      وكم مليك حمى بالجاه رعى كلا

لوميزوا قدرهم من قدره سالموا      حال السهمي غير حال الشمس لو علموا

بل أهل مكة في طغيانهم عمهوا

عمى البصائر عن قدر وعن قدر      صم المسامع عن تقدير بمقتدر

فن تخلف في ورد وفي صدر      فاصدع بأمر لك يا بن الشم من مضر

فقد بعثت لائف الشرك ترغمه

من يبع شأوك في قاب الكمال يمن      بحظ منهزم يكبو وعجز زمن

لك الشفاعة مولاك الكريم ضمن      لك الجليل من الذكر الجليل ومن

كل اسم جود عظيم الجود أعظمه

ففي البداية كنت السيد الحكما      وفي النهاية حزت الحكم والحكما

فرجه ودع الكهان والحكما      يا ايها الآمل الراجي ليهنك ما

ترجوه ذا كعبة الراجي وموسمه

يهم ضريحنا اذا ما قام يحصره      عاد ملائكة الرحمن تنصره

روضات باهت به في الدهر أعصره      قبرا أشاهد نورا حين تبصره

عيني وانشق مسكا حين التمه

خضم جود تناهى في عزازته      فيه الامير برىء من امارته

من لي ولو بنصيب من خفارته      كم استببت رفاقي في زيارته

عني وما كل صب القلب مغرمه

قلبي طليق اللقا جسمي مقيدة      فليت شعري متى يفديه سيده

كم أمه زائر مثلي يؤيده      وكم تصافحه من لا يدي يده

ولا في عند تقبيل الثرى فيه

أراه كالبدز في العلياء أرصده      قرين بعد وبالأمال أقصده



سل البراق بماذا فاز را كبه سارت الى المسجد الاقصي ركائبه

يزفه مسرح الاسرا وملجمه

سرى به وهو في أقصى تعجبه وفاز طه بأعلى المجد اعجبه

له انجلا ما توارى في تحجبه والشوق يهتف يا جبريل زجبه

في النور والنور مرقاه وسلمه

في رؤية الرسل ليلا كم قضى اربا وكم دنا وتدل ثم واقتربا

لقد رأى الآية الكبرى وما اضطربا والعرش يهتز من تنظيمه طربا

اذ شرف العرش والكرسي مقدمه

اعتز بالله حيا في معزته وحل في الملاء الاعلى بمحوزته

فكيف فاز نبي شطر فوزه والحق سبحانه في عز عزته

من قاب قوسين أو أدنى يكلمه

في السبع فاز بخمس فوز منصرف بأجر خمسين يسدى شكر معترف

ونال ما نال من مجد ومن ترف فكم هنالك من عز ومن شرف

لمن شديد القوى وحيا يعلمه

كفار مكة ما كانت مجوزة لا زال يمنح آيات معززة

حتى اذا جاء بال تنزيل معجزة بل اصبحت بالاحاجي فيه ملفزة

يمحو الشرائع والاحكام محكمه

اجاب كل مصيح بالسجود كما آياته أخرستهم منطلقا وفما

وحيث كل لديها القوا السلما هانت صفات عظيم القريتين وما

يأتيه جهلا ابو جهل ويزعمه

فطالما بالنوا في السب أو ثلما عرضا وأنفسهم والله قد ظلموا

والمناوية لا تنفك نائحة واصبحت سبيل التوحيد واضحة  
والكفر يندبه بالويل مأتمه

كم ظلمة عند اهل الزيع كائمة قد انجنت بيد للنفع ضامنة  
وعصبة من هجوم الروع آمنة والارض تبهج من نور ابن آمنة  
والعدل ترمي ثغور الجور أسهمه

فلاتري كاهنا للغيب يسترق كلا ولا ماردا الا ويحترق  
والجن خابوا الرجايل مسهم فرق وان يقيم لاستراق السمع مسترق  
رصدنه أنجم الارحاء ترجمه

فكم تحدى وأبدى في دلالة من معجزات توالى في رسالته  
فقل لطاغ تمادى في ضلالته ان ابن عبد مناف من جلالته  
شمس لافق الهدى والرسلى أنجمه

ما جاء من سلب الاعداء غنيمة به قتادة قدردت كريمته  
في كل آونة تزداد قيمته العدل سيرته والفضل شيمته  
والرعب يقدمه والنصر يخدمه

في حومة الدين أصمى الغى والجدلا وجندل الكفر حتى صار مبتدلا  
بهم طويل نجاد حكمه عدلا أقام بالسيف نهج الحق معتدلا  
سهل المقاصد يهدى من يمه

يا صاح كن برسول الله مقتديا سيفه فعله وبنور الحق مهتديا  
فكم أياد من الباغين معتديا وكلما طال ركن الشرك منتهيا  
في الزيف قام رسول الله يهدمه

بسعد طالعه تسمو كواكبه وطالما ابتهجت زهوا مواكبه

هذا المشفع يوم العرض مرحمة فرد الجلالة فرد الجود مكرمة  
فرد الوجود أبر الكون أرحمه

من في صباحته يحكيه مبتسما من في ملاحظته حاز بها وسما  
كم أقسم الحق باسم المصطفى قسما نور الهدى جوهر التوحيد بدر سما  
المجد واصفه بالبدر يظلمه

بطيب عنصره طابت سريرته شمائل المجد دون الحد سيرته  
وسورة الفتح مثل الحمد سورته من نور ذى العرش منشاه وصورته  
ومنشأ النور من نور بجسمه

من لاذ من فزع بالهاشمى أمن أو حاد عنه فغن سبل الرشاد عم  
بالفضل قد خصه، ولاده وهو قن ومودع السرفى ذات النبوة من  
علم وحلم واحسان يقسمه

ما حكمة الله الا تعجز الحكما قد أبرزت للورى أسمى الورى عظم  
لب اللباب تسامى أصله ونما فذاك من ثمرات الكون اطيب ما  
جاد الوجود باعلاه واعلمه

سيوفه بالردى نحو العدا لمعت وكفه بالندى قبل النداء همعت  
صفوفه فى المداروم الهدى اجتمعت فارات مثله عين ولا سمعت  
اذن كاحمد أين الأين نعلمه

لا تعز روما وتركوا اجرا كسة لحسنه ان فى هذا مواكسة  
تقول آمنة فيه منافسة أضحت لمولده الاصنام ناكسة  
على الرأس وذاق الخزى مجرمه

فلا تري الفرس للنيران جانحة بعد الخود ولا الانوار لائحة

ولا عداعن ربها الجود اذ زلا يسوقه الرعد من خير البطاح الى

أم القرى ورباح البشر تقدمه

وسمى جود سريعات نجائبه ولى عهد مريعات رغائبه

وواكف بالندی تكفي سواكبه وكلما كف اوكلت ركائبه

باداه بالرحب مسعاه وزمزمه

مادر من قبله غيث يعارضه ولا اضرت بمسراه عوارضه

تخاله وهو لا ربح ينساقضه لما لاث على البطحاء عارضه

علا المدينة برق راق مبسمه

برق بواسمه فى الجو قد سطعت فقهقه الرعد بالنبرا وقد خشعت

والرجع سح من الخضرا وما جمعت سقى الرياض التى من روضها طلعت

طلائع الدين حتى قام قيمه

مغارب الارض طرا أو مشارقها تسمى الى طيبة منها خلائقها

مدينة العلم هل تخفى حقائقها حيث النبوة مضروب سرادقها

والنور لا يستطيع الليل يكتمه

يلوح فى روضة مأثورة الشرف درى كوكبها يحلو دجي السدف

والبدر يطلع فى افق بلا كف والشمس تسطع فى خلف الحجاب وفى

ذاك الحجاب أعز الكون اكرمه

يا زائرا قبر خير البدو والخضر اثم ترى تراب المعشوشب النضر

يلقاك حيا بأهنى عيشة الخضر محمد سيد السادات من مضر

خير النبيين محي الدين مكرمه

خرج بساحته يمنحك تكرمة فلا تخف بعدها بغيا ومظلمة

وان تكلفت أن تدري أسيارهم      كلفت نفسك أن تقفو آثارهم

والشيء صعب على من ليس يحكمه

في حب ليلي خلى البال يعذاني      ان لم أغالط فما ينفك يخذلاني

فو الذي منزل العشاق ينزاني      اني أورى عدولى حين يسألني

بزينب عن هوى ليلي فاوهمه

كم في الهوى والنوى قاسيت من الم      وكم ملأت طروس العشق من كلم

وكم سهرت سمير النجم في الظلم      وطالما سيجعت وهنا بذى سلم

ورقاء تعجم شكواها فافهمه

ما السحب الادموع العين باكية      ولا لظى غير احشائي محكية

لا شك اني أناغي الورق شاكية      وتثنى عذبات البان حاكية

علم الفريق فادري ما ترجمه

امام عشق تولى نصر ملته      على الوشاة وفادها بمهجته

نادى وقد ذاب وجدا مع ثلثته      يا من أذاب فؤادى فى محبته

لو شئت دوايت قلبا أنت مسقمه

متى ربع صحابى أبلغ الاملا      فكم سقى ماء دمعى السهل والجبال

وما شفى معهدا من ساكنيه خلا      سقى الجبال فرعن الطود منه الى

شعب المريجات هامي المزن مرهمه

ملث غيث يسح الوابل الهطلا      وصيب طيب يستغصب الطللا

أضحى بمنهم الانواء منهملا      وبات يرفض من وادى الخزام على

وادى ارام وما والى يلملمه

حيا منازلها فيض الحيا وملا      أرجاءها من بروق يبتسمن جلا



١ مطلب  
يس القصيدة  
البرعية التي  
مطعمها خل  
لفرام لصب  
دمعه دمه

ما هكذا الحب يامن ليس يفهمه خل الفرام لصب دمه دمه

حيران توجده الذكري وتقدمه

دع قلبه في اشتغال من قلبه ولبه في اشتغال من قلبه

واصنع جميل فعال في تجنبه واقنع له بعلاقات علقن به

لواطلمت عليه كنت ترجمه

فؤاده في الحى مسعى جآذره وفي نجوم السما مرعى نواظره

فيا عدولا سعى في لوم عاذره عدلته حين لم تنظر بنا ظره

ولا علمت الذى فى الحب يعلمه

أما تري نفسه مرعى الهوى اتجعت وساقها الحب فانسأقت ولا رجعت

فاعذر أو أعذله ما ورق الحى سبجت لو ذقت كأس الهوى العذرى ما هبجت

عينك في جنح ليل جن مظلمه

ولا صبوت لسلوان ولا ملل ولا جنحت الى لوم ولا عدل

ولا اثنت خطب في الهوى جلال ولا ثنت عنان الشوق عن طال

بال عفت بيد الانواء ارسمه

فكيف ناقشته في أصل مذهبه وما تحريت تحقيقا لمطلبه

فو الذى صانه عن وصمة الشبه ما الحب الا لقوم يعرفون به

قد مارسوا الحب حتى هان معظمه

تحييه ان دعا للوجد أمته وعزمه بينهم سام وهمته

قوم لديهم بيان الحب عجمته عذابه عندهم عذب وظلمته

نور ومغرمه بالراء مغنمه

يامن دعاه هواه أن يعاشرهم أسلك مشاعرهم والزم شعائرهم

وفي دار العزازة لى عياد  
أمير كبار أرباب المعالي  
عروف ألمي لا يبارى  
بوافر فضله الركبان سارت  
وقالوا فى معارفه فريد  
وفى الاحكام قالوا لا يضاهى  
وقالوا فى الذكاء ذكا فقلنا  
وقالوا وافق الحسن المثنى  
وبجر حجاه يبدو منه در  
فيا حسن الفعال أغث أسيرا  
عليه دوائر الاسواء دارت  
وقد فوضت للمولى أمورى  
عسى المولى يقول امضوا بعبدى  
وما نظم القريض برأس مالى  
ووافر بجره ان جاد يوما  
وليس لبكر فكرى من صداق  
فما أسمى ذراها من بيوت  
ومسك ختامها صلوات ربي  
وآل والصحابة كل وقت  
وأما تخميس القصيدة البرعية التى عقب مسك ختامه أرج الفرج فهو هذا  
تبدى الغرام وأهل العشق تكتمه  
وتدعيه جدا لا من يسلمه

وطالت مدة التغريب عنهم  
وما خلت العزيز يريد ذلي  
لديه سعوا بالسنة حداد  
مهازيل الفضائل خادعوني  
وزخرف قولهم اذ موهوه  
فهل من صيرقى المعنى بصير  
قياس مدارسى قالوا عقيم  
وكان البحر منهج سفن عزمى  
ثلاث سنين بالخرطوم مرت  
وكيف مدارس الخرطوم ترجى  
نعم ترجى المصانع وهى احرى  
علوم الشرع قائمة لديهم  
خدمت بموطنى زمنا طويلا  
فكنت بمنحة الاكرام أولى  
وغاية مطلبى عودى لاهلى  
وصبرى ضاع منذاشتد خطبى  
وكم حسنا دعوت لحسن حالى  
وارجو صدر مصر لشرح طدرى  
وكم بشرت أن عزيز مصر  
وحاشا أن أقول مقال غيرى  
لقد أسمعت لو ناديت حيا

ولا غم لدى سوى الكساد  
ولا يصنى لاختصام لداد  
فكيف صنى لألسنة حداد  
وهل في حربهم يكبو جوادى  
على تزييفه نادى المنادى  
صحيح الانتقاء والانتقاد  
بمصر فما النتيجة فى بعداى  
فكدت الآن أترف فى التناد  
بدون مدارس طبق المراد  
هناك ودونها خراط القتاد  
لأيد المقاصد بالمبادى  
لمرغوب المعاش أو المعاد  
ولي وصف الوفاء والاعتماد  
بقدر للتعيش مستفاد  
ولو من دون راحلة وزاد  
وهون الخطب عند الاشتداد  
وكم نادى فؤادى يا فؤادى  
 وجهد الطول فى طول النجاد  
تفوه بالذكاء ولم يفاد  
وذلك ضد سرى واعتقادى  
ولسكن لا حياة لمن تنادى

وامطر ربها صوب العهد  
 وفضلي في سواها في المزاد  
 ولا سلمى فيه ولا سعادى  
 زفير لظى فلا يطفئه وادي  
 دواما في اضطراب واطراد  
 وبعض القوم اشبه بالجماد  
 بمنح العظم مع صافي الرماد  
 كدهن الابل من جرب القراد  
 يقال اخو بنات في الجلاله  
 ويصعب فتق هذا الانسداد  
 مع النهى ارتضوه باتحاد  
 به الرغبات دوما باحتشاد  
 على شبق مجاذبة السفاد  
 ولا يحصيه طرسى أو مدادي  
 وشر الناس منتشر الجراد  
 سوادا في سواد في سواد  
 كان وظيفتى لبس الحداد  
 بطرطا دون عودى واعتيادي  
 ولا سمري يطيب ولا رقادى  
 بلوعة مهجة ذات اتقاد  
 مواصاتي ويطمع في عنادي

رعى الحنان عهد زمان مصر  
 رحلت بصفقة الغبون عنها  
 وما السودان قط مقام مثلى  
 بها ريح السموم يشم منه  
 عواصفها صباحا أو مساء  
 ونصف القوم اكثره وحوش  
 فلا تعجب اذا طبخوا خليطا  
 ولطخ الدهن في بدن وشعر  
 ويضرب بالسياط الزوج حتى  
 ويرتق ما بزوجه زمانا  
 واكره الفتاة على بناء  
 نتيجه المولد وهو غال  
 لهم شغف بتعليم الجواري  
 وشرح الحال منه يضيق صدرى  
 وضبط القول فلا خيار نزر  
 ولولا البيض من عرب لكانوا  
 وحسي فتكها بنصيف صحي  
 وقد فارقت اطفالا صفارا  
 أفكر فيهم سرا وجهرا  
 وعادت بهجتي بالنأى عنهم  
 أريد وصالحهم والدهر يائي

ومن حسن الخلاق سله صنعا  
 وحدث عن وفا خـل وفي  
 ورب أخ تـلاهـى عنك يوما  
 بنو الآداب اخوان جميعا  
 خلائف عنصر كل تغذى  
 وآداب الفتى تعلـيهـ يوما  
 وآدابى تسامى بـى الدراري  
 ومالى لا آتـيهـ بها دلـالا  
 الى سبل الفخار تقود حزمى  
 عصامى طريف المجد سعيا  
 سوى نسب العلوم الى انتساب  
 حسينى السـلاـة قاسمى  
 لسان العرب ينسب الى نجارا  
 وحسبى انـفـى أبرزت كتبـا  
 منها منبع العرفان يجرى  
 على عدد التواتر معربـاتـى  
 وملطرون يشهد وهو عدل  
 ومغترفو قراح فرات درسى  
 ولاح لسان باريس كشمس  
 ونحى مصر أحيـا كان قدرى  
 سأشكر فضله مادمت حيا

جميلا فهو أوفى بالوداد  
 بمـرسل حبه فى القلب بادى  
 قرب وداده أبدا ودادى  
 وأخذان بمختلف البلاد  
 بائداء العلا دون اقتصاد  
 الى الانجاد من بمد الوهاد  
 على شعـثـى وتـبـلغـى مرادى  
 وقد دلت على نهج الرشاد  
 وفى ميدانه عزم انقيادى  
 عظامى شريف بالتـلاد  
 الى خير الحواضر والبوادرى  
 بطـهـطـا معشري وبها مهادرى  
 ويدنـى الى قس الايادى  
 تـبـيد كـتـابـيا يوم الطرادى  
 وكم طرس تحـبـر بالمـدادى  
 تنى بـفـنـون سلم او جهاد  
 ومنتسكوا يقر بلا تـمـادى  
 قد اقترحو سقاية كل صـادى  
 بـقـاهـرة المـز على عـمـادى  
 وكافأتى على قدر اجتـهـادى  
 وماشكرى لـدى تلك الايادى



ليس ذاك كما تقول ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما به أمرتم وركنتم  
الى ما عنه نهيتهم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنوبكم والله فيكم نعمة لم تبلغ  
غايتها بعد وانا أخاف أن تنزل بكم النعمة وانتم ببلدى فنصينى معك فارتحلوا  
عن جوارى انتهى فقام أبو جعفر وقيدا من كلامه فدخل حجرتة قال الله  
تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيا ففسقوا فيها فحق عليها القول  
فدمرناها تدميرا قال المفسرون فى الآية حذف دل عليه باقيا أي أمرنا  
مترفيا أي منعميها بالطاعة فخالفوا ففسقوا فدمرناها تدميرا انتهى فيا لها  
موعظة بيضاء من ملك أسود ولعل ملوكهم فى الازمان القديمة كانوا  
كصلحاءهم الآن على قدم عظيم فى الاستقامة وطريقة قوية وأما موضع  
معرض الذم فى حق اهل السودان فهو متوجه على جمهور اهل البلاد وهم  
العبيد والمولدون ومن يخذو حذوهم من رعاى أهالي تلك البلاد ارباب الدناثة  
والخسة

وفى سنة سبع وستين ومائتين والى الف كنت سافرت الى السودان بسعي  
بعض الامراء بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم فلبثت نحو الاربع  
سنين بلا طائل وتوفى نصف من بميتى من الخوجات المصريين فنظمت  
هذه القصيدة برسم المرحوم حسن باشا كتحدا مصر رجاء نشلى من أحوال  
تلك الاحوال فلم يتيسر ارسالها ثم أسعد الحال بتبديل مر الماضى بالحال  
لذى هو حال وذلك عقب تخميسى لقصيدة نبوية برعية متوسلا فيه بشفاعه  
خير البرية وهاهي القصيدة الاولى

الا فادع الذى ترجو ونادى  
فمن غرس الرجا فى قلب حر  
يجبك وان تكن فى أي نادى  
أصاب جنى النجا غب الحصاد

« مطلب »  
موعظة ملك  
السودان لمروان  
بن محمد حنين  
التباليه

« مطلب »  
سفرى للسودان  
ونظمى قصيدة  
نشر الى احوال  
تلك البلاد  
وعوائدها  
وتخميسى قصيدة  
برعية منها  
نسيج الفرج  
ببركة الخراج  
خير البرية

ويدل على هذا ما حكى للخليفة أبي جعفر المنصور عما جرى بين  
 عبد الله بن مروان بن محمد وبين ملك النوبة مما ذكره المؤرخون في حق  
 الملك المذكور مع انه كان من ملوك السودان المتأصلين والجنس القطين اذ  
 لم تكن القبائل العربية انتجعت الى السودان ولا تسلط على هذا الاقليم ملك  
 من أهل الاسلام ولا من العربان وهو ان ابا جعفر المنصور حضره ليلة  
 عبد الله بن علي وصالح بن علي في نفر معهما فقال عبد الله بن علي يا أمير المؤمنين  
 ان عبد الله بن مروان بن محمد لما هرب الى بلاد النوبة جري بينه وبين  
 ملكها كلام فيه أعجوبة سقط عنى حفظه فان رأى أمير المؤمنين ان يرسل  
 اليه بمحضرتنا ويسأله عما ذهب عنا وكان في الحبس فأرسل اليه أبو جعفر  
 فلما دخل قال له يا عبد الله قال لييك يا أمير المؤمنين قال اخبرني بمديثك  
 وحديث ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين هربت ممن تبعني باثاث سلم لي  
 الى بلاد النوبة فلما دخلت بلادهم فرشت ذلك الاثاث فجاء أهل النوبة  
 ينظرون الي متعجبين مني الى ان بلغ ملك النوبة حضوري فجاء ومعه ثلاثة  
 نفر فاذا رجل طويل آدم أغبر مسنون الوجه اى مملسه فلما قرب منى فقد  
 على الارض وترك البساط قلت ما يمنعك ان تجلس على اثاثنا هذا قال اني  
 ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعة الله قال ثم نظر الي  
 فقال لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم فقلت عبيدنا واتباعنا يفعلون ذلك  
 بالجهل منهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير وتحملون بالذهب وهو محرم  
 عليكم فقلت زال عنا الملك وانقطعت المائدة واستنصرنا بقوم من الاعاجم  
 كان هذا زيهم فكرهنا الخلاف عليهم فاطرق يقلب يده ويقول عبيدنا  
 واتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا يكرر الكلام على نفسه ثم نظر الى فقال

والزهاد الحاضرين من أقصى البلاد لاداء فريضة الحج الشريف ومنزلها  
كالتسكية للفقراء وابناء السبيل والقاصدين بيت الله الحرام وامثال ذلك  
كثير هناك في ظل الحكومة المصرية

ومما يدل على حسن مقاصد المرحوم محمد علي أنه في عودته من البلاد  
السودانية استصحب معه عدة غلمان من أبناء وجوه السودان الى مصر  
وأدخلهم في المدارس المصرية ليتعلموا مبادئ العلوم ثم نقلهم الى مكتب  
الزراعة ثم الى مدرسة الالسن وكان القصد من ذلك أن يذوقوا طعم  
المعارف التمدنية لينشروها في بلادهم وقد شاهدت بعضهم مستخدما  
بمدرية الخرطوم بوظيفة كاتب ويغلب على الظن انه بواسطة تنظيمات  
سعادة شاهين باشا الاخيرة المؤسسة على حب تقديم الجمعية المدنية  
وهمة سعادة جعفر باشا صاحب الانظار التمدنية تمكن ايصال التقدّمات  
المصرية بعناية الحكومة المصرية في اطراف وأكناف تلك البلاد التي هي  
الآن لم تخل قراها عن نوع التقدم في الحضارة مع مساعدة الوارد والمتردد  
اليها في هذه الايام لقصد الزيارة أو التجارة فانها اقرب للتمدن من اقاليم  
أمريّة بكثير وجميع أهلها ماعدا بعض الجبال لسانهم عربي فصيح حيث ان  
جلهم من نسل العرب المنتجة القبائل قديما يحفظون احسابهم وانسابهم  
وفيهم كمال الاستعداد وذكاء الفطنة وانما يحتاجون في حصول المطلوب الى  
اطمئنان النفوس وتأليف القلوب من حكام ارباب صداقة وعفاف وعدل  
وانصاف لا تحملهم المطامع الدنيوية على محض الالتفات الى الامور الدنية  
بل توجد القابلية أيضا في الاهالي المتأصلين

وصح فيها جميع البقول والفلال لاسيما زرع الحنطة الذي في تلك البلاد له بال  
وهناك اراض بمديرية دنقلة لا يعلوها النيل الا في زمن الفيضان الغزير وليست  
داخلة في دفتر مكلفات الاقليم وقد التمس زراعتها في سنة من السنين بعض  
الاهالى بدفع العشور فزرعها من صنف الذرة فأدت محصولا فوق الاربعين  
الف أردب فدفع الى شونة الميري عشرها فصار صنف الذرة رخيصا في هذه  
السنة فشكا الاهالى المزارعون كساد محصولاتهم فأبى مدير تلك الجهة ان يتولى  
في ذلك الوقت أن يعطيها بعد ذلك لاحد وأحب أحد البكباشات المستخدم  
بتلك الجهة ان يتعاهدها في كل سنة بقيمة مكافئة لعشرها السنوى فلم يساعد  
على ذلك وأمثال هذه الاراضى كثيرة جدا والاراضى منبثة للنباتات النابتة  
بنفسها بدون عمل مع قبول أهلها للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم فان اكثرهم  
قبائل عربية لاسيما الجميلين والشاقية وغيرهم فان اشتغالهم بما ألفوه من العلوم  
الشرعية شغل رغبة واجتهاد ولهم ما أثر عظيمة في حسن التعلم والتعليم حتى  
ان البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد الاجنبية للمجاورة من  
طلبة العلم العدد الكثير والجم النفير فيمينه أهل بلده على ذلك بتوزيع  
المجاورين على البيوت بحسب الاستطاعة فكل انسان من الاهالى يخض  
الواحد أو الاثنين فيقيمون بشؤونهم مدة التعلم والتعليم

« مطلب »  
استعداد أهالى  
السودان  
للمعارف  
والكفايات  
ووجود التعاون  
بندهم على طلب  
العلم

ولقد رأيت في طريقي ببلاد الشاقية بمديرية دنقلة حرم سنجق يدعى  
الملك الازيرق تسمى السيدة أمونة تقرأ القرآن التشرىف ومؤسسة مكتبتين  
أحدهما للعلمان والثاني للنبات كل منها لقراءة القرآن وحفظ المتون تنفق على  
المكتبتين من كسبها بزراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله ولا ترضى ان  
يشوبه شيء من مال زوجها وبجانب المكتبتين خلوات لمن يختل من العباد



حسنة مستقيمة وصدق المتحنون في تجاربهم وصار الاجتهاد في الاستخراج على وجه مرضى فلا بد أن تظهر نتائج عظيمة خصوصا اذا كان الماء وبذلك من المعدنحية المتبحرين في هذا العلم وله سابقة عمليات صحيحة واما سفرنا هذا فلم يكن الا محض مناظرة واطلاع على نفس الحال المعدنية بالبلاد السودانية مجردا عن راحة الفكر والبدن وقوله في محله لان العرضي كان دائما عرضة لاغارة السودان الحمل وكان بدون أهبة ولا ذخيرة وكانت عساكر الاتراك المحافظين على المعدنحية أشد عليهم عداوة من السودان

فهذا لم يمكن الوقوف على حقيقة الحال من الاهالي وكانت التجارب تعمل بالخوف والعجلة وكانت الامراض ايضا من جملة الموانع ومع ذلك فقد صح بتجربة موسيو بورباني التي استمرت نحو ثلاث سنوات أن بعملية استخراج المعادن بالعبيد يعطي قنطار الرمل نحو خمس حبات من الذهب مع قبول الزيادة عن ذلك لو وجدت المعرفة والصداقة ومع هذا كله فنقول ان ذهب السودان لا ينكر وأن الاقطار السودانية التابعة للحكومة المصرية وان كانت دون أقاليم امريقة بكثير فهي كمصر ان لم تسعفها المعادن المتطرة فمعدن الزراعة فيها محقة ولولا التغافل والتكاسل من بعض الحكام واتصاف بعض آخر بالجهل التام لكانت ايراداتها ومحصولاتها على اكمل نظام فان خصوبة ارضها عجيبة وحيواناتها نجية واخشابها جيدة ومعادنها متعددة فالواليد الثلاثة فيها على غاية من السكال ولا نظر الى ما يعقد عامة الناس من أن اكثرها رمال فقد يوجد من الاهالي من يترافع مع اخصامه في ملكية ألوف من الفدادين لنفسه ويريد نزعها من يد أبناء جنسه وفي ايام حكمدارية حضرة لطيف باشا أعطي الف فدان لاسند السناجق وهو دموزاغا من البور فلم تبرح مدة بسيرة أن صارت من المعمور

« مطاب »  
ان معادن  
الذهب بالسودان  
لا تنكر وان  
الزراعة تفلح فيه  
ان اعني بها وان  
خيراتها كثيرة



« مطلب »

ياس المرحوم  
محمد علي من  
استخراج المعادن  
الذهب بالسودان  
في نفسه وعوده  
الى مصر

وأما موسيو بورياني فقد كان حاضرا وأخبر بالصدق ولم يدلّس ولكن  
لكونه كان يهاب سيده كثيرا فلم يستطع أن يذب عن نفسه فضرب عنه  
المرحوم محمد علي صفحا وأنعم على جميع المهندسين والمعدنية عند ارتحاله من  
السودان بركومة ورخت مذهب وما استثناه من هذا الانعام ولا غرض عنه  
البصر ويئس من وجود الذهب المشيع من بلاد السودان ولكن لم يظهر  
له الحق ولا صرف عنه النظر بل أمر الجمعية أن تتكثرت وتبحث مع غاية الدقة  
عن الطريقة اللازمة لاستخراج هذه المعادن فكان العسكر المحافظون على  
أهل هذه الغزوة الدلمية يعتقدون أن سيدهم أبقى هؤلاء المهندسين رسما  
فقط وان اشغال هؤلاء المهندسين ليست الا صورية فكانوا لا يساعدونهم  
على اشغالهم ولا يصرفون همهم في اعطاء ما يلزم لتتيمم التجربة وكان  
قد تعين لادارة المعدن خير الدين باشا فكان يسىء السلوك لانه كان  
مكرها على الاقامة بتلك الديار وترك وطنه فهذا كان يعتقد ان الافرنج المعدنية  
هم السبب في طول غربته فكان يتجاهر بتقريعهم وتوبيخهم

ثم ان موسيو ليفره أصابته حمى شديدة وكان قد وعده المرحوم محمد علي  
أن يعطيه بعد تمام الاشغال رتبة ميرالاي فكان على غاية من الاجتهادات  
بالحمى وقبل موته صرح بأن تقرير الجمعية بعدم تريح المعادن في السودان  
ليس بقطعي ولا يبنى عليه حكم وانه لا ينبغي ان يقطع الرجاء بالكلية من ربح  
هذه المعادن لاسيما وان موسيو بورياني قرر تقرير اشفاهيا يؤيد رأي ليفره  
السابق وعبارته ليس من ارباب الجمعية بتمامها من هو معتمد في قوله فيما يخص  
قيمة ما يتحصل من الرمال من الذهب حيث جميعنا لا معرفته تامة باستخراج  
المعادن فلسنا متبحرين في هذا الفن بل الظاهر انه لو صارت الادارة على صورة

« مطلب »

موت رئيس  
امدنية وافادته  
بل موته ان تقرير  
الجمعية بعدم ربح  
استخراج المعادن  
لا يعول عليه

عن ذلك وصار منهم كما على اتباع هذه الطريقة في التجربة فلم يشعر اذ وجد في قرار القزاة جرما معدنيا ذهبيا مخلوطا بغيره ولم يعرف سبب هذا الغش فأخبر غيطاني بك وموسيو لمبير بك بذلك وهم أخبروا المرحوم محمد علي فوسيو بورياني اتهم بعض أخصامه انهم أرادوا أن يفسدوا عليه تجربته وأراد اخبار من ذكر البحث عن صاحب الفعلة فادعى احمد افندي الجشنجي ان موسيو بورياني المذكور هو الذي خلط الذهب بالزئبق عمدا لعدم نتائج تجربته وأخبر بذلك أمام الباشا وصدق عليه الحاضرون ففي اليوم الثاني استعمل موسيو بورياني طريقة الغسل بالقصاع فغسل مائة قنطار من الرمل مأخوذا من فرش الوادي بجبال قراده فاستخرج منها تسعا وأربعين حبة من الذهب

فهذه التجربة الكبيرة ظهر منها اشباع معدن وادي فاشنغار والذي جرب عينته موسيو روسيجير سابقا فوجد بين طريقة موسيو بورياني وموسيو روسيجير فرق جسيم فهذه الاختلاف الفاحش ضاق صدر الباشا المرحوم وفترت همته حتى كاد أن يصرف النظر عن قضية استخراج المعادن ولكن عاد الى تجلده وصبره وأمر بعقد جمعية تستخرج مقدار قيم مجاميع الاشغال التي حصات كلها فبادرت الجمعية باستخراج ذلك فنتج انه لا يتحصل من عملية الصانع الواحد من الذهب الا بقيمة ثلاثة قروش كل يوم

فن هذا الوقت سقطت قيمة المعادن الذهبية من أعين الجميع وقل اعتبارها فتغير خاطر المرحوم محمد علي من ذلك وداخله اليأس من رواج معادن السودان ولو كان موسيو روسيجير حاضرا معه لسلاه وعلا بالاماني

البك المذكور وبنيت حوله الدور حتي صار بلدة شهيرة هناك سميت بمحمد  
على وهي من الاثر الجليل الجلي الا انها صارت محل التغريب ينشد فيها المنفى  
الغريب

« مطلب »  
وصول الرحوم  
محمد علي الى  
قرية فاو وكو  
استحسانه اياها  
وامره ببناء قصر  
فيها على اسمه

يا عين ان بمد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره  
فلقد ظفرت من الزمان بطائل ان لم تريحه فهذه آثاره  
ولما عاد أحمد باشا من غزوه كان فصل المطر قد دنا والذخائر كادت  
تنفذ وكان الرحوم محمد علي توجه الى اقليم فاشنغارو وكان قد بعث حين توجهه  
احد مماليكه ليأخذ الرمل من وادي قراده فاستخرج المعدنمية من هذا  
الرمل نحو ثلاثة فزات من الذهب اليسير القيمة القليل الجودة

ولما نزل الرحوم محمد علي في فاشنغارو ضرب خيمه تحت شجرة تين  
والمعسكر حوله ولم يبق معه من الماء كولات الا البقسماط واليسير من  
الارز فسئمت نفوس الجميع من قلة الزاد والخط والترحال بهذه الحالة ولام  
كل الناس موسيو بورياياني على تأميل الباشا المذكور وتجسيمه له في ربح  
المعادن الذهبية فجمع الباشا المذكور المعدنمية والمهندسين ليأخذ رأيهم فقرروا  
جميعا على عمل تجربة جديدة بطريقة أخرى مفيدة وهي أن يجمع الرمل  
من جميع المحلات بمقادير متناسبة ويعلم كمية ما يخرج منها فخرجت النتيجة  
بهذه التجربة مثل السابق في قلة الربح ولكن قد استكشف موسيو بورياياني  
في بئر من آبار وادي قراده في عمق اثنين وعشرين قدما طبقة معدنية يترأى  
انها كثيرة الذهب ليمتحنها مع الثاني وقبل أن يرحل موسيو ليفبره المعدنمي  
من الخرطوم كان عثر أيضا على رطلين من الزئبق في مخازن الحكمدارية  
فأجب موسيو بورياياني ان يعمل امتحانه لما أخذه بطريقة التحليل فسكت

« مطلب »  
وصول الرحوم  
محمد علي الى  
فاشنغارو

« مطلب »  
جمع المعدنمية  
وعمل تجربة  
عمومية

النحاس التي هي على ميمنة النيل بأقليم روسيري وارسل خلفهم كلا من موسيو  
بور ياني ودرنود بك وأما حضرته العلية فقد بقي في الخرطوم ليستقبل رؤساء بلاد  
السودان الوافدين عليه من جميع الجهات على اختلافها كلهم ووعدوه بالمساعدة  
على مشروعه وان يعينوه بستين ألف نفس للشغل اذا اقتضى الحال هذا القدر  
ثم سافر الى جهة سنار ونزل بأقليم روسيري وحضر اليه ملوك سنار وفازغلو  
وصار يستعلم منهم عن المعادن ومحل وجودها وعن احوال زراعة البلاد وما  
يناسبها وارشد رؤساء السودان الى طرق جديدة في الزراعة وفي الصنائع والفنون  
التي لا يعرفونها وامرهم بالحصول عليها واستعمالها لتصل نوبة التقدم للنوبة  
باكتساب وسائل المنافع المحبوبة والمجربة وينوب الخيط الابيض من فجر  
الفنون عن الخيط الاسود من فجور الفنون وليكونوا من أهل التبصرة  
وتكون عندهم آية النهار مبصرة ثم حضر المعدنحي ليفبره من جبل مويه  
وأخبره أنه لم يجد أثر المعدن الفضة ولا معدن النحاس في المحل الذي حكي  
عنه موسيو روسيجير فنفر من الإقامة بهذه الجهة لعدم الحصول على مقصده  
ولكن

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه ان يساعده الدهر  
فرفع معسكره ونهض الى اقليم فازغلو وكان أحمد باشا قد تولى حكم دارا  
عوضا عن خورشيد باشا وكان قد بعثه محمد علي الى محاربة جبال رجريج  
وكانوا عاصين فنوى أن ينتظر عودة الحكمدار بعد وصوله ففي ظرف ثلاثة  
أيام وصل المرحوم محمد علي الى قرية فاموكو تجاه فازغلو وهي على ميمنة  
البحر الازرق فحضر خيامه بها وأعجبه حسننها وظرافتها فأمر ببناء قصر فيها  
على اسمه ليند كر سفره بها وعين حالا درنود بك لهذه المأمورية فهندسه

وامر موسيو بورباني بالذهاب قبله بعدة ايام فأراد ان يتخلص من ذلك  
وقال ان طريقة التحليل بالزئبق التي ملكها موسيو روسيجير ربما يمكن ان  
ينال بها اكثر من طريقة القصعة التي عليها العمل عند السودان فكأنه سلم  
ان طريقة صاحبه مربحة وكان قوله ذلك لمحض الاعتذار والخروج من الورطة  
ثم قال ايضا ان الرمل لا مانع من ان يعطي كل يوم للشغال نحو اربعين قرشا  
ومع انه قال ذلك المجرد المسيرة الا ان المرحوم محمد علي اخذه بالقبول وفرح به  
وكان المرحوم محمد علي جلب من فرنسا معدنجا شهيرا بعلم المعادن  
وهو موسيو ليفره كان سبق استخدامه في مدرسة المعادن المصرية وكان  
موسيو بورباني قد سافر الى السودان امثالا للامر العالي وبعده بثلاثة ايام  
ركب المرحوم محمد علي البحر وصحبته خير الدين بك قبودان السفن وعدة  
اشخاص منهم موسيو ليفره المعدنجي ودارنود بك المهندس ولبير بك المهندس  
واحمد افندي يوسف الجشنجي فسافر بالسلامة بالنيل حتى دخل السودان  
اركب النيل ما استطعت ففيه راحة للفتي وغاية بغية  
كم تفرجت حين سافرت فيه في بلاد وكم ظفرت بعينه  
فلما دخل مدينة الخرطوم كان يوم امشهم وداخضر جميع من هناك للتشريف  
فلطفهم جميعا ودعوا له بخير وفرحوه غاية الفرح واشوا عليه بحميل الثناء ومكارم  
اخلاقه كما قيل

« مطلب »  
استصحب  
رحوم محمد علي  
ب سفره جما  
من ارباب  
الخبرة في  
لمادن وغيرها

« مطلب »  
خول المرحوم  
محمد علي  
الخرطوم وما  
حصل من  
لاحتفال به  
وارسالة  
لمدنيحية الي  
مدة جهات  
واقامته  
بالخرطوم  
لاستقبال  
بافدين عليه

كل الامور تباعد عنك وتتقضي  
لو انني خيرت كل فضيلة  
ما اخترت غير مكارم الاخلاق  
ثم امر موسيو ليفره المعدنجي ان توجه الى جبال مويه وسكاوي وهي  
على ثمان فراسخ في الجنوب الغربي من سنار ليحرب معادن الفضة ومعادن



الى اثني عشر فلا يجمع الا سبعة قروش ميري من الذهب بالنسبة الى رمال  
اقليم فاشنار ولا يتحصل الا على ثلاثة قروش ونصف من الذهب في اليوم  
الواحد فكتب بهذه التجربة خطابا وارسله مع العينة الى الحكمدار خورشيد  
باشا فارسلى الحكمدار المذكور ذلك بصحبة موسيو بوريانى الى المعية السنية  
وكان ذلك في سنة اربع وخمسين ومائتين والالف

واما تجربة موسيو روسيجير فكانت نتيجتها بخلاف ذلك فان الاحجار  
المعدنية الذهبية يتحصل منها اثنان في المائة يعنى ان صافي المائة درهم مثلا درهمان  
واما الذهب الصفاحي الذي يوجد في المعادن كالعروق فانه يتحصل في كل الف  
قنطار من مائة وستين الى مائة وثمانين صفيحة من الذهب يعنى من ثمانمائة  
 وخمسة وثلاثين درهما الى الف ومائة وستة وثلاثين درهما من الذهب وقيمة  
الدرهم ثمانية وثلاثون قرشا وتحقق عند هذا المعدنحي ان الشخص الواحد  
ينظف كل يوم ثلثمائة وخمسين أقة من الرمل فيتحصل منها ذهب قيمته من  
ثمانين قرشا الى مائة قرش فكان هذا المعدل يزيد عن معدل موسيو بوريانى  
عشرين مرة فلما اطلع المرحوم محمد على على المعدلين ووجد الفرق بينهما جسيما  
لم يتالك نفسه من الغضب على موسيو بوريانى لانه كان يميل بالطبع لما فيه  
الارححية في الربح فهذا مال الى تقرير موسيو روسيجير ولاجل الوقوف على  
الحقيقة صمم على السفر الى بلاد السودان لتصير التجربة امامه مع تقديمه في  
السن وشيخوخته وطبيعة اقليم الاقطار السودانية وتعب الاسفار الشاقة بها  
الا انه كان ماحوظا بالعناية الربانية ومحفوظا بالتوفيقيات الصمدانية كما قيل

ان حل فالشرف التليد انيسه      او سار فالظفر الطريف قرينه  
فالدهر خاذل من اراد عناده      أبدا ورزاق العباد معينه

مطلب  
تصميم المرحوم  
محمد على على  
السفر الى بلاد  
السودان

« مطلب »

رجوع المدنحية  
من تلك الجهات

كثيرة في طريقهم وكلما تحصلوا عليه من الفلزات وضعوه في الزجاج وسدوا عليه وكانوا يجدون في عودتهم كثيرا من المعادن الخفيرة التي حفرها العبيد ولم يجد المسكر في طريقهم بيوتا ولا مساكن مسكونة بأحد لان العبيد يخوفهم من العساكر كانوا يهرعون منها فلذلك لم يقف المدنحية على حقيقة الحال ولم يتمكنهم أن يذهبوا الى المحلات المشهورة لمحصل الذهب كجبل دوك لفقد الذخيرة وقد وجدوا على شطوط نهر هادي عدة آبار مستديرة عميقة يبلغ عددها نحو ستمائة بئر عمق البئر الواحدة أربعة وعشرون قدما وقطرها نحو أربعة اقدام وفي قاع كل بئر مما شي يتوصل اليها بواسطة سلام صغيرة

وهذا النهر كثير الذهب جدا فقد عثر موسيو بورياني على الذهب في ثلاث صوانات أخذها من هذا النهر وكذلك موسيو روسيجير وجد به قطعا من الاحجار مشتملة على الذهب فباستكشاف معادن هذا النهر اطمانت قلوب اهل المرضى وفرحوه فرحا شديدا حتي نهض العساكر على الانقضاء بهذا النهر اعتمادا على حكاية اهل الجهة وجمعوا ما عثروا عليه من الحجر ثم عادوا الى مدينة الخرطوم التي خرجوا منها من نحو ستة اشهر فلم يجدوا الحكماء فيها حيث كان قد توجه لقتال الحبشة المغيرين على الاطراف فأخذوا في تحليل ما تحصلوا عليه فوجدوا العينات مختلفة الريح وذلك ان موسيو بورياني عمل التجربة التنظيفية بطريقة التحليل بالزئبق فكانت النتيجة في احدى التجربات بالنسبة الي اقليم كاميل لم يحتو قنطار الرمل الا على ثلاث حبات من الذهب فالرجل الذي معه اثنان مساعدان لنقل الماء والتراب اذا كان ينظف كل يوم عشرة قناطير من الرمل

بنو شنفول وسنجه ولهم مساكن لطيفة مقبوة يقال لها تو كول وعدتها  
تليف عن النى بيت وعرض جبل سنجه فى الدرجة العاشرة والعشرين دقيقة  
شاليا ولا يزرع سودانها الا قليلا من الذرة والدخان حول مساكنهم فلما  
رأوا العسكر قربوا من مساكنهم ولوا هارين فدخل العسكر مساكنهم  
فوجدوا بها الآلات والادوات المستعملة لتنظيف الرمل واستخراج الذهب  
منه فبعث رؤساء العسكر لطلبهم فلم يحضروا ولا حضر المندوبون فى طلبهم  
ولا ظهر عنهم خبر ولا بان لهم أثر فاحترس العرضى كل الاحتراس وضربت  
الخيام فى محال عالية من الوادى خوفا من الهجوم فظهر على حين غفلة فوق  
الجبل وعلى البعد عدة من العبيد حتى دنوا من العرضى وصاروا يرمون  
العساكر بسهامهم وحراهم وكان العسكر قد سكنوا بمساكنهم فهجم  
عليهم العسكر فهربوا ثم عادوا وصاروا يحاربون الى الليل

ولما اعتكر الليل أحاطوا بالعسكر من كل جانب ولم يتشتت شملهم  
الا بضرب النيران فلما أصبح الصباح صعدوا على ذروة الجبل وفوقوا بانهم  
وسهامهم على العسكر كالمطار ومع هذه الحروب الخطرة فكان مع  
المعدنية مائة نفر يخفرونهم فاشتغلوا فى وقت الحرب بتجربة النهر الخارج  
فمن هذا الجبل فتحصل موسيو بوريانى على فلزات ذهبية خرجت بالتنظيف  
عدة مرات ووضعها فى زجاجة ليمتحنها فيما بعد ولا زال العبيد ينعصون  
على العسكر حتى تركوا جبل سنجه بدون تميم التجربة فاقتنى السودان اثرهم  
لى جهة وادى بولفيدية فأخذوا قطارين من دقيق رمل هذا الوادى  
يغسلوها وحسبوا زمن شغلها فكما خرج منها وضع فى الزجاجة ووجدوا  
في الذخائر كادت تنفذ منهم فرجعوا من طريق سنار وقد جربوا تجارب

« مطلب »  
هجوم أهل  
سنجه على  
العسكر

« مطلب »  
تجربة وادى  
بولفيدية

وشرعوا في استخراج المعدن والبحث عنه فوجد حفائر حفرتها العبيد قبل ذلك وبجوانبها قصاع من الخشب فكل واحد من المعدنجية أخذ قصعة وعمل صنعة التنظيف للرمل الخارج من الحفرة فلم يظهر لاحد منهم ربح بل ما بقي من بعد التصفية انما هو فازات مشوبة بالحديد والتراب ثم كرروا التجربة فلم تنتج ازيد من ذلك فان موسيو بورياني أخذ قنطارين من الرمل وصفاهما فلم يخرج منهما سوى حبة ونصف من الذهب وكذلك موسيو روسيجير ثم توجهوا الى جهة سنجه وهي ابعد محل فتحه المرحوم اسمعيل باشا ومشهور بكثرة الذهب فمكثوا فيه ليلة بواد يسمى خور البابا كان العبيد قد حفروا فيه حفائر لاستخراج الذهب ثم ذهبوا الى محل يقال له زنبو حوله غابات عظيمة ووديان وسفوح منخفضة ووصلوا الى وادي يسمى وادي توماتو جاري المياه فوجدوا فيه حفائر وقصاعا معدة لتنظيف الذهب وتنقيته فكانت نتيجة التجربة كالسابقة فاقتضى الحال ان يعمروا بغابات غير مسلوكة فوصلوا الى جبل ابو غولجي ونزلوا بهذه الجهة المشهورة بمعادنها الذهبية فأرسلوا بطلب شيخ السودان هناك ليستعملوا منه عن ذلك فأبى الحضور فرجعوا من طريقهم بوادي ابو غولجي نفسه فكان يلبس الماء فيه بكثرة وانما كانوا يجدون في طريقهم في الحفر بمضي ماء وبعض حفائر حفرها العبيد وعلى حكايتهم أن هذه المعادن التي بهذا الوادي كثيرة الذهب ثم بعد ذلك بمسير مسافة ساعة صوب العرب وجدوا واديا آخر عالي الحوافي الصخرية فلم يقفوا عنده وبينما هم سائرون في أباطحه قبض موسيو بورياني قبضة من الرمل فوجد بها أربع فازات من الذهب كل فاز منها وزن حبة فساروا من وادي الى آخر حتي وصلوا اتجاه جبلي سنجه وغوزيه وبسفحها

مطلب  
تجربة جهات  
سنجه وزنبو  
توماتو

مطلب  
تجربة معادن  
ابو غولجي

مطلب  
قبض جبل  
سنجه

جدا ومعادن كاليفورنا المشهورة بالذهب المشبع التي استكشفت سنة خمسة وستين ومائتين وألف وهى فى جمهورية مقسقا فبلاد افريقه لها شبه بأفريقه فلهاذا أرسل المرحوم محمد على باشا عدة مرات من يلزم من المعدنجه لتجريب معادنها فلم يقف منهم على حقائق تامه فى شأن ذلك فشك فى مهارتهم وفى اجتهادهم وقد كان حكمدار بلاد السودان أرسل اليه عدة فلزات من الذهب على سبيل العينه فكاد يطير بها فرحا فأرسل فى نحو سنة مائتين والى كلاً من موسيو روسيجير وموسيو بريالى الكيماوى فالاول كان قد ذهب الى المعادن قبل الثانى بكثير فشرع فى التجربة ورجع الى الخرطوم فوجد موسيو بريانى قد أقام بها ينتظر الفصل المناسب فكتب موسيو روسيجير من الخرطوم الى المرحوم محمد على ما مضمونه ان النفر الذى يشتغل فى المعدن باليوميه يستخرج ذهباً بعشرة فرنكات كل يوم يعنى بأربعين قرشاً ميرياً وكان ذلك فى مدة ولاية خورشيد باشا لحكمدارية السودان واخبر المعدنجه الحكمدار بذلك فلم يصدق ذلك الحكمدار المذكور واما المعينه السنه فأخذت كلام المعدنجه المذكور قضية مسلمة واعتقد ذلك أيضاً المرحوم محمد على وتباشر بأنه اذا صار استخراج المعادن على هذه الكيفيه يصير أغنى الملوك وانتقلت الرغبة فى الزراعة التى بها غذاء أهل مصر والتى هى كاللبن لرضاعهم الى الرغبة فى المعادن فصار مطمح النظر من النيل أنه وسيله المسير فيه لاستخراج الذهب وجلبه وكانما هذا الغرض هو المقصد منه بالاصالة

ثم لما اعتدل الوقت للياقة السفر الى المعادن خرج موسيو روسيجير وموسيو بوريانى من الخرطوم ومعهما من الخفر الف من عساكر الجهادية تحت رياسة مير اللوى مصطفى بك وصاروا جميعاً حتى وصلوا الى فازغلو

مطلب  
مشابهة افريقه  
لامريقه و  
انها يستكشف  
منها معادن  
النقد بن بالبح  
فيها

مطلب  
ارسال محمد  
معدنجه  
بالسودان  
لاستكشاف  
المعادن

مطلب  
نتيجة بحر  
معادن فاز



في مقابلة مذاقوه من الشدائد في أول الامر ذوقهم طعم الهناء والراحة التامة في آخره وذلك مصداق قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وكان المرحوم لا يزال يصرف وقته في تكميل المنافع العمومية للديار المصرية وكانت الاقطار السودانية التي تحت حكمته تتجر قديما وحديثا لا سيما في الذهب وشهيرة بما فيها من المعادن المشبعة صرف همته العلية الى توسيع استخراج المعادن بتلك الجهة لما أن معدن الذهب من أشرف نعم الله على عباده اذ به قوام الدنيا ونظام أحوال الخلق فان حاجات الناس اليه كثيرة وكلها تقضى بالنقدين ويبيع بهما ويشترى كل شيء بخلاف غيرهما من المعادن فانه يرغب فيه كل أحد رغبته في النقدين حيث هما كالمقاضين المصالح لكل من لقيهما ولذلك قال الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم لان المقصود منهما تداولهما بين الناس لقضاء الحوائج فمن كنزها فقد أبطل الحكمة التي خلقها لها وكان كمن حبس قاضي البلد ومنعه أن يقضي بين الناس فالذهب والفضة كما يجلبان المنافع يجلبان المضار

وأما معادن الذهب المستخرجة في هذا العهد هي معادن بلاد امريقه وتخرج من جوف الارض أو من تنظيف الرمال الذهبية وفي بلاد أفريقه التبر فرع عظيم في تجارة السودان وليس في بلاد أوروبا الامعاد سعيرون ببلاد الموسقو ومعادن بلاد المجر في مملكة النمسا وفي آسيا معادن الذهب ورماله وأما معادن الفضة الشهيرة في بلاد أمريقه باقليم برو وغيره وهي التي تعطى كمية عظيمة من الفضة المتعامل بها في أيدي التجار في بلاد مقسيقا أزيد من ثلاثة آلاف معدن مستخرج وكذلك معادن بلاد برو بامريقه فانها مثرية

« مطلب »  
مادن الفضة في  
امريقه

ولدينا تضاعفت نعم الا  
عرف الحق اهل مصر وكانوا  
وحصلنا بالحمد والاجر والنص  
قد بلغنا بالصبر كل مراد  
ليس مثيري الرجال من ملك الما  
وما أحسن هذا البيت الاخير الذي هو من الحكم اللطيفة ومن جوامع  
الكلام المنيفة

وقد كان المرحوم محمد على من وقت حيازته واستيلائه على السودان  
التي استولى عليها بسيفه سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف مشغول البال  
باستكشاف معادنها واستخراجها فذلك سافر اليها بنفسه ليمتحن معادنها  
ويطلف أهلها ويشوقهم الى اكتساب التمدن والتقدم كما فعل بمصر وتفصيل  
ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب

## الفصل الرابع

سفر جنتم كان محمد على الجليل الشان الى جبال فارغلو ببلاد السودان لاستكشاف  
المعادن الذهبية والكشف عنها بحضوره واعمال الطرق التجريبية

لما مهد محمد على في مصر الزراعة والتجارة والصناعة التي هي المنافع  
عمومية وكثرت ثروة مصر بالاخذ والعطاء وحظي أهلها بطبيب العيش  
الرفاهية وذاقوا ثمرة العدل والاحسان والفضل والامتنان وكان أواخر  
صر المرحوم محمد على بالنسبة اليهم ما كان يسمى عصر الذهب عند أمة  
بوتان في أوائل تلك الازمان حيث عوض الله سبحانه وتعالى أهل مصر

« مطلب »  
امهات المعادن  
المستخرجة في  
هذا العهد

الضباط فالمرحوم ابراهيم باشا أبطل هذه الطريقة في حق أولاد العرب وفي حق أبناء السودان وسواهم بغيرهم

وبالجملة فكان المرحوم محمد علي لا تكل همته ولا تفتقر عزيمته ولا يرتاح بدنه وعقله بل دائماً مشغول بما يخص التمدن والتفكر في التجديدات وحميد المشروعات ولا يبالي بالمصارف والتكاليف للحرص على تقديم وطنه المنيف واخراج الرعايا من ورطة التخشن العنيف

المال ملء يد والقوم بملك يد ولا أطيل وهذا جملة الخبر اذ لولاه لما صلت مصر الى هذه الدرجة من التقدم والرفاهية بعد ان مكثت عدة قرون في الذل والمسكنة وكانت حبال منافعها واهنة

فقد تجدد في ايامه من الامور المقربة للتمدن اشارة الاخبار ووابورات البخار والدواليب البخارية وقد عمل تجربة في كفر مجر لسكة الحديد وكان صمم فيها على الانشاء والتجديد فنجز بعضها على وجه هين ثم تكاملت الآن بالاصل والفرع على وجه في درجة الكمال بين

زيادة النيل نقص عند فيضهما فما لنا نتقاضى منة الديم فلو لم يكن للمرحوم محمد علي من المحاسن الا تجديد المخالطات المصرية مع الدول الاجنبية بعد ان ضعفت الامة المصرية بانقطاعها المدد المديدة والسنين العديدة لكفاه ذلك فقد اذهب عنها داء الوحشة والافراد وآنسها بوصول أبناء الممالك الاخرى والبلاد لنشر المنافع العمومية واكتساب السبق في ميدان التقدمية فما أحست بنتيجة الدواء الشافي والعلاج المعافي الا في هذه الايام الاخيرة التي ضاعفت الادوية الحسية والمعنوية النظرية والعلمية بطرق من النجامة جليلة وأضعفت داء الجهالة المعدية فكل لصنيعها متشكر ومقر باحسانها غير منكر

اذا شئت ان تلقى عدوك راغما وتقتلهما وتحرقه غما  
 فسام العلى وازدد من الفضل انه من ازداد علما زاد حاسدهما  
 وايضا كان من جملة الارسالية الاولى عدة من الافندية المبعوثين الى  
 باريس تعلموا العلوم البحرية وسافروا الى افريقية والهند وغير ذلك من البلاد  
 وتمكنوا من العلوم البحرية فلما حضروا قلدهم بوظيفة قبو دانية السفن وكان  
 لهذه الدنيا قبودان من الباشاوات وكان معه بوسون بك الفرنساوى بوظيفة  
 رياسة رجال البحرية فكان بمنزلة رئيس الرجال سليمان باشا فى الجهادية البرية  
 ثم ان المرحوم ابراهيم باشا لما غزا مورة وحضر منها جدد الأليات السوارى  
 وبيان ذلك ان جتمكن محمد على كان قبل غزوة مورة يعتقد ان فرسان المماليك  
 أعظم فرسان الدنيا حيث شاهد ذلك منهم فى الحروب المتكررة معه وان تعليم  
 فروسيته على اجود ما يكون وكان يظن ان حركات الخيالة الاورباوية كلا  
 شىء بالنسبة لحركة المماليك فكانت فرسانه جارين على طريقة الكوليمان  
 وكذلك المرحوم ابراهيم باشا كان يعتقد ذلك فقد ظهر للمرحوم ابراهيم باشا  
 فى حرب موره ان تعليم السوارى على طرز اوروبا اكمل وألزم لما شاهده من  
 سوارى الفرنساوية هناك فرتب الأليات السوارى بجميع انواعها على طراز  
 فرنسا من شرخجية ودراغون وغير ذلك فبهذا صار انشاء مدرسة السوارى فى  
 الجيزة ليتعلم بها الفروسية النظامية والمسابقة والرسم وغير ذلك ليخرج منها  
 الضباط العظام وكان عدد تلامذتها ثلاثمائة وستين نفرا وكان عدد تلامذة مدرسة  
 الطوبجية بطرطه ربمائة تلميذ وعدد تلامذة مكتب الرجال فى الخانقاه  
 نحو مائتى تلميذ وكان لا يقبل فى مكتب الرجال أى أركان حرية الا الترتك  
 والمماليك ثم انضم اليهم ابناء العرب وكانوا لا يحرزون عند الامتحان رتب



يرقون الى الرتب العسكرية على حسب معارفهم

فتعلم ابناء الاوطان جودة صناعة السفن فهذه الطريقة صارت اثمان  
هينة جدا على الحكومة وبطل شراؤها من الاجانب وكانت همة جنتمکان  
في هذه المادة السفينة الحربية كهمة سلطان الموسقو بطرس الاكبر في  
الاجتهاد والاعتناء بهذه المادة اذ كان دائما مواظبا على مناظرة الاشغال بالترسانة  
والاقامة فيها الساعات العديدة من النهار ولو ان ملك الموسقو كان قد تعلم  
عمارة السفن بنفسه الا أن محمد علي رخص لمهندس السفن سيريزي بك الرخصة  
التامة في حسن ادارتها فكان مهندسها ينفذ اغراض سيده كما يحب ويختار  
كانه هو فلا يعيب الاصيل مارآه الوكيل حسنا ولا ينقض عليه ما ابرمه فكان  
تنازل الرحوم لهذا الحد في التفويض يوازي تنازل بطرس الاكبر في كونه  
تعلم صناعة السفن بنفسه وعلمها لاهل وطنه ولم يتكبر في ذلك وكان ابنه  
جنتمکان ابراهيم باشا يبادر بتشغيل التشغيل مبادرة زائدة ويقوى عزيمة المهندس  
والشغالين ويتربص اتمام السفن الحربية في اقرب وقت ويكرم المهندس الاكرام  
الكلي ويمضي النهار بتمامه في الترسانة بجانب الاشغال وكان جنتمکان محمد  
على يديم النظر في السفن عند صناعتها ويتصور الغرض منها وكلما شارفت  
الاتمام ازداد فرحا وسرورا واذا نزلت سفينة في البحر لم يتالك نفسه مع ما كان  
عليه من كمال الهيبة وحفظ ناموس الوقار ان يظهر اماراة السرور فلهذا كانت  
عنده دوننا ملوكة على طبق مرامه وطقمها بالمدافع والعساكر ونظمها على  
نسق نظام العساكر البرية وانشأ مدرسة بحرية بغير سكندرية ليخرج منها  
من الضباط ما يحتاج اليه هذه الدوننا وترجم العلوم البحرية وصار لها كتب  
كافية كسائر العلوم الاخرى كما قيل



عليها الصون من التشويه وتنمية الاهالى وتكثير العمار وأما تجديده لترتيب  
العساكر الجهادية برية وبحرية على صورة جميلة وهيئة جليلة فقد عجز عنها  
على هذا الوجه قبله ملوك الاسلام وانصاغت هذه التنظيمات لهذا الهام  
المقدام واقتدى به بعد ذلك سواء ولكن لم يصلوا في زمنه الى درجة ما  
أحسن ترتيبه وسواء لا سيما سفنه البحرية فكانت بحسن النظام حرية فقد  
رتبها قبل حرب مورده حيث استدعتها الضرورة وذلك لانه لما طلب منه  
ديوان القسطنطينية الاعانة بالقوة في غزوة مورده التي هي أعجب غزوة  
مشهورة لم يبعث هذا الديوان سفنه الحربية ولا عمارته العثمانية لنقل العساكر  
المصريه والذخيرة الى جزيرة مورده ولم يكن اذذاك عند المرحوم محمد  
على بمصر الاسفينتان كل سفينة منهما ذات ثلاثين مدفعا لم يكمل  
شغلها فجهز ثلاثة وثلاثين سفينة حربية كاملة الآلة والعدة في أقرب مدة ومائة  
سفينة من سفن العادة لنقل المهمات

وقد تكامل هذا العدد في واقعة اناوارين وتلف أكثره باحراق المتعصبين  
فشرع في عمارة سفن اخرى أعظم منها بشرائها من البلاد الاجنبية الاورباوية  
ثم شرع في عمل ترسانة الاسكندرية سنة الف ومائتين وسبعة وثلاثين التي لم  
تكن دون ترسانة طولون ببلاد فرنساويه

فقد رتب بهذه الترسانة مصانع ومعامل متنوعة ومخازن مهمات ومقاتل  
احبال وأنشأ بهذه الترسانة ايضا كثيرا من السفن الحربية التي كل سفينة منها  
من ذوات المائة مدفع وغير ذلك من السفن حتى صارت دوننا عظيمة واستخدم  
فيها الاهالى وكذلك كان الشغالون وارباب الصنائع فيها من الاهالي المصرية  
وكان جميع المستخدمين بالدوننا والترسانة على الطراز العسكري فكان اهلا

أولاهما كالتهجيزية والمبتديان وكانت الثانية كالخصوصية يخرج منها  
 المستخدمون باي ديوان ثم جدد مدرسة الطب والمهندسخانة بعد تجديد  
 عساكر النظام فكان يخرج منها الاطباء والمهندسون للمصالح الملكية  
 والعسكرية من المهرة العظام ثم جدد مدارس الجهادية من بيادة وسوارى  
 وطوبجية ليخرج منها الضباط الفخام وكذلك جدد مدرسة العمليات لتعود  
 بالنفع على الفنون والصنائع من سائر أنواع المنافع ومدرسة اللسان الاهلية  
 والاجنبية لمعرفة اللغات واستفادة ترجمة الكتب الاجنبية ونتج عنها تكثير  
 المعلومات واحرزت ديار مصر منها الفوائد الجليلة والمعارف المهمة وجدد  
 مدارس ومكاتب عديدة للمبتديان والتهجيزية على صورة جديدة واجتبي  
 ثمرات الجميع على وجه منتظم رفيع

فقد أرشد الملة القاصرة الى النافع المفيدة حتى صارت الملة المصرية  
 رشيدة فتعلمت المبادي والمقاصد وتمكنت من معرفة فوائد الانحاء المرأصد  
 ولم يكتف بتوسيع دائرة التعايم في بلاده بل أرسل الى فرنسا عدة ارساليات  
 لتعليم العلوم والصنائع واستخراج الفنون من معادنها لتفي بمراده فتكفل  
 باستخراج المنافع من معادنها وباستنباط عيون المعارف من مواطنها ومع ذلك  
 فقد أنشأ كما سبق مدرسة للالسن في الاكثر لقصده ترجمة الكتب الغريبة  
 فكانت للوفاء بحمل مقصده مجييه وترجم فيها كثير من العلوم المتنوعة ودخل  
 رجالها في الخدمات الميرية وعادت منهم على البلاد المنفعة وقد نتج عن انشاء  
 مدرسة الطب مشورة صحيه تدير عموم الصحة الاهلية كما نتج عنها عدة  
 اسبتياليات نفعها عميم حيث ترتبت في جميع الاقاليم ومدرسة الولادة تعد من  
 أعظم المسائر كما ان مصلحة تلقيح الجدري وقت النفوس من الاخطار وترتب

مرحلة فوق جزيرة جانكير المذكورة فتكون المسافة بين جانكير ومنبع النيل نحو مائة وخمسين فرسخا تقريبا وبهذا الاستكشاف سهل لسياحي الانكليز تمام استكشافهم بين ارسالية جنتمكان الذي كان ولم يزل طرفه للبحث عن احراز المكارم يقظان

ملك أسهر عينا لم تزل همها تشريد هم الراقدين  
ماروى الراوون بل ماسطروا مثل ما خطت له أيدي السنين  
(غيره)

أصبحت دون ملوك الأرض منفردا بلا شبيهه اذ الا ملاك أشباه  
مشمر او بنو الاسلام في شغل عن بدء غرس لهم أثمار عقباه  
فقد انفق على مصالحة النيل النفقات الخارجة عن حد العادة كما قيل  
لوان فيض النيل فائض نيله لم تفتقر مصر الى مقياس  
فقد اشترى وسائل التمدن ومقاصد الماء العالية ومقدمات التقدم  
بالاثمان الغالية

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنا يصبر على البذل  
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيرا يعيش دهرا طويلا أذا ذل  
فله اليد الطولى التي نقلت صورة الالهالى من صورة الى اخرى ومن  
هبولى الى هبولى فقد اوجد عزم محمد على بالتوفيقات الصمدانية من الامة  
المصرية أطباء ألباء وأرباب هندسة عالية وترجمة سامية وأرباب إدارة  
ملكية وضباط عسكرية وأرباب صنائع وتجارات وكان هذا للمدارس  
والسكاتب من أفضل النتائج وأجل الثمرات  
فقد أنشأ من أول الامر مدرستي قصر العيني والدرسخانه فكانت

مطلب  
ارسالية المرحو  
محمد على  
لاستكشاف  
منبع النيل

مطلب  
انشاء المدارس  
المصرية

الانتفاع منه الا بالصعوبة فلو تم عمل البوابات كالفرض المطلوب منها في الفتح والتقليل  
 بغاية السهولة وتمت الرياحات الثلاثة المذكورة وقناطرها الثلاثة حكم المرغوب  
 لحصات الثمرات العظيمة للمدريات المذكورة وتوفرت المياه التي تسقي بالراحة  
 وتوفرت أيضا جميع السواقي والنوابيت واكتسبت الاهالي المكاسب العظيمة  
 من الزراعات مع قلة المصاريف حيث انها لا تخسر مياه النيل التي لا ينصب  
 منها في المالح الا القدر الزائد عن اللزوم فلا شك انها اذا تمت القناطر الخيرية  
 على الوجه الاكمل بموجب تصميمات الحكومة في الحالة الراهنة فانها تكون  
 من أعظم ما يوجب كمال الافتخار للجد والحفيد والموجود منها الآن فهو من  
 آثار جوهرى العقل الفريد اذ انوار عقله السواطم هي أشعة المنافع  
 قد بلغ النيل كل نفع من فيض تلك اليد الكريمة  
 وصار ذا غلة ورزق فهذه نعمة جسيمة  
 وقد ذكرنا غاية جنتمكان بعلاج مصب النيل وقد اعتنى أيضا رحمه الله بالبحث عن  
 استكشاف منبعه افتداء بمشاهير قدماء ملوك مصر وملوك العجم واسكندر  
 والبطالس وقيصرة الروم وعقلاء خلفاء مصر ونبلاء سلاطينها وملوكها بعد الفتح  
 فارسل في ظرف أربع سنوات ثلاث ارساليات متوالية وكانت في سنة ١٢٥٧  
 الارسالية الثانية تحت رئاسة سليم بك قبودان ودرنو بك مهندس وهي انفع  
 الارساليات فسارت هذه الارسالية من الخرطوم في النيل المسمى هناك بالبحر  
 الابيض مسافة خمسمائة فرسخ حتى وصلت الى جزيرة جانكير بمشروع كندكرو  
 وعندها رمال وصخور متكاثرة كالشلالات تمنع السير عن النيل منعاً كلياً فاقتصر  
 القبودان المذكور على أخذ الاستعلامات اللازمة مما يعلم من أهالي تلك الجهة  
 فاستبان من ذلك ان منبع النيل بقرب دائرة الاستواء على ثلاثين

مديرية البحيرة وان يعمل لهذه الترع الثلاثة التي هي عبارة عن فروع خارجة من  
بحر دمياط ورشيد قناطر وعيون على حسب ميزانية الارض وان يعمل لها بوابات  
تقفل وتفتح على حسب الاقتضاء

فاذا تمت على هذا الوجه ترتب عليها انه في وقت فيضان النيل تفتح القناطر  
الخيرية وقناطر الثلاث ترع المسماة بالرياحات لتصرف ما زاد من مياه النيل عن لزوم  
الري في البحر المالح وحسبه بقدر اللزوم بقفلهما بقصد السقي ويجعل سفر المراكب  
ممكنا وفي ايام التحريق تقفل بوابات القناطر الخيرية قفلا محكما بحيث ترتفع المياه  
أمام القناطر المذكورة بتدرج عدة امتار فتتصب بالضرورة في الرياحات الثلاثة  
المستعدة الماء منها في هذه المدة وكذلك تقفل أبواب قناطر الرياحات الثلاثة  
المستعدة الماء بحيث تفيض مياهها على الاراضي التي أمامها ولا يترك منها الا القدر  
الزائد ليتوزع على الاراضي والحيضان من حوض الى آخر

وبهذا القفل في القناطر الخيرية وفي الرياحات يمكن السفر في السفن  
في هذه الجهة في النيل وقت التحريق فالقناطر الخيرية والرصيف والرياحات  
هي المقصد الذي به تم مصالحة الري في المديرية الستة السالفة الذكر وقد  
تم منها في أيام المرحوم جنتم كان القناطر والرصيف ولم يتم عمل الرياحات  
بل الذي صار اعماله جزء من رياح القليوبية وجزء من رياح المنوفية وجزء  
من رياح البحيرة فجزء رياح القليوبية تلف الآن بالسكينة وجزء رياح المنوفية  
يستعمل الآن استملا لا غير المقصود منه فان مصالحة ري المنوفية أحوجت الى استعماله  
بتوصيله المياه الى الترع القديمة وأما جزء رياح البحيرة فلم يزل الى الآن باقيا لكن  
بدون ثمرة بل بوابات القناطر الخيرية التي مهام منفعة القناطر لم يتم منها الى الآن الا  
بعضها لا جميعها والبعض الذي صار عمله لم يكن محكم القفل والفتح بالسهولة فلا يكون



فلم ياخذ الري فيها حده الا كحل بسبب تعذر تطهير الترع في مواعيدها كل سنة  
 مع اتساع الدوائر الزراعية اتساعا وافرا في الاقاليم البحرية ولا تكمل مصاحبة  
 الري الا بايجاد القناطر الخيرية على فرعي النيل المتفرقين من شلقان الذين احدهما  
 شرقى وهو فرع دمياط والثاني غربى وهو فرع رشيد وذلك ان هذين الفرعين  
 يتكون منهما مثلث وهو الجزيرة المسماة ايضا بالدلتة ومنهما ما تروى عدة مديريات  
 وهي مديرية القليوبية والشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية الا ان ارتفاع هذه  
 المديريات منهما لا تكون تامة الا في زمن فيضان النيل وامامى ايام التحاريق  
 فان مياههما تنصب في البحر المالح ولا تعود منها على الزراعة اذني منفعة فانصبابها  
 في البحر المالح محض خسارة على الزراعة فاستصوب المرحوم قنطرةتهما من  
 امام شلقان الى بر المناشى بقنطرتين احدهما على البحر الشرقى والثانية على البحر  
 الغربى بعيون كثيرة وأن تكون القنطرتان على استقامة واحدة من البرين يعنى من  
 بر شلقان الى بر المناشى وان يبنى على رأس الجزيرة رصيف يكون ابتداءه من  
 الشط الغربى من فرع دمياط وانتهاه الى الشط الشرقى من فرع رشيد وفائدة هذا  
 الرصيف منع المياه من ان تقطع رأس الجزيرة فتغرق المنوفية والغربية وان يكون  
 هذا الرصيف عاليا جدا بحيث لا يرتفع اليه الماء عند الفيضان وان يعمل لعيون هذه  
 القناطر الخيرية بوابات محكمة تقفل وتفتح بحسب الاقتضاء لحبس المياه وارسالها  
 وان يعمل ايضا لمساعدة القناطر الخيرية ثلاث ترع رياحات تكون فوهاتهما من فوق  
 تلك القناطر الخيرية احدى هذه الترع يكون معد الري القليوبية والشرقية والدقهلية  
 بالراحة وفوهاتهما من الشط الشرقى قبل شلقان وترعة الثانية تكون فوهاتهما من  
 وسط رأس الجزيرة يعنى من منتصف الرصيف وتكون معد لري المنوفية والغربية  
 والترعة الثالثة تكون فوهاتهما من فوق القناطر الخيرية ببر المناشى وتكون معد لري

« مطلب »  
 كال مصاحبة  
 الري باتمام  
 القناطر الخيرية

« مطلب »  
 لزوم الرياحات  
 للقناطر الخيرية  
 والمديريات  
 المنتفعة بها

لا بد أن يبقی فیها منه جزء بدون ري وانما أكثر مزارع مديرتي اسيوط  
وجرجا ضامنة في هذه الحالة للري والظاهر أن هذا الوصف في تلك الجهة  
حاصل من قديم الزمان

مطال  
تصویر الاراض  
للرشيد  
واستحسانه  
اقاليم الا سيوط

فقد ذكر بعض المؤرخين أن الدنيا كلها لما صورت للرشيد لم  
يستحسن منها الا كورة اسيوط لان من مساحتها ثلاثين الف فدان في استواء  
الارض لو وقع فيها قليل الماء لانتشر في جميعها لا يشرق منها شيء يزرع  
بها السكتان والقمح والقرطم وسائر أنواع الثلات فلا يكون على وجهه  
الارض بساط أعجب منه وبها مناسج الارمنى والديبقي والمثلث وسائر انواع  
المنبوس الذي لا يخلو منه ملك اسلامي ولا جاهلي وبها الخس والسفرجل  
الذي يزيد على كل بلد في كثرته وبهائه والليمون الذي يحمل الي سائر  
الآفاق وبمدينة أخميم من عمل الا سيوطية الطراز الصوف الشفاف والمطارف  
والمياز والملم الابيض والموكي ويحمل منه الى أقصى البلاد والى سائر  
الآفاق يبلغ الثوب منه عشرين دينارا والمطرز مثله فهذا يدل على حسن  
الزراعة والصناعة بتلك الجهات انتهى فانظر ما حكاه المؤرخون في شأن  
أسيوط واخميم فانه يتراءى استبعاده مع ان الواقع أن قطرهما الى الآن قابل  
لمثل ذلك ولعله يعود الامر كما كان وفي قريب من الزمان

وقد كان تصميم جنتم كان على ان يعمله ترعة عظمى محاذية للنيل على  
استقامة الصحراء وتكون فوهتهم من عند جبل السلسلة فلم يرم مرامه الا انه  
صار عمل بعض ترع فوق البلينة اصلحت كثيرا من المحال بتلك الجهة حتى  
صارت حيطان تلك الجهات تروي من بعضها في ابام اخذ النيل في النقص  
ومع صرف المرحوم المشار اليه همته العالية في مصلحة الري في الاقاليم البحرية

نذكر بعضاً منها فنقول ان من جملة أعماله عمل الجسر الاعظم الممتد بطول النيل على الساحلين مبدؤه من جبل السلسلة في الصعيد وانهائه الى بحر اسكندرية وهو محيط بالوجه البحري فهذا الجسر سد عظيم يحفظ بقاء مياه النيل في فرشه ومجره فاذا ارتفع الماء عند الفيضان حفظته الجسور من انتشاره وتغريقه للبلاد كما ان هذه الجسور تحفظ أيضاً مياه النيل في زمن الري مدة طويلة على الارض حتى يرسب طينها النافع وتحصل فائدة الطمي وقد صار عمل هذا الجسر الاعظم الحافظ للمياه في ظرف سنة واحدة بدون اتعاب للأهالي اذ كل بلد أعانت في عمله بقدر ما يخص بلدها منه وهذا كله غير القناطر والجسور الخصوصية المنشأة في الاقاليم البحرية والقبليّة لا سيما بالجهات البحرية فانها اخصبت جدا وتكاثرت فيها زراعة الاصناف وعلى الخصوص زراعة الاقطان اذ صارت ضامنة الري اياها كانت زيادة النيل بخلاف الصعيد فانه لم يصل الى هذه الدرجة القصوى اذ لم تغفل عنه عين المرحوم طرفة عين وان لم يجتهد في اصلاح الصعيد بمثل ذلك الاجتهاد مع أن أغلب ملوك مصر في الازمان القديمة كانت همّتهم في تحسين الصعيد وتمدينه حتى قيل ان الاقاليم القبليّة كانت سابقة التمدن قبل الاقاليم البحرية قيل ولعل سبب تراخي اعتناؤه به كمال الاعتناء أن الصعيد لا يصلح لزراعة الاصناف كالوجه البحري لا سيما زراعة القطن وان كان الصعيد ينجح فيه زراعة السكتان والافيون وغير ذلك بل والقطن على قلة حتى ان زراعته في بلاد النوبة التابعة لمصر ناجحة وانما تحتاج لعزيمة الحكومة فكمال الاهتمام في المصالح النيلية مبقية لعناية حكومة الذرية المتولية العرازة ومن أحوال الصعيد الآن أن السنين التي فيها زيادة النيل متوسطة

الى دخول الليل وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء  
إفطارا لعيالهم وأولادهم اصرفوهم بعد العصر فصارت سنة غالبية الى اليوم  
بمصر قيل لم يكن بمصر بقعة أعظم من البقعة التي بنى فيها هذا الجامع وكانت  
تسمى جبل يشكر وهو مشهور باجابة الدعاء فيه وبنى أيضا بجوار هذا الجامع  
مارستانا وصرف عليه ستين ألف دينار والظاهر انه أول مارستان بمصر  
وجعل به خزانة الشراب والادوية وكان يجلس على بابه كل يوم جمعة طيبيان  
برسم مناظرة الضعفاء وأرصد عليه الاوقاف الكثيرة الدارة وقد أصلاح  
أيضا مقياس مصر وصرف عليه الف دينار فاين حسن عدله وتديره من  
ظلم الممالك السكيما في الا عصر الاخيرة وتدميرهم للبلاد فدار العمار على العدل  
وبضدها تميز الاشياء كما قيل

عليك بالعدل إن أوليت مملكة      واحذر من الظلم فيها غاية الحذر  
فالملك يبقى مع الكفر الذميم ولا      يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

فلذلك في مدة أحكامهم صارت مصر تفقد كل يوم عناصر حياتها على  
التدريج بانحلال الانتظام فكانت مصر محتاجة الى نظمها في وحدة حكومة  
مركزية فادركت مرامها بنادرة العصور وهي الذات المحمدية العلية ولولا  
ان رزقت بالرحوم محمد على باشا لدرست رسومها بالسكاية فقد أسعدهم الله  
سبحانه بسيادته وكان انقاذه لهم من قبضة الظلمة سببا لسعادتهم وسعادته  
فانه اهتم باصلاح الترع القديمة بالترميم وجدد ما اقنضته الضرورة من  
الترع والجسور والتناظر ما عاد على الزراعة بالاحسين والتقديم

وقد اسلفنا الكلام على ترعة الحمودية وعلى منفعتها العمومية ولايسئنا  
هنا سرد جميع العمليات المائية التي صارت في ايام حكومته العلية وانما

مطلب  
تسخير الم  
تبارك وتعا  
محمد على  
لاحياء عمار  
مصر



فكان اصحاب الاراضى والمزارعون لها المجاورون شطوط الماء يحتكرون  
الري والسقى ويختلسون من المياه ما هو قريب منهم ويمنعون الاراضى  
البعيدة من ذلك مع كونها لها حق فى مشاركتهم فى المياه عند الفيضان فكان  
ينشأ من هذا ما لا مزيد عليه من عداوة قربة لآخرى وربما ترتب على ذلك  
القتال وسفك الدماء فانه الحوادث الجارية فى أيام حكمهم تقهقرت العمليات  
الهندسية الموروثة عن الفراعنة والرومانيين ومن بعدهم من الخلفاء والسلاطين  
ممن كانت دولة مصر فى أيامهم منظومة كإيام أحمد بن طولون فانه لما تولى  
الأمير أحمد على مصر تسلمها من أحمد المدبر وقد تلاشى أمرها وانحط خراجها  
فأهتم ابن طولون فى عمارة جسورها وبناء قناطرها وحفر خابجائها وسد ترعها  
فاستقامت أحوال الديار المصرية فى أيامه ووصل خراج مصر مع وجود  
الرخاء أربعة آلاف دينار وثلثمائة ألف دينار يعنى أربعة ملايين دينار  
وثلث مليون تقريبا وهذا غير ما تحصل من المكوس وكان ملكا شجاعا  
صاحب جيوش وسخاء كثير الأموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يستوفى  
خراجها وكانت مصر فى أيامه عامرة آهلة كثيرة المحصول لرفقه برعته  
وتكثير ثروتهم وقوتهم وعدم ظلمه وجوره عليهم وما كان تحصيل الأموال  
الكثيرة جدا منها إلا بسبب عمارتها فكانت كالروض البهى فى زهرتها ونضارتها  
فقد بنى مدينة شرق مدينة القسطنطين وسماها القطناع وكانت مدينة جليلة  
بنيت قبل القاهرة وكانت ميلا فى ميل أولها من كوم الجراح الى الصليبية  
وعرضها من قناطر السباع الى جبل المقطم فلما فرغ من بنائها سكن بها  
جندة وكان قريبا من المائة ألف ثم ابتداء بناء جامعته الذى بلغت النفقة  
عليه مبلغا جسيما ورأى أحمد بن طولون الصنائع ينون فى الجامع ويتأخرون



الرعية فنفوذ الحكومة هو الذى يتعهد اصلاح هذه الدرة اليتيمة وليس في ممالك الدنيا مملكة لصاحبها النفوذ الحقيقي على الزراعة والفلاحة الا صاحب مصر فانه لا يجد في اهمالها فلاحه وبقدر نفوذه على ادارة الزراعة يكون له النفوذ على الاهالى وأما غير مصر من البلاد التي ربيها بالمطر فليس للحكومة عليها ولا على قلوب أهلها كبير تسلط

ولما كان رى مصر دائماً صناعياً مدبراً كان لا بد فيه من حسن الادارة المائية والضبط والربط في تطهير الترع وبناء الجسور والقناطر فإن كانت الحكومة المتولية على مصر سيئة التدبير أو قليلة المدل أو ضعيفة القوة فانها تقتصر على تدبير بعض الاقاليم دون بعض أو بعض الاملاك الخصوصية على قدر منفعتها وتجهف بالصلحة العمومية فلا تخاو الاقاليم في داخلها من المشاجرات بين الاهالى واذا فتحت الحكومة رعة عظيمة خصوصية أو أهملت رعة في الترع وجعلتها عرضة للتلف ترتب على ذلك اضرار الري لا يكون الا في أما كن قليلة فتتناقص كربة الاراضي الزراعية عن أصولها الاتساعية وهذا الخلل انما يترتب على عدم الحكومة المركزية فان حكومة الممالك الاختلالية لما تجردت عن القوة المركزية ووحدة الحكومة تجردت بالضرورة عن صورة الرى العمومية المصرية

فقد كانت حكومة الممالك مؤلفة من عدة سناجق تتوزع بينهم اقاليم مصر وكل سنجق يقطع لكشافه القرى والنواحي وكان كل سنجق منفصلاً عن غيره بادارته وسياسته لا يتبع الا هوى نفسه ولا يطع الا ما يسوله له عقله من وسائل التخريب وان كان مستقيماً للصدفة والاتفاق فالغالب عليه التكاسل وعدم النشاط فكان في أيامهم لكل قسم وكل قرية ترع وجسور خصوصية لا ينتفع من السقي منها الا أهاليها ولم يكن بينهم روابط عمومية

مطلب  
حالة الرى في  
حكومة الممالك

عظيما بخلاف ما اذا كان في يد انسان مهمل أو جبان أو فاجر همة أو جاهل لا يدرك العواقب فانه يتلفه بسوء تصرفه فيكسده رأس ماله الذي هو النيل وتذوق مصر عذاب القحط الوبيل لانها بدون الري ليست الا بلاقع فعمارتها بقدر حسن التصرف في مياهها النيلية فالنيل بالنسبة اليها كالدّم لجسم الانسان فقوة البدن بقدر ما فيه من الدماء كما قال بعضهم

ان الدماء قوام لكل جسم صحيح

وحمرة النيل فيها قوام جسم وروح

« مطلب »  
ما يترتب على  
انظام مصلحة  
الري

فصلحة الري العمومي هي عملية الاقتصاد في النيل وتدير مياهه فقد كانت مصر في أيام الفراعنة ذات قناطر وجسور حسنة التدبير والتقدير حتى ان الماء كان يجري تحت منازلها بتقدير منافعها فيجسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك معنى قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن يومئذ ملك أعظم من ملك مصر

فاذا انتظمت العمليات باصول واسعة فان أرض مصر الزراعية تزيد وتمتد وتكثر وسائل ثروتها وتمتدنها وتعظم شوكتها وقوتها المملكية وأما اذا بقيت قليلة الترع والجسور عديمة الانتظام والتطهير والاصلاح والترميم فانه ينحط قدرها ويظهر الفقر والمسكنة على أهلها ويضعف تمدنها فلا بد من صورة تنظيمية وأصول اجتماعية مستوفية للمذاهب المائية وقوة اجرائية ومثل هذا لا يكون من وظيفة الآحاد والافراد ولا من محض وظيفة القرى والبنادر والبلاد سواء كان بالاجتماع أو بالانفراد بل هذه وظيفة القوة الحاكمة العمومية التي هي من المولى تبارك وتعالى كالوصي على مصر وعلى جميع

## الفصل الثالث

فما دبره المرحوم محمد علي من اصول المنافع العمومية الجسيمة والوصول بها الى الحصول على التمددات العميمة في زمن يسير ممالو أنجزه من الملوك جم غفير لعد من العمل الكثير وحسن التدبير

الغرض التكلم علي ري الاراضى وسقيها بما ينخص العادة والامور الهندسية التي هي ايضا من تدبير الحكمة الالهية والافلو نظرنا لمحض الحكمة الالهية لقلنا كما قال الغزالي رحمة الله تعالى في احياء علوم الدين ان الرغيف لا يستدير ويوضع بين يدي الآكل حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا ولهمهم ميكائيل عليه السلام وهو الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزرع السحاب والشمس والقمر والافلاك ودواب الارض وآخر ذلك الخباز انتهى ويقاس على ذلك كل فرع من فروع المعاش فالعمل هو الذي عليه المدار وهو القوة الآولية في ابراز المنافع الالهية كما سبق في الفصل الثاني من الباب الاول فان ما يأتي في العمليات النيلية لخصب ارض مصر يؤيد ما ذكر في ذلك الفصل ومن المعلوم أن مصلحة الري التي هي عبارة عن عمل الترعة والجسور والقناطر من أهم مصالح الحكومة لان هذه المصلحة النيلية لها مدخل عظيم في غنى الاهالي وسعادتهم كما ان لها تأثيرا عظيما في تكثير ايراد المملكة المصرية لان النيل هو رأس مال البلاد والاقاليم كما قال بعضهم

لمصرنا من نيلها ثروة فالرزق من اصبغه يجري

يقول من أبصره احمرأ قوموا انظروا للذهب المصري

فاذا كان النيل في يد مدبر نشط أحسن التصرف فيه فانه يرجع ربحا

## والحاجز لعمومها بالماء

الثاني تلف القيوف المسبب عنه توسيع فرش النيل وانحطاط ميزانية مائه  
 الثالث جور مياه البحر المالح وامتدادها على الارض الزراعية وسلبها منها  
 على التدرج بمقادير واسعة فهذه ينبغي معالجتها وقتيا بما يليق بها من الاصلاحات  
 كتسبيخها وتسميدها وتوصيل المياه اليها ولو لم تنتج بهذه المعالجات قدر عدة  
 المحصولات السنوية الا ان فائدها تنسب الزراعة على اسلوب واحد بحيث  
 ان الماء يصلها فلا تهمل الى حد حصول التداركات الموفية بالغرض واسهل  
 طريق في منع تلك الاسباب المضرّة وازالة ضررها دفعة واحدة في آز واحد  
 مع الاقتصاد في المصاريف هو ان يحصر النيل بسدود لا ثقة يعني ان يعمل  
 له بالهندسة والهندسة فرش محصور محدود لا يمكن معه اتلاف القيوف فالجزء  
 الزائد من ميزانية النهر الذي يطفو على السدود من الفيضان يصير تصرفه  
 بالتوزيع على الاراضي والحيضان كما كان جاريا قبل عمل السد فيحصل الطمى  
 كالعادة

فهذه العملية تجعل فرش النيل محسورا وتزيد في سرعة جريان ماء النهر  
 عند مصبه فيتجدد من هذه القوة فائدة عظيمة لان ماء النيل يزاحم حينئذ مياه  
 البحر الملائمة له ويغلب عليها فيصدها ويرد امتدادها وانتشارها بما فيه من  
 السرعة والقوة ويطردها طردا عنيفا كما فعل ذلك في بعض انهر اوروبا التي  
 بهذه المثابة وهذا المعنى هو الباعث للمرحوم على عمل الجسور العظيمة وعلى عمل  
 القناطر الخيرية التي هي من اعظم المنافع العمومية المصرية كما يذكرك في الفصل  
 الثالث من الباب الرابع

حتى اذا دخل فصل الشتاء كاز ماؤه منخفضا جدا ولكن لا تزال المياه موجودة في الترع الكبيرة ففي هذه الحالة يدخل فصل الزراعة فاذا انقضى فصل الخريف دبست جميع الترع ونضب ماؤها ماعدا عدة ترع مستثناة يسقى منها بالراحة او بالآلات ففي هذا الفصل تسقى الزروع والغروس في اكثر محال الديار المصرية بالتوايت والسواقي الا ان طريقة السقي على هذا الوجه ضعيفة شاقة كثيرة المصاريف ومع ذلك كله لا ينتفع منها الا قليل من المزارع لا سيما القريبة من النهر

فبواسطة السقي الدائم يحصل من مزارع الديار المصرية ثلاث محصولات او اربع في اكل سنة ولكن اغلب اراضي مصر ماق غير رواتب فلا تسقى بتلك الطريقة بل يعمها الماء وقت الرأى حسب العادة فلا تزرع الا مرة واحدة ولا تؤدي الا محصولا واحدا في السنة فقد لوحظ بالقانون الهندسي انه اذا صار تعمم النيل بترتيب مساقى مرتبة على فصول السنة وتوفيق السقي على مزاج القطر وما يناسب من اصناف الزراعة فانه يترتب على هذا ايجاد عدة محصولات للمزارع في السنة

فاذا تأمل اهل الزراعة الى اسباب تكثير المحصولات وتعددتها وما تستدعيه من القوى غير المعتادة والاعمال المدبرة فان هذه القوى تساوى القوى الطبيعية في تنمية المحصولات فقد لاحظ جنتم كان محمد على باشا انه ينبغي قبل كل شيء ابطال الاسباب الطبيعية الموجبة في اكثر الاوقات لتتمتع اراضي الزراعة على التدرج وانه لا يدرك مرامه في الثروة والغنى الا بالانتصار عليها وهزمها اذ هي اعدى عدو للبلاد كما انتصر في وقائعه الحربية

الاول من هذه الاسباب ارتفاع وادي النيل المانع لري عدة محلات

مطلب  
تكثير عدد  
المحصولات بحج  
الارض روانه

مطلب  
ازالة الموانع  
الطبيعية الموجبة  
لتقليل اراضي  
الزراعة



على صحة هذه الدعوى

وعلى كل حال فمن المحقق ان النيل كل سنة يحصل منه تغيرات وتبديلات وتحويلات يترتب عليها ثلاث مضررات ينبغي التأمل فيها لتداركها الاولى ان تراكم الارساب الطينية يتسبب عنه ارتفاع ارض وادي النيل بقدر لا يصلح الري فتضييق كميات الاراضي الزراعية التي يصل اليها الماء عند الزيادة

مطلب ١  
انتباه للمزارع  
لا تالئنبية التي  
بالتحفظ منها

الثانية ان النيل حين بفيض بحفر الارض وينخر الحصباء فينفذ في خلال القيوف فيسقطها فيحدث من ذلك كل سنة انخفاضات جسيمة فيتسع فرش النهر ويجراه وبقدر ذلك تتناقص تسوية ميزانية النهر وينحط سطحه فيتولد عن هذا ان الاراضي التي كانت تفرق سابقا بالماء مدة الزيادة صارت بعيدة الآن عن النيل بمسافة بحيث لا يصعد اليها الماء فبهذا صارت يابسة ولو في زمان الزيادة وهذه الحالة ملازمة للحالة الاولى

مطلب ٢  
مضار البحر  
ل مصب النيل

الثالثة ان النيل من حيث انه غير محبوس يجور على البحر عند بؤغازه المصادم مأوء ماء البحر عند مدته ويجور البحر المالح ايضا على الاراضي المستجدة التي يضيق عنها نطاق الري فيتلغها وسيأتي فيما بعد معالجة هذه الملل الثلاثة المضررة بوادي النيل وبيان مضرة البحر المالح للاراضي الزراعية انه في شهري برمودة وبشنس يكون ماء النيل قليل المياه منخفضا فيصعد البحر المالح نحو ثلاثة فراسخ فوق دمياط ورشيد فيرسب منه رسوب كالربوات من المياه المالحة المنخفضة الزراعة

مطلب ٣  
مضار البحر المالح  
ل مصب النيل

فيتكون من ذلك البرك المالحة فمن ذلك بحيرة المنزلة وغيرها من البحيرات التي كانت مزارع وزالت ثم ياخذ النيل في الزيادة في الصيف ويحصل الوفاء في الخريف فيبقى النيل مستمرا على زيادته مدة ايام ثم ياخذ في النقص شيئا فشيئا

أو يجعل دخولها خطرا وليس لمصر الا طريق واحد من النيل الى هذا  
 البحر تنقل منه محصولاتها فلما كان في أوائل حكومة المرحوم محمد علي طريق  
 رشيد هي دون غيرها الموصلة لنقل محصولات لمن يسافر الى البلاد الأجنبية  
 اضطر في سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة أن يفتح ترعة بين  
 النيل والاسكندرية وكان في قديم الزمان ترعة تسمى بالخليج الاشرفى بأفية  
 الأثر وكانت توصل مياه النيل الى صهرجج اسكندرية وقت الزيادة فكان  
 يمكن توسيعها والسفر فيها الا ان جنتم كان محمد علي عمد الى انشاء ترعة  
 جديدة سماها المحمودية فكانت من أعظم الترع التي أنشأها على كثرتها  
 فقد فتح كثيرا من الترع والخلجان الا انها منفردة في جهات عديدة ونافعة  
 في موقعها ولم يعمل صورة رى واحدة عمومية بحيث يجتمع المهندسون  
 لرسم ميزانية مصرية مؤلفة من مجموع الترع والجسور اللازمة لشغوليته  
 بما هو أهم من ذلك مدة طويلة في مبادي أمره وفي انشاء ولايته وانما بعد  
 مدة طويلة اتسعت آراؤه في العمليات وعرف الاسباب والمسببات واكتسب  
 التجارب وتفرغ للعمليات النافعة وكان قد جاء أوانها وتوفرت وسائلها  
 ونفقاتها وذلك أن النيل في الحقيقة منه تكون قلب مصر وقالها وهو الموجد  
 للرطوبة الضرورية للقطر اذ لا يستغنى القطر عنها فالنيل نائب عن الامطار  
 المرطبة في البلاد الاخرى وزيادة على ذلك هو الجاذب للطمى الذي هو  
 عنصر الخصوبة وأصل الماء والبركة حتى استظهر بعض الطبائعيين أن  
 جميع وادي النيل متولد من الطمى ويؤيد هذا القول ما ذكره الاقدمون  
 من أن الوجه البحري متولد من تراكم الطمى الطينى الراسب من فيضان النيل  
 السنوي وأن شكل ساحل البحر الذي على هيئة نصف دائرة علامة قوية

مطلب  
 انشاء ترعة  
 المحمودية  
 القن

مطلب  
 تفرغ محمد علي  
 للعمليات النافعة  
 لثروة مصر  
 الاوان

مطلب  
 زعم بعض  
 الحكماء ان  
 ارض مصر  
 حادثة من  
 الطمى

بتحسين مصالحة الري والاحتباس من الفرق والنشريق وقد سلك جئتمكان  
في ذلك مسلكا حسنا اذ في أقرب زمرا كتب من مالية الاراضى أضعاف  
ايرادها الاول بقدر ست مرات قبل أن يتفرغ بتكثير العمليات النافعة وانما  
تأخرت أعمال الري الجسيمة التي هي أهم من غيرها في حد ذاتها وبالنسبة  
للاهمالي وتكثير اراد المملوكة لان غيرها كان في ذلك الوقت أهم منها وهو  
ايجاد المساكن وتكثيرهم والاحتياج اليهم لتصميم مدبكه والامن على نفسه  
وحماية الوطن فكانت بالنسبة الى الباشا المرحوم جميع المنافع العمومية الملكية  
عرضية ونافعة للمسكينة التي لها تصميم كرسى الديار المصرية فلم يلفت لرواج  
الزراعة البلدية الا النفاثا نوبا ولم يصرف عليها في أوائل حكمه الا مقادير  
غير جسيمة بالنسبة لما صرفه على تأسيس المسكينة ومع قلة الارادات  
اذ ذلك فكان يحسن تدبيره ويقنن ايراده على قدر مصرفه فلهاذا لم تكن تحسينات  
الترع والجسور في مبادي أحكامه متممة بل كن يقتصر فيها على الضروري  
منها

مطلب  
م. م. محمد  
على في مدد امره  
ل تنظيم المدد  
ل المسكينة وابتداء  
لها على كثير من  
المنافع العمومية

ومن المعلوم ان النيل لا يقاس به غيره من انهار الدنيا فانه يستدعى  
للاقتصاد فيه تدقيقا مستمرا وتأملا متكررا فلا ينبغي ان يقاس بالانهار الواسعة  
البوغازات فان لها عند مصبها ما يسمونه حاجزا وهو السيف الذي يرسب  
من الطين وغيره من الاشياء المتجمعة في البوغاز وهذا الحاجز يصادم مياه  
النهر عند انصبابها في البحر فيجمل مجرى المياه وانصبابها بطيئا وأما النيل فان  
بوغازه عريض عرضا ذريعا منوصا به في ايام فيضانه وفي مائه من الطين  
الذي يتحول معه من بلاد الحبشة جزء عظيم فيتكون منه عند بوغاز رشيد  
حاجز كبير جدا يعوق السفن المارة من النيل الى البحر عن الدخول فيه

مطلب  
عد. قياس النيل  
بغيره من الانهار

من الحكومات فلا يؤثر شيئاً في جريان الفصول والامطار فينتج من هذا ان مصر اذا توفرت فيها شروط انتظام الحكومة واصلاح النيل وسهولة وسائل المنافع العمومية ودفع المضار النيلية كثر خيرها وبرها واذا اختلت فسدت مزارعها فاختلفت مصر من السنين الماضية اضر بها كثيراً مع انه يمكن ان تكون ارض مصر ومزارعها مستوية الخصوبة في جميع اجزاء الاقليم بخصوبة واحدة اذا صار تعهدا على الوجه السالف الذكر بخلاف ما اذا أهملت جسورها على عملها المعتاد وتركت الترع بدون تطهير فان ذلك يوجب تلف الاقليم بتمامه ويجعله صحراء لا ينفع بها فتأخير العمليات عن مواعيدها موجب للتلف فان الزراعة والحصد مبنيان على ازمان فيضان النيل وكميات مياهه وبفوات العمليات تفوت مواعيد الزراعة والحصاد

السادسة اذا صار الشرع في عملية قناطر عظيمة تسد فرع دمياط ورشيد في المحل المسمى بطن البقرة وعمل لها أبواب ورباحات ومصارف فان بواسطة ذلك يحصل تحويل النيل للمحلات التي لا يصل اليها بدون ذلك فمصلحة الري تصير كاملة ويصير ماء النيل عند الفيضان ضعفين بحجز مياهه ومنع الاسراف فيها بانصبابها في البحر هذا ما تصورته المكورة الجليلة المحمدية العلية لا سيما لما أرادت إجراءه فيما بعد ببناء القناطر الخيرية وبالجملة فكان ميل جنتم كان توجهها كلية الى بذل مجهوده وقوة نشاطه لاجراء عملية الري والزراعة عن ذلك نتج احياء مصر وأهلها واستنشقت في أيامه رائحة الراحة لانه لما كان الري مضمونا بهذه العمليات صارت الاراضي المصرية التي هي عناصر رزاق الاهالي ذات اثمان غالية لكونها تؤدي محصولاتها بغاية من السهولة شرط ترتيب المياه والاقتصاد فيها فكانت الحكومة المصرية دائماً متشبثة



ينصب ماء النيل في البحر الأبيض إلا ما لا يمكن تركه فيهذه الوسيلة يكون  
ماء النيل الفائض جسيما ويمتد على كثير من الاراضى زيادة عما هو عليه فهذه  
تتسع الارض الصالحة للزراعة أو للسكنى أزيد من الحالة الراهنة

الثانية اذا صار الاعتناء بتطهير الترع والخجان كما ينبغي وصار الاجتماع  
في تكثيرها بقدر اللزوم تمكث المياه على الاراضى جزأ عظيما من السنة  
فيتسع وادي النيل ومجره ويمتد فيروي الاراضى الصالحة للزراعة فمن هذه  
الاراضى القابلة للغرس الواحات الخارجة وجزء عظيم مبدؤه من برية الفرنج  
وسائر البحيرة ومربوط وما حوالى الاسكندرية فان جميع تلك الاراضى  
كانت في الازمان القديمة عامرة بالزراعة ليست من مآثر النيل محروما  
الذاتة قد صرح بوجه الخدس والتخمين ان بواسطة الطريقة السابقة المستحسن  
جدا اذا اجريت بالضبط والمواظبة وحسن الهندسة الصادرة عن فكرة سليمان  
الناجحة عن حكومة منظومة تزيد في مزارع مصر العامرة ما ينيف عن  
تسعمائة فرسخ مربع

الرابعة الظاهر أن النيل في العصر السابقة سبق مروره بالفيوم بالارض  
المسماة هناك بحرا بلا ماء وجرى من الفيوم الى بحيرات الطرون وكان يخرج  
منها فينصب في المالح من الحبل الذي خلف قلعة العرب والظاهر أيضا ان بركة قيرون  
المسماة بحيرة موريس التي هي كذلك بالفيوم سدت هذا الفرع وصارت بحيرة  
الخامسة من المعلوم مما سبق أن خصب مصر ويمنها متسبب عن النيل  
وعن غيرها الزراعى متسبب عن اختلاف الفصول والامطار فهذا كانت  
مصر مستعدة لكسب السمادة اكثر من غيرها بشرط انظام حكومتها  
واجتهاد أهاليها لان اختلال حكومتها يخل بمزارعها بخلاف اختلال غيرها



فكان المالك المستولون عليها لا ينظرون الى عمارتها وانما يأخذون ما  
بداهم وراج في كل عام حتى صارت يبابا وازدادت خرابا فقد كان أهلها  
المالك نحو خمسين سنة بدون عملية نيلية وكانت الاراضي تفسد في كل  
عام في كثير من الاقاليم حتى هجمت جيوش رمال البراري على وادي النيل  
الصالح للزراعة فتكون من الرمال على شواطئ النيل تلال واكوام ولو بقي  
حكيم ابراهيم بك ومراد بك عشرين من الاعوام لفسدت جميع اراضي مصر  
الزراعة

قال نابليون حين تأمله في اراضي مصر لوحكت هذه الديار بحكومة  
منتظمة مضاعفة لحكومة فرانسا واطاليا وانكتراد التمسازادت مزارعها  
وأهلها ثلاث أضعاف ما كانت عليه في أيام الممالك فان المزارع تجلب من  
سواحل أفريقية ومن جزيرة العرب خلقا كثيرين ينتجعون اليها للسيرة لما  
فيها من الخيرات انتهى فقد سخر الله تعالى لها محمد على لحياء مواتها وقد  
نال صلى الله عليه وسلم من أحياء أرضا مية فهي له وليس لعرق ظالم حق يعني  
من عمر أرضا فقد ملكها بالاحياء والتمير وليس لمن غرس عرق شجرة  
لما حق فيما غرسه وورد أيضا من احياء أرضا مية فله فيها أجر وما اكلمه  
لعاية منها فهو صدقة والمراد بالعاية كل طالب رزق من آدمي أو غيره وصفة  
لاحياء التي يملك به الموات شرعا ما يعد مثله العرف عمارة للمجي فيختلف  
لك بحسب الغرض منه الا ان احياء الديار المصرية هي حياة عمومية ملكية  
لعله خطر في خاطر ولي النعم المحفوظات الآتية

الاولي أنه لم يكن للنيل في هذه الايام الا فرعان فرع رشيد وفرع  
مياط وأنه يجب عمل أقفال وسدود لهذين الفرعين بطريقة تقتضي ان لا

الفراعة ما عظم نفعه من المصالح الخيرية لحفظ المزارع والمنافع النيلية فهذا  
أبدوا سعدهم وخلدوا ذكرهم لمن بعدهم واقتدى بهم غيرهم من الملوك  
وعند فتوح الاسلام سلك الخلفاء والسلاطين والولاة بقدر استطاعتهم  
في هذا السلوك وانما لما صارت مملكة مصر في قبضة الكوليمان وصار لهم  
عليها الرياسة واختلت أحوالهم وضعفت عندهم السياسة ولم يبق لهم من  
شهامة الحكم الا مجرد احسان ركوب الخيل والفروسية بدون فراسة أهملوا  
عمليات النيل نخسروا من نيل الثروة وكسب السعادة خسروا مينا وهجم  
عليهم الفرنساوية فلم يجدوا لهم من النظام العنوي ولا الحبى منجدا ولا معينا  
فبتدد شملهم بالكلية وصارت مصر في يد الفرنساوية تعد اقلها من اقاليم  
الجمهورية ولم تعد للدولة العلية الا بعد التي واللتيا فزحف عليها المماليك وبالهمة  
المحمدية العلية لم يلبثوا بها مليا ثم بتوطن هذا الامير وتوطيد هذا السيرير  
أدرك انه لم يستول من الاراضى الا على ووات ولم يسترع الا أحياء ضعاف  
الهمة وهم فى الحقيقة لا ختلال الهيئه الاجتماعيه في حيز الاموات

ولعل البطل الهمام المؤسس فهم بقوة فطنته ما أجاب به عن سؤال  
عمر بن الخطاب بعد الفتوح ملك مصر المقوقس وذلك ان عمر بن الخطاب  
رضي الله تعالى عنه كتب الى عمرو بن العاص ان يسأل المقوقس عن مصر  
من أين تأتي عمارتها وخراجها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخراجها  
من وجوه خمسة الاول ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها  
من زروعهم الثاني ان يرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر  
كرومهم الثالث ان يحفر في كل سنة خلجانها الرابع أن تسد ترعها وجسورها  
الخامس ان لا يقبل مطل أهلها فاذا قبل هذا فيها عمرت وان فعل فيها بخلافه خربت

## الفصل الثاني

في أن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل التمكن من الذات المحمدية العلية وتسلطت على قلبه وأخذت بمجامع لبه

لا شك أن المولى إليه أدرك بقريحته الصحيحة وفطنته الرجيجة أن المملكة المثرية السعيدة وسائل الثروة فيها والسعادة هي عين وسائل الصيانة والمجادة وأنه ينبغي أن يعرض عليها بالنواجذ وأن لا يفتح لشواردها سبل ولا منافذ ومن المعلوم أن منبع سعادة مصر بالاصالة الزراعة فلا يسوغ لها أن تتوقع الثروة إلا من المحصولات الزراعية دون غيرها فليس من بلاد الدنيا بلد يسهل استخراج غزارة محصولاتها كالأراضي النيلية كما أنه ليس من أقاليم الدنيا ما هو أقرب للتلف كمصر إذا أراضيها أشد عرضة للفساد بفساد النيل فهي تابعة له وجودا وعدما فإذا أنغمض النيل عينه عنها سنة من السنين وحجب عنها فيضانه المزوج بالطينة المخصبة كانت السنة عقيمة ومجربة كما إذا أغرقها بمائه الزائد عن الحاجة وال لزوم فإن السنة الغرية كسنة الشراق تورث الموم وحسبك في الخصب وضده ما ذكر في سورة يوسف الصديق من ذكر سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف فالآية قد اجادت في وصف مصر على وجه التحقيق وقوله فما حصدم فذروه في سنبله يرشد إلى الاحتياط والاحتراس لجميع ملوك مصر وسائر من فيها من الناس فلهذا كان حكماء ملوك مصر يمتاطون في سنى الخصب فلا يخرجون الزائد لنيرها من البلاد ويعتنون كل الاعتناء بحفظ مجرى النيل وتنظيم القناطر والجسور والترع والخلجان لمصلحة الرى في كل طريق وسبيل فذلك ترى من مباني

مطلب  
كون الفلاح  
هى منبع ثروة  
مصر الحق  
وتحفظ حكما  
الملوك على شؤ

مطلب  
ساعة كبار  
وزراء ارباب  
انح للوكهم  
على التمدن

ان تنسب الافعال العظيمة اليهم كمساعدة خير الدين باشا وامثاله مولانا  
السلطان سليمان ومساعدة الوزير مازارين ورئيس الوزراء كولبرت وكالمرشان  
تورين وغيرهم من مشاهير الابطال الذين لا يحصون عددا فلوحظي المرحوم  
محمد علي في اوائل توليته بأمثال هؤلاء الفحول المتصفين بالسياسة والرياسة  
وذكاء العقول لكان أعظم ابطال الدنيا ومع ذلك فله الفضل الذي كاد ان  
يختص في كونه اعمل قريحته في تربية رجاله الذين جاؤا معه الى الديار المصرية  
او الذين انتخبهم ورباعم فاحسن تربيتهم في هذه الديار وببركة يمنه وحسن نيته  
الخيرية سلكوا معه سبيل الفخار ونالوا بتربته كمال الشهرة والاعتبار  
فهو بهذه الملاحظة بالنسبة لتلك الازمان حاز قصب السبق في ميدان الملوك  
السابقين فهو جدير بأن يعد من عطاء ملوك الدنيا بيقين وحسبه انه احسن  
تربية نجله الاكبر ابراهيم باشا تربية عسكرية حتى شهد له بالفضل الحربى  
جميع امراء جيوش الدولة الاورباوية وايقنوا جميعا انه من كبار قواد الجنود  
الذين اشتهروا في القديم والحديث وانه اول امير من امراء الجنود في الدول  
الاسلامية من القرون الاخيرة واما في السياسة الملكية فكان من كبار  
المديرين وادارته الخصوصية اعدل شاهد على انه لو طال عمره بعد توليته لكان  
من اعظم المعمرين وقد اقتضت حكمة الحكيم ان وضع في اسمعيل سر ابراهيم  
وانه حين آل سرير الملك اليه اجرى الله تعالى كمال خير التمدن على بديه وما يجدد في  
عهده من المحاسن الجمة شاهد عدل على ان مولاه وضع فيه سرايه وجدده وهي  
نعمة عظيمة وأى نعمة

عنده عشرين أمة عليه تعصبت وعلى قتاله تحالفت وتحزبت وبالجمله فهو اعظم  
الملوك في حياته كما كان عظيم العبرة عند مماته انتهى

وكان في عصر هذا الملك من مشاهير الرجال جماعات كثيرون في

« مطلب »

فيمن كان من  
السلامة العثمانية  
في عصر لوز  
الرابع عشر

كل فن فكان الملك في أعلى درجات الفخار بالجمعيات العظيمة المؤلفة من  
هؤلاء المشاهير أرباب القرائح الكاملة والعقول الراجحة الفاضلة وقد استعان  
بجميعهم وعرف لكل منهم فضله وقلده من الوظائف بقدر استحقاقه فهو  
مع هذه الجمعيات العظيمة التي ساعدت مظاهر سعده مخلد الذكر عند من  
جاء من بعده وفي بحر مدة حكمه تولى على الدولة العثمانية ستة من السلاطين  
فقد تولى لوز الرابع عشر على دولة فرانسوا وكان اذ ذاك متوليا على الدولة  
العثمانية السلطان ابراهيم بن السلطان أحمد خان الاول خلفه ابنه السلطان  
محمد الرابع سنة ثمانية وخمسين والف ومات في سنة تسعة وتسعين ومائة  
وخلفه ابنه في هذه السنة السلطان سليمان الثاني ويقال له الثالث ثم توفي في  
أوائل شعبان سنة الف ومائة واثنين من الهجرة

ثم تولى في هذه السنة السلطان أحمد الثاني ابن السلطان ابراهيم خان وتوفي سنة  
الف ومائة وواحد من الهجرة خلفه في هذه السنة السلطان مصطفى خان الثاني ابن  
السلطان محمد الرابع وتوفي في اوئل سنة الف ومائة وخمسة عشر ثم تولى  
السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع سنة خمسة عشر ومائة والف  
من الهجرة وفي ايامه توفي لوز الرابع عشر فقد عمر لوز المذكور عمر اطويلا  
بقدر عمر خمسة من الملوك العثمانية فكان طول عمره مما أعانه على كثرة  
مشروعاته وانجازها جميعها

فقد علم من هذا مساعدة كبار الملوك على مقاصد هم رجال مجربين يكاد



ومن بلاد الدولة العلية الاختصاص بصناعة البسط والسجاجيد الجيدة ورتب  
المصالح البحرية من ترسانات ودواوين وعوائد وحسن الزراعة والفلاحة  
واكتسب الملك من أيام وزارته الصادقة في العمل فلاحه ونجح الاحكام  
والقوانين وهو المؤسس لمدارس العلوم الكبيرة الملوكية والمدارس الرسم  
لا سيما مدرسة رومية التي هي بحسن الرسم معهوده ولم تزل باقية الى الان  
على طرف فرنساوية ومرصودا لها دراهم معدودة ورتب مكاتب النحت  
والنقش والمباني وحسن مدينة باريس بتشديد الارصفة على نهر الصين وزينها  
باليادين العمومية الفسيحة وقوى علم النجوم بالرصداخانه الملوكي وجدد فيها  
الحسية والضبط والربط الداخلية وأدخل حسن التربية في الجيوش العسكرية  
وسوى بالعمارات بالسوكل المينات المأمونة وبني عليها قلاع الثغور المصونة  
وجدد لنفع الملة بتمامها قسلة العساكر السقط على أتم أسلوب وأكمل نمط  
وعقد لمملكة فرنسا على غيرهم من الدول عقود المعاهدات والمخالفات النافعة  
وجعل الروابط والعلاقات بينهم وبين خلفائهم متواقة متجانسة وأكثر من  
التفوحات الفاخرة التي وسعت لعموم الوطن محيط الدائرة وقدرتني ولتير  
الفيلسوف الشاعر لويز الرابع عشر بذكر بعض الماثرفقال ما معناه لم يتول  
قبله ملك من تلك العصابة ولا ساواه غيره في تربية الرعية بهذه المثابة  
فالفخر شعاره والمجد دثاره وكان أحظى الملوك باكتساب الطاعة من رعاياه  
والانقياد كما كان أعظمهم في الهيبة عند الاخذان والاضداد وربما كان  
دونهم في ميل الرعية اليه ومحبتهم له بانعطاف القلوب عليه فطلما رأيناه  
تقلب عليه صروف الزمان وتلاعب به حوادث الحدثن وهو عند النصر  
يظهر الفخار ويتجده عند الهزيمة ولا يظهر بمظهر الذل ولا ينكسر فقد أرهب

• مطالع •  
ثناء ولتير الشاعر  
لويز الرابع عشر

وجد من غيره عيباً ستره وخللاً سده وجبره وكان مقدماً على الحروب جلدًا  
عند الخطوب يحسن مكاييد تدارك الاعداء ولا يحمل أحداً من العسكرية على  
أن يخطو خطوة سدى فقد قضى زمانه في خدمة الاوطان وحاز من المجد  
لعسكري أبهى عنوان

ولمات أمر الملك بدفنه في القبور الموكية وتشرف بعد انقضاء حياته  
بهذه المزية وكتب على قبره من الشعر ما معناه قد دفن تورين في مقابر  
الملوك وامتاز بهذه الخطوة بسلوكه في الحروب أقوم سلوك وقد أذن لويز  
الرابع عشر بذلك ليتوج بعد الموت بتاج المجازاة اذ كان هذا البطل قد  
أحسن رئاسة الغزاة وإيفيد ما يأتي بعده من القرون الآتية انه لا فرق في  
الدرجة بين من بيده قضيب المملكة والقائد الذي يصون بحسن تدبيره  
الوطن من التهلكة

جميع ما كان من الغزوات الفرنسية والانتصار فيها على الاخصام  
الاجنبية كان من حسن تدبير تورين واما كولبرت رئيس الوزراء فانه قد  
جدد المنافع العمومية ووسع دائرة التجارة الفرنسية بكثرة الاخذ والاعطاء  
في الهند وافريقية وجعل في هذه الممالك الاجنبية قبايات فرنسوية وسهل  
التجارة الداخلية بفتح مسالك في الانهر بحيث صارت مملوكة للسفن وكذلك  
فتح طريقاً بين البحرين يني المحيط الغربي والبحر الابيض وهو خليج  
لفدوق وقد كان تصور فتحه فرنسيس الاول ملك فرنسا ولم يشرع فيه  
ففعله كولبرت في ايام الويز الرابع عشر وانشأ المصانع والمعامل والورشات  
والكراخانات المتنوعة بثنوع المشغولات حتي سلب من البنادقة الاختصاص  
بصناعة المرايا والتجارة فيها دون غيرهم ومن الفلمنك صناعة الملابس والفروشات

مطلب  
وزارة كولبرت  
على الماسكية  
وزارة تورين  
على العسكرية

مطلب  
نجدد كولبرت  
المنافع العمومية  
واجاب حصائص  
المصنوعات  
الاجنبية ومحاسنها  
لوطنه

في المملكة وقادت الوزارة للكردينال مازارين فكانت مدة مملكته اثنتين  
وسبعين سنة فلما تم عمر الملك اثنتين وعشرين سنة باشر احكام مملكته بنفسه  
وكان يميل الى المجد والشوكة فلا زال مستوزرا مازارين فلما دنت وفاة هذا  
الوزير وأحس بدنو أجله وكان معهودا منه الصداقة لوطنه ومملكة أوصى  
الملك أن يستوزر بعده كولبرت وكان من كبار الرجال الفرنسيين فعمل  
الملك بوصيته وكان كولبرت حسن التدبير كامل الاستقامة فبذل جهده في  
تنظيم المالية وترتيب القوانين المدنية النافعة وجعل من الاصول مكافأة  
أرباب المعارف وتشويق أرباب الصنائع من الاهالي والاجانب ووجد في  
المملكة الفرنسية عمارة سفن حربية وأسس مدارس العلوم والفنون واعتنى  
بالعلوم المستظرفة كالرسم والنقش وجعل لها مكاتب خصوصية ووجد من  
المنافع العمومية ما صير مملكة مهابة عند الدول الاجنبية وأبطل أسباب الظلم  
والجور في داخل البلاد وأقام قسطا للعدل والانصاف لراحة العباد وتحولت  
أحوال الاقاليم في الداخل بالعمليات النافعة وتحسنت الاحكام والقوانين  
وصارت رياض المنافع يانعة

وفي أثناء ذلك استنار فكير الملك وصار قابلا لملاحظة السياسة بنفسه  
ولا انتخاب رؤساء مملكته من كل رئيس نافع لابناء جنسه وكما أن الوزير  
كولبرت متفاد بالوزارة الملكية كانت المارشال تورين متقادا برئاسة  
المسكرية وكان هذا الامير من فحول رجال عصره نافذا السكامة في الجيوش  
الفرنساوية في نهيه وأمره حليف الصبر والحلم في حالات الحرب والسلام لم  
يعهد عليه غضب مخل ولا خمد ولا حسد بل كان يتحجب لكل أحد مع  
ما كان عليه من الانفراد بالفضائل والمعارف والفرائب واللطائف وكان اذا

كثيرا من الاعداء واغتنمت غنائم عظيمة وافتتحت في جزائر ذلك البحر  
اثنين وثلاثين حصنا حصينا من ممالك ايطاليا وغيرها واقتلعتها من اساسها  
وغنمت جيوش المسلمين من الاموال والسبايا ما لا يحصى وعاد السلطان مع  
سائر عساكره المجهزة برا وبحرا

وكان في سنة احدى وأربعين تقدم خير الدين باشا الى اسوار مدينة  
تونس وكان ملائكمها مولاي حسن من بني حفص وكان في مدة ولايته قد  
قتل أربعة وعشرين من اخوته مشتغلا بلذاته وشهوته غير ملتفت الى تحصين  
بلادها فافتتحها خير الدين باشا وطرده من البلاد غير ان هذا الفتوح لم يمكث  
الا مدة قليلة حيث ان مولاي حسن التجأ الى كرلوس الخامس فجيش على  
تونس واسترجعها بالحرب لدولة بني حفص ثم في أيام السلطان سليم بن السلطان  
سليمان صار فتحها بالدولة العثمانية وبقيت في أيديهم

ففي تلك الايام كانت الهيبة العثمانية عظيمة مرعبة ملوك اوربا مع وجود  
فرنسيس الاول ملك فرنسا وثرلكان امبراطور النمسا وملك اسبانيا  
وفي أيام هذين القرالين اتسعت دائرة بلاد اوربا في الفنون والمعارف  
واخذت في كمال التقدم ومن ذلك العهد زالت اوربا آخذة في تقدم  
الجمعيات التمدنية الى أن أبلغها درجة الكمال عصر لويز الرابع عشر وكان  
ذلك بهمة هذا القرال الذي تاريخه لا ينبغي أن يهمل لما بينه وبين جنتم كان  
يحمد على من الشبه الاكمل الامثل عشر في المفصل والمجمل

فناذكر منه نبذة وجيزة فنقول تولى هذا الملك على تخت فرنسا من  
سنة ألف وثلثمائة وخمسين الى سنة ١٠٧٢ من الهجرة وكان عمره اذ ذاك  
خمس سنوات ومكث الى بلوغ رشده تحت ولاية امه فتابت بنفسها عنه

« مطلب »

اخذ خير الدين  
باشا لتونس  
من يد مولاي  
حسن من بني  
حفص وجوعها  
اليهم ثم تمام اخذها  
أيام السلطان  
سليم

« مطلب »

ابلاغ عصر  
لويس الرابع  
عشر اوربا  
درجة الكمال

من الولايات والحصون القوية التي لا يدنو منها أحد وقد حرمت على نفسي  
النوم وجعلت سيني لا يفارق جانبي والله يسهل علينا اتمام الخير وغير ذلك  
فالسؤال رسولك عن جميع ما جري مما استقر عليه الحال واقنع بما يخبرك به  
من المقال فانه واقع لا محالة ثم بعد رد الجواب ارسل مولانا السلطان سليمان

« مطلب »  
بعت السلطان  
سليمان عمارة  
بحرية الى  
فرانسا لخدمة  
ملكها

عمارة بحرية وأمر عليها خير الدين باشا ينجدها ملك فرانس

ولما وصلت الى مرسيها انضمت الى عمارة الملك فرنسيس وساعده  
على أخذ بعض البلاد ونصرته على أعدائه ثم عادت الى القسطنطينية وكان

خير الدين باشا من أعظم قباطين الدنيا وكان قد فتح أخوه بلاد الجزائر في

أيام السلطان سليم ونزعها من يد شيخ العرب سالم بن تيمى وكان حاكما عليها

ثم تقدم أخو خير الدين باشا المذكور في توسيع الفتوحات فارعب كرلوس

« مطلب »  
سفر السلطان  
سليمان بجيشه  
من جهة البر الى  
اوربا وعوده  
منصور

الخامس حتى خاف بطشه وخشي أن يتغلب على أملاك اسبانيا التي بافريقية

فبعث اليه جيشا عظيما جرارا واستشهد هذا الاير الخطير عند هذه المدينة

نخلفه أخوه خير الدين باشا المذكور على حكومة جزائر الغرب المذكورة

ودخل في حماية السلطان سليم وقرر على نفسه خراجا للدولة العلية فلما تولى

السلطان سليمان جعله قبطان باشا على جميع الدونما العثمانية فخصن بلاد الجزائر

بالاستحكامات اللازمة

وفي شهر رجب سنة احد وأربعين وتسعمائة أرسل خير الدين باشا الى

غزوة الجزائر البحرية الملحقه باسبانيا وغيرها من الجهات البرية كإيطاليا وتوجه

السلطان بجيشه من جهات البر وأرسل بطريق البحر لطفى باشا وخير الدين

باشا بنحو خمسمائة غراب مشحونة بعساكر البحر وأمرها أن يسير وتنزل

في معسكره المنصور فنزلت في ثلاث وأربعين وتسعمائة فقتلت في البر والسواحل



كرلوس الاول يعني أنه اول ملك تولى عليها باسم كرلوس والملوك الثاني  
 من الملوك العظام هو فرنسيس الاول ملك فرنسا وكان يلقب بابي العلوم  
 لانه كان يحب العلوم والمعارف كما كان مولعا بالعمائر العظيمة فقد أسس  
 بفرنسا مدرسة ملكية وكتبخانة وبني كثير من السرايات والقصور وادخل  
 في ديوانه الرفاهية وآداب التمدن وتهذيب الاخلاق ومع كثرة مصارفه  
 وما كان ينفقه في المنافع والمنازه من خزينته الخصوصية فقد ترك فيها نحو  
 أربع مائة الف دينار غير ما لم يقبضه من خزينة المملكة من مرتب التاج الملوكي  
 السنوي وهو ربع مرتب السنة وكان بينه وبين شرلكان امبراطور النمسا  
 السالف الذكر منافسات ومشاجرات أدت الى تواتر الحروب بينهما ومع  
 أن دائرة الهزيمة كانت دائما على شرلكان الا ان فرنسيس انهزم في واقعة  
 ووقع في قبضة خصمة وهو شرلكان وأخذه أسيرا الى اسبانيا فاستنصر  
 الملك فرنسيس المذكور بمولانا السلطان سليمان وكتب اليه كتابا مؤرخا  
 في سنة تسعمائة واثنين وثلاثين يشكو من تغلب أعدائه على مملكته ويستصرخ  
 به ويستغيث فأجابه بعد صدر الكلام بقوله ان الكتاب الذي أعرضته الى  
 الاستانة الملوكية مع رسولك المستحق لامانتك أفاد ان العدو حاكم في مملكته  
 وانك صرت الآن أسيرا وتلتمس من طرفي فك أسرك فجميع ذلك عرض  
 على اقدام سرير سلطنتي العلية التي هي ملجأ العالم وقد أحاط علمي الشريف  
 بجميع شرح كلامك ولا غرابة في أيامنا هذه اذا انهزمت الملوك ووقعت  
 في الاسر فشجع قلبك ولا تترك نفسك تجبن في مثل هذه الاحوال  
 لما رأينا سلفنا المجدين واجدادنا الاكرمين لم يتأخروا عن الدخول في قتال  
 الاعداء وفتوح البلاد فانا مقتف لا نرهم فظالمنا فتحت في هذا العهد كثيرا

بطل مكارمه الجلية قلدت هام الزمان مكال التيجان

ولما كان محمد على يحس من نفسه بان عزماته اسكندرية كان متولما  
بقراءة تاريخ اسكندر ومنكبها عليه وشبهه الشيء كما يقال منجذب اليه وفي  
الحقيقة فكان بينهما من جميل الصفات والشمال ماشهدت به الشواهد  
ودلت عليه الدلائل فلو استولى أميرنا على مصر وفيها بقايا من حكماء  
الأعصر المصرية القديمة لحكموا بما يعتقدونه قدماءهم في أيام الجاهلية الذميمة  
من تناسخ الارواح بعد الموت وانعاشها لاجسام أخرى وان روح اسكندر  
انتقلت بعده الى شبيهة فهو بها أخرى وأما نحن معاشر أهل السنة فنقول  
ان تشريك اثنين وتسويتهم في الصفات الفاضلة والمعاني الكاملة هو محض  
فضل من الله ومنه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهذا القياس الفارق بينه وبين  
اسكندر يجري ايضا في قياسه باصحاب الخروج والفتوحات المملوكين  
فقد أعانتهم ممالكهم وجنودهم وقوادهم على كسب العز والتمكين

وقد كان عصر السلطان سليمان الثاني اعظم الاعصار اذ هو الذي قدم  
الدولة العثمانية الى اوج الفخار فافتتح الفتوحات العظيمة وأعلى كلمة الله ورفع  
المنار وباشر الغزو بنفسه في ثلاث عشرة غزوة وانتصر في جميعها بقوة  
التدبير وتنظيم الجيوش وأى قوة وبني الابنية العجيبة وفعل كثيرا من  
الافعال الخيرية الغربية وأنشأ الدونما العثمانية وكان كهفا وملاذلا أكثر  
ملوك البلاد القاصية والدانية وكان في أيامه باوربا اثنان من الملوك العظام  
الاول شريكان الذي كان متوليا على النمسا بلقب ايمبراطور وكان يسمى  
كرلوس الخامس يعني خامس كرلوس من الايمبراطوره المسمين بهذا الاسم  
وكان متوليا أيضا على اسبانيا بلقب ملك اسبانيا وكان يسمى بالذنبه لمملكته

مطلب  
فتوح السلطان  
سليمان

مطلب  
الملك شريكان  
قرال اسبانيا  
والنمسا

« مطلب »  
كون مقدونيا  
موطن امير  
جليلين اسكندر  
ومحمد علي

الافدام والاحجام واستسهال الصعب لنيل المرام  
لاستسهلن الصعب أو أدرك اني فما انقادت الآمال لا لصابر  
فلما هزم بهم جيوش المماليك بسائر الجهات وأذهب دولة سناجقهم  
وتحققت الحقائق وزالت الشبهات خلع على حزبه المراتب السنية وجعلهم  
حكما في اقطار مصر وحصلت بهم الامنية ورباهم كما يربي الاستاذ الطلبة  
ونال بهم قصده ومأربه فلو كان الاسكندر بهذه المثابة لم يصب من العز  
ما أصابه ولا بلغ نصيب محمد علي ولا نصابه وعلى كل حال فتمد حل الثاني  
حل الاول فكأنما ذلك وثق بهذا وعليه في تميم المقاصد عول كما قلت في  
تاريخ بداية القدماء وهداية الحكماء في هذا المعنى من ضمن قصيدة

لمصرية شأن شريف زهت به	وعز منيف قد أظلت ظلاله
أتاح لها المولى مليكا قد انتى	اليها ومن أقصى البلاد ارتحاله
محمد أفعال على مكارم	بديع صفات لا تعد فضاله
يقول أناس طالع السعد جظه	وما السعد الا عقله وعقاله
دفار تاريخ السلاطين سطرت	مناقبهم فاستجمعها خصاله
وما مثلها مقدونيا اذ سمت به	وقد كان فيها حمله وفصاله
منازل منها اسكندر فاتح الورى	اذا لم يكن عم الامير نخاله
يضاهيه في أوصافه الفر نجله	اذا ما تصدى نحو شأ ويناله

وفي هذا البيت الاخير اشارة الى جنته مكان ابراهيم باشا كالاشارة

اليه في قصيدة أخرى في الرحلة بقولي

من كان مثل أميرنا فقرينه	اسكندرا وكسرى أنو شروان
في كفه سيفان سيف عناية	والشهم ابراهيم سيف ثاني

أهالى تلك البلاد الرومية ممن هاجر الى الديار المصرية وبها قام وأدى بها  
الخدمة الصادقة ونال عاو الرتبة والمقام ومن هذا الجنس الرومي من تناسل  
بالقطر وعد من أبناء الوطن المظالم وان كان في غزوة البلاد اليويانية فائدة  
أخرى جلية فاهى الا تمرين الرجال العسكرية المصرية على الحروب وممارستهم  
للغزو والجهاد وتعودهم على اقتحام الخطوب تحت قيادة أحد رؤساء الجنود  
المعدودين الذى لا يزال صيت صوته الجهادي باقيا الى يوم الدين وكذلك  
فتح محمد الاسم على الشأن لغير هذه البلاد من البلدان كفتحه للافطار السودانية  
مما وسع دائرة المنافع الوطنية وحروبه مع والى عكا معلومة وجولان جنوده  
فى الشام وغير الشام مفهومة لم تكن تلك من محض العبث ولا من ذميم  
تعدي الحدود اذ كان جل مقصوده تنبيه أعضاء ملة عظيمة تحسبهم أيقاظا وهم  
رقود والدليل على حسن النية ان هذه الحسنة التى على صورة الجنية انتجت أصل  
وراثه مصر التى ترتب عليها رفع الاصر ولولا بقاؤه تحت ولاء الدولة  
العلية ومراعات حفظ الحالة الراهنة على ما هى عليه من الراجحية والرجوحية  
جلال فى الفتوحات الخارجة مجال اسكندر الا كبر وحسن حالة التمدن وجد  
فى جادة العمران وفعل ما فعله اسكندر حيث اتحدا فى البلد فكان لا مانع  
أن يتحدا فى المظهر فن سعد مملكة مقدونيا وتخليد فخارها أنها موطن أميرين  
جليلين بقى ذكرهما فى الخافقين أحدهما من بيت الملك رأس اليونان وقادهم  
وفتح معهم سائر البلدان فانتصر بالتدبير والاعوان وتغلب بذكاء العقل  
وتجارب الشجعان والثانى من بيت مجمل ونسل أمثل ساعفته المقادير واستعان  
بحسن العقل والتدبير ولم يكن له بعد مولاه غير عقله نصير فنعم المولى ونعم  
النصير ألهم جموع أبناء جنسه المجردين عن الانتظام اقتحام العقبات وحسن

فكذلك الفاتح المملوك اذ انوى اصلاح حالها وتربية اهلها وتهذيب اخلاقهم  
واسعادهم وتنعيم بالهم وتحسين احوالهم برفع الظلم عنهم كما يقتضى به حسن  
الظن فى حق المرحوم محمد على كما هو الواقع فهو مثاب قطعا ولوداخله قصد  
منفعة دنيوية مما لا يفارق الملوك من حب المحمدة فى غالب الاحيان ولو لم  
يكن من افعاله الخيرية الا تخليص الحرمين الشريفين والافطار الحجازية من  
عبد الله بن سعود شيخ الوهابية لكفاه فان ابن سعود المذكور اتعب  
الحجاج بقطع الطرقات وأزعج عباد الله فغزاه جند محمد على جنتمكان وهزمه  
بعد حروب طويلة وأرسله الى الاستانة فأمرت الدولة العلية بضرب عنقه  
ليكون عبرة للناظرين وكذلك حروبه فى مورة فانها من أجل الافعال المبرورة  
حيث ان اروام تلك الجهة هجموا على الاسلام فى الجوامع والمساجد فقتلوا  
منهم الجمل الغفير ولم يرحموا الشيخ الكبير ولا الطفل الصغير وفتكوا بالجميع  
فتكا ذريعا بطريقة فظيمة تأبأها النفوس الالوية وتنفر منها الطبيعة وطالما قبضوا  
على سفن الاسلام وقتلوا من فيها وأذاقوه كأس الحمام وكثيرا ما عذبوا  
المقتولين بالتمزيق والتحريق وأضرموا نار الفتنة فى جزائر البحر الابيض بين  
كل فريق وحرصوا جزائر كريدورودس وساقس وغيرها على العصيان وما  
خلا من فتنهم فى الاروام الرعايا بلد ولا مكان ولم يقتصروا فى الجبروت  
والظغيان على مخالفة الشريعة العيسوية بل هتكوا حرمة النواميس الطبيعية  
فارسل اليهم محمد على باشا عمارته البحرية لقمعهم وادخلهم تحت الطاعة  
فخاربهم نجله الاكبر جنتمكان فدمرهم وشتت شملهم ثم استقلوا ببلادهم وفارقوا  
الجماعة ولم ينتج من هذا الحرب نتيجة تعود على مصر بالمنفعة اللهم الا ان  
اكتسبت عدة من ارباب الامتياز الوافر من اعيان الاعيان الاكابر من



الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل يعني فالعمدة على النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وقوله صلى الله عليه وسلم ليس للعامل من عمله الا ما نواه فتحت هاتين الكلمتين من كنوز العلم ما لا يوقف له على غاية ولذا قال الشافعي رضي الله عنه حديث الاعمال بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح (وقال) بعض الائمة حديث الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل ونية \* وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا ينظر الي صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وفي حديث آخر تصعد الملائكة بالاعمال فينادي الملك ألق تلك الصحيفة فتقول الملائكة ربنا قال خيرا فحفظناه عليه فيقول الله تبارك وتعالى لم يرد به وجهي وينادي الملك اكتب انفلان كذا وكذا فتقول الملائكة يارب انه لم يعمل فيقول الله عز وجل انه نواه (وقال) الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل فكان بعضهم يقول دلوني على عمل لا أزال به عاملا لله فيقال له إنواخير فانك لا تزال عاملا وان لم تعمل فالنية تعمل وان عدم العمل والناس في النيات على ثلاث طبقات الطبقة الاولى من ينوي بالعمل وجه الله عز وجل والطبقة الثانية من ينوي العمل لله تعالى ويشوبه بقصد الخلق تعبلا أصلا والطبقة الثالثة ما يكون الباعث على العمل الرياء فالخلاص في الطبقة الاولى والتجرد من الثواب في الثانية والحرمة في الثالثة.

وقد كان السلف لا يعملون شيئا الا ان تقدمه النية الخالصة ومع ذلك فمقد نص العلماء أن من حجج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج

لوفور سعده وتعبه وكده وسبق القدر بوصله الى تمام عزه ومجده صرف  
 النظر عن العودة ونال واهب العطايا ما يهياه له من تبوى بحبوحه الملك  
 واعده ولا شك أنه عرف داء مصر وعلاجها في اثناء هذه المدة ولا بد أيضا  
 انه كان نوى لها تحسين الحال والمآل ان بلغه الله الآمال وأمدده ولا يخفى  
 أن من قصد الاستيلاء على مملكة لا يخلو عن أحد أمرين اما ان يكون  
 كالصياد يقتنص مصيده بكل مكيدة أو كالملتقط لليتيم المفارق أبويه لينقذه  
 من التهلكة ويجعله وليده فالأمر الثاني هو الممدوح وهو مقصد حميد  
 لأولى الفضائل من اصحاب الفتوح فانه مقصد سني ومطلب هنى فاستقامة  
 الأمور لهذا الأمير الكبير وما حصل له في الاستيلاء على مصر من التسخير  
 والتيسير يدل على حسن النية وصفاء الطوية فكانما أرشده الى بلوغ هذه  
 المنزلة مصداق حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له فكان دأبه في العناية  
 بشؤون تقديم مصر الاخلاص وحسن النية فأعماله صارت على ذلك مبنية  
 وقد خلصت نيته فثبت صوبه نسمات القبول وأصاب بشرف النفس وعلو  
 الهمة واخلاص العمل ادراك المأول (قال) عمر بن الخطاب رضى الله  
 عنه سمعت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل  
 امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن  
 كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه  
 ومرجع هذا الحديث ان الأمور بمقاصدها وهو معنى قوله تعالى يريدون  
 وجه الله فالمدار على الاخلاص في العمل \* وعن أبي موسى الاشعري قال  
 يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك  
 في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة

مطلب  
 كون فأصد  
 التفتاب اما  
 كالمصائد او  
 كالملتقط لليتيم  
 وكسر الاجر

مطلب  
 انما الأعمال  
 بالنيات

على ما في الكازيات الافرنجية التي كانت تترجم له وكان صاحب فراسة  
 اذا تكلم أمامه أحد باغة أجنبية فهم من النظر الى حركاته واساراته مقصده  
 يستشير العقلاء والبلهاء في حل أموره وكان نشيطا يحب الحركة ويكره الكسل  
 والبطالة قليل النوم سريع اليقظة يستيقظ غالبا عند الفجر يسمع بنفسه  
 العروضات التي تعرض له يوميا عند الصباح ويعطي عنها جوابا ثم يذهب  
 لمناظرة العمارات الميرية التي كان مغرما بها وكان متدينا الى حد الاعتدال بدون  
 حمية عصبية ولا تشديد فكان يغتفر لاهل الملل والدول في بلاده التسك  
 بمقائدهم وعوائدهم مما أباحت في حقهم الشريعة المطهرة وهو أول من أعطى  
 للعيسوية الداخين في الخدمات الميرية لمناهم الافتضائه مزايا المراتب المدنية  
 وكان يؤثر الفعل على القول بمعنى أنه اذا أراد ترتيب لائحة مهمة فيها منفعة  
 للامة شرع فيها بقصد التجريب وأجراها شيئا فشيئا على طريق الاصلاح  
 والتهذيب فاذا سلك في الرعية وصارت قابلة لعوامل المفعولية كساها ثوب  
 الترتيب والانتظام وأخرجها من التوة الى الفعل في ضمن قانون الاصول  
 والاحكام لما أنه كما يقال أحسن المقال ماصدق بحسن الفعل وكان مولعا  
 ببناء العمار وانشاء الاغراس وتهذيب الطرق واصلاح المزارع واتقان الصنائع  
 والاعمال يرغب في توسيع دائرة التجارة ويستميل عقول الاهالي ليجذبهم  
 الى ما فيه كسب البراعة والمهارة

وبالجملة فكان وحيد زمانه في جميع أوصافه وفريد أوانه في عدله وانصافه  
 لا سيما بعد ان صفا له الوقت عقب توليته على مصر فانه مكث قبل ذلك نحو  
 خمس سنين وهو يقاسي ما يقاسي من الشدائد ويعاني من أخصامه جميع  
 أنواع المكائد حتي عزم على رجوعه الى وطنه الاولى بدون صلة وعائد لكن

## الباب الرابع

في التثبت بعود المنافع العمومية الى مصر حسب الامكان في عهد محيي مصر جنتمكان  
وفيه فصول

### الفصل الاول

في مناقب جنتمكان محمد الاسم على الشان وانه نادرة عصره ومحى مآثر مصر والمقابلة  
بينه وبين عدة من مشاهير ملوك الاعصر القريبة

كان المرحوم محمد على سليم القلب صادق اللجة أمينا في تصرفه حكيما  
في أعماله كريما الى الغاية حريصا على عمار البلاد وفيما في معاشرته محرصا على  
ود عشيرته وجنوده ورعيته متحيبا اليهم وان كان في بعض المواطن سريع  
الغضب فتمد كان قريب الرضا حليف الحلم صفوحا عن الجسائي مقداما على  
انتحام الاهوال صبوراً على الشدائد وتقل الاحوال شديد الحرص على  
شرف نفسه وصورته ووسه قوي الفطنة سريع الادراك يجول فيكره في  
الامور البعيدة بصيرا في الحساب الموأى العقل عجيب البداة غريب الروية  
تعلم القراءة والكتابة في أقرب وقت وعمره خمس وأربعون سنة اذ ذلك  
جبرا لما فاته في زمن الصغر وتداركا لما يزيد في مجده في زمن الكبر فرغب  
في مطالعة التواريخ ولا سيما تواريخ الفاتحين كتاريخ اسكندر الاكبر  
المقدوني وتاريخ بطرس الاكبر ايمبراطور الروس أي الموسكوف وتاريخ نابليون  
الاكبر وغير ذلك من التواريخ المترجمة الى التركية مع المواظبة على الاطلاع

و مطلب  
استخلاص  
الرحوم محمد  
على مصر من  
ضفة المالك

بفتحهم أول أمير عجيب خرج من قوله وثاني فحول أمراء مقدونيا محمد  
الاسم على الشأن كما اشار لذلك بعض شعراء فرنساوية بما معناه

فعلك الخير بعده حسن ذكر مستمر على مدى كل دهر

فأنتم حوز مشتهى نيل مصر فلقـد شابه دما سيف نصر

وغدا في حماك ينفق رفدا فائقا عم نفعه كل قطر

فانه بقربحته العجيبة أوصل مصر الى درجة مهية ثم لما آلت المملكة  
المصرية الى الحكومة الاسماعيلية بعد فترة تضعضع فيها الاساس اجتهـد  
في ان يكسوها من المجد والفخار أعظم لباس وأن يصونها داخلا وخارجا  
من الشدة والبأس حتي تكون هي مصر وناسها هم الناس ولا يتم مثل هذا  
التقديم بدون انجذاب قلوب الاهالي صوب مركز التمدن والتنظيم وتوجه  
نفوسهم بالطوع والاختيار الى الوفاء بحقوق هذا الوطن العظيم بمعنى أنه  
اذا تشبثت الحكومة المصرية بكليات المصالح الوطنية ساعدها الاهالي كل  
على قدر حاله بايجاد المصالح الخيرية الجزئية بحسب ما يقتضيه الوقت والحال  
فهذه الوسائل تحصل على المنافع العمومية في أطراف مصر واكنافها بجميع  
الحال فالقوة الوطنية والنخوة الاهلية مما ينتج اظهار شمائـر الاسلام ويتمتع  
به دين خير الانام والفضل في ذلك للمؤسس الاول الجليل ولمن يقفو  
أثره من كل وارث نبيل وسيأتي ان ما فعله المؤسس الاول هو ما بني عليه  
من بعده لا سيما ما حصل من التجديدات في هذه الايام مما يكاد أن يعجز  
عنه البشر فالاعمال الاخيرة شواهد وها هي نصب عين كل مناظر ومشاهد



أخري ان تكون لها منافسة

ثم بتداول الازمان ضاقت دائرة تجارتها وحيطت صناعتها في العصر  
الاخيرة ومع ذلك فلم تزل منابع للمنافع النسبية غزيرة لا سيما بعد فتوح  
الاسلام فقد عوض الله تعالى مصر دون غيرها في صدر الاسلام وبعده  
تجارة لن تبور واكتسبت تمدنا آخر أعلى من الاول وبقى القرون المديدة  
وأخذت منه مدن الدنيا بحظ موفور وناهيك بتقدم التمدن أيام خلفاء بغداد  
ونقل الخلافة بمصر في أيام الفاطميين فانه انسحب أثره على جميع البلاد فان  
يكن التمدن قد قصر في مصر وانحط عن قدره الاصيل فانما كان ذلك في  
أيام المماليك الذين أساءوا في تديرها وسعوا في خرابها وتدميرها بما جبلوا  
عليه من العسف والتعدي وعدلهم عن الجادة بسلك ما ليس يجدي حتى  
أنقذهم منها شوكة آل عثمان وغارت دولة الغوري بمصر واطمأنت قلوب أهلها  
بسلامة السلطان سليم خان وقتله للسلطان طومان ومع ذلك فصارت مصر  
متردة متحيرة لتداول أيدي الولاة العثمانيين المختلفين في درجات العدل  
المعتبرة مع بقاء نفوذ أوجافات الشراكسة أهل الحمية والعصبية ولم يكن  
لاكثرهم أدنى حظ في قصد التمدنية فاستبدلوا الربح بالخسران وآثروا التدمير  
على العمران وحل الخوف في أيامهم محل الامان فأنحل نظامهم واختلت أحكامهم  
فطمعت دولة الفرنسية في أن تجعل حكومة مصر ملحقة مضافة الى ملكتهم  
بالجر على وجه الاضافة وتغلبت عليها وأرادت بها ما أرادت وأراد الله خلافه  
فأعيدت كما كانت الى دار الخلافة ولسكن كان لحكم المماليك قوة نفوذ غالبية  
وأظفار أسود ناشبة تفتك بالرعية ولا ترعى حقوق الدولة العلية ولا واجب  
الانسانية حتى آن الاوان وسخر الله سبحانه وتعالى لخلاصها من أيديهم

مطلب  
ضيق دائرة  
المانع المصرية  
في الادوار  
الاخيرة

مطلب  
استيلاء السلاطان  
سليم خان على مصر

مطلب  
تغلب الفرنسيون  
على مصر

وعمرها فيها خطة كبيرة تسمى حارة اليهود ومع ذلك لم يجرؤا مدينة منف بل جعلها دار المملكة الرسمية فلما تولى بعده بطليموس الثاني محب أخيه قبل الهجرة بسبع وتسعمائة كانت مدته أيضا خيرا من مدة أبيه فصرف همه في تقديم العلوم والمعارف والتجارات فكانت مصر في أيامه أعمر بلاد الدنيا لأن أباه كان قد أضاف إلى مصر بلادا كثيرة كمملكة القيروان وسواحل الشام وبلاد العرب المجاورة لمصر وجزيرة قبرص وجزائر بحر الروم وأغلب مينات أناطلي الجنوبية ومينات سواحل روم إيلي ففتح الملك بهذا الميراث العظيم والنفت إلى العماليات الجسيمة التي تعود على مصر وعلى ممالك الدنيا بالمنافع العظيمة فاعتنى باستكشاف طرق البحار بالأسفار لمعرفة المسالك والممالك فاستكشف بلاد إفريقية وثغور بحر عمان وفارس وأرسل من يستكشف منبع النيل فوصل قبطانه إلى جزيرة مروة بقرب شندي وهي جزيرة أبترة وأرسل قائدا آخر إلى تلك الجهات فوصل فوق ما هنالك وانعطف إلى جهة المغرب فهاتين السياحتين اتسعت دائرة المعاملات التجارية وكثرت المخالطة بين الديار المصرية والسودانية وتقدمت المعارف الجغرافية وعلمت في مصر أحوال البلاد والعباد واجتهد هذا الملك في تأييد المعاملات التجارية بين مصر والممالك الهندية والشرقية وأرسل سفنه أيضا لاستكشاف سواحل الحبشة وأمر رؤسائها أن تبقى فيما تستكشفه محطات عسكرية ومراكز تجارية وكان مسيرها من ميناء القصير فكان بندر القصير موردا ومصدرا للتجارات السودانية والعربية والعجمية والهندية وكانت أسكندرية مركز العموم ومحط رحال التجار كما هو معلوم ولم تنتقل عنها فضيلتها الأولية في أيام حكومة البطالسة فكانت قطب دائرة الدنيا بدون أن يسوغ لمدينة

والكد وأكرموا أرباب الفنون وحافظوا على الامانة في سر التجارة المصون  
ولم يحتكروا التجارة ولا الصناعة ولا تركوا البشاشة والترحيب لارباب  
البراعة فلهذا كانت شوكتهم قوية ومملكتهم مثرية غنية فبسير ملك مصر  
السالف الذكر على سنن الصوريين عاد فن الملاحة على مصر باثروة لكثرة  
المعاملات التجارية مع البلاد الذاتية والقاصية والامم الاجنبية كاهل باخو وهدان  
والهند والسودان والحبشة والقيروان وبثروة الاهالي أثرت الحكومة المصرية  
وقويت شوكتها وعظم سلطانها وارتفع شأنها وانتشرت الاعلام الملوكية  
على هذه السفن فكانت محترمة الناموس عند جميع الملل والدول وعظمت  
قوة مصر البرية والبحرية فكانت في ايامه يمكنها الاستحضار على مائتي  
ألف من العساكر المشاة واربعين ألف من الفرسان وعلى ثلثمائة من الافيال  
الحربية وعلى الفى عربة مسلحة بالناشير والناجل وكان في خزانة المهمات  
المصرية ثلثمائة الف طقم مجهزة من الزرد وكان بالترسانات نحو ثلاثة آلاف  
وخمسمائة سفينة ما بين كبيرة وصغيرة وكان ما يبق من الخزينة موفرا في كل  
سنة من الايراد بعد الصرف الوافي نحو مائة الف كيس فكان الوفير تراكم  
على ممر السنين وتداول الايام فكانت المملكة غنية وعلى حالة في ثروة تلك  
الازمان مرضية وكانت التجارة الاهلية والقادمة الى الاسكندرية تحت حماية  
السفن الملوكية فصارت الاسكندرية بذلك عامرة بالسكان المحبين للملكهم  
بترخيصه لهم في التجارة والارباح وحسن معاهاته مع الاجانب فكانت  
التجارة تكتسب كل يوم النمو والزيادة

وكان هذا الملك يحجب دائما الاهالي من أوطانهم للاستيطان بـ  
الاسكندرية حتي انه رغب طوائف اليهود بالدخول اليها حتي تكاثروا فيها

« مطلب »

خازن خزائن  
مصر في أيام  
بطليموس  
الاول

« مطلب »

جلب بطليموس  
اليهود الي  
اسكندرية  
وتأسيسه لهم  
حارة مخصصة

فصارت اسكندرية في قليل من الزمان مركزا للمعارف جميعها وأنشأ في هذه المدرسة الوسعية كتيبة ملوكية جمع فيها نفائس الكتب القديمة وجلب اليها النساخين والمصححين والمجلدين والمذهبيين .

وكان يستعير الكتب الجليلة من محالها فينسخها ويرسل المنسوخ لاربابه ويبقى الاصل في خزائنه فكثرت الكتب النافعة من جميع الفنون والعلوم في هذه الكتيبة وكان له العناية الكاملة بالفنون البحرية وبناء السفن لتكثير الاسفار والترغيب في ركوب البحار فكانه أراد محاكاة الصوريين حيث صاروا أصحاب تجارة الدنيا بأجمعها بحسن موقع مدينتهم للتجارة وبابتداع سفنهم البحرية حيث أطاعتهم الامواج وخضع لسفنهم البحرية العجاج ولم يكثرثوا بالعواصف والقواصف وجربوا البحار واعماقها وجسسوا قارها وعرفوا مخاضها واغراقها ورصدوا النجوم بالبعد عن البر وفي بحوحة البحر وجمعوا الامم الاجنبية التي فصلت بينهم البرور والبحور ونظموهم في سلك نضيد كأنهم عمود في نحور فسكانوا في الصنائع والفنون عطاردية وأرباب صبر وتجدد على الحركات العملية وحازوا النظافة في المسكن والملبس والمطعم وكانوا مع ذلك أرباب قناعة واقتصاد فيما خولهم به المولى المنعم وكانت حكومتهم ذات ضبط وربط وتدقيق وحسن الملاحظة وتفتيش وتحقيق لا يدخلون بين الاهالى الشحاء والشقاق ولا يحيدون عن سبيل الوفاق بل هم دائما اخوان صفاء ورفاق وهم أشد الامم تمسكا بهذه الخصال كما أنهم أهل صداقة وامانة وكل عندهم الراحة للامم الاجنبية بل يعتبرونهم كاهالى الوطنية فهذا أينعت عندهم أزهار التجارة النافعة والمعاملة مع سائر امم البرية وقد تنزهوا عن العداوة والحسد وتمسكوا بالاقتصار

« مطلب »  
كتيبة  
اسكندرية

« مطلب »  
تقدم الملاحه  
والاسفار  
البحرية في عهد  
بطليموس  
الاول

نتائج عقل ذلك الفاتح المقدواني في عهد البطالسة بالاصالة وبعدهم بالتبعية  
 وكان اولهم بطليموس اللاغوسي وكان يعرف أهمية مصر ورفعة قدرها  
 وامتيازها بين الممالك فأول ما نقله ملكها أحسن التدبير والسياسة واهتم  
 بالدفاع عنها ممن يريد الهجوم عليها فكان لا يغلبه غالب وسبب ذلك منعة  
 مينائها التي يصعب الدنو منها وميل المصريين اليه لعدله وتحميه اليهم لان  
 ميل الرعايا للوكهم هو الحرز الحرز والحصن الحقيقي لحفظ الملوك والممالك  
 وقد تفرغ هذا الملك بعد النصر على أعدائه في الخارج الى تنظيم  
 المملكة فشرع في تميم مباني سكندرية لتصير من اعظم مدائن الدنيا  
 فبنى ضريح اسكندر الاكبر وكان قد أحضر معه جثته من بابل الى  
 الاسكندرية فبنى له هيكلًا عظيمًا ويغلب على ظن أرباب المعارف ان قبر  
 اسكندر بقرب المحل المسمى نبي الله دانيال أو هو هو وكذلك أنشأ منارة  
 الاسكندرية الشهيرة بجوار المينا البحرية لمنافع التجارات والاسفار البحرية  
 وفوائد المعاملات الاهلية والاجنبية التي هي احدى عجائب الدنيا كما قال فيها  
 بعض الشعرا

وسامية الارضاء تهدي أخا السرى	ضياء اذا ما حنسدس الليل أظلمها
لبست بهار دامن الانس صافيا	فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقية	الأحظ فيها من صحابي أنجما
نخيل ان البحر تحتى غمامة	واني قد خيمت في كبد السما

ومن أنفع ما أنشأ بطليموس في الاسكندرية المدرسة العظيمة  
 المتصلة بقصره فقد جمع فيها جميع العلوم المألوفة في ذلك الزمان من فلسفة  
 ورياضيات وطبيعات والهيآت وعلوم طبية وجلب اليها علماء ليونان وغيرهم



مدائن الدنيا وأزهاها وابتاعها بالعلوم النافعة والتجارات الساطعة لأن الابنية  
الجسيمة من المنافع العمومية العظيمة التي تمنح بائيهما من العز والفخر بقدر مات كسبه  
الغزوات المخربة من الكراهة والنفار

ثم كانت وفاة اسكندر بعد فحاله العجيبة بمدينة بابل قبل الميلاد بثلاثمائة وثلاث  
وعشرين سنة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ولم يرع ان يعين وارثا بعده  
بل قال قد أبقيت وراثته السلطنة للأحق بها وأخبر أنه سيدفك الدم في  
جنازته فكانت الحروب الداخلية وانفصال الممالك عن اتصالها عاقبة  
فتوحاته بعد انقضاء حياته فكل واحد من امراء جيوشه أخذ مملكة جسيمة  
فلم تقاسم امراؤه سلطنته سموا بملوك الطوائف ولم تعد فتوحاته من النوفل  
بل ترتب عليها مزايا جسيمة للتمدن والمنافع العمومية حيث بقيت الاجتماعات  
والعلاقات السياسية مدة عشرة قرون بين أهالي المشرق والمغرب وذلك  
لأن قطعة آسيا قبل فتوح اسكندر كانت مغلوقة الابواب عن قطعة أوروبا  
لما بينهما من العداوة

مطلب  
وفاة اسكندر  
في عنقوان  
شبابه بدون  
ان يهد الى  
أحد في السلطة

فمن عهد هذا الفاتح فتحت أبوابها للتجارات فبواسطة ذلك انتشرت  
العلوم والمعارف في المدن لاستفادة بعضها من بعض وكذلك ترتب على  
فتوحاته تجدد عائلات الملوكية في البلاد اليونانية شيدت ممالكها في البلاد  
فكانت من الدول القوية وحسب اسكندر أنه خلفه على مصر الملوك  
البطالسة فهم الذين أعلوا درجتها وأعادوا بهجتها حتى صارت مصر في  
عهدهم على هيئة جليلة وصورة استعداد جميلة وعاد اليها نحرها القديم في تلك  
الحال الراهنة وكان قد انعم باستيلاء الاعجام وتغلبهم على ملك الفراعنة  
فنجحت ثمرة فتوح اسكندر وبدا صلاحها في مصر ومضافاتها وظهرت

الرعب والهيبه في قلوب الامم وكان يظن بمد ممالك اليونان الذين كانوا تحت طاعة ابيه انهم يفتنمون الفرصة بالخروج على اسكندر فاشهرو السلاح فانتصر عليهم جميعا في غزواته التي كان رئيسها بنفسه فلما رجع الى مقدونيا استعد لفتح بلاد آسيا واني ان يتزوج خوفا من ضياع الزمن في وليمة العرس ومن ضياع الاموال في الافراح بل اغدق بما عنده من الاموال على كبار عسكره برسم الانعام فقال له بعض الامراء ما اعددت للانفاق على نفسك وعسكرك قال اعددت لذلك كله قوة الرجاء فابقي في مملكته ثلاثه عشر الف رجل للمحافظة واستصحب معه خمسة وثلاثين الف مقاتل لسكنهم ابطال تحت طاعة شيوخ مجريين ثم توجه الى آسيا وليس معه من المال الا نحو سبعين مثقالا من الذهب ومن الذخيرة اهبه شهر واحد وثوقا بقوته وطالع سمعه وضعف اعدائه وطالع نحسهم وكانت بلاد آسيا تحت طاعة العجم يحكمون على جميع ممالكها وكانت قد اشرفت على الخراب لاتساع سلطنتها وسوء تديرها واستعبادها للامم وظلم ملوكها حتى ان ولايات اقاليمها كادوا يكونون ملوكا مستقلين لبعدهم عن مركز السلطنة الذي كان اذ ذاك منبعا للفتن والاختلال وكان دارا هو ملك الملوك يحكم بلاد آسيا الشرقية ويحكم من بلاد افريقيه مملكة مصر ففتح اسكندر البلاد التي كانت تحت ملوك العجم جميعها حتى وصل الى الشام وفتحها وعقب فتوح بلاد الشام انطلق الى مصر وكانت دولة العجم مبغوضة للمصريين لاذراء العجم بدين اهل مصر وتشديد عليهم في تركه فتلقى المصريون اسكندر بالترحيب ورغبوا في حكمته لينقذهم من اعداء دينهم ثم قصد استماله قلوبهم اليه واستعطافهم لمحبهه واقبالهم بالقلب والقالب عليه فاغفر لهم ان يتسكروا بشراعتهم وعوائدهم واسس بمصر مدينة اسكندرية التي صارت من اعز

« مطالب »

توجه اسكندر  
لحرب بلاد آسيا  
باهبة تسيرة

« مطالب »

فتوح اسكندر  
لبلاد العجم  
وانطلاقه الى  
مصر عقب ذلك

او تستدعيها مفاخرهم الذاتية الموائية فيقومون في الحيرة لعدم استنارة البصيرة  
 فاذا استعانوا بالتاريخ أصلحوا عقولهم بالتجارب ولم يقعوا في مضار الحوادث  
 الماضية ولم يأخذوا منها بنصيب واذا طلعوا في الوقائع التاريخية على ما وقع  
 لغيرهم من العيوب الخفية التي يمدح الملوك في حال حياتهم من اهل النفاق  
 وتبقى ملوثة لصحفهم التاريخية التي تسير بها الركبان في جميع الآفاق اتعظوا  
 بذلك واعتبروا كل الاعتبار فاذا تعلق اليهم المتماقون وتذكروا ما اغتر به في  
 مثل ذلك السابقون خجلوا من فرحهم بباطل المديح ورجعوا في العمل للرأي  
 الرجيح وايقنوا ان الفخر الحقيقي لا يستحقه الملوك الا بالفضائل الماثورة  
 للخلف وان عاقبة الفعل السيئ الندم والاسف فقد تنزهت نفس اسكندر عن  
 ذلك وقد كان مواعا بمطالعة تاريخ نصره ترواده اليونانية التي جمع حربها جميع  
 امراء الممالك فكان جل رغبته وميله للمفاخر العسكرية لما شاهده من هذا  
 التاريخ من الثناء على خول الرجال من الامة اليونانية وطالما شوهد تنفسه  
 الصعداء غير مرة حين اخبر ان اياه فليبش انتصر في الوقائع قائلاً لبعض  
 اخصائه هاهو ابي قد تغلب على جميع البندان بسيفه وما ابقى لسيفي شيئاً ما وبينا  
 كان يتحدث ذات يوم مع سفراء ملك العجم فاسأله عن زينة بلادهم ولا زخارفها  
 وتنعمها تهابل سألهم عن المسافات بين البلاد وقوة الدولة وكيفية سياستها وتديرها  
 وسلوك ملوكها فتعجبوا غاية العجب وقال بعضهم لبعض ان هذا الامير لعظيم  
 واما ملكنا فهو امير غني فقط وكان يترأى في طبيعة اسكندر في حال صغره  
 الشجاعة وحب الرياسة والتدبير وشدة الميل للتأذيذ بذوق اقتحام العظام حتى  
 انه امتاز واشتهر غير مرة في الحرب تحت لواء ابيه في حداثة سنه  
 ولما مات ابوه كان ابن عشرين سنة خلفه على المملكة وكان جديراً بالبقاء

الامراء مات لوقته وكان قد رزق ابنه اسكندر الذي شب في حياته وابتغى  
 نضير غصنه في حقائق العز وروضاته فزعم على أن يعلمه العلوم والمعارف  
 فرأى انه لا ينبغي الا اذا أعطاه لاعظم حكماء زمانه فلم يجد أفضل من  
 أرسطاطاليس فكتب له جوابا مضمونه قد رزقني الله بولد فحمدته واثنت  
 عليه لا سيما انه أعطاني اياه في زمرك فالرجو أن تجتهد في تعليمه وحسن  
 تربيته ليكون أهلا لان يخلفني على مقدونيا فامثل الحكيم أمره  
 فهذب اخلاق اسكندر وجعله أهلا للامرة فكان اسكندر في ايام شبوبته  
 تلوح على وجهه بشائر الخير العميم مع ما تعلمه من ابيه ومن استاذه من انواع  
 التعليم فقد أخذ عن معلمه ماله دخل في رياضة ذهنه وتنوير عقله بأنوار معرفة  
 الاخلاق والآداب وماثر التواريخ التي هي مرآة افعال الملوك الماضين  
 ينظر فيها المتأخر حسنات أو سيئات السابقين

قال بعض المؤرخين لو فرضنا ان التاريخ غير نافع للأحاد فلا يستغني  
 عنه احد من ملوك الدنيا الذين ولاهم الله رقاب العباد فانهم يطلعون فيه على  
 ما تناولته الانفس والشهوات واقتضته المنافع بحسب الاحوال والاوقات  
 وينظرون فيه وقائع الازمنة والامكنه والاحوال الظنية والتميقنة والآراء  
 الصائبة والاهواء الكاذبة وهل التاريخ الا أفهام السياسية واشغالهم السياسية  
 فرجع امورهم اليه ومدار عملهم عليه فانه مشتمل على التجارب وهي لازمة  
 لهم في حزمهم واجراء احكامهم على وجه مصيب فاذا رأوا في التاريخ ما يمدح  
 تبعوه أو ما يذم هجروه واجتنبوه فبذلك اضافوا اليه تجاربهم المستفادة وانتفعوا  
 بالاصل والزيادة فيدعي لهم ان يتشبهوا بذلك ويتركوا ما اعتادوا عليه من سلوك  
 أقرب المسالك من الاقصاد على الامور الوقتية التي تستتج من احوال الرعية

« مطلب »  
 تربية  
 ارسطاطاليس  
 لاسكندرية

« مطلب »  
 ثمرة التاريخ  
 للملوك

ودائرة ملكه وطنا مركزيا وجميع الالهالى خطوطا شعاعية . تنبعثة من المركز الى المحيط ولم تساعد التقادير حيث الامل طويل والعمر قصير

ولنذكر نبذة . وجزء من تاريخه فنقول هو اسكندر بن فليش المقدوني تولى أبوه على مقدونيا جهة اقليم روم ايلي فرتب المملكة ونظمها ثم عزم على تحصيل مقاصد مهمة من أعظمها ترتيب العساكر والقوانين واخترع كيفية في صف العساكر يقال لها الكرديوس على هيئة المثلث فكانت مرهبة في ذلك الوقت كارهاب شكل القلمة المربع الذي عليه العمل في الحروب في هذا العهد وجعل الكرديوس نحو سبعة آلاف نفر وقسمها الى ستة عشر صفا بعضها وراء بعض وأسلحهم بحراب طوال جدا حتى ان حراب الصف الاخير كانت تصل الى الصف الاول فصاروا بهذه الهيئة مهيبين لا يستطيع العدو أن يظفر بهم

« مطلب »

أريخ اسكندر  
للأمم المختلفة  
التأليف لسائر  
ن تحت حكمه  
من المل

« مطلب »

أمر اسكندر  
بولاية ابيه وما  
رتبه أبوه في  
المسكربة

وكان يعامل العساكر بالرفق واللين ويدعوهم بالاصحاب ويعلمهم قواعد الحرب والقتال وكان حسن سياسته بقدر كمال شجاعته وقوة ذكائه وفطنته فتوصل بذلك كله للاستيلاء على جميع اليونان فأحبه الجميع وأطاعوه فأداه طمعه في الفخار وحب الاشتهار الى امر عظيم لا يمكن لغيره الاقدام عليه وهو انه قصد محاربة العجم فلما منه انه يظفر بمملكتهم وطلب من جميع امم اليونان أن يكونوا معه في ذلك فتلقوا ذلك بالقبول وحمدوه على هذا المتصدد الحسن وقلد نفسه رياسة الجيوش الحربية وكان قد استشار الكهنة في ذلك على حسب عادة اليونان فأجابوه بكلام متشابه واقوال مبهمه محتملة لمعان متعددة حيث قالوا لبس الثور انتاج والا كليل ودنا اجله فهو ذبيح عما قليل ففعل ذلك على ملك العجم فيبينما هو يصنع عرسا لزواج بنته اذ قتله بعض

« مطلب »

قصد فليش  
حرب العجم  
حرامم اليونان  
على المساعدة

« مطلب »

قتل فليش  
عرس ابنته



مطلوب  
سلوك اسكندر  
في البلاد المفتوحة  
له مسلكا ببار  
مسلك الفاتحين

سياسته وكمال كياسته تغلب على بلاد العجم التي أسسها كيروش وسلفه بعد  
ثلاثة حروب عظيمة فتفتح هذه البلاد الواسعة الاطراف والاكناف  
باستقامة تديره وحسن سلوكه مع أهاليها وتطيب خواطرهم وحنظ عوائدهم  
وشرائعهم حتى صار فتوحه للبلاد المشرقية زمنا تؤرخ به الوقائع والحوادث  
فلم يكن فتوحه كفتوح سلفه من اليونان ولا غيرهم من أهل العراق  
والكرديستان ولا كفتوح العجم اذ كانوا جميعا يدمرون البلاد ويهلكون  
الامم واما اسكندر فكان كلما فتح مملكة أسس فيها وجدد وبني وشيد  
ووطأ ومهد ومدن المدائن وأكثر الاموال في الخزائن وأوجد وسائل  
العمران وأحيا قلوب أهالي البلدان وكان من تقدمه من اصحاب الخروج  
والفتوحات اذا فتح مدينة أو مملكة عرض أهلها المخالفين له في الاحكام  
والعقائد للمهلكة فأغضب جميع الاهالي بسوء سلوكه فسلك اسكندر  
مسلكا غير ما سلكه الفاتحون قبله من سلاطين ذلك العصر وملوكه فكان  
يرخص في كل اقليم فتحه ابقاء الاهالي على عوائدهم القديمة وربما وافقهم  
على التمسك باتباعها في عمل خصه نفسه ولو لم تكن بحسب رأيه مستقيمة  
وذلك لمجرد ايناس نفوسهم وتوطينهم على حب حكومته وتأنيسهم فكان  
مشايخ قواده وأمرائه يشيرون عليه بنسخ دين ما يفتحه من البلاد وعدم  
ابقائه فلا يسمع مقالهم حتى ان تماديه على ذلك أغضب أباطاهم فلم يبطل  
شيأ فيما فتحه من البلدان من أحكام الشرائع والاديان وقصد بذلك تيجيز  
أغراضه الصلاحية واجاد الوحدة لسلطنته الفتوحية فجل أجناس الامم في  
جميع الاقطار المفتوحة متمتجة كأمة واحدة أو كجسد واحد وجعل حرية  
التسلك بالشرائع روحه وصمم على أن تكون أمم سلطنته كعشيرة واحدة

قوانين وقد تقدم في الفصل الاول من هذا الباب الثالث ان اساسا اوجب  
التفحص عن معيشة الانسان وكسبه من الحلال وانه كان يحكم بالقتل على من  
يكتسب من الحرام فلا شك انه التمس ذلك من مخالطة اليونان فمخالطة مغناطيس  
المنافع فهي تساوى حركة العمل في ذلك وكلاهما لا يستغنى عن الحرية والرخصة  
ومنبع الجميع وكسب المعارف العمومية والمحبة الوطنية التي يترتب عليها اجتماع  
القلوب والتعاون في ابلاغ الوطن المطلوب فمخالطة الاغراب لا سيما اذا كانوا  
من أولى الالباب تجلب للادوات من المنافع العمومية العجب العجيب ولو كانت  
مترتبة على ظواهر التغلب والاعتصاب وربما صحت الاجسام بالعلل ولنضرب  
لك المثل في فتوح اسكندر لمصر في الايام الاول فقد ترتب على فتوحه في  
تلك الايام اعادة قديم بهجة مصر بعد ان دمرها حكم الامم حيث واصل  
أهلها وراعى عوائدهم واباح عقائدهم وساسهم بأحسن ما يمكن من السياسة  
والعدل في الاحكام

### الفصل الرابع

فيما ترتب على فتوح اسكندر الرومى للديار المصرية من اتساع دائرة المنافع  
العمومية الناجمة عن مقدمات الحزم والكماسة وشرطيات أشكال  
العدل في التدبير والسياسة

من المقرر عند أبواب العقول أن اقوى شيء في حفظ البلاد وراحة  
العباد وتوسيع دائرة المنافع العمومية وتأسيس قواعد تمدن الوطنية انما هو  
مراعاة عوائد الاهالى وإباحة تمسكهم بعقائدهم وعدم منهم حسب الامكان  
بما لا يستطيعون مفارفته من مآلوفاتهم المأذونة والمحافظة على ارضاء  
خواطرهم ولو للنتائج المتغلب والمغير المتغصب فان اسكندر الرومى بحسن

مطلب

مناقب سولون  
الحكيم اليوناني  
وقوانينه

وكان سولون المذكور في مملكة أثينا من ذوي البيوت اكتسب من  
السياحة في البلاد ماصيره فريد زمانه في الحكمة والتدبير والسياسة وكان ممن  
دخل مصر من الفلاسفة فعاد الى مملكة أثينا فوجدها مختلة النظام منحلة  
الاحكام فالتسوا أن يجعلوه ملكا عليهم وكانوا جمهورية فلم يرض ان يلبس  
التاج الملوكي ويتسلطن على بلاده وانما اقتصر على تنظيم الجمهورية وانشأ سولون  
قوانين داخلية منها أن من ثبت عليه من الاهالي انه لم يشتغل بحرفة ولا صنعة  
بعد المرافعة معه ثلاث مرات وهو مصر على البطالة فانه يفضح على رؤس الاشهاد  
وكذلك كل ولد اشتغل بصناعة وسلك مسلك التبذير في أمواله فانه يفضح على  
رؤس الاشهاد ايضا وان الولد الذي لا يقوم بمؤنة أبويه العاجزين عن الكسب فانه  
يعاقب بذلك العقاب ولا يعاقب بهذه العقوبة الوالد اذا بخل بالانفاق على ولده  
ومن قوانينه انه لا يجب على المرأة عند الزواج ان تجهز لزوجها باكثر  
من ثلاثة اثواب وبمتاع قليل الثمن لان تكليفها أكثر من ذلك ربما عاد بالفاقة  
على اهل الزوجة وان من اجتمع من الرجال بالنساء المتبرجات وعاشرهن لا يسوغ  
أن يكون من اعضاء مشورة الجمهورية أبدا لانه لا يؤمن على مصلحة الاهالي  
وان من ثبت عليه من أرباب المشورة السكر فانه يعاقب بالقتل وان المدين لا يجوز  
حبسه وان من لم يكن له ذرية فله ان يوصى بجميع امواله قبيل وفاته وان من  
مات في الحرب وله ذرية فان الوصى على ذريته الحكومة فهي السكافة والمسؤلة  
عن افمالهم والمطالبة بتربيتهم واصلاح احوالهم وشؤونهم وانه يجب الاقتصاد  
في المصارف التي تنفق في الجنائز والاحتفالات الدينية بقدر الامكان وان  
تدخل الغرباء البلاد اليونانية واسكن لا يسوغ تداخلهم في مناصب الحكومة  
فلما كان سولون معدودا من المشرعين والمفنين اقتبس منه اساسيس بعض

في ذلك وسلمت الامر لمولاي الفاعل المختار المتصرف في ملكه كيف يشاء  
بالاختيار فلا عتاب ولا ملامة قال من عرف الله ازال التهمه وقل كل فعله  
لحكمة وان ارزاق العباد قسمه تحصل بالتقدير لا بالهمه كما قيل

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معك

انت لا تدركه متبعها فاذا وليت عنه تبعك

وقال آخر

هون عليك وكن بربك واثقا فاخو انتوكل شأنه التهوين

طرح الاذى عن نفسه في رزقه لما يتيقن انه مضمون

ومما يناسب ذلك ما يحكى عن عروة بن اذينة انه وفد على هشام بن عبد الملك  
فشكى اليه حاجته فقال له اأست القائل

قد علمت وما الاسراف من خاقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى اليه فيعينني تطلبه ولو قدمت أأتاني ليس يعينني

وقد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا امير المؤمنين

لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من

الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال في نفسه رجل من قریش قال

حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بالي دينار ففرع

عليه الرسول باب داره بالمدينة واعطاه المال فقال ابلي امير المؤمنين مني السلام

رقل له كيف رأيت قولي سمعت فأكدت فرجعت فأتاني رزقي في منزلي

ولا يتعجب من بليغ نصيحة اما سيس ووعظه فانه كان بينه وبين سولون

حكيم أثينا مراسلات لاقتباس الحكمة اليونانية والمعارف التي تكسب الفضائل

فاقتبس من حكمه وفضائله وقوانينه ما يتميز به عن غيره من الملوك السابقين

وأعلم ان كمال العقل وسوء الحظ كالعلة والمال لا ينفك احدهما عن  
الآخر كما ان قلة العقل وكمال الحظ متلازمان ويصحبهما الجهل والحق قال  
ابن المعتز

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال ابو الطيب

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم  
وقال القاضي الفاضل

ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت انا بحذقي  
وزيادتي في الحذق فهي زيادة في نقص وزقي

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق  
كل من كان فاضلا كان مثلي فاضلا عند قسمة الارزاق  
وقال ابوتمام

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امرىء والدراهم  
ومن عدم تعليل الحظ قول ابى الطيب

هو الحظ حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا  
وعلى هذا فيجب على العاقل التسليم في جميع الامور وتلقي المقادير بالرضا والقبول  
كما قال

تبارك من أجرى الامور بحكمة كما شاء لا ظلما اراد ولا هضما  
فما لك شيء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسك وان شئت مت غما  
فاذا علمت ان قسمة الحظوظ في سابق الازل لحكمة يعلمها لا تبديل ولا تغيير



الاجانب كملك جزيرة صيصام احدى جزائر الروم الكبيرة فان التاريخ قد  
 حفظ نصيحته لملك الجزيرة المذكورة ومضمونها لا تأمن صروف الزمان  
 وتفكر في نوائب الحدثن واعص النفس في اتباع هواها وخالفها ولا تبلغها  
 منهاها فلما قرأ ملك صيصام البطافة عزم ان يزهد في الدنيا حسب الطافة وكان  
 باصبعه خاتم جوهر نفيس عظيم القيمة لا يؤثر عليه من زينة الدنيا شيئاً  
 ولكن وقعت بقلبه موعظة الملك أماسيس أعظم موقع فترعه من اصبعه  
 وألقاه في اليم وعزم على ترك الزينة وصمم ولكن لما كان جد هذا الملك  
 قائماً والسعد له خادم ارد الله عليه هذا الخاتم في بطن حوت سعى به اليه  
 صياد من البحر قادم فقهم من ذلك أن الاشياء بخوت وسعود وأن خاتم  
 الملك وان زهد فيه فهو اليه مردود وتاج السعادة على مفرقة معقود

### قال الشاعر

البخت افضل ما يأتي الفتى فاذا ما فاته البخت لا ينفعك يتضع  
 يكفيك في البخت تيسير الامور وان يكون ما ليس ترضى عنك يندفع  
 والخطأ أجدى لصاحبه من الحجي واهدى في طرق مأربه من نجوم  
 الدجي ومن لطائف المطبوع في هذا الباب قول محمد بن شرف القيرواني  
 اذا صحب الفتى جد وسعد تحامته المسكاره والخطوب  
 ووافاه الحبيب بغير وعد طفيها وقاد له الرقيب  
 ويقال اذا أقبل سعد المرء فالأقد ارتسعه والاطوان تساعده واذا  
 أدبر فالايام تعاديه والنحوس ترواحه وتعاديه قال عبد العزيز بن نباته  
 الافاخش ما ترجو وجدك هابط ولا تخش ما تخشى وجدك رافع  
 فلا نافع الا مع النحس ضائر ولا ضائر الا مع السعد نافع

مطلب  
 يعة الملك  
 ليس الملك  
 مرة صيصام

مطلب  
 عدة البخت  
 نسان وما نيل  
 بخت والخط

ليكونوا مترجمين بينهم وبين المصريين في أيامه انتشرت معرفة اللغة اليونانية وبواسطتها كثرت التجارات والمعاملات والمخالطات وتأسس بالقطر المصري العائر التجارية فكانت هذه أول مرة تكلم فيها اليونان بلسانهم في غير بلادهم ولما رأى ما رأى من صداقتهم ومساعدتهم وسع لهم في المعاش وأغدق عليهم غاية الاغداق وسواهم بجنده فكانت منفعتهم جسيمة

« مطلب »  
فتح الملك  
أمايسس ثغور  
مصر للاجانب  
واحسان مشواهم  
لاسهاد رعيته  
بالثروة والغنى

ومن فتح لليونان ثغور مصر وأبوابها من ملوكها الملك أمسوس ويقال له أمايسس فإنه كان قوي الفطنة جيد القريحة حسن التدبير لم تسعد مصر في أيام غيره كسعادتها في أيامه الهنية ولم تخصب بالنيل بمخصبها في أيام دولته العادلة حتى قيل ولو أنه من المبالغات التاريخية أن مدن مصر وقرراها بلغت في عهده عشرين ألف مدينة وقرية وكلها غنية مثرية وجل أسباب ثروتها التجارات العظيمة لا سيما مع اليونانيين فانهم اذ ذاك كانوا أرباب التجارة والصناعة واتسعت دائرتهم في ذلك من مخالطة المصريين فقد شملتهم أنظار هذا الملك الخصوصية حيث أحسن مشواهم ورخص لهم الاستيطان بالديار المصرية بمدينة نقرطيس التي يقال ان محلها الآن قوة وقيل غيرها وكانت هذه المدينة دون غيرها مخصوصة بأن يرسي عليها سفن الدول الأجنبية وقد أباح هذا الملك للغرباء أن يتسكوا في مصر بأصول دياناتهم وأنعم عليهم بأراض مخصوصة لينزلوا فيها معابدهم وهياكلهم ومذابحهم ومحاربيهم على اختلاف مللهم وأديانهم ومذاهبهم وعقد مع دولة أثينا أي مدينة حكماء اليونان معاهدات وعقد أيضا معاهدات أخرى مع دول أخرى كدولة القيروان بالمغرب وكان له مخاطبات ومراسلات متواترة مع الملوك

## الفصل الثالث

في ان أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالي الممالك  
الاجنبية واعتبارهم في الوطن كالأهلية

من المعلوم ان ممن أسس في مملكة مصر السعادة والسيادة والامنية  
وحفظ حقوق الرعية هو الملك رمسيس الذي اشتهر باسم سينستريس وهو  
الذي شيد في مصر القصور الشاحخة والهيكل السامية المنافسة للاطواد  
الراسخة واتخذ ما يلزم للوطن من الجسور والقناطر والخلجان  
ورفع الاراضي المنخفضة المعرضة للغرق عند زيادة النيل واستبدل المدن  
المنخفضة من محالها ببنائها على الرابي العالية لسلامة البلاد والعباد ولم يفارق  
الدنيا حتى ترك مصر على غاية من الثروة والغنى والسعادة والهناء وكل انسان  
شاكر لفعاله وعلى تداول الازمان لا زال التاريخ يثني على شمائله وجميل  
خصاله الا انه هو ومن قبله واكثر من بعده من الملوك لم يحصل منهم كما  
حصل من الملك ايساميطيقوس الاول من مساعدة التجارة داخلا وخارجا  
فان سعادة الاهالي انما هي بالاخذ والاعطاء والتنقلات الملكية

فكان هذا الملك في الحقيقة نحر الدولة المصرية في الازمان الجاهلية  
ومصباح تاريخها اعتنى بتاريخه مؤرخو اليونان لانه أول ملك مصري  
قربهم الى بلاده واسمال قلوبهم بتوظيفهم برياسة أجناده وخالف عوائد  
أسلافه وعامل يونان آسيا واوروبا بأخص استعطافه وأقطعهم الاقطاعات  
من الاراضي المصرية وسوى في الحقوق بينهم وبين الجنود الوطنية وجعلهم  
من المقربين في المعية وأعظام جملة من العلماء المصريين لتعلم اللغة الاغريقية

« مطلب »  
سعادة الملك  
ساميطيقوس  
في مصر للتجارة  
اخلا وخارجا

اجتنب ان يتمثل بين يدي فرعون واحترس كل الاحتراس ان يدخل في ديوانه بزى الحزن ولم يستطع ان يخالف الرسوم المعهودة فكانت رسوم ديوان فرعون وآدابه واخلاقه معلومة علم يقين ذات عليه التوراة فهي مبينة على النقل المتواتر والسماع المستفيض فلا يشك فيها ومن المعلوم انه لا يتصف بهذه الآداب الرسمية الا الجمعية المتقدمة في المعارف فلا شك ان جميع ما كان في الدول المتاخرة التمدن من حسن الاخلاق والعوائد كان موجودا نظيره عند دولة مصر القديمة في ايام زهوها فليس التمدن من خصوصيات الازمان الاخيرة وانما ذوقيات التمدن مختلفة بما يلائم طباع الوقت ويطابق مقتضى الحال فلا يبعد على مصر في هذا العصر ان تستجلب السعادة وتكتسب من القوة المالية الحسنى وزيادة وتحصل من وسائل الغنى على مقاصد الافادة والاستفادة لان بنية اجسام اهل هذه الازمان هي عين بنية اهل الزمان الذي مضى وفات والقرائح واحدة ووسائل هذا العصر الاخير متسعة ومتنوعة فلا شك انها مساعدة على اكتساب المنفعة لمن يريد حقيقتها وأعظم وسائلها رخصة الاخذ والاعطاء داخلا وخارجا وكمال الاتحاد مع الممالك الاجنبية في المعاهدات التجارية العائدة بالمنافع العامة على الوطنية كما فعل ملك مصر اسميتكوس الاول ابن نخوس ملك مصر من جلب الاجانب في مملكته كما سيأتي في الفصل الثالث من الباب الثالث

مطلب

كيفية هيد  
فرعون السنوي  
ودلالته على  
التمدن

والتعظيم وهو عين التمدن وان تأملت حق التأمل في مبدأ امر يوسف عليه السلام من اقتصار العزيز على سجنه وصبره عليه في السجن وعدم المبادرة عليه بالتقام مع انه مملوك للعزيز خازن فرعون مصر علمت ان الدولة المصرية لم تكن امة خشنية تستعجل بالقتل لغلام مستقيم فطن بل كانت امورها تجري على منهج الاستقامة

ويستدل بهذا ايضا على ان قوانين معاملة الخدم والرقيق كانت عادلة لا يسوغ فيها للسيد الذي اساءه عبده كل الاساءة ان ينتصف منه لنفسه كما يحبر ويختار فهذا يفيد ان الملة كانت متمدنة واما سجن يوسف عليه السلام من صاحب طعام الملك وصاحب شرابه فيدل على ان فرعون كان له كبراء اصحاب مناصب تقصره كما في الدول المتمدنة وانهما اتهمتا بالخيانة الملكية يعني بارادة الملك وان فرعون غضب عليهما حين اتهمهما وامر بسجنهما لحين تحقيق دعواهما فلما تبين له ان احدهما مذنب بما يوجب القتل قتله وان الآخر بري فرج عنه فعاد الى منصبه كما ان يوسف ايضا لما علمت براءته ارتقى الى ارتقى اليه من العزارة

فنه يعلم انه كان بمصر اذ ذاك احكام عادلة وقوانين مرتبة وحدود مشروعة خالية عن الاغراض والنفسانيات وهي نتيجة التمدن التام وقد دلل التواريخ الاثرية على انه كان لفرعون يوسف كل سنة عيد عظيم لمولده واما هذا العيد كان يعمل في مياعده في القصر الملوي بأكل ما يكون من الاحتفال الكامل والرسوم الجليلة فهذا يدل ايضا على جودة التمدن وطول مدته في مصر قديما حتي ان رسوم المملكة كان يحافظ عليها ويتمسك بها بدون تسامح وتساهل فان يوسف عليه السلام لما مات يعقوب وحزن عليه حزن بني اسرائيل



البسط أو الإيجاز ولذلك قال سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام نحن  
نقص عليك أحسن القصص وذلك لما فيه من العبر والنسك والعجائب فإن  
من الفوائد التي في هذه القصة أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من  
قدره تعالى وأنه إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو اجتمع عليه العالم لم  
يقدروا على دفعه (وقد روى) أن سبب نزول ذلك أن علماء اليهود قالوا  
لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن  
كيفية قصة يوسف فأمر الله تعالى أن تلك آيات الكتاب المبين أنا أنزلناه  
فإننا عربيا لعلمكم تعقلون الآيات وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة  
الفاظ عربية ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير  
أننا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا  
نسمى بعض القرآن قرآنا لأن القرآن يقع على البعض والكل ومن قصته  
أنه يفهم علو درجة مصر التي قضى الله سبحانه وتعالى بانتقاله إليها لعلو  
مرتبتها فيها حتى أنه عليه السلام لما قدم أبوه وسأله عما صنع به أخوته قال  
لني عما فعل بي ربي وأخذ بيده وطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب  
الفضة وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وخزائن القراطيس  
كان يوسف يركب في كل شهر ركبة يمر بها على عمله ويدور فيه فينصف  
ظلم من الظالم ولا يركب إلا في عدد كثير من الجند والأولوية ومعه ألف  
ياف ولم يكن معه حكم مصر كله بل بعضه لأنه على ما يقال أن طيوة  
مصر كانت مملكة مستبدة عليها ملك آخر يدل على ذلك آية  
بقد آتيتني من الملك أي بعض ملك مصر كما أشار به بعض المفسرين فالبلدة التي  
بأنها وعساكرها بهذه المثابة لا تكون الا عظمة الشوك والثروة والتنظيم

« مطلب »  
سبب نزول

سورة يوسف  
عليه السلام

« مطلب »  
استنباط علو  
درجة مصر من  
قصة يوسف

أقام ورجعوا الى يعقوب يقولون ان ابنك سرق فتلقاهم بصبر جميل ثم قال لبنيه  
 اذهبوا وتجنسوا من يوسف وأخيه فلما عادوا اليه به ضاعة مزجاة وقنوا موقف  
 الذل وقالوا تصدق علينا هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وكشف الحجاب  
 عن نفسه فعرّفوه فقالوا ائتلك لأنك أنت يوسف فقال انا يوسف وهذا اخي  
 فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا أى اختارك وفضلك وكان قد فضل عليهم  
 بالحسن والعقل والحلم والصبر وغير ذلك وان كنا لخاطئين اى المذنبين آثمين  
 فى امرك قال لا تثريب عليكم اليوم أى لا اعيركم بما صنعتكم ثم سألهم عن ابيه  
 فقالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه  
 ابي يأت بصيرا فلما خرجوا من مصر حمل القميص يهوذا وقال انا حملت قميص  
 الدم وبها أنا أحمل قميص البشارة فخرج حافيا حاسرا يغدو فقال يعقوب لمن حضر  
 من أهله وولد ولده انى لا جد ريح يوسف لولا أن تقفدون أى لولا أن تنكروا  
 على لا خبرتكم انه حى فلما ان جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ثم خرج  
 يريد مصر فى نحو سبعين من أهله وخرج يوسف لتلقيه فلما التقيا قال  
 يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال يوسف بكيت يا ابني حتى  
 ذهب بصرك أما علمت ان القيامة تجمعنى واياك فقال يا بني خشيت ان يسلب  
 دينك فلا تجتمع واقام يعقوب عند يوسف اربعا وعشرين سنة فى أهنأ  
 عيش فلما حضرته الوفاة أوصى الى يوسف أن يحمله الى الشام حتى يدفنه  
 عند ابيه اسحق ففعل ثم ان يوسف عليه السلام رأى أن امره قد تم فقال  
 توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وأوصى الى يهوذا فهذا مآل القصة التى  
 قصها الله سبحانه وتعالى فى سورة يوسف بفصيح العبارات البالغة حد  
 الإعجاز وبلغ المعاني النفيدة لبديع النكات مع مراعاة الحال لما يقتضيه مقام

«مطلب»  
 سرف اخوة  
 يوسف

«مطلب»  
 مآب البشير  
 قميص يوسف  
 الى ابيه

موسى جليل وحين تمسكه من منصبه مر على اقليم المملكة المعلقة بامارته  
وزوجه فرعون مصر بزواج من أعظم العائلات وهى ابنة ملك عين شمس  
فامتلات الخزان من الاقوات فى زمن الرخاء لتتفع فى زمن القحط وصار  
تديرها وادارتها على أحسن حال وأتم منوال

ومن أعجب ما صنعه طريقة حفظ البر فى سنبله فتد دام وبقى بهذه الوسيلة  
محفوظا من آفات الانقساد حتى ان بعض الفراعنة امر بحفظ التمعج بذلك بعد  
عهد يوسف بمائة سنة ولما حفظ يوسف الاقوات فى ايامه وباعها فى زمن  
القحط كان بيعها باغلى ما يكون من القيم فكان يبيع مكىال البر بمكىال من الدر  
فاشترى اهل مصر بأموالهم وحليهم ومواشيهم وعقارهم وعبيدهم ثم باولادهم  
ثم برقابهم وكان يوسف عليه السلام لا يشبع فى تلك الايام ويقول أخاف  
ان انسى الجائع وبلغ القحط الى كنعان فارسل يعقوب ولد للميرة قال يا بني  
قد بلغنى ان بمصر ملكا صالحا فانطلقوا اليه فاقروءه منى السلام فمضوا فدخلوا  
على يوسف فعرّفهم وانكروه فقال من اين اتم فقالوا من ارض كنعان ولنا  
شيخ يقال له يعقوب وهو يقرئك السلام فبكى وعصر عينيه وقال لعلمكم  
جواسيس فقالوا لا والله قال فكم اتم فقالوا احد عشر وكنا اثني عشر فأكل  
احدنا الذئب فقال اتونى باخيكم من ابيكم ثم درج بضاعتهم فى رحالهم فعادوا  
الى ابيهم فقالوا انا منع منا السكىل فأرسل معنا اخانا نكتل فقال يعقوب هل  
آمنكم عليه الا كما امنتم على اخيه من قبل ثم حملة احتياجه الى الطعام على ان  
ارسله معهم فلما دخلوا على يوسف اجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين  
شقيق يوسف وحيدا يبكى وقال لو كان اخي حيا لا اجلسنى معه فاعتقه يوسف  
وقال انا اخوك ثم احمال عليه فوضع الصاع فى رحله فلما لم يقدروا على خلاصه

« مطلب »  
تدبير يوسف  
لغلال مصر وحنه  
الحب فى سنبلة

فأخذه أخوه روبيل الذي هو ابن خالته أيضا فضرب به الأرض وجلس على صدره  
ليقتله وقال ليوسف قل لرؤياك تخلصك وكان قد رأى وهو ابن سبع سنين  
الشمس والقمر والنجوم ساجدين له فصاح على أخيه الآخر يهوذا وقال خل بطني  
وبين من يريد قتلي فقال يهوذا ألقوه في غيابة الجب فنزعوا قميصه لالقاءه  
فقال ردوه على أستر به عورتى ويكون كفنا لى في مماتى فلما القوه استقرت  
قدماه على حجر مرتفع من الماء وذبح أخوته جديا فطخوا به القميص وقالوا  
أكله الذئب ومكث فى الجب ثلاثة أيام وأخوته يرعون حوله ويهوذا يأتيه  
بالقوت فلما جاءت السيارة الذين حضروا من مدين الى مصر بالتجارة وكانت  
بضائعهم من الصمغ لتصبير الاموات فجعلت تسقى من الجب بدون التفات  
تعلق يوسف بالجل فأخرجوه فجاء أخوة يوسف فقالوا هذا عبد أبى منا فباعوه  
منهم بعشرين درهم وحلة ونعلين فحملوه الى مصر وجاؤا به الى مدينة منف  
فوقفوه للبيع فتزايد الناس فى ثمنه فاشترى قطفير وكان امير ملكهم وخازنه  
وقال لامرأته زليخا اكرمي مثواه وكان يوسف عليه السلام حسن الخلق  
والخلق كامل الفطنة عظيم القيافة يتوسم فيه الخير من رآه أحبه حتى ظهرت  
منه امارات الامانة والصدق فامتاز فى بيت العزيز بكمال التميز فراودته  
امراة العزيز عن نفسه فعصم منها فترتب على ذلك سجنه وأحبه أيضا من  
كان معه فى السجن كصاحب طعام الملك وصاحب شرابه وعبر لهما رؤياهما  
وبقى مسجوناً الى حين منام الملك فعفا عنه بعد سجنه بضع سنين فلما أخرجه  
من السجن فوض اليه أمر مصر وجعله أميناً حفيظاً على خزائن مملكته

ولما تقلد يوسف عليه السلام منصبه وأراد أن يذهب الى ديوانه  
حاق رأسه وتجمل بالثياب النفيسة وأخذ طراز الرتبة وعنوانها وعقد له

وقد دلت التوايح ان ديوان حكومتها كان في غاية اللطف والتهذيب واستقامة الاخلاق والآداب وحفظ ناموس العرض والادب والحياء وكان على غاية من حفظ الرسوم الموكية المعتمدة والعوائد السلطانية المقررة وقد قامت البراهين والدلائل على استمرار أبهة التمدن على تعاقب القرون الكثيرة في ايام الملوك الاوائل ومما يعضد ما قاله المؤرخون واستكشفه الحكماء الراسخون قصة يوسف عليه السلام فان مضمونها لفصل القول أحد من الحسام كما سنبينه في الفصل الثاني من الباب الثالث من ذكر هذه القصة الصديقية التي يستنتج منها في هذا المعنى معارف تصويرية وتصديقية

## الفصل الثاني

في تأييد تقدم مصر وامتيازها بالمعارف في الزمن القديم أخذنا من قصة القائل  
اجعلني على خزان الارض اني حفيظ عليم

كان يعقوب عليه السلام قد ولد في زمن جده ابراهيم ونبي في زمانه أيضا وتزوج زوجتين اختين أحدهما بعد الاخرى فولدة له الثانية يوسف عليه السلام وبنيامين وماتت في نفاس بنيامين وكانت الاولى ولدت منه ستة أولاد ثم تزوج بعد الثانية التي ماتت زوجة أخرى ورزق منها أربعة فكان اولاد يعقوب اثني عشر وهم الاسباط وكان احب اولاده اليه يوسف ففسده أخوته فاحتالوا عليه فقالوا يا يوسف أما تشفق ان تخرج معنا فنلعب ونتصيد فقال بلى قالوا فسل أباك أن يرسلك معنا فاستأذنه فأذله فلما خرجوا الى الصحراء أظهروا له ما في انفسهم من العداوة ففطن لما عزموا عليه

مطلب  
حسد اخوة  
يوسف لاخته  
وما ترتب  
على ذلك



« مطلب »

ترتيب مجالس  
لقضاء في القديم

وكانت الدولة المصرية تعرف قيمة العدل والانصاف وانه الاصل في سعادة  
الملك فانتخبت من مدينها الثلاثة التي هي عين شمس ومنف وطيوه قضاة  
لتدبير احوال المملكة وجعلتهم ارباب المشورة القضائية وكانوا ثلاثين قاضيا  
فكانت محكمتهم نافذة الحكم على غاية من الاحترام وكانت مصارفها على  
طرف الحكومة الملوكية وكان الملك يأخذ عليهم العهد ان لا يطاوعوه اذا  
أمرهم بشيء خارج عن الحد وكانت مذاكرة المجلس في المصالح والقضايا  
والاراء تكتب بالقلم والمناقشات والمحاورات والرافعات كذلك تثلثا يخفى الحق  
بالفصاحة واللسن لمافي البيان من السحر وكان للحق صورة مجسمة فاذا ظهر  
الحق لاحد الخصمين رفع الرئيس الصورة بيده وأذن للمحق ان يضع يده عليها  
اشارة الى ان القاضي في الحقيقة ونفس الامر انما هو الحق فهو الحاكم  
الحقيق

« مطلب »

المماقبة على  
الذنوب عند  
قدماء المصريين

وكان في احكام المصريين عقاب الزنا شديدا جدا لكونه من الكبائر  
المضرة للامة فكانوا يجلدون الرجل الف جلدة ويمجدعون أنف المرأة وان من  
قدر على تخايص المقتول من القاتل بدون حق ولم يخلصه فجزاؤه القتل وانه  
لا تسلط للدائن على ذات المدين بل وفاء الدين محله اموال المدين لا شخصه  
وكانت قوانينهم تميل الى الحث على العمل وقطع عرق البطالة والفش والتدليس  
وغير ذلك من الموبقات وذلك انه يجب في آخر كل سنة التفحص عن احوال  
الاهالي فردا فردا فيسأل كل انسان عن مواد تعيشه ومن اين اكتسبها وكل  
من ظهر انه تعيش من وجه حرام فجزاؤه القتل وهذا القانون من وضع الملك  
اميس فبن هذا يفهم تقدمهم في التمدن وان مملكتهم في الازمان السالفة  
كانت عادلة محتسنة مستنيرة بالعارف

« مطلب »

الفحص عن  
وجه التعيش

والمار والافتضاح بحيث تكون السمّة ظاهرة على بدنه تلونه وتدنسه بين  
أهل وطنه والظاهر ان اقطاع الاراضي للمحاربين كانت سببا في كثرة  
أموالهم ورفاهيتهم فترتب عليها فيما بعد فتور همّهم في الحروب وترتب على  
ذلك أيضًا تداول الازمان عدم القدرة على مقاومة كل من كان يهجم على  
مصر من الأمم الا ان هذا لا يمنع من ان الادارة العسكرية كانت متقدمة  
عندهم بدليل ان الملك سيزوستريس جيش جيشا عظيما لقصد سلب بلاد  
العراق والعجم والهند وفتحها فصار اليها من طريق الشام فاستولى على بلاد  
فلسطين وفتح العراق والعجم والهند وبني ببلاد العجم مدينة شلمينار التي  
سميت فيما بعد مدينة اصطخر وما ذاك الا بقوة عساكره وضبطهم وربطهم  
وأما الديانة عند المصريين فكانت أيضا مرتبة اذ كان أمناء دينهم يعتقدون  
ألوهية الذات العلية وكان لهم اسرار عجيبة فكانوا لا يظهرونها الا لقليل من  
الناس وكانت العامة يعبدون الاوثان ومنشأ عبادتها عندهم انهم كانوا يؤطون  
كل من اخترع أمرا غريبا من قانون أو علم أو فن فكانوا متقدمين في  
الهندسة والمساحة والآلات الهندسية كعلم الجغرافيا والنجوم وكانت كتابتهم  
بالقلم القديم البربائي الذي كان يعرفه حكماءهم وأمناء اديانهم فكان كالرموز  
بينهم فكانت علومهم سرية مخفية عن العوام حتى لما ظهرت الحروف  
الحجائية وانتشرت عندهم كما انتشرت في الممالك لم تزل صحف العلوم المصرية  
ترسم بالقلم القديم البربائي

ومن اختراعاتهم العجيبة آلة الحراثة التي انتفع بها جنس البشر عموما  
حيث تقدمت الفلاحة وبه تولد التمدن بين جميع الناس مع اختراع السواقي  
والنواعير الهامالهم من اللطيف الخبير فانها اساس لآلات السقي باحسن تدبير

ولما دخل المأمون مصر في سنة سبع عشرة وما تئين وقد رأى مدينة منف  
 أنشد الأبيات الآتية « مطلب »  
 دخول المأمون  
 العباسي مصر

سألت أطلال مصر      عن عين شمس ومنف  
 فما أحارت جوابا      ولا أجابت بحرف  
 وفي السكوت جواب      لذي الفطنة يكفي

« مطلب »  
 أساس التمدن

وهل علامات التمدن ودلائل العظم الا ثلاثة أشياء وهي حسن

الادارة الملكية والسياسة العسكرية ومعرفة الالهية فهذه الثلاثة أساس

تمدن الممالك العديلية على العموم والمصريون من قديم الزمان كانوا متقادين

للحكم الملوحي فكانوا مطيعين لملكهم وكان الملك متقادا أيضا لقوانين المملكة

« مطلب »  
 سياسة مصر  
 في القديم

وأصولها فكانت حركاته وسكناته على طبق القوانين وكانت حكما

مصر تذكر الملوك دائما بالحقوق والواجبات وتحثهم على التمسك بالفضائل

الملوكية وتلعن من يصرفهم عنها من بطانة السوء وأهل النفاق وكانت الملوك

في تلك الاوقات يشتغلون بمطالعة الحكم والآداب والمواعظ والتواريخ وكل

« مطلب »

ما يرشد الى العدل والاستقامة وكانت مصر منقسمة الى عمالات على كل

نوزع اراضي  
 مصر على  
 مائة وثلاثة

عمالة حاكم وأراضيها مملوكة لثلاث طوائف منقسمة بينهم قسم للملك وقسم

لامناء الدين وقسم للعساكر المحاربين وأما بواقي الطوائف فكانت معاشهم

من اعمالهم وصنائعهم فهذا التقسيم قوي شوكة أمناء الدين وجعلهم محتصين

« مطلب »

بممارسة العلوم وبتقنين القوانين الملكية وبنفوذ الكلمة في الحكومة

« سياسة العسكرية  
 بمصر في القديم »

وكانت مصر كثيرة الجنود والعساكر ولهم أصول تحملهم على الشجاعة فكان

العسكري الذي يظهر الجلادة في الحرب يعطى علامة الشرف والافتخار

والذي يجبن عن الحرب أو يفر من الزحف يعاقب بوسمه بعلامة العيب

خصوصاً لما تولى عليهم كير وش ملك العجم ففسد أخلاقهم وانحل  
نظامهم وأما مصر المقارنة لبابل فقد تزهت ملوكها عن مثل هذه الرذائل  
فقد اجمع المؤرخون على ان مصر دون غيرها من الممالك عظم تمدنها  
وبلغ أهلها درجة عليا في الفنون والمنافع العمومية فكيف لا وأن آثار التمدن  
وأماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة واربعين قرنا يشاهدها الوارد  
والمتروك ويعجب من حسنها الوافد والمتفرج مع تنوعها كل التنوع فجميع  
المباني التي تدل على عظم ملوكها وسلاطينها هي من أقوى دلائل العظمة  
الذوكية وبراهينها فانظر الى آثار منف وأبنيتها وعجائبها وأصنامها ودفائنها  
مما يحكيه المؤرخون عنها وانها كانت ثلاثين ميلا بيوتا متصلة وفيها بيت  
فرعون وهو قطعة واحدة من الحجر وسقفه وفرشه وحيطانه من الحجر  
الاخضر وكان لها سبعون بابا وهي مدينة المملكة المصرية وكانت منزل الملوك  
من القبط الاولى والعاليق ومسكن الفراعنة وما زال الملك بها الى ان ملك  
الروم اليونان ديار مصر فانتقل كرسى المملكة منها الى الاسكندرية ومع  
ذلك لم تزل عامرة الى ان جاء الاسلام ثم خربت وفيها كانت الانهار تجري  
من تحت سرير الملك وكانت أربعة انهار

ويقال ان ملوك الدنيا واجتمعوا واتفقوا على أن يصنعوا مثلها لما  
أمكنهم ذلك وكان فرعون اذا أراد الركوب من منف الى عين شمس صنع  
صاحب المرقب علامة فاذا رأى صاحب عين شمس تلك الإشارة نأهب  
لاستقباله وكذا يصنع اذا أراد الركوب من عين شمس الى منف لان كلا  
من المدينتين كان تحت المملكة ويقال انه كان بمنف قبة فيها صور ملوك  
الدنيا

وكان الملك نيباس قليل الطمع في الفتوح فقتع بما تحت يده عن  
الطريف بالتلاد وانزوى في قصره متنميا بأهل بيته بعيدا عن العباد ولم تعلم وقائع  
غريبة حصلت في مملكة العراق وكردستان في خلال ثمانمائة سنة حتى  
تسلطن عليها الملك سردينال سنة سبعمائة وسبعة وستين قبل الميلاد فانهمك  
هذا الملك على اللذات والشهوات وأغار عليه أهل أذربيجان وحاصروه اشد  
المحاصرة فن شدة المضايقة أحرق نفسه ونساءه فاستبد أهل أذربيجان بالحكم  
وخلعوا طاعة بابل ثم دخل أهل أذربيجان وبابل تحت مملكة العجم وكان  
حكماء البابليين يتقنون رصد الكواكب لكثرة الصحو وقلة الغيوم  
بهذه البلاد فصار لهم كمال الوقوف على العلوم الفلكية وهم الذين اخترعوا  
المزاول وتشبثوا بعلم التنجيم وزعموا معرفة حوادث الازمنة المستقبلية من  
انواء النجوم وتولع الناس بتقليد ثم وتصديق أوهاهم الفالسة التي يبطلها  
الشرع ويكذبها العقل فهل هذه الاشياء تعد من كبوات الاجياد وهفوات  
الاجباد أو من بدع الجاهلية الاولى الظاهرة الفساد وضلالات أهل الكساد  
والظاهر أن هذه الامة أضلها الكواكب ضلالا مبيتا حتى عبدوا الشمس  
وكانوا يعرفون الاله الحق يقينا فالتجيم فن مذموم ولكن لا بأس بعلم  
النجوم فقد كانت العرب أشد عناية بمعرفة النجوم وقد قيل لأعرابي ما  
علمك بالنجوم قال من ذا الذي لا يعلم أخداع بيته وقيل لأعرابية أتعرفين  
النجوم فقالت سبحان الله أما نعرف اشباحا وقوفا علينا كل ليلة

« مطلب »  
تسلطن الملك  
نيباس واخذ  
زمام المملكة  
من امه

« مطلب »  
ملطن سردينال  
على العراق  
احراق نفسه  
ونسائه

« مطلب »  
ولاذربيجان  
العراق تحت  
ملكه الفرس

« مطلب »  
تسبب عن  
لية كبروش  
ملك العجم  
مكة العراق

وبالجملة فكانت الفنون والعلوم والصنائع ببلاد العراق في غاية التقدم  
وكان فيهم سوق التمدن نافقا فكانوا يتنافسون ويتفاخرون في المطاعم  
والشارب والزينة والزخرفة واشتد انهماكهم على اللذات والشهوات



محاكاة للنمرود وكان تحت يد هذه الملكة في مملكة العراق من سواحل الشام  
وفلسطين الى نهر السند بلاد الهند حتى ان عساكرها طردت عساكر مصر  
من تلك الجهات الشرقية التي كانت متغلبة عليها اذ ذاك وكانت كلما انتصرت  
بقوة شجاعها زادت مطامعها في الفتوحات ولشجاعتها وخفة حركتها سميت  
سميراميس يعني الحمامة لانها تتردد لفتوح البلاد بل صار اسمها كاسماء الاجناس  
على كل ملكة اشتهرت بالشجاعة واقتحام الاخطار في البلاد البعيدة لقصد  
الفتوح ولذلك يقال لكاترينة الثانية ملكة الموسقو سميراميس الشمال  
يعني الجهات الشمالية ويقال ايضا لمرجريطه ملكة الدانميرقة  
سميراميس الشمال ايضا لانها جمعت الممالك الثلاثة وهي مملكة اسوج  
ومملكة نروج ومملكة دنيروقة وقد قلنا فيما سبق ان تلك الملكة كانت تحكم  
العراق والكرديستان وما يتبعهما من الممالك الواسعة بالصاوية على ولدها نيناس  
لكونه قاصرا

وفي مدة وصايتها بنت ايضا في بابل هيكل الشمس الذي داخله متخذ  
من الذهب وبنت ايضا عدة مدائن آخر وأرادت ان تتوغل في بلاد الهند  
فسارت بجيش كبير فانتصر عليها ملك الهند وفرت مدبرة الى بلادها وكان  
ولدها قد بلغ رشده وتأهل لان يحكم ممالكه بنفسه فتقلد زمام المملكة واستبد  
برأيه فاجبت ان تجذبه اليها وتدنو منه باستمالته اليها لجمالها وتشويقه الى  
وصالها فراودته عن نفسه حتى يصير الحكم في يدها اذا استولت على قلبه  
فاستعاذ من الفجور وأبى الا للنفور لاسيما وانه استشعر بأنها قتلت والده بالسهم  
فسلك سبيل الانتقام وأذاق حمامته كأس الحمام وكان ذلك قبل ميلاد  
عيسى بثلاثة عشر ألف ومائتين

صار تاكاململكة الواحدة ألبسها التاج وسلمها البلاد حيث كانت وهي في عصمة زوجها الاول قد اشتهرت بأفعال الشجعان في واقعة من الوقعات العظيمة وكانت قوتها العسكرية نحو مليون من النفوس فصاروا في تصرفها فلما مات نينوس اعقب منها ولدا قاصرا يقال له نياس فتقلد المملكة وكانت أمه سميراميس وصية عليه فصار بيدها زمام الملك وأرادت احراز الشهرة والصيت وكسب الفخار المخلد فبنت مدينة بابل وزينتها بانواع الزينة على مثال مدينة نينوى وبقدرا تساعها وبنت اسوارها بالاجر والقرا ميد وجعلت مؤنة البناء بمادة قارية صلبة قفزية وجعلتها عريضة الاسوار بحيث يمر بها ست عجلات متلاصقة تسير متوازية مع بعضها على حزاء واحد مع غاية السرعة ويقال انها حفرت حولها خنادق عميقة وجعلت فوق الخنادق مائة قنطرة من النحاس كل قنطرة توصل الى بابل وعملت فوق بيوت المدينة بساتين معلقة جميلة الشكل تجري بها المياه في الغدران والجداول وتصل اليها من براينح عجيبة بتدبير عجيب وجعلت في المدينة الميادين الوسيعة والرحبات الفسيحة المغروسة بالاشجار من جميع الاقطار والجهات بحيث يمكن السير في المدينة من باب الى آخر من ابواب القناطر بدون ان يكون للشمس سلطنة على احد ولا عظيم سلاطة للمطر لانتفاف الاشجار بعضها ببعض وتعريشها وكانت بابل على نهر الفرات على قول أغلب المؤرخين ونيوى على نهر الدجلة

يفهم من هذا أن باني بابل هي الملكة سميراميس وهو مخالف لكلام التوراة من أن الباني لها هو النمرود مع ما بين زمانيهما من القرون العديدة والدهور المديدة ولعل هذه الملكة بنت مدينة على أطلال بابل وكانت قد خربت بمر الدهور وكر العصور أو بنت أخرى في غير محلها وسمتها بهذا الاسم

هذه الجرثومة وكنا من اجل الممالك المتعبرة بما اشتهر تابه من عجائب السحر  
 وغرائب السحرة وناهيك بمن تعلم السحر من هاروت وماروت وحسبك  
 ما جمعه فرعون لموسى من المدائن من كل سحار عليم لنصرة الطاغوت وبهذا  
 كان لهم الولاء التام على من جاورها من الملوك والحكام وكان بين المملكتين كمال  
 الائتلاف ووثوق العهد الذى لا يعتريه نقض ولا ابرام وبقي هذا الوصف  
 الجليل الى ايام حرب ترواده كما ذكره أميروس الشاعر فقد نص على انه كان  
 فى ايامه بينهما الصلح الكامل ثم استبان مما ذكره المؤرخون انه عرض لهما  
 فى آخر القرن الثامن قبل الميلاد ما يطرأ على الممالك من التمزيق فضعفت  
 مملكة مصر وتمزقت مملكة العراق فسبحان مقسم الارزاق ومالك الآفاق  
 ومن المعلوم ان الذى اسس بابل هو النروذ الذى هو ابن حفيد سيدنا  
 وح عليه السلام كما هو نص التوراة واما مؤرخو اليونان والرومان فقد نسبوا  
 أسيس مدينة بابل الى سميراميس زوجة مينون أحد عساكر ملك بابل  
 لسماء هذه الملكة سمير فى التواريخ الشرقية وبيان ذلك ان مملكة بابل  
 كان يجاورها فى قديم الزمان مملكة آشور يعنى بلاد الكردستان مدينة نينوى  
 منى مدينة سيدنا يونس عليه السلام بناها الملك آشور ثم حسمها الملك نينوس  
 وكانت مدينة عظيمة فى طول ثمانية فراسخ ونصف لا يطوف السائر حولها  
 بحيطها الا فى نحو ثلاثين ساعة وكان ارتفاع سورها الخارج عنها مائة قدم  
 اتساع جدار الاسوار عريض بحيث يسير فوقه ثلاث عجلات بعضها فى  
 جانب بعض ولو مع غاية السرعة وكانت مدينة حصينة وفى داخلها خمسة  
 عشر برجاً ارتفاع البرج مائتا قدم ولما تزوجت سميراميس نينوس ملك مدينة  
 نينوى التى كانت اذذاك تحت كل من مملكة العراق ومملكة الكردستان اللتين

« مطلب »  
 تأسس مدينة  
 بابل ومدينة  
 نينوى

بالاقلام القديمة المصرية تنطق لسان حالها بتقديم مملكة مصر في درجة  
 التمدن ولكن لا يفصح لسان مقالها عن حقيقة الحوادث الداخلية التي  
 أوجبت هذه الرموز التصويرية ونهاية الحال ان ما هو منقوش عليها من  
 التاريخ لبنائها يفيد قوة ملك مصر الذي حصلت هذه المباني في ايام سلطنته  
 وان في ايامه كانت المعارف بالآلات والأدوات عجيبة وهذا كله يدل على  
 شوكة هذه الدولة وتقدمها في الصناعة والمهارة ويستفاد أيضا من هذه  
 الكتابات القديمة أن هذا الملك العظيم سار بجيش جرار عدة مرات الى  
 أقاصي الممالك وانتصر فيها النصرات العظيمة وفتح الفتوحات الجسيمة وبلغ  
 مناه وشفى غليله من عداه وزاد فخاراً على فخاره واتسعت دائرة علو قدره  
 واعتباره

وهذه الحروب كانت كما يفهم من النقوش والرسوم مع سلطان  
 عظيم صاحب شوكة قوية وارتفاع شأن معلوم وهو سلطان بابل العراق الذي  
 لا يوازيه في القوة والشوكة من ملوك ذلك العصر الا ملك مصر الذي كان  
 بينه وبين ذلك الملك الشقاق والوفاق فان في ذلك الزمن المعهود كان أشهر  
 مدن الدنيا مدينتين متسابقتين في ميدان الفخار ومتنافستين في كسب  
 الاعتبار وهما مصر وبابل

وقد دل أقدم التواريخ على انهـما كانتا دون غيرهما سلطنتين عظيمتين  
 ودولتين بالحدود متجاورتين تميزهما الحدود الطبيعية كالبحر المالح والنيل وان  
 غيرهما من الممالك ليس من هذا القبيل فكان لمصر مملكة الغرب مملكة بابل مملكة  
 الشرق مؤبدة وبين مملكتي الشرق والغرب تارة الصلح وتارة الحرب وجميع من  
 كان من الامراء والملوك له عنوان الملوكية والحكومة فانما كان بالنيابة والفرعية عن

١ مطلب  
 لمصر بين  
 مملكتي مصر  
 العراق القديم

اكتسبت قبل غيرها من الممالك في الازمان الخالية صفة الثروة والفنى  
وتقدمت في المنافع العمومية وتمكنت في منقبة التمدنية كما دلت عليه  
التواريخ فكان تمدنها تمدنا رفيعا متسع الدوائر فيما يخص الصنائع مستوفيا  
للفنى مستوعبا للمتانة وعلو المسكنة كما يشهد لذلك ما يوجد في صعيد مصر  
من المباني التي لم تزل قائمة على ساقها الى الآن فليس أعدل من شهادة مدينة  
طيوة ذات المائة باب فان في رسومها القديمة وآثارها الجسيمة ما يعجب منه  
أولو الألباب وقد توصل السواحون الى الوقوف على ما فيها تحت الارض  
من المدافن والقبور وقرأوا تاريخ بنائها الازلي فوجدوها قد مر عليها خمسة  
وعشرون قرنا قبل الميلاد ولم تغيرها العصور والدهور وقد استخرج في هذه  
الايام بالنش في معبد قديم بمملكة نابولي احدى ممالك ايطاليا ستة أعمدة  
من المصنوعات المصرية المنحوتة من الصوان الأحمر منها أربعة كبار طول  
العمود أربعة أمتار وثلاث متر وقطر محيطه اثنا عشر سنتيمتراً ويبلغ من  
ارتفاعها وتناسب سمكها وبريق لونها أن صنعها بهذه المثابة كان في عصر  
موجود به فن نحت الاحجار بمصر وان مصر اذ ذاك كان لها التقدم في  
هذه الصناعة من أحقاب خالية وأما العمودان الآخران فصغيران واسكل  
منهما قاعدة من نوع الطبخ المذهب واكليل غريب الشكل وقد بيعت هذه  
الإعمدة في باريس بأربعين الف فرنك في المزاد ولا شك ان استخراج  
هذه الأعمدة كان من محاجر مصر ونقلها الى بلاد الرومان ووضعها في  
معابدها القديمة ثم استخرجها الآن بعد مرور نحو الألف سنة وهى على  
حالة حسنة ومبيعا بهذا المبلغ يدل على كمال صناعتها وقوة مادتها فمثل هذه  
الاعمدة الغريبة والمباني العجيبة الحسنة النقش المختلفة الالوان البهجة المكتوبة

« مطلب »  
استكشاف اعمدة  
مصرية بمعبد  
قديم في نابولي



## الباب الثالث

في تطبيق أقسام المنافع العمومية في الأزمان الأولية على مصر الحمية وانها كانت  
من التمدن والتقدم بمكانة عليا وفيه فصول

### الفصل الاول

في تقدم مصر وغناها في عدة أزمان سابقة وأدوار متناشئة وحيازتها  
للمنافع العمومية بوجه اجمالى

المتبادر لآراء أرباب العقول الذكية ان أعظم البلاد الساحلية قابلية  
للتقدم في المنافع العمومية هو الديار المصرية وانه لم يتقدم على سواحل البحر  
الايض مثل بلاد مصر فيما يخص الزراعة والصناعة وانها كانت أشغلتها  
وعملياتها متقدمة تقدما عظيما وان حركة المنافع العمومية فيها كانت على غاية  
ما يمكن من النشاط والاتقان فان صعيدها الأعلى الذي هو الوجه القبلى مع  
اتساع أراضيه لا يبعد من النيل الا مسافة أميال أقليلها بالوجه البحرى  
يقسمها النيل الى عدة فروع وفى كلا الوجهين يمكن بمساعدة اليد الصناعية  
والعملية توصيل متاعها ومحصولها من بعض المدن الكبيرة الى بعض  
كما يمكن نقلها الى القرى والكفور من قرية الى أخرى ومن ضيعة الى أخرى  
أو الى مدينة وهكذا وهذا بأقل المصارف ويسير الكلفة برا وبحرا

ومن المعلوم أن نيل مصر واسع جداً يسهل فيه سير السفن في داخل  
البلاد بعضها مع بعض فالظاهر أنه أقوى سبب في كون الديار المصرية

يلحقك بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فرجع لوقته

ومع كثرة معارف السوريين واتساع تجارتهم برا وبحرا فكانوا عبدة أوثان واهل بدع وأوهام فمن بدعهم الفاسدة أنهم كانوا يقربون الآدميين قربانا لألهتهم وهذه العادة وان كانت بشعة في حد ذاتها وواقعة في كثير من أقاليم الارض عند الأمم المتبربرة الا انها أقبح عند السوريين لتمدنهم ويقال ان مملكة صيدا كانت دار ملك الفنيكيين يعني اهل السواحل الشامية ثم نشأت مدينة صور المذكورة وصارت عامرة جدا وهي التي كانت منبعا للمنافع العمومية وقد ذهب منها جماعة الى بلاد المغرب فأسسوا مدينة قرطاجنه وعمروها وجعلوها مملكة عظيمة قبل الميلاد ثمانمائة وتسعين سنة وسبب مهاجرة السوريين الى بلاد المغرب أنه كان في سواحل الشام على بلاد السوريين ملك ظلوم غشوم يسمى بناليون كان من الجبارين وكان له اخت تسمى ديدون متزوجة بأمر يقال له سيشه فقتله ذلك الملك لقصد سلب أمواله فجمعت ديدون ما عند زوجها من الاموال وجميع ما في خزانته وفرت الى أفريقيا بالمغرب وأسست هناك مدينة قرطاجنه فعمرت هذه المدينة حتى فاقت في الغنى والثروة والبطش والقوة مملكة السوريين وصارت بما بعد مقارنة لرومية دار سلطنة الرومانيين وفيما بعد اشتدت العداوة بين الملكتين كما تقدم ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب ثم انتهى أمر السوريين بعد العز والظنطنة أن صاروا رعايا للعجم اليونان والرومانيين الى ان صار فتح العرب بلادهم بالاسلام بفتح الشام وفه سلفنا في اثناء الكلام على السوريين بعض شي في حق تقدم العرب بما ناسب المقام

قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء المنيات  
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا مالا ينال بحد المشرفيات  
ومن قول الآخر

قوم اذا خافوا عداوة بينهم سفكوا الدماء بأسنة الاقلام  
ولضربة من كاتب بلسانه أمضى وانفذ من رقيق حسام

(مفرد في المعنى)

له يراع سعيد في قلبه ان خط خطا أطاعته المقادير  
وقال ابن المقفع الملوكة أحوج الى الكتاب من الكتاب الى الملوكة ومن فضل  
الكتابة أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلعه ولا يزاحمه الكاتب في  
سيفه ورسالة المفاخرة بين السيف والقلم مشهورة منها لابن الرومي في تفضيل  
القلم على السيف

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الامم  
فالوت والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجري به القلم  
ومن موجز البلاغات في المكاتبات ما كتبه يزيد بن عبد الملك الى مروان  
ابن محمد وقد بلغه تلك كونه عليه في بيعته اما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر  
أخرى فما تدري أيهما أحرى فاذا اتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت ويقرب  
منه ما كتبه بعض الملوكة الى قرا ارسلان وقد بغى عليه الذي نعلم به قر  
ارسلان انا نحن نزلنا بغداد صباحا فساء صباح المنذرين فأمرنا أهلها بالدخول  
تحت طاعتنا والخروج عن معصيتنا فابوا فحق عليها القول فدمرناها تدمير  
فان كنت ممن يدخل تحت طاعتنا ويخرج عن معصيتنا فروح وريحان وجه  
نعيم وان كنت الا كالحافر لقتله بظلفه والجادع لما رن أنفه بكفه فسوف

« مطلب »  
المفاخرة بين  
السيف والقلم

كانت هذه الحروف الصورية من وضع البشر فالأفعال كلها لله والله خلقكم  
وما تعملون وعلى كل حال فهي آثار نافعة

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

(وقال آخر)

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار  
وهذا القول ينبغي أن يكون بالنسبة لحروف الهجاء التي تأسس عليها  
خط أمم أوروبا والا فالكتابة قديمة بدليل صحف شيث ونحوها بل هي  
داخلية في تعليم آدم الأسماء ومما يدل على ذلك الحروف الأبجدية التي لها  
خواص واسرار الهية فلا شك في قدمها وانها ليست من محض وضع البشر  
فان هذا لا يسامه العقل السليم وعلى كل حال فان كانت الكتابة المخصوصة  
من اختراع الصوريين وانهم أول من كتب بالقلم في بلادهم وبين أممهم  
وانتقل منهم الى اليونان فلهم فضل لا ينكر فان الكتابة في حد ذاتها من  
لفضائل الأولية وفضل الكتاب دائماً متداول على السنة ذوي الالباب قالوا  
لكتاب سياسة الملك وعماده واركان السلطان وأطواره باقلامهم تبسط  
لارزاق وتبيض الآمال وبها تصان المعامل اذا عجزت عن صونها الرجال  
قالوا الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء كيف يشاء وقالوا لو ان في  
صناعات صنعة مربوبة لسكانت الكتابة رباً لكل صناعة وقالوا الكتاب  
طب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة  
مقل وبالكتابة والكتاب قامت الرياسة والسياسة واليهم التي تدير الأعنة  
الأزمة وعليهم يعتمدون في حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال وما  
سحوا باحسن من قول القائل

• • • طالب •  
في ان الكتابة  
من الفضائل  
الاولية

بهذه السياحة العظيمة وهي مشروع جسيم في الاعانة على المنافع العمومية  
لا يخطر الا بخاطر دولة متمدنة محبة للتقدم العجيب ودولة مأمورة ذات  
ملاحاة وسياحة بحرية ذات سفن عظيمة تقتحم اخطار البحار  
وتبحث عن المنافع العامة في شاسع الاقطار وكل يدل على ان هاتين  
الدولتين كان عندهما في تقديم المنافع اعمال الافكار ان في ذلك لعبرة  
لاولى الابصار

« مطلب »

ان الصوريين  
هم اول من  
استكشف  
لصبغة باللون  
الاحمر  
الارجواني

ثم ان الصوريين هم اول من استكشف الصبغة باللون الاحمر  
الارجواني الذي كانت تتخذ الامراء من مصنوعات الحلل والثياب والمضارب  
والقباب وكان استخراجهم لهذا اللون المجهول عندهم من الصدف  
والاتفاق وذلك ان بعض رعاتهم رأى كلبا جائعا كسر محارة من صدف  
البحر فاكلها فتلون حنكه باللون الاحمر الأرجواني فاعجبهم ذلك اللون  
البهيج فاستخرجوا من المحار هذه الصبغة وصبفوا بها الاقشة حتي اتقنوا  
صبغتها فصار هذا اللون بعد مدة زينة للملوك في ذلك العهد لا سيما للملوك  
مصر وكثيرا ما تكون الاتفاقيات سببا في اختراع الصنائع وتكثير المنافع  
ومن جملة ما اخترعه الصوريون مما أورثهم الشهرة فن الكتابة حيث  
اخترعوا حروف الهجاء المستخرج منها الحروف الافرنكية

« مطلب »

ان اول من  
تلى حروف  
لهجاء من  
الصوريين  
اليونان

واول من نقل حروف الهجاء من الصوريين اليونان ومن كتابة  
اليونان القديمة استخرج اللاتينيون حروفهم الهجائية ومنهم استخرج  
جميع اهالي اوروبا حروفهم فهذه الحروف القليلة وصلت اللى معرفة  
العلوم فكانت آلات لجمعها فبقي في الحقيقة تعد من مآثر الصوريين وهذا  
اما الهام رباني لبعض أنبيائهم على ان الواضع هو الله سبحانه وتعالى فان



ومن اخبار حب الوطن وانبائه من اهل الشام لاسيما للانبياء عليهم  
 الصلاة والسلام أن يوسف عليه السلام وصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه  
 ومما يؤثر عن الصوريين ما ذكره المؤرخون أن الملك نخوس بن أبسميتكوس  
 أمر جماعة من الصوريين البحريين ان يكشفوا له حدود افريقية بأسرهم فاساروا  
 من بحر القلزم ثلاث سنين حتى طافوا حول افريقية واستكشفوا أطرافها  
 وعادوا في آخر السنة الثالثة من البحر الابيض الشامي ودخلوا مصر من  
 مصب النيل وكان ذلك قبل ميلاد عيسى بنحو ثمانية قرون وهو من اعجب  
 ما وقع من الصوريين حيث استكشفوا سواحل افريقية ولا بد أنهم مروا برأس  
 عشم الخير خصوصا في زمان كان سير السفن فيه في وسط تلك البحار يكاد  
 أن يكون مستحيلا مع انه لم يستكشفه البرتغاليون الا في آخر القرن التاسع  
 من الهجرة وسموه رأس عشم الخير تفاؤلا والا فهو رأس التلايح ومع  
 استكشافهم له فلم يروا عليه في سياحاتهم البحرية الا بعد خمس  
 عشرة سنة

ولما أرسل البرتغاليون أناسا من أهاليهم في هذا الاقليم للاقامة به ولا دخاله  
 في أملاكهم الخارجية أخذه منهم الانكليز واستولوا عليه فمن ذلك الوقت  
 صار هذا الاقليم نافعا للانكليز في سلوك طريق الهند ذهابا وايابا واهله ما بين  
 سود وبيض على التناصف في قبضة الانكليز فقد أسسوا على هذا الرأس  
 مدينة انكليزية تسمى مدينة الكاب وهي أبعد مدينة افريقية جهة الجنوب  
 ترسي عليها جميع السفن الذاهبة الى الهند والحاضرة منه

ومن سياحة الصوريين في افريقية بأمر ملك مصر يستنتج نتيجتان  
 عظيمتان يستدل منهما على تقدم دولتين عظيمتين وهما دولة مصر الآمرة

له الحق في اولوية الانتفاع به وانما دولة الصوريين كانت في تلك الازمان  
ملكه البحار خبيرة بالممالك والممالك فكانت مستحوذة بالفعل على التجارات  
وكان غيرها من الأمم اذذاك معرفتهم بممالك البحر قليلة جدا فكانوا  
يحرصون على أن لا يدلوا احدا عليها

فقد حكى بعض المؤرخين ان الصوريين كانوا يسافرون الى جزائر بحر  
الانكليز السمائة جزائر القزدير لاستخراج معادن القزدير والرخاص منها وان احد  
الصوريين ذهب في سفرة الى تلك الجزائر القزديرية التي لم تكن معلومة الا  
للصوريين دون غيرهم فلمح ان وراء سفينته سفينة أخرى رومانية ترود هذه  
السكة وتعرفها فاخترار الصوري ان يقذف سفينته على رصيف هناك لتفرق ويهلك  
اهلها وتفرق السفينة الأخرى بجانبها ففعل ذلك حتى لا تقف السفينة الاجنبية  
أثره فأتلف سفينة نفسه وغيره واجتهد في ان ينجو بنفسه فنجوا وذهب الى  
اهل صور في نحو قطيرة فكافؤوه على ذلك مكافأة عظيمة وجبروا خسارته  
وأغدقوا عليه بالانعام واكرموا غاية الاكرام جزاء لما صنعه لمصلحة الوطن  
الصوري فبعد ان كان لسان حاله ينشد بحسرة

اذا نحن أبنا سالمين بأنفس كرام رجت أمر انخاب رجاؤها  
فأنفسنا خير الغنائم انها تئوب وفيها ماؤها وحيائها

عاد ينشد بحسرة

كم فرجة مطوية لك بين أبناء النواب  
ومسرة قد اقبلت من حيث تنتظر المصائب

فكان اهالي السواحل الشامية لهم في الوطن محبة مستولية على الطباع  
مستدعية لشدة الحرص على ثروته وشفاء الاطماع

ان المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق بتوفيقها على الوقت والحال مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من ولاية الامور المستيقظين ولكل مجتهد نصيب لا سيما في هذه الازمان التي تكاملت فيها الاسباب وتطبقت على المسببات فستان بين هذا العهد وعهد الصوريين الذين زالوا في التجارة الاخطار وركوب البحار فافتحموا المشاق في تلك الازمان فالتسعت تجارتهم على وجه عجيب حتى عمرت بلادهم بالمنافع العمومية بل خرج منها قبائل عمرت جزيرتي قبرس ورودرس وجزيرتي صقلية وسرديا ووصلوا أيضا الى بلاد الاندلس بل دخلوا البحر المحيط الغربي فصارت مدينة قادس مركز تجارتهم وكانوا يستخرجون من مملكة اسبانيا المكاسب العظيمة والمغانم الجسيمة لكثرة معادنها فلما اغراضهم بمنافع بحري العرب والعجم حتى انفردوا في تلك الأعصر بفوائد التجارات وكانوا مختصين بمنافع البحرين المذكورين يمنعون من سواهم من اجراء التجارة فيهما كما انفرد أهل الهند زمنا طويلا بالانتفاع بهما وبجلب منافع الهند النفيسة الى سواحل بلاد العرب ولما كثرت عند الصوريين الفضة واستنقلوا حملها في بعض الاسفار اتخذوا امنها هلوبا لسفنهم بدلا عن الرصاص ليكون حملها في السفن لمنفعتين وبالجملة فبكثرة الاسفار والتجارات انتفعوا بمنافع غيرهم ونفائسهم وكانوا يبالغون في كتم اسفارهم البحرية وعدم تعريف الطرق والمسالك مخافة أن يراحمهم غيرهم في اكتساب هذه المنافع فكانوا دائما يجتهدون في ان وطنهم يختص بالتجارة والملاحه ويجعلون ذلك من الحقوق الخصوصية والمزايا الاحتكارية التي لا رخصة فيها للاغراب وليس هذا التحكير كان خاصا بدولة الصوريين بل كان اصلا لجميع الدول السالفة كل فيما يخصه ويظن ان

والافرنج عادت التجارة بين الطرفين على حالها ومن المعلوم أن التجارة في أيام  
الخلفاء أعلت أحوال الصنائع كلها عند العرب وصار جلب المصنوعات العربية  
من مصانعها الى اطراف الدنيا جميعها

ومن المصنوعات النفيسة التي سبقت بها العرب غيرهم صناعات الساعات  
كالساعة التي اهداها الرشيد الى كرلوس الاكبر ملك الافرنج فكانت اذ  
ذلك من نوادر العصر وأما المصنوعات النفيسة المكمل للصناعة المخترعة للعرب  
فقد بقيت شهرتها الى الآن كالأقمشة الموصولة والسيوف الدمشقية وهذا  
غير اختراع ما لا يحصى من العلوم والفنون ثم كبا بهم جواد الاختراعات  
وخبا منهم زناد الابتداعات وصاروا كما قيل

رب قوم رتعوا في نعمة      زمنا والعيش ريان غدق  
سكت الدهر زمانا عنهم      ثم ابكاهم دما حين نطق

ومن امعن النظر في كتب الفقه الاسلامية ظهر له أنها لا تخلو من  
تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية حيث بوبوا للمعاملات الشرعية  
أبوابا مستوعبة للاحكام التجارية كالشركة والمضاربة والقرض والمخاربة  
والعارية والصلح وغير ذلك ولا شك أن قوانين المعاملات الاورباوية  
استنبطت منها كالسفةتجة التي عليها مبنى معاملات أوربا ولم تزل كتب الاحكام  
الشرعية الى الآن تتلى وتطبق على الحوادث والنوازل علما لا عملا كما ينبغي  
وانما مخالطات تجار الغرب ومعاملتهم مع اهل الشرق انعشت نوعا هم  
هؤلاء المشاركة وجددت فيهم وازع الحركة التجارية وترتب على ذلك نوع  
انتظام حيث ترتب الآن في المدن الاسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل  
الدعوى والمرافعات بين الاهالى والاجانب بقوانين في الغالب اوربية مع

مطلب  
صناعة  
اعات المصنوعة  
يسة التي سبق  
العرب غيرهم

مطلب  
شتمال كتب  
نه الاسلامه  
بعض المنافع  
العمومية

مطلب

ان اختراع

العرب لبیت

الابرة من المناف

العموية المتأخر

التي لا يعرفها

المقدمون

بأنفتوحات على ممالك الدنيا برا وبحراً تأهلوا لقبول التمدن الذي كانت آثاره  
لم تزل موجودة في الدنيا عقب انقراض دولة الروم فتصدوا للأسفار البحرية  
واظهروا الحروب وفازوا بظفر الفتوح وكانوا كالرومانيين في مبدأ امرهم  
فركبوا السفن وجندوا الجنود وشنوا الغارات واستداموا في الازمان  
والاماكن على تجشم الاخطار واقتحام البحار للتمتع بالتجارة واخترعوا بيت  
الابرة التي أعانت على الاسفار فكانت تجارتهم في القرن الثالث في الاقطار  
المشرقية تنمو وتزيد في البحر المتوسط وقد لاحت أعلام الخلفاء على بحر الهند  
فتصدى تجار العرب للتجارة في جميع البلاد فامتدت تجارتهم الى جبل الطارق  
ومثلهم تجار الفرس وجسمت معاملتهم التجارية في الهند والصين وصار لهم  
مراكز تجارية في تلك الاقاليم حتى ان من العرب من أقام في جزيرة سيلان  
وفي المدن الهندية والصينية وانتشروا في اماكن عديدة وفي عهد الدولة  
العباسية تهذبت العلوم وحسن التمدن وأسست القصبات الجديدة على نهر  
الدجلة وانتظم امر التجارة وصارت المراكب الغربية الخفيفة تجول في البلدان  
وتسير الى جزائر الهند وبوغاز ملقة فكانت تجارتهم في كل جهة وكل مكان  
وكانت المراكب الكبيرة تتوجه الى جهة سيراف في بحر العجم وكثرت  
السياحات العربية في سائر البلاد البرية فارتفع شأن التجارة عند العرب حتى  
كانت أعظم شيء يشتغل به في اصلاح المعاش وتأسيس في أمور التجارة  
أصول في ايام الخلافة المشرقية والمغربية وعقدت المعاهدات مع الدول  
الاجنبية الاورباوية في شأن الملاحة ببلادهم لحسن استقامة اهل الاسلام في  
المدن الاجنبية لاسيما مع الممالك التي على البحر واستمر الامر على ذلك حتى حصل  
حرب أهل الصليب فاضعف ذلك فلما انتهت الحروب الجسيمة بين الاسلام



مع ان السفر كما في الحديث النبوي قطعة من العذاب الا أن البركات مع الحركات  
وفي التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا قال الشاعر

بلاد الله واسعة الفضاء ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوان اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

قال الامام الشافعي رضي الله عنه

تقرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر في الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

ولم يكن لهم دليل في البحر الانجمة القطب لان البصلة التي هي بيت الابرة  
لم تكن تعرف عند الاقدمين وانما صار استكشافها في العصر الجديدة يعني  
في آخر القرن السابع من الهجرة استكشف صناعتها وخاصيتها العرب فهي  
من اختراعاتهم المفيدة لعموم الناس وليست من اختراعات الافرنج ولا اطلع  
عليها العرب عند أهل الصين اذ كانت عندهم معلومة من أزمان قديمة وهي  
حق مشتمل على ابرة مسقية بالمغناطيس تتجه دائما صوب الشمال يهتدي بها  
الملاحون صوب مقصودهم كما يهتدون بالنجم الذي أنعم الله به على عباده قال  
تعالى وبالنجم هم يهتدون بعد قوله وهو الذي سخر البحر الى آخره والاهتداء  
بالنجم الذي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش عام في البر والبحر ولو انه ذكر  
بمعرض البحر وكما يهتدى المسافر بالنجم في البحر والبر في الاسفار يهتدي  
به أيضا في بحري القبله اذا عميت عليه وكذلك بيت الابرة مما تحرر به القبله  
فاختراع العرب للبصلة من المنافع العمومية المتأخرة التي كان لا يعرفها  
المتقدمون ومع ذلك فاهتدوا كغيرهم بالنجم ووصلوا الى الاقطار القاصية  
كالصوريين الذين نحن بصددهم وذلك انه لما ظهر الاسلام واستولى العرب

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيا لها اسفارا الهامة  
أسفرت عن اسفار التوراة التي بينت للناس جميع التواريخ من ايام الخليفة  
الى زمن موسى كما بينت لامته الاحكام والشرائع وبشرت برسالة خاتم الانبياء  
والمرسلين فلا شك انه قدر تب عليها مالا يحصى ولا يحصر من المنافع مما كانت  
البلاد الشامية له من أعظم المنافع

## الفصل الرابع

في ان الصوريين وهم أهل سواحل بر الشام قدموا في سالف الازمان  
التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع

أهل سواحل الشام في القديم والحديث هم أغنى أهل بلاد سورية  
وكانوا يسمون في قديم الزمان الفنيقيين وكانوا على سواحل البحر الابيض  
الشمالي وكانت اعظم مدنها مدينة صور التي كانت تسمى في سالف الازمان  
ملكة البحار ويلها مدينة صيدا في شمالها ثم مدينة بيروت ولكون أرض  
السواحل كانت عقيمة لا يخرج منها ما يكفي لمعيشة سكانها اضطروا الى تعليم  
الصنائع النافعة لان الضرورة هي الاصل الاصيل لاستفادة المعارف فقد  
استفادوا بامعان افكارهم وتكرار تجاربهم ووقوع أمور اتفاقية بالمصادفة  
معرفة كثير من المنافع انضمت الى الصنائع

وقد عرفوا من الازمنة الخالية ان ركوب البحر يوصلهم الى التجارات  
واعانهم على ذلك كونهم سواحلية وبمجاورة جبل لبنان الكثير الغابات والاشجار  
فاستعملوا ركوب البحر المالح مع ما يهدون فيه من الأخطار بلوغ الأوطار

مطلب  
: الشفقة على  
خلق الله

وقد ورد انه لما رعى الغنم لم يضرب واحدة منهم بعصاه انما كان  
يهش بها فقط وكان لا يجمعها ولا يؤذيها بمطش وجاء مرة الى نهر ليسقيها فوجد  
فيها شاة عرجاء لا تقدر على الوصول الى الماء فحملها ونزل بها فسقاها  
فلما رأى الحق منه قوة شفقه على غنمه بعثه نبيا وكليما راعيا لبني اسرائيل  
وناجاه بالتوراة وغيرها كما يأتي فمن رحم رعيته وشفق عليهم اصطفاه من بين  
الخلق ومن لم يكن عنده شفقة ورحمة على خلق الله لا يرقى المراقي العلية المسعدة  
ولما اراد موسى الانصراف بكى شعيب وقال يا موسى اني قد كبرت  
وضعفت فلا تضيعني مع كبر سني وكثرة حسادي اترك غنمي شاردة لا راعي  
لها قال موسى انها لا تحتاج الى راع وقد طالت غيبتني عن اهلي فقال شعيب  
اني اكره ان امنعك وأوصاه على ابنته وأوصاها أن لا تخالنه وسار موسى  
عليه السلام بأهله يريد مصر حتى بلغ جانب وادي طوى في عشية شديدة  
البرد فأنزل موسى أهله وضرب خيمته على حافة الوادي وادخل أهله فيها  
وهطلت السماء بالمطر وكانت امرأته حاملا فجاءها الطاق فجمع حطباً وقدح الزناد  
فلم يورفرماه وخرج من الخيمة فرأى نارا فقال لا هله امكثوا اني آتست نارا  
لعل آتيكم منها بنجر أو جزوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من  
شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني انا الله  
رب العالمين وأمره بخلع نعليه بقوله تعالى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك  
فالخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحي اني  
انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى الآية فاكسب موسى عليه  
السلام النبوة في العود الى مصر كما اكتسب الزوجة الصالحة في الورود منها  
الى مدين فمن الله سبحانه وتعالى عليه في الاسفار بمراتب الاخيار والابرار

وعهدت فيه الامانة حيث أخرها الى خلفه في السير معها يا أبت استأجره  
ان خير من استأجرت القوي الأمين فرغب فيه شعيب فكانت ابنته من  
أفرس الناس حين تفرست الامانة في سيدنا موسى عليه السلام قال شعيب  
اني أريد ان أنكحك احدي ابنتي هاتين على ان تأجرني ثمانى حجج يعني  
على ان تكون لي أجيرا ترى لي ثمانى سنين فان أتممت عشرا فمن عندك  
وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني  
وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل

فتزوج موسى صغراً وهي الصغرى منها وطالب عصا فقال له ادخل  
بيتي أي الذي يأوي فيه نخذ عصاك وكان فيها عصى كثيرة فدخل موسى  
البيت وأخذ من العصى عصا حمراء فقال له شعيب هذه عصا الانبياء انتقلت  
من آدم الى شيث ومنه الى ادريس والى نوح وهود وصالح وابراهيم  
واسماعيل واسحق ويعقوب وكلهم توكأ عليها فلا تخرجها من يدك ثم  
أوصاه وحذره من أهل مدين وقال انهم قوم حسدة واذا رأوك قد كفيتني  
أمر غنمي حسدوني عليك فدلوك على وادي كذا وكذا وهو كثير المرعى  
وانما فيه حية عظيمة تبتلع الغنم فان دلوك عليه فلا تمر به فاني اخاف عليك  
وعلى غنمي فخرج موسى بالغنم وكانت يومئذ اربعين رأسا وقال في نفسه  
ان من أعظم الجهاد قتل هذه الحية وتوجه بالغنم الى ذلك الوادي كلما قاربه  
اقبلت الحية الى الغنم فقتلها موسى ورعى غنمه الى آخر النهار وعاد الى شعيب  
واعلمه الخبر ففرح بقتلها وفرح اهل مدين وعظموا موسى وأجلوه وقام موسى  
بغنم شعيب يرعاها ويسقيها حتى انقضت المدة التي بينهما وبلغت الغنم  
أربعمائة رأس وعزم موسى على السير

« مطلب »  
تزوج موسى  
ببنة شعيب

بجاءته احداهما تمشي على استحياء أي مستحية قد استترت بكم قيصهما  
 ماشية على بعد مائة عن الرجال قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت  
 لنا وذلك ان البنين لما رجعا الى أبيهما قبل الناس قال ما أعجلكما قالا وجدنا  
 رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقد فهمتا من حاله انه سقى أغنامهما تقربا الى الله  
 تعالى فوصفتاه بالصلاح فقال شعيب لاحداهما اذهبي فادعيه لي فأرسلها  
 شعيب الى موسى مع انها شابة وهو شاب لانه عليه السلام كان قد علم  
 بالوحي أو من حسن التربية طهارتها وبرائها فكان يعتمد عليها فذهب معها  
 موسى عليه السلام مع الاحتياط والتورع وامثل دعوة أبيها للتبرك بروية  
 ذلك الشيخ لا طلبا للاجرة وروي انها لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت  
 لنا كره ذلك

ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بدينانا ولا  
 نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من  
 ينزل بنا فجلس موسى عليه السلام فاكل بعد أن قص عليه قصته فذكر  
 نسبه الى يعقوب وحكى جميع أمره من لدن ولادته وأمر القبائل والمراضع  
 والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فذلك قال الله تعالى  
 فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي لا  
 سلطان لفرعون بأرضنا فلسنا في مملكته فقد أسكن روع موسى عليه السلام  
 وان كان فرعون لقوته وبطشه وكثرة جنوده يمكنه أن يتسلط على أرض  
 مدين اذا قصد ذلك الا ان شعيبا يعلم انه لا سبيل لفرعون على هذه  
 الارض وان الله سبحانه وتعالى عماء عنها وحماها منه فقالت ابنته الصغيرة  
 وكانت آتست منه القوة برفع الحجر عن رأس البئر واستسقائه بالدلو العظيم

« مطلب »  
 اجتماع موسى  
 بشعيب وما  
 جرى بينهما



يذودان أي تحبسان أغنامهما لان على الماء من كان أقوى منهما فلا تتمسكان  
من السقي مع كراهة المزاحمة على الماء وخوف اختلاط اغنامهما بأغنام غيرها  
مع التحفظ أيضا بالاختلاط بالرجال فقال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى  
بصدر الرعاء أي ننظر ما يبقى من القوم من الماء بعد صدورهم عنه وانصرفهم  
وقوله وأبونا شيخ كبير كناية عن الضعف ودلالة على انه لو كان قويا  
لحضر ولو حضر لم يتأخر السقي فعند ذلك سقى لهما موسى قبل صدور الرعاء  
وعادتا الى أبيهما قبل الوقت المعتاد وكان قد سأل عليه السلام القوم أن  
يسمحوا فسمحوا

وقيل ان القوم لما زاحمهم موسى عليه السلام تعمدوا القاء حجر عظيم  
لا يقله ولا يرفعه الا جماعة كثيرون على رأس البئر فرفعه بالقوة على ضعفه  
من الجوع وسقى غنمهما قال الله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل لانه سقى  
لهما في الشمس والحر وفيه دلالة على كمال قوة موسى عليه السلام وعلى ان  
حوال أهل البادية غير احوال اهل الحضر يعني ان ما يعد عيبا في الحضر  
قد لا يعد عيبا في البادية فلهذا ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه بسقى  
لماشية بدون ان يقدح ذلك في حقه بشيء حيث لا مفسدة في ذلك لان  
الدين لا يأباه في البدو ولا في الحضر ومروءة أهل البدو لا تأباه لا سيما  
ذا كانت الحالة حالة ضرورة لان الظاهر انه لم يكن لشعيب عليه السلام  
معين سواهما

ولما كان موسى عليه السلام قد مكث مدة الطريق لم يذق طعاما الا  
قل الارض قال رب اني لما أنزلت الى من خير فقير أي اني لاى شيء  
نزلت الي من خير قليل او كثير غث او سمين لفقير أي سائل وطالب

ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى مكة وخبر خديجة بربح التجارة فسرت بذلك وكان صلى الله عليه وسلم قد ظهرت منه خوارق عادات ارهاصاً للنبوة كتظليل الغمامة فأخبرها ميسرة بهذه العجائب وبما قال نسطورا الراهب فاضغفت له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمت له وكانت رضي الله عنها امرأة عاقلة شريفة في قومها مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وكانت كثيرة المال فكان رجال قومها يحرضون على زواجها ولكن شرفها الله تعالى بزواج أشرف العالمين عقب التجارة الرابعة

فما احسن الاسفار التي افادت المال وعادت على العامل وصاحب رأس المال بتحسين الأحوال ونتج عنها نتائج جليلة أعقبت أهل البيت الطاهرين أبناء فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى سيدة نساء العالمين وهي أول من آمن به على الاطلاق ويقال انه صلى الله عليه وسلم سافر لخديجة قبل هذه السفرة سفرتين الى اليمن وثبت أيضاً انه أجر نفسه قبل النبوة لرعى الغنم وكذا ثبت في حق غيره من الانبياء كهوسى قيل ان حكمة ذلك ان راعى الغنم التي هي أضعف البهائم يسكن في قلبه الرقة والالطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب قبل ذلك وأمارعي موسى عليه السلام لشعيب فانه حصل أيضاً عقب السفر من مدينة عين شمس بمصر الى مدين حين قتل القبطي ونصر الاسرائيلي وهم أهل مصر بقتله فقال له مؤمن آل فرعون ان الملائم يا تمرؤن بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج يطلب بلاد مدين بدون زاد ولا راحلة وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له في طريقه طعام الا ورق الشجر حتى ورد ماء مدين فكان ما قال الله تعالى في كتابه ولم ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين

« مطلب »  
الحكمة في رعي  
الانبياء للغنم  
قبل النبوة

« مطلب »  
سفر موسى عليه  
السلام الى مدين

وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشام في تجارته خديجة رضي الله عنها بتجارة الى مدينة بصرى باقليم حوران وسبب ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ خمساً وعشرين سنة قال له عمه ابو طالب ليرشده الى التجارة والكسب أنا رجل كثير العيال قليل المال وقد اشتد الزمان وهذه عير قومك تخرج الى الشام للتجارة وقد حضر أوانها وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في تجارتها فلو ذهبت اليها وقلت لها في ذلك لعلها تقبل فبلغ خديجة ذلك فأرسلت اليه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن وقالت له أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك لأنك الحبيب القريب فقال له أبو طالب هذا رزق ساقه الله اليك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارة خديجة رضي الله تعالى عنها وارفقت معه غلامها ميسرة ليعينه فساروا حتى دخلوا الشام فزلوا ببصرة عند صومعة بحيرا الراهب التي بجانب المدينة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل تحت شجرة رعرعت بنزوله تحتها فخرج من الصومعة نسطورا الراهب وبيده صحيفة ينظر فيها مرة وينظر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فاجتمع عليه القوم فقال لهم يا قوم فوالذي رفع السماء بغير عمد ما نزل بي ركب هو أحب الى منكم وأنا لأجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول الله رب العالمين وخاتم النبيين من اطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني لأرى فيك شيئاً ما رأيته في أحد من الناس اني لأحسبك النبي الذي يخرج من تهامة ثم باع النبي صلى الله عليه وسلم تجارته وربح ضعف ما كانوا يربحون

تُصدّق لقوله تعالى انامن المجرمين منتقمون فأرسل عليهم للانتقام منهم  
سيلا غرق اموالهم وخرب دورهم فهذا كله ظاهر الدلالة على غنى اليمن وثروة  
أهاليها ورفاهيتهم وتنعمهم في زمن سيدنا سليمان عليه السلام وتقديمهم في  
الزراعة والتجارة والعمارة

وفي سنة ستين ومائتين والـف من الهجرة استكشف من أرسل  
من طرف الحكومة المصرية محل مدينة سبا المسماة مأرب ووجد رسومها  
وأطلالها بالحفر فوجد ما يدل على عظمها ثم قال تعالى وجعلنا بينهم وبين  
القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة الى ان قال تعالى فجعلناهم أحاديث  
ومزقناهم كل ممزق المراد بالقرى المبارك فيها قرى الشام فانها هي البقعة  
المباركة ومعنى فجعلناهم أحاديث أى فعلنا بهم ما جعلناهم به مثالا يقال تفرقوا  
أيدي سبا وعلى ذكر قرى الشام ناسب ان نذكر هنا أهل سورية وهم اهل  
الشام في قديم الزمان حيث سبقوا كثيرا من الامم في المنافع العمومية وفي  
الاسفار البحرية والامة التي اشتهرت منهم بذلك هي أهل صور وصيدا  
وبيروت فكانوا يسمون بالفنيكيين وسيأتي بيانهم في الفصل الرابع ومن  
اشتهر أيضا بالاسفار البحرية الهنود

«مطلب»  
استكشف  
الحكومة  
لعربية لمدينة سبا

وأما العرب فانما كانوا يشتغلون بالتجارة في البر بالأخذ  
والعطاء مع اهل الشام او مع اهل اليمن فيما كانت تأتي به أهل سواحل  
الشام او الهنود من بلادهم فكانوا ينقلونه من البر الى جميع مواطنهم  
او ينقلون بضائع مواطنهم الى تلك البلاد للمعاوضات الى أن ظهر  
الاسلام واستولى على البحور والبرور فتغيرت احوال التريقات في العلوم  
والمعارف

الاسلام فكيف وهم الذين فتحوا بلاد الدنيا وأعزوها بالاسلام ومدنوها بالعلوم وان اتسع فيها غيرهم فلا بأس من كونهم بواسطة النظمات الملوكية العامة يقتبسون معارف الأعصر الجديدة ويزيدون عليها فصيت نعمات العرب قديما قد بقيت خلدة الذكر في جميع تواريخ أهل الدنيا لاسيا  
 اهل اليمن

وقد أظنب المؤرخون في عظم مدينة سبا التي تسمى مأرب وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام فهي بين مملكة اليمن ومملكة المسكت وبسطوا الكلام على ما كانت عليه من الثروة والغنى وكثرة الخيرات المعدنية والنباتية وأن ملكها آل الى بلقيس التي قال الله تعالى في حقها ولها عرش عظيم قال تعالى في حق أهل سبا لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور قال المفسرون المراد بالجتين جماعتان من الجنان ولا اتصال بعضها ببعض جعلها جنة وقوله تعالى كلوا من رزق ربكم إشارة الى تكميل النعم عليهم وقوله واشكروا له بيان أيضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعبرة ثم لما بين تعالى حالهم في مسكنهم وبساتينهم واكملهم أتم بيان النعمة حيث بين انه لا غائلة عليهم ولا تبعة في الدنيا فقال بلدة طيبة أي طاهرة عن المؤذيات ثم قال ورب غفور يعني ان نعمتهم كاملة حيث كانت لذة خالية عن العقوبات الأخروية فلا يترتب على تعاطيها عقاب من جانبه تعالى

وأما ما كان من جانبهم فقد بينه تعالى بقوله فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم الآية فبين سبحانه وتعالى انه انتقم منهم بظالمهم بالأعراض



في قصيدة مطلعها \* سمالك شوق بهد ما كان اقصر ا \* يقول فيها

تقطع أسباب الببابة والهووى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

فكان كلامه فألا على نفسه حيث مات بقرب أنقره ودفن في سفح جبل

يقال له عسيب وقد أُلشد فيه حال مرضه يخاطب حماة فقال

أجارتنا ان الهموم تنوب وأنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا مقيمان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وقد ثبت بالعقل والنقل تواترا ان العرب اكثر الامم شجاعة

ومروءة وشهامة ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتميزا للمعاني جمعا وفرقا يجمع

المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اذا شاء المتكلم الجمع والتميز بين كل

لفظتين مشتبهتين بلفظ آخر مختصر الى غير ذلك وهذا من خصائص

اللسان العربي فالعقل قاض بفضل العرب ولو انهم كانوا قبل الاسلام لا

يشغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب والمنطق ونحو ذلك

وانما كان علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب وما حفظوه من

أنسابهم وأيامهم من التواريخ أو ما احتاجوا اليه في دنياهم ومعاشهم من

الأنواء او النجوم او الحروب فلما جاء الاسلام ونقاهم من حالة الجاهلية التي

احاطت بهم زالت الريون عن قلوبهم واستنار باطنهم بقطرة جديدة وفطنة

نيرة سعيدة فاجتمع لهم الكمال التام والخير العام بالقوة المتجددة فيهم

ودرجة الفضل العظيم فذلك كان بقاؤهم نورا في الاسلام وفناؤهم فساد فيه

(وقد روي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زلت العرب زل

« مطلب »

نبوت فضل  
رب على غيرهم  
تواتر في أغلب  
لحصال الجمدة

« مطلب »

الكلام على  
مدينة سبا وما  
يتملق بها

من شرط السفر المؤانسة والألفة لان السفر أحوج الى مكارم الاخلاق  
من الإقامة

ثم لما كان هذا الايلاف انعاما من الله تعالى عليهم وانه يستحق ان  
يقابل بالشكر والعبودية أتبعه سبحانه وتعالى بطلب العبودية فقال فليعبدوا رب  
هذا البيت ومعنى فليعبدوا أى فليتذلوا ويخضعوا للمعبود على غاية ما يكون  
ليشمل التوحيد والعبادات المتعلقة بالجوارح والمعنى ليتركوا ما هم عليه من  
عبادة الأوثان ويعبدوا رب هذا البيت أى الحرم وهو الله سبحانه وتعالى  
وقوله الذى أطعمهم من جوع أى رزقهم بالطعام فى السفر والمقام وقوله وآمنهم  
من خوف أى حماهم حيث جعلهم اهل حرم آمن فكانوا يسافرون آمنين  
لا يتعرض لهم أحد ولا يغير عليهم احد لا فى سفرهم ولا فى حضرهم كما يشير  
اليه قوله تعالى اولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا وقد اطعم الله تعالى قريشا وآمنهم  
انعاما منه تعالى واجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام فى قوله رب اجعل هذا  
البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات فكانت رحلة الشتاء والصيف بها ميرتهم  
ومعيشتهم وثروتهم هذا ما يتعلق بقريش

واما العرب على الاطلاق فكانوا من الازمان القديمة يسبحون فى  
الارض سوقة وملوكا حتى بلغوا اقصى المغرب وبلغوا من حدود المشرق  
سمرقند وبلغوا باب الابواب ودخلوا بلاد الهند ولكن كانوا يغيرون على  
غير بلادهم ولم يستقروا فيها حتى يصيروا ملوكها بل فى الغالب كان يقتصر على  
ملك أبيه واذا غلبه عليه غيره رحل الى البلاد البعيدة ليستنجد على خصمه  
بملك اجنبى ذى قوة وبأس كما وقع لامرئ القيس الكندى حيث ذهب الى  
قيصر الروم ليستنجد به ومر فى مسيره اليه على حماة وشيزر كما يشير الى ذلك

« مطلب »  
سباحة العرب  
مطلقا فى الاراء  
قدما

وَضَرَبَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَمِنْ التَّقْرِشِ وَهُوَ التَّجْمَعُ لَجْمِهِمُ الْمَالُ بِالتَّجَارَةِ أَوْ  
لِلْاجْتِمَاعِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْبِلَادِ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ عَمِمَ تَعَالَى الْإِيلَافُ الْأَوَّلُ الَّذِي  
هُوَ نِعْمَةٌ عَامَةٌ خَصَّ إِيلَافُ الرَّحْلَتَيْنِ بِالذِّكْرِ بِسَبَبِ أَنَّهُ قَوَامُ مَعَاشِهِمْ

فَقَدْ أَمِنَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتَيْنِ وَهِيَ الْإِيلَافُ الْعَامُ وَالْإِيلَافُ  
الْخَاصُّ الَّذِي هُوَ تَعْوِيدُهُمْ عَلَى رَحَلَةِ الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ وَرَحَلَةِ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ  
قَالَ الْمَفْسُورُونَ كَانَتْ لِقْرِيشَ رَحَلَتَانِ رَحَلَةٌ بِالشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ لِأَنَّ الْيَمَنَ أَدْفَأُ وَبِالصَّيْفِ  
إِلَى الشَّامِ وَذَكَرَ عِظَاءُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ قَرِيشًا كَانُوا  
إِذَا أَصَابَ وَاحِدًا مِنْهُمْ مُخَصَّةٌ خَرَجَ هُوَ وَعِيَالُهُ إِلَى مَوْضِعٍ وَضَرَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
خَبَاءً حَتَّى يَمُوتُوا إِلَى أَنْ جَاءَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ  
يُقَالُ لَهُ اسْدُ وَكَانَ لَهُ تَرْبٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ يُحِبُّهُ وَيَلْبَسُ مَعَهُ فَشَكَّى إِلَيْهِ الضَّرَّ  
وَالْجَاعَةَ فَدَخَلَ اسْدُ عَلَى أُمِّهِ يَبْكِي فَارْسَلَتْ إِلَى أَوْلَئِكَ الْعِيَالِ بِدَقِيقٍ وَشَحْمٍ  
فَعَاشُوا فِيهِ أَيَّامًا ثُمَّ أَتَى تَرْبٌ اسْدَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى وَشَكَّى إِلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ فَقَامَ  
هَاشِمٌ خَطِيْبًا فِي قَرِيشٍ فَقَالَ إِنَّكُمْ أَجَدْتُمْ جَدْبًا تَقْلُوا فِيهِ وَتَزْلُونَ وَأَنْتُمْ أَهْلُ  
حَرَمِ اللَّهِ وَأَشْرَافِ وَلَدِ آدَمَ وَالنَّاسُ لَكُمْ تَبِعٌ قَالُوا نَحْنُ تَبِعُ لَكَ فَلَيْسَ عَلَيْكَ مَنَافَا  
خِلَافُ فَجُمِعَ كُلُّ بَنِي أَبِي عَلَى الرَّحْلَتَيْنِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ  
لِلتَّجَارَاتِ فَفَارِجَ الْغَنَى قَسَمَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَقِيرِ حَتَّى كَانَ فَقِيرُهُمْ كَغَنِيِّهِمْ فَجَاءَ  
الْإِسْلَامَ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ بَنُو أَبِي أَكْثَرُ مَالًا وَلَا أَعَزُّ مِنْ قَرِيشٍ  
قَالَ الشَّاعِرُ فِيهِمْ

الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ      حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

فَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِإِيلَافِهِمْ وَتَأْنِيْسِهِمْ بِجَمْعِهِمْ قَبِيلَةً وَاحِدَةً فِي مَكَانٍ وَاحِدًا مَكَّنَ  
فِي النِّعْمَةِ مَنْ أَنْ يَكُونَ الْاجْتِمَاعُ مِنْ قَبَائِلٍ شَتَّى وَنَبَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ إِيلَافٌ عَلَى أَنْ

فهمة هؤلاء الأمم تميل الى الجسد والكبد والكدر والانتصاب  
 بسائر الاهوال في تحصيل المعالي والاموال والترقى الى منازل العز وكسب  
 الجسد والاقبال وتتوصل الى ذلك بالحركة والنقطة والسياحة والرحلة  
 والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الاماني وبلوغ الاوطار ومن النكلم  
 النوايغ والحكم السوايغ صعود الآكام وهبوط النيطان خير من القعود بين  
 الحيطان ولبعضهم

أما تريني على بنى العلاء لا عياء الامور حمولا دائم النصب  
 فما استوى شرف الاعلى كاف ولا صفا ذهب الاعلى لهب

فتجشم المشاق عند خاطب المعالي حلو مذاق

و مطالب

تفسير سورة  
 قريش على  
 حسب الطاقة

فالطريقة الموسعة لدوائر المعيشة قديمة عمومية قضت بساوك طريقها  
 في الازل الحكمة الالهية فقد سخر الله سبحانه وتعالى لقريش بالحجاز من  
 وسائل الكم والكيف ما يحملهم على ايلاف رحلة الشتاء والصيف فقال  
 تعالى في كتابه العزيز لا ايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليبدوا  
 رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وتفسير هذه  
 الآية والله أعلم بمراده ان قوله تعالى لا ايلاف قريش اعجبوا لايلاف  
 قريش لانهم يتبادون في غيهم وجهلهم والله يؤلف شملهم ويدفع الآفات  
 عنهم وينظم أسباب معاشهم أي اعجبوا من حلم الله وكرمه عليهم ونظيره  
 في اللغة قولهم لزيد وما صنعنا به أي اعجب لزيد وما صنعنا به من الاكرام  
 والايلاف الالزام يعني اعجبوا لالزام قريش ومعموله عام يعني ايلاف  
 قريش كل مؤانسة وموافقة بينهم من مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم ولفظ  
 قريش مأخوذ من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كاسين بتجارته

القرية وانطلق باكيدر وأخيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما قدم بهما صالحه صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية وخلي سبيله وسبيل أخيه فمن هذا يفهم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه جهز ثلث الجيش في هذه الغزوة

وبالجملة فآثر الصحابة رضى الله عنهم في مكارم الاخلاق لا تحصى ولا تحصر فبالنسبة اليهم رضى الله عنهم لا يقال ان سبب ذلك البساطة في الاخلاق وعدم كثرة المعاملات والاخذ والعطاء فانا نقول ان أهل أسب في تلك الأزمان كانت التجارة عندهم رابحة ايا ما كان نوعها فكان للعرب كل سنة رحلتان رحلة الشتاء والصيف ومن المعلوم ان الاسفار من وسائل التقدم ودليل عليه

### الفصل الثالث

في أن الاسفار والسياحات مما يعين على تقدم المنافع العمومية

قد اسلفنا في الفصل الاول من الباب الثاني ان دوائر الزراعة والتجارة والصناعة تتسع باتساع الرخصة في الاقاليم بالمعاونات والمساعدات من ارباب الحكومات وان دولة الانكليز فتحت بلاد الهند وغيره للتحويل على اتساع تجارتها وكذلك تميل غيرهم من الدول على ذلك كما قيل

و مطلب  
اعانة السياحات  
على تقدم  
المنافع العمومية

ومن طلب النجوم أطال صبراً على بعد المسافة والمنال  
وتثمر حاجة المحتاج نجماً اذا ما كان فيها ذا احتيال



بخمسمائة فرس عربية وأوصي لكل رجل يقي من أهل بدر بأربعمائة دينار  
وكانوا يومئذ مائة رجل وقسمت تركته بعد موته على ستة عشر سهما وكان  
كل سهم ثمانمائة الف دينار وعينه عمر رضى الله عنه في جملة ستة يصلحون  
للخلافة من بعده فقام هو بأمر البيعة لعثمان وروى الامر عن نفسه .  
ومن هنا يعلم ان تجارة العرب في الزمن القديم كانت رابحة عظيمة  
ثم جاء العباس رضى الله عنه بحال كثير وكذا طلحة رضى الله عنه وبعث  
النساء رضى الله عنهم بكل ما يقدرن عليه من حلين وتصديق عاصم بن  
عدي رضى الله عنه بسبعين وسقا من تمر

ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع التي بها المعسكر وهم  
ثلاثون الفا متوجها الى تبوك عقد الألوته والرايات فدفع لواءه الأعظم لابي  
بكر الصديق رضى الله عنه ورايته صلى الله عليه وسلم المعظمى للزبير رضى  
الله عنه وساروا حتى نزلوا الى تبوك فوجدوا عينها قليلة الماء فاعترف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فضمض بها فاه ثم بصقه  
ففارت عينها حتى امتلأت وأقام صلى الله عليه وسلم أياما وأتاه يحنه بن ربيعة  
صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية وأتاه أهل  
جربا وأذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهمة بلدتان بالشام فأعطوا الجزية  
أيضا ولم يقع في هذه الغزوة قتال ولكن فتحوا في هذا السفر دومة الجندل  
حيث بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين  
فارسا الى ملكها اكيدر وكان نصرايا فخرج خالد من تبوك وانصرف  
صلى الله عليه وسلم منها الى المدينة فصالحه اكيدر على الفى وثمانمائة فرس  
وأربعمائة درع فرضى خالد بالصالح ففتح له باب الحصن الذي كان على هذه

الاكنى عنها وورى بنيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعث المشقة وشدة الزمان بالحرق وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم فأمر الناس بالجهاز وبعث الى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغني على النفقة والحمل في سبيل الله وأكد عليهم في طلب ذلك

وكانت آخر غزواته صلى الله عليه وسلم فأنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق احد مثله حيث جهز عشرة آلاف مجاهد أنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل وهي تسعمائه بعير وغير الخيل وهي مائة فرس وجهز الزاد وما يتعلق به حتى ما تربط به الأسقية وجاء أيضا رضى الله عنه بألف دينار فصبتها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيديه الشريفتين ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم ويقول غفر لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وكان أول من جاء بالنفقة قبل عثمان أبو بكر الصديق رضى الله عنه جاء بجميع ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلاك شيأ قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلاك شيأ فقال النصف الثاني وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائه أوقية من الفضة ولهذا قيل ان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما كانا خزانتي من خزائن الله في الارض ينفقان في طاعة الله تعالى

فقد كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه تاجرا كثير الاموال بعد ان كان فقيرا باع مرة أرضا له باربعين الف دينار وتصدق بها كلها وتصدق مرة أخرى بتسعمائة جمل بأجمالها قدمت من الشام وأعان في سبيل الله

على ان يدفعوها لهم على ثلاثة أقساط متساوية في ست سنين ففعلوا لكل سنتين قسطا والتزم الحكام بالأقساط فوفوا منها قسطين في اثناء الحرب وتصادف أن القسط الثالث حل أجله ولم يكن في الخزينة الرومانية ولا عند الحكام ما يفي به فحضر المقرضون وطلبوه من الحكام فعجزوا عن دفعه فحضروا معهم مجلس رومية وطلبوا دينهم فاعترف المجلس بجميع الديون مع عجز الخزينة عن دفعها اذ ذاك فحصل التراضي بين المجلس والدائنين على أن يأخذ أرباب الديون من املاك الحكومة وأراضيها التي يمكن بيعها بقدر ما يفي بديونهم ينتفعون بغلتها ومحصولها وقوموها لهم بقيمة المثل واشترطت لهم الحكومة انه عند يسار الخزينة كل من اراد أن يتنازل عن الارض التي أعطيت له يرخص له ان يطلب دينه نقدا بقدر الثمن الذي اخذه كبيع الوفاء فاستلم ارباب الديون الاراضي وفرحوا بها وبادروا باستغلالها وهذه معدلة من الحكومة وهكرمة من ارباب الديوان من الاهالي الرومانية ومع عدها في المآثر الجميلة لا تساوى مكارم الاخلاق العربية التي كان يفعلها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ولندكر هنا غزوة تبوك التي يقال لها غزوة العسرة ليظهر بها كيفية الاعانات الاسلامية وسبب غزوة تبوك التي هي ارض بين الشام والمدينة المنورة ان متحصرة العرب كتبت الى هرقل ملك الروم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هلك واصابت اصحابه سنون أهلكت أموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهاز معه أربعين ألفا ليجارب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموا مقدمااتهم الى البقاء وكان صلى الله عليه وسلم فلما يخرج في غزوة

مطلب

غزوة تبوك التي  
يقال لها غزوة

العسرة

فقد ذكر المؤرخون انه كان لرومية حرب مع مملكة مقدونيا في بلاد روم ايلي فبعثت بولص أميلوس أحد قوادها الى مقدونيا لقتال برشاوس ملك هذه البلاد فبهزمه القائد الروماني واغتم امواله وعاد الى روميه بالغنائم العظيمة فلما تبين لحكومة روميه ان هذه الغنائم تقوم بمصارف الدولة وتكفي في مصالحها رفعت جميع المطالب المقررة على الاهالي الى وقت الحاجة

وبالجملة فقد كان القدماء من الممالك والدول لا يعرفون اقتراض الحكومة من الاهالي او غيرهم بالفوائض والارباح كالجاري الآن اعتمادا على ما يتحصل من الاموال والعوائد بل هذه الطريقة الاختراعية من مستجدات الدول المتأخرة الاروباوية وانما كانت طرق المتقدمين أنهم اذا اقتضت الضرورة للمال فان رؤساء الحكومة كعمال الأقاليم يعقدون مع اغنياء الاهالي عقد القرض والسلفة في حالة ما اذا خلت خزينة الدولة عن الدراهم بالسكينة ولم يكن عقد القرض باسم الحكومة بل هو اتفاق شخصي بين الحكام والمقرضين لاعتماد الحكام وامانتهم وكانوا يعينون للدفع ميعادا ويحددون له اجلا مسمى فكانت امانة الحكام المقرضين ومكارم اخلاق الاغنياء المقرضين هي المسهلة لقضاء حوائج الدولة بحيث لم تكن في اوقات الاخطار عرضة لان تقع في الحيرة والمضايقة فقد احتاجت دولة الرومانيين بعد مضي سنوات من الاعانة التطوعية الى الدراهم لتتميم فتوحهم لقرطاجنة وكانوا في خطب شديد يخشون من عساكر أنيبال أمير القرطاجنيين فانه طالما أزعجهم وهددهم حتى كاد يفتح مدنهم ويستترعهم ففي تلك الاوقات الخطرة اضطر جميع حكامهم أن يقترضوا من بعض اغنياء الاهالي مقادير جسيمة من الاموال فعاقدوهم

ويقال لو لم تكن رومية موجودة لكانت قرطاجنة أول مدن الدنيا ولولا وجود الاسكندرية بموقعها العجيب لكانت قرطاجنة ثاني مدينة من مدن الدنيا فانها كانت حسنة الوضع جيدة الموقع لوجودها بين بوغاز جبل طارق بالأندلس وبوغاز القسطنطينية وبهذا كانت اذ ذاك مركز التجارة وكان أهلها سبعمائة الف نفس أرباب زراعة وصناعة وفنون كثيرة وكان يغلب عليهم التقدم في الزراعة والملاحة لان هذه الامة القرطاجنية كانت محتاجة الى الاسفار ونقل البضائع من بلادها وجلب ما ليس عندها من الخارج الى الداخل وكانت مولعة بالفتوحات وتوسيع دائرة ملكها فقد استولت على سائر مدن افريقية وسخرت من أوروبا جزيرة سردينية وجزيرتي مايورقة ومينورقة وغيرها من بلاد الاندلس ومن فرانسوا وكان لها المحالفات والمعاهدات مع ملوك البلاد التي بينها وبينهم معاملات فخر بها الرومانيون لما أعيتهم وأتعبتهم فكان تدميرها وخرابها مما يعاب به عليهم ثم بنى الرومانيون مدينة في آثارها بعد مدة من تدميرها وسموها قرطاجنة باسم الاولى ولم تشتهر المدينة الثانية الا في زمن القيصر اغسطوس حتى صارت ثاني مدينة في العظم بعد رومية وبقيت الى صدر الاسلام ثم هدمت حتى لم يبق لها الآن أثر وانما بنيت بالقرب من محلها مدينة تونس فانظر الى حال الامم القديمة فان دولة الرومانيين مع تقدمها في الفتوحات العظيمة لم يكن عندها تقدم في المنافع العمومية وانما كانت ادارتها بسيطة وكان عندها نوع من الرفق بالملة الرومانية واهل الوطن الحقيقي يعنى من له مزية عنوان الروماني وكانت اقرب الى الصدق في تأدية الحقوق لرعاياها لا سيما عقب الحروب



وحماية مدنها من جهة قرطاجنة فبواسطة اعانات الرومانيين ومكارم أخلاق  
أهاليهم ومفاداتهم أوطانهم ببذل الاموال والارواح شنوا الاغارة عليها  
بالجاش القوي والجيش الجرار في الحرب الثالث الذي صار الشروع فيه من  
سنة مائة وتسع وأربعين قبل الميلاد فحاصر الرومانيون قرطاجنة وهجموا  
عليها براً وبحراً مدة ثلاث سنين فأخذوها عنوة وسلبوا أموالها وقتلوا من  
فيها من السكان وحرقوا المدينة فن ذلك الوقت زالت دولة القرطاجنيين  
بزوال قرطاجنة التي كانت دائماً قرية رومية ومعاصرة لها في الفخر

ولم يكن في ذلك العهد ممالك قوية تعادل قوتي هاتين المملكتين حتى  
تعتبر الموازنة فما أحسن ادارة الممالك في هذه الأعصر الجديدة وما بين  
ملوكها من المعاهدات والمشارطات واعتبار الميزان السياسي واعتماده لمحافظة  
الحقوق الملكية وحقوق الدول والملل بعضها على بعض فان هذا حصن  
حصين لحفظ ذات الممالك بقطع النظر عن حفظ تيجان الملوك فالمملكة  
الضعيفة في هذا العهد مأمونة الدوام ما لم يلزمها أحوال بوليتيكية أهلية بها  
تخرج عن حدود المشارطات فحضر القوة في احدى ممالك هذا العصر لا  
يسوغ لها تغلبا على غيرها بدون وجه لمنع الآخرين ذلك بعقد المشارطات  
القوية وهذا أيضا مما يعد من التقدّمات العصرية في النظمات الملكية  
ولو تمدنت الممالك الاسلامية المنافرة سياستها لسياسة الدول المتمدنة كممالك  
التار ودخلت في النظام العمومي لصانت أوطانها من اغارة من جاورها بالتعلل  
بخشوتها والاستيلاء عليها لقصد تمدنها وتحسين حالها في الازمان السابقة  
كانت الشهرة في الدنيا لمدينة رومية ومدينة قرطاجنة لقوة الدولتين ولم  
يساو هاتين المدينتين مدينة أخرى

اقتدارهم ما يكفي في دفع مرتبات شهر للسفن البحرية من ماهيات وتعيينات  
ومع ان هذا طلب هين ومقدار يسير في حد ذاته لما علم به الاهالي اغبرت  
خواطرهم وتكدروا وتوقفوا فيه وقالوا نحن نعين الوطن باللائق والمناسب  
ونبذل ما عندنا من الاموال والرجال ولكن قد أخذت الدولة عبيدنا  
وفلاحينا الذين يباشرون الزراعات ومن وقت دخولهم في  
العساكر البرية والبحرية تعطلت الزراعة والفلاحة ولم يبق لنا الا  
أنفسنا وأراضيها فنحن قد تعطلنا بالكلية وتضعض حالنا وضاعت  
أموالنا ولو كان عندنا شيء ما بخلصنا به على أوطاننا فلما استشعر  
رؤساء الدولة وأمرأؤها بأعذار أهل الفلاحة التمس أحد الرؤساء من مجلس  
رومية أن جميع أعضاء هذا المجلس يتطوعون لخزينة الحكومة بجميع ما  
عندهم من الذهب والفضة والنحاس ولا يبقوا منه شيأ الا ما في أصابعهم  
من خواتم الذهب وما في اصابع نسائهم وأولادهم من ذلك وانه لا مانع من  
ان لا يدعوا عندهم الا النقود اليسيرة للمصارف الضرورية ليقضي بهم جميع  
الاهالي ولتكون هذه المكارم الوطنية معدودة في ماثرهم وماثورة في  
مناقبهم فأجاب جميع الاعضاء الى هذا الالتماس الممدوح عن طيب نفس  
وانشراح خاطر ولم يتأخر منهم أحد عن ذلك وتفرق المجلس بالتواطؤ على  
التنجز

فكل عضو من أعضاء المجلس شرع في المسارعة والمسابقة ليفتخر بتقيد  
اسمه وعطيته بالدفاتر قبل غيره فتزاحوا جميعا على كتاب الخزينة أن يكتبوا  
ما تعهد كل منهم بدفعه على سبيل الاعانة واقتدى بأرباب المجلس من عداهم  
من أهالي المملكة الرومية فهذه الاعانات تمكن الرومانيون من قهر أعدائهم

الوقتية فجمعوا ما عندهم من النحاس غير المشغول ووسقوا العربات من ذلك  
وبثوا به الى الخزينة بوصف الاعانة الوطنية فكان يوم ارساله من آخر  
الايام الموسمية واحتفل أناس كثيرون للتفرج على موكب هذه الهدية  
الوطنية العجيبة فمن هذا يفهم ان احتياجات تلك الايام كانت سهلة بسيطة  
كما أسلفناه ولم تكن كاللوازم في ايامنا هذه وكذلك في الحرب الثاني  
البونيق الذي ابتدأه الرومانيون مع القرطاجنيين سنة ٢١٩ قبل الميلاد  
ومكث ثمان عشرة سنة

وكان سر عسكر قرطاجنة أنيبال وكان شجاعا باسلا هجم على رومة  
أشد هجوم وهزم جيوش الرومانيين في الوقائع العظيمة وكاد يأخذ رومة  
ولكن دخل وقت الشتاء فانزوى أنيبال في مدينة يقال لها قبوة ليقضي فيها  
فصل الشتاء مع جنده فتعود جنده على اللذات والشهوات وفترت همهم  
بالانهماك على ذلك وكان في اثناء هذه المدة قد اغتم الرومانيون الفرصة  
بتجميع عساكرهم المشتتة فهجموا على جنود القرطاجنيين ومع ذلك انهزم  
جندهم وفر أميرهم

ففي اثناء هذه الحرب والاحتياج للامدادات العسكرية والذخائر  
تضايق الرومانيون واضطرت الحكومة ان تجمع عساكر جديدة وان  
تجهز سفنا حربية لتقاوم قوة القرطاجنيين وتمكن من منازلهم فاحتاجت  
رومة الى الاعانات الضرورية وتحيرت في طريقة تحصيلها وكانت حكومتهم  
اذذاك منوطة برؤساء يقال لهم القناصل منقادين لمجلس الحكومة الذي  
بيده الحل والعقد والامر والنهي فالتس هؤلاء الرؤساء من مجلس رومانية  
ان يفعل كما جرت به العادة بان يحمل الاهالي على ان يدفعوا بحسب

وفي الحقيقة كانت حكوماتهم ايضا بسيطة لا تحتاج الى كثرة المصارف  
لا سيما في اوقات الصالح فكانت مناصب الحكام القضائية والملكية والعسكرية  
ليس لها مرتب ولا ماهية لا سيما عند الرومانيين واليونانيين فكانت دولتهم  
لا تحتاج الا الى قليل من الخراج نعم في اوقات الحروب والاطار اذا احتاجت  
الحكومة الى امور ضرورية لتجهيز جيوش حرب الاعداء استعانوا باهل  
الوطن فكان يعينهم من الاهالي كل من يحترم اوطانه ويصدق في معزته لبلاده  
ومحل ميلاده فيهدون الى الحكومة برسم تشریف الوطن ما يكفي للحاجة  
بدون الخاح من اهل الحكومة ولا الحاجة

« مطلب »  
جروب روميه  
مع قرطاجنة

ومن المعلوم من التاريخ ان الدولة الرومانية كانت في تلك الازمان مقارنة  
ومعاصرة للدولة القرطاجنية اى التونسية التي كانت اذ ذاك لها السلطنة العظمى  
في الاقطار المغربية فكان كل من الدولتين منافسا للآخر وكانت العداوة الفاشية  
بينهما شديدة ولا تكاد الحروب تنقطع بينهما للمجاورة والمنافرة والمنافسة  
كما هو جار الآن بين بعض الدول المتأخرة وتسمى الحروب التي كانت  
بينهم بالحروب البونيقية اى المغربية المشهور منها ثلاثة فالحرب البونيقى الاول  
كان قبل الميلاد باربع وستين سنة ومائتين ومكث اثنتين وعشرين سنة أخذ  
فيه الرومان من القرطاجنيين جزيرتى صقلية وسردينية وصارت قرطاجنة تدفع  
لرومية خراجا مقمرا وقد تعلم الرمايون من القرطاجنيين في هذه الحرب صناعة  
السفن البحرية الحربية ذات المجاذيف

وفي هذه الاوقات صدر امر من مجلس رومية بان يرتب للعساكر  
المشاة جامكية وكانوا قبل ذلك غير مجهزين فبادر اعيان الاهالي ووجوه الناس  
باهدايم لخزينة الجمهورية مقدار اجسادهم من متاعهم للاعانة على مرتبات العساكر

يقوم بشؤنه فكانت الحرية في تلك الاوقات مشؤمة على العتيق وامثالهم  
هذا ما يخص الزراعة من المنافع العمومية في تلك الازمان  
وأما الصناعات فكانت أيضا قاصرة على الامور الازومية و موكولة  
لتشغيل الارقاء فكانوا يصطنعون ما تدعو الحاجة اليه للملبس والمطعم وما  
أشبه ذلك مما تستدعيه الحاجة فقط وأما لوازم الزينة والتجمل فكانت تجلب  
من بعض ممالك أجنبية أكثر تمدنا من الممالك المجلوب اليها فكانوا يشترون  
المنسوجات الصناعية الساذجة من مصانع ليست كثيرة الآلات المتفنية  
الأدوات وكانت تشغيلات الأقدمين قليلة وعملياتهم هينة فكانوا  
يستخرجون المعادن ويصطنعون الاسلحة وآلات الحرب المعروفة في تلك  
الازمان وكانت هذه الاشغال أيضا وادارتها من وظائف العبيد والمماليك  
وكان التعامل بين الاهالي في تلك الازمان بالرقيق فاذا اقتضى الحال للاقتراض  
لم يكن القدر المقترض دراهم ولا دنانير اذ لم تكن النقود رؤس اموالهم  
بل يقترض بعضهم من بعض قدرا معينا من الاعيان والاصناف ويستعيرونها  
ويدفعون لصاحبها في نظير قرضه أو عاريته قدر معين ولم يكن عندهم أخذ واعطاء  
جسيم ولا تجارة مهمة الامع الاجانب فاذا توفرت عند انسان منهم بضاعة  
او فرع من الفروع اللازمة لجهة من الجهات البرانية واراد الربح شارك عليها  
تاجرا اجنيا واشترط عليه شروطا ملائمة لعادة البلاد وجعل الربح بينه وبين  
شريكة العامل بان يعطيه جزءا من الربح قليلا او كثيرا بحسب خطر السفر  
ومشاقه فكانت التجارة ايضا عندهم بسيطة كالزراعة والصناعة فاذا كانت  
منافعهم العمومية على هذه الكيفية فلا يتصور أن يعود على الحكومة منهم  
كبير ايراد



والصناعة مبنية على أصول ومحاسبات دقيقة فشتان بينها وبين ما كان يعمل  
 في قديم الزمان من اجراء المنافع العمومية فانها كانت ساذجة بسيطة لا  
 تستدعي رأس مال كما في أيامنا هذه فلم يتفكر المتقدمون فيما تفكر فيه  
 المتأخرون من الدقائق اللطيفة وتنعيم حال التجارة وتطبيقها على أصول  
 حسابة تكاد ان تكون منطقية ولا تزال آخذة في الدقة والرواج الي غير  
 نهاية بحسن ترتيب الحكومات العادلة واعطاء الحرية الفاضله وعمل  
 الميزات اللازمة وابعاد الاحتكار

## الفصل الثاني

(في حالة المنافع العمومية في الازمان القديمة وانها كانت بسيطة سهلة لاحتياج الى كبير شيء)  
 الذي يستبان من كلام المؤرخين والمخططين للبلاد أن الارض الخصبه  
 في مادة الزراعة كانت رأس مال الزارع يستثمرها ويستولى على فائدها  
 فان الحراثين والعملة في القرى والبلاد كانوا ملوكا لملك الارض بالتبعية لها  
 أو أرقاء بالشراء وكذلك المواشى والسباخ وآلات الحراثة كانت أيضا  
 ملكا لرب الارض فكان العبيد والفلاحون المستعبدون يحرثون الارض  
 ويسوونها ويبدرونها الى ان يحصدوها وينقلوا محصولها الى بيت سيدهم  
 وكانت نظارة الفلاحة ومباشرة الزراعة منوطة باكبر عبيد السيد او عتقاء  
 ممن يستنجه منهم وليس لهذا المباشر ولو معتوقا مرتب خاص في نظير عمله  
 بل معيشته في بيت سيده كالعبد وعليه مطعمه وملبسه في نظير الاتفايع  
 بخدمته فاذا جسر المعتوق وخرج من بيت سيده المترى فيه لا يجد من

« مطلب »  
شا تولد الفنى

« مطلب »  
بارة الخارجية

« مطلب »  
فسام حركات  
نافع العمومية

ولما كانت الدولة الانكليزية قد احست ان منبع ثروة اهلها لا تنبع  
الا من التجارة والصناعة وان كلا منهما يحتاج الى الحرية التامة والى الاستجلاب  
والتوزيع للبضائع المختلفة واستحصال الأثمان وتكثير أموال المملكة بتوزيعها  
بين الاهالى براحة جميعهم ليكونوا مشتركين فى السعادة المالية فتحت هذه  
الدولة بلادا واسعة فى افطار شاسعة فى الهند وبلاد امريكا وجزائر البحر المحيط  
الا كبر لتقديم صناعتهم وتجارتهم بالاخذ والاعطاء ليعود ذلك كله بالفوائد  
الجمّة على اهالى مملكتهم بالاصالة وعلى غيرها بالتبعية وكذلك غيرهم من ممالك  
اوروبا كالاسبانيين والبرتغال والفرنساوية والفلمنك وغيرهم ويقال لهذه الحركة  
التقدمية أندوستيا قوليه يعنى تجارة خارجية

ومن المعلوم ان فروع التجارة والصناعة كثيرة متنوعة بقدر ما فى الاقاليم  
والممالك من طبيعة ارضها واهلها فكل اقليم يوافق به بعض الفروع دون بعض  
ويروج فيه ما لا يروج فى غيره فللنافع العمومية على اختلافها مبنية على المعاوذات  
والمبادلات بما تقتضيه أصول حرية البلدان ومدار حركتها على ثلاثة اشياء  
ضرورية

الاول هو المواد والاجزاء الواقعة عليها التشغيل كالقطن والصوف والحديد  
ونحوه من كل ما يصطنع والثانى الآلات والأدوات التى يستعان بها على  
الصناعة وهذان الشيان تحصيلهما أصعب من الثالث الذى هو عبارة عن أجره  
الاعمال ومكافأة العمال لانه وان كان فى العادة يدفع نقدا ويعطى عدا الا ان  
المشغولات اذا كانت رابحة ناضة فاجرة العمل تعتبر صنفا فلا مانع أن  
يعطى الاجير من عمله وشغله لما قدمنا ان قيمة العمل مجسمة للمصنوعات  
والمشغولات لاسيما فى هذه الاوقات الاخيرة التى صارت فيها الزراعة والتجارة

الا احترام حقوقه باحترام حقوق غيره والحصول على منافعه بالوفاء بمنافع غيره فاذا عرف هذا الحساب مهل عليه حسن المعاملة فالاستقامة في الانسان علامة اتساع عقله واعتدال مزاجه لان المستقيم في الغالب قد يفوت منفعة عاجله بقصد أن لا يهدم منفعة آجله واما غير المستقيم فانه قد تفوته المنفعة العظمى الآجلة بحرصه على منفعة هينة عاجلة

فقد اتفقت الاخلاق والعوائد والشرائع والاحكام على ان مكارم الاخلاق منحصرة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وان هذا الحديث قاعدة عظيمة في الدين لان الرجل الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى ان الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف فن لم يصنع المعروف في موضعه مع التمكن منه لا يعد صالحا فالاستقامة تنهى عن الشر والصالح يأمر بالخير والاستقامة تمدح والمعروف يعظم والاستقامة عبارة عن عدم التعرض لفعل الشر والمعروف العمدة الى فعل الخير والمعروف يستحق الشكر عليه واما الاستقامة فقد لا يجب الشكر عليها لكونها فضيلة قاصرة والمعروف فضيلة متعديّة فهو من الاعمال التي عليها مدار الجمعية المدنية

وكما تقدمت براعة المنافع العمومية تقدمت الجمعية واقتضى الحال ميل النفوس الى التمتع بثمار المنافع الكاملة ودقائق المصنوعات الفاضلة فالميل الى التجميل والتزين ومواد الطنطنة والأبهة يتولد منه غنى جميع الاقاليم التشغيلية لاتساع دوائر الاخذ والاعطاء وكمال الحرية في ذلك فبهذا تتسع دوائر الزراعة والتجارة والصناعة باتساع الرخصة في الاقاليم بالمعاونات والمساعدات من ارباب الحكومات المختلفة

العز ما خضعت لطيبته العدى  
 والمال ما وقلك ذما أو بني  
 والجود ما وصلت به رحم وما  
 واللؤم اكرام الائم لأنه  
 فاذا ظفرت من العدو بفرصة  
 والحلم في بعض المواطن ذلة  
 ما كل حلم مصلح بل طالما  
 كل السيادة في السخاء ولن ترى  
 لا تحسبن المجد رنة مطرب  
 وأقام بالفكر الملوك واقعدا  
 عليك أو أبقى لقومك سوددا  
 أوليت ذا أمل أعدك مقصدا  
 كالذئب لم ير عدوة الاعداء  
 فافتك ففتك اليوم منجاة غدا  
 فاصفح وغالب واعجلن وتأيدا  
 غر السفهه الحلم عنه فافسدا  
 ذا البخل يدعى في العشيرة سيدا  
 وعناق غانية وبردا يرتدى

فالفضائل عليها مدار سلوك الجمعية التأسيسية ونجاح أعمالها وتنعيم أحوالها  
 وضدها يضر بتقدم الجمعية فلا أضرب على الجمعية من فساد الاخلاق فانه  
 ينشأ عنه الكبر والدعوى وعدم الاستقامة لان الغنى المتكبر مثلاً يذهل  
 في نشوة لذته عن ان المال خيال زائل فيجسر ويجرأ بالتكبر على غيره ويظن  
 انه بعيد عن صروف الدهر فيقع فيها فالعقل يقيد نعمته بقيد التواضع  
 والانكسار ويدبرها بقانون الفضيلة لتدوم فهذا يكون مستقيم الحال حيث  
 الاستقامة قوام الفضائل وعليها مدارها وهي معدل حركة النفس وخلوص  
 النية التي يحسن بها الاعمال فهي روابط جميع الفضائل المدنية وعبرة عن  
 حسن السلوك في التعامل وأداء الحقوق للمباد بعضهم على بعض فلا يشينها  
 الا هوى النفس فالعقل يجمع الهوى ويصده والخلق الحسن ينفر منه  
 والانسان المتهاون بحقوق الجمعية المدنية لا يعتبر الا عديم الاستقامة وانه  
 لا يعرف ما يجب له وما يجب عليه في حق الجمعية فليست استقامة الانسان

ما ينبغي ان يتصف بها كل انسان لتكون وسيلة لحفظه ومادة لصونه ومنها  
 ينتج حفظ العائلة والجمعية المركبة من افراد الناس والفضائل المنزلية هي  
 سلوك الطريقة النافعة في العمل لجمعية العائلة المعتبر اقامتها في منزل واحد  
 كالاقتصاد في المصارف وبر الوالدين وحسن العشرة مع الازواج وحسن  
 تربية الاولاد ومحبة الاخوة بعضهم لبعض واداء حقوق السيد خادمه  
 والخدام لسيدهم فجميع الفضائل الشخصية والمنزلية متلازمة ومتصادقة على  
 حفظ النوع البشري وتحسين حاله وهي مخلوقة مع الانسان من اصل  
 انطرة والفضائل الاهلية المدنية متكاثر بتكاثر منافع الجمعية المدنية وراجعة  
 الى أصل واحد وهو العدل العمومي والانصاف المشترك بين أعضاء الجمعية  
 المستلزم جميع فضائل الجمعية

ومن هذا يفهم ان الفضائل من حيث هي مقولة بالتواطؤ محدودة  
 لا تقبل تغييرا ولا تبديلا فلاقتصاد فضيلة محققة ان حصل فيها الشطط  
 قربت من البخل والشجاعة ان تجاوزت حدها استحال الى المجازفة  
 والكرم ان تجاوز حده عاد اسرافا والصبر ان زاد عن قانونه أضعف  
 الشهامة والحلم اذا اشتد صار جبنا وانما قد يعترى هذه الفضائل بعض  
 تكيف على حسب مقتضيات الأحوال فان قول الصدق في بعض الاوقات  
 قد يكون مضرًا وتكون المداراة واجبة وكذلك ينبغي مع فلان ان لا  
 يصنع الا العدل ومع انسان آخر قد يكون العدل محض ضرر  
 وقد يكون الحلم في هذا اليوم فضيلة ويكون في غد مضرًا فمراعاة  
 الاوقات والاحوال واجبة في الجمعية التأنسية ولله در القائل في هذه  
 المعاني



وميل الى ما فيه نفعه والى قضاء وطرده والى تحصيل حوائجه المعاشية وانه  
محل لهذه الفضائل

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول بعض ما يتعلق بالفضيلة  
ونقول هنا ان الفضيلة صفة نفسية متمكنة في نفس الانسان ينشأ عنها  
العمل الصالح ويديها ارتياح النفس اليها فيها تصل النفس الى أعلى درجات  
الكمال وتستعد الى الحصول على نيل المحمدة فبهذا تكون أيضاً مستعدة  
لفعل الخير العام للجميع فحركة الفضيلة بهذا المعنى ليست حركة اختيار فليس  
صاحب الفضيلة من ينهمك بجميع حواسه على بذل كل همته في المنفعة  
الاهلية لان وجود مثل هذا الانسان في الدنيا مستحيل وانما الفاضل هو  
من يكون هواه مائلاً بحسب الامكان الى المنافع العمومية واستحسانه لذلك  
فبهذا يكون أقرب من درجة الكمال بقدر ما يلزم ان ينجب بالفضيلة عن  
المثالب وارتكاب الدنيا

« مطلب »  
تعريف الفضيلة

ومن اركان الفضيلة الشجاعة وقوة الجسم والمقل وهذه الصفات مهمة  
جداً في الفضيلة فهي الوسائل التي تلزم لحفظ الانسان وتحسين حاله  
لان الشجاع يدفع الضيم عن نفسه ويذب عن دمه وعرضه وحرته وملكه  
بقدر استطاعته وبعمله وشغله يكتسب عيشته الهنية ويتمتع باللذات المباحة  
بالهدوء والطمأنينة وتكون نفسه دائماً متمتعة بالسلم والراحة بعيدة عن  
الغضب والانتقام فاذا أصيب بنكبة ولم يمكن تدراكها بحزمه وتبصره تجلد  
عليها غاية التجلد والصبر ولهذا عد ارباب الآداب القوة والشجاعة من  
أعظم الاركان

« مطلب »  
بعض اركان  
الفضيلة

ثم الفضيلة ثلاثة أقسام شخصية ومنزلية وأهلية فالفضائل الشخصية

« مطلب »  
انقسام الفضيلة

# الباب الثاني

في تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب اعلية وهى  
حركات الزراعة والتجارة والصناعة وفيه فصول

## الفصل الاول

في تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرفى الصناعى  
ومنه يفهم الانقسام الى ما ذكر

اعلم ان ما عبرنا عنه هنا بالمنافع العمومية يقال له فى اللغة الفرنسية  
أندوستريا يعنى التقدم فى البراعة والمهارة ويعرف بأنه فن به يستولى  
الانسان على المادة الاولى التى خلقها الله تعالى لاجله مما لا يمكن ان ينتفع  
بها على صورتها الاولى فيجهزها بهيئات جديدة يستدعيها الانتفاع وتدعو  
اليها الحاجة كتشغيل الصوف والقطن للباس الانسان وكبيعهما فهذا المعنى  
يقابل الاوندستريا وتكون عبارة عن تقديم التجارة والصناعة فيقال الملك  
الفلايى يشوق الزراعة والاوندستريا أى التجارة والصناعة يعنى يسعى فى  
تقديم المنافع العمومية وتطلق بمعنى آخر أهم من الاول فتعرف بانها فن  
الاعمال والحركات المساعدة على تكثير الغنى والثروة وتحصيل السعادة  
البشرية فتم التشغيلات الثلاثة الزراعية والتجارية والصناعية وتقديمها  
فتكون مجمع فضائل المنافع العمومية وكثرة التصرف والتوسيع فى دائرتها  
ثم ان براعة المنافع العمومية بالمعنى العام متولدة من كون الانسان له اختيار

يسمو بأنفاس الأمير	بقنال مصر له منار
في الكون بالجوهر المطير	وبصيت اسماعيل طار
في الأفق كالعلم الشهير	وبعدله لما أنار
ولظهر العليا ظهير	هذا عزيز ذو وقار
يمتاز بالعمل الكثير	وطويل باع في العمار
توفيقه نعم الوزير	للعدل قد شد الازار
ولمصر دم أقوى نصير	عش يا عزيز اخا انتصار
ولأنت بالعليا جدير	بالمجد كم شدت الجدار
رب الخورنق والسدير	كأثر فسكأس الانس دار



في كفه الجوزا سوار  
 والمشتري حاز اليسار  
 ملك له الوحي اثمار  
 وبراق أسرى في القفار  
 ملك على الانهار سار  
 بالعز اكسبها الصغار  
 قد نال من كسرى اعتبار  
 خاقان هند خوف عار  
 بركان نار حيث ثار  
 او سائح يهوى السفار  
 او عاشق سلب القرار  
 في الحب قد خلع العذار  
 صب وفي الاحشاء نار  
 او شاطر طلب الفرار  
 او باز صيد قد اغار  
 او ظبي قاع ذو نفار  
 البرق سرعته استعار  
 ويرى الرياح بالاحتقار  
 طرف تسايه الدرار  
 ليل يطوى والنهار  
 ما الفعل ينسب للبخار  
 بهر الثريا اذ تشير  
 ففدا بزهرته أسير  
 ابدا باجنحة يطير  
 يطوى الفيافي اذ يسير  
 وعلى البحار له سرير  
 مع انه جرم صغير  
 لبخار عنبره غير  
 ما هاله لهب السعير  
 فورا وصار له هدير  
 لمصالح الدنيا سفير  
 او يحسد الطرف القرير  
 ودموع مقاته غدير  
 شوقا الى القمر المنير  
 للامن من امر خطير  
 مغرى على الظبي الغرير  
 يعدو اذا عم النفير  
 والورق منه تستعير  
 فهبوبها معه حقير  
 ليلا فتخجل في المسير  
 وبه ازدهى الزمن الاخير  
 بل صنع خلاق قدير

محاربتها الداخلية سنة ١٨٦٢ ميلادية وضرب لها ميعاد أربع عشرة سنة فجدتا كل الجد فيها حتي اكتملتها قبل تمام نصف المدة ومن بعد ذلك تقطع مسافة صحارى جهة امريكا الشمالية فى ستة ايام ولا يجهل محل فيها ولا تعطل جهة من الزراعة وسائر الفوائد وقد أنشأت هاتان القومبايتان نحو ألفى عربية كالدور مشتملة على بيوت واسرة من الحديد ولوقندات وكتبخانات وهى فى حال مرورها السريع يتدارك فيها من الطريق ظروف أوراق الحوادث التلغرافية المعلقة على الأعمدة الخشب وتطبع فى المطابع اللاتى فيها وتشر على الركاب وبهذا يكونون كأنهم فى مدن الممالك العظيمة فى الدنيا القديمة وبما ذكر هانت أمور الاسفار وتقاربت المسافات بين جميع الجهات وتواصلت الجمعيات وزالت الوحشات واطلع الناس على ما لم يطعموا عليه ووصلوا الى ما لم يصلوا من قبل اليه فكان لا مانع من تواصل أمم البرية ومن تسمية هذا العصر عصر المدنية انتهى ما قاله فكل هذا أعان ويعين على تقدم وسائل المنافع العمومية الآتى تقسيمها فى الباب الثانى مع غاية البيان وعلى ذكر الواورات قلت هذه الايات

العقل فى الواور حار	نبغى الجواب فلا يحير
فاذا أردت الاختبار	علما به فاسأل خبير
فلك بأوج الالج دار	ومن الحضيض له مدير
يجرى على عجل كبار	فى رسم شكل مستدير
هو من عطارد لا يغار	فكأنه الفلك الاسير
قداورث الشمس اصفرار	لما علا منه الصغير
قمر منازلہ البحار	نجم السماء له سمر



الايض نحو الثلثين ولقرب قطعة آسيامنه عن غيرها من الممالك الاورباوية  
 تزيد حصتها في الفوائد عما سواها لاريب اذ انها احدثت طريق حديد الى  
 اوربا كان بابا عظيما للتجارة وثروة الخزينة ووقع ذلك عند العالم الموقع فيازم  
 المبادرة الى انشاء ذلك على الوجه المساعد لنا فان منفعة هذ تزيد عن العادة  
 ويجتمع منها رأس مال وتتسارع الناس في الاستحصال على الرخصة من الحكومة  
 فحينئذ لا ينبغي التأخر عن هذا وانما اللازم التأمينات السكافية لاجل منافع  
 سكان المملكة والاسراع بمباشرة العمل

الثاني قنال ( هو ندوراس وهو فتح برزخ بناما ) المتوسط بين قطعتي  
 امريكا الجنوبية والشمالية الذي أصله شق صغير شكلت لفتح قومية كبيرة  
 فانه بواسطته تصير قطعتا امريكا الجنوبية والشمالية جزيرتين عظيمتين  
 وتزول المشقة عن اصحاب السفن من بعد ما كانوا يسافرون من البحر المحيط  
 الغربى المسمى بالاطلسي الى الصين وليابونا والجزائر الاقياوسية مع مكابدة  
 اخطار الرياح العاصفة وطول المسافة مارين من رأس هورن المشحون بجميعة  
 بالشعاب وذلك لا يضطر ارم فاذن لا تلحقهم الآن تلك المشاق بواسطة ذلك  
 القنال وتكون مسافتهم على النصف في بحر معتدل ساكن الهواء على خط  
 الاستواء .

الثالث سكة الحديد الجسيمة التى حان منها التمام بشمال قطعة امريكا  
 البالغة الآن مسافة امتدادها ثلاثة آلاف وستمائة وثلاثة وعشرين ميلا  
 وهى في ارض سهلة تامة المنفعة مبتدأة من نيورق اكبر مدن امريكا الى  
 مدينة (سان نيسقو) بايالة قاليغورينة الشهيرة بمعادن الذهب وكان قد رخص  
 لقومبانيتين فى انشائها (لنقولن) رئيس جمهورية امريكا المتوفى حين

حتى اراد الله سبحانه وتعالى ان انوار المعارف الفرعية انشرت في هذا العصر  
على آفاق اصولها باجتهاد المجتهدين واهتداء المهتدين واقتداء المتقدمين والحصول  
على ما عجز عنه سائر السلف المتقدمين كما يفسح عن ذلك ماسطره بعض  
أهل الانشا حيث بين اسباب ذلك فيما طرز ووشى اذ قال ان عصرنا هذا  
نشاهد فيه للناس بالتدريج آثارا عجيبة وهذا دليل على ان التأثيرات الطبيعية  
في قبضة التصرفات الانسانية لان الطبيعة هي الحاكمة للانسان بل المذلة اليه  
ومن هذا يظهر ان هذا العصر مبدأ للتقدمات التي تكون في المستقبل فاستعمال  
القوة البخارية برا وبحرا سهلت الأسفار والسيارات وفوائد سرعة المخبرات  
التلغرافية غنية عن البيان اذ بتلك القوة كان الانسان قادرا على تجيز اشغاله  
الخاصة به والاستحصال على اجتماع الافكار ومبادلة المحصولات وذلك  
كرأس مال يترقى شيئا فشيئا ويم أطراف الدنيا حتى انه في مدة يسيرة تلتئم  
الجمعات البشرية وتزول الاختلافات الكاية ويسلك بعض الناس مع بعض  
بكمال الوفاق على وفق ما يقتضيه الاخوة الموافق للعقل والحكمة المرضي  
لرب العزة ونأخذ في العمران الاراضي الخالية وتصير معادن للخيرات  
ونابع للثروات وقد بلغنا ان السياح الانكليزي (سير سامويل بيكر)  
الشهير بالسياحة في القطعة الافريقية عين مأمورا للكشف على اقطارها  
المجهولة والوقوف على حالها وبعيته من يلزم ليتوجهوا من طريق  
النيل ويرشدوا من فيها بالارشادات اللازمة ثم المقرب للمسافات في هذا  
الوان ثلاث الاول قنال السويس المشرف على التمام الفاصل بين قطعتي  
آسيا وافريقية فانهما بذلك متصلان وتسهل تجارتها وتجارة اوربا بعد ما كان  
يتجشم في ذلك الطواف من رأس العثم ففتح القنال تنقص مسافة البحر

حكاية موضوعها صرار      أودى به الجوع والاضطرار  
 وكان قضى الصيف في الغناء      وما سعى في ذخرة الشتاء  
 وحين جاء زمن الثلوج      ومنع القوم من الخروج  
 شاهد بقمه بلا مؤنة      فراح يوما يطلب المعونة  
 وقال للنملة انت جارتى      مالى سواك فى قضاء حاجتى  
 هل تصنين معي المعروفا      لا ذقت من دهر الردى صروفا  
 وتقرضينى صواعا غله      وطبقا وهثردا وحله  
 فان أتى الصيف فقبل الصبح      أردھا عليك غير الربح  
 قالت له النملة وهي تجري      عذرك يا مسكين مثل عذري  
 ماذا فعلت فى حصيد قدمضى      قال لھا كان زمان وانقضى  
 قالت وما ادخرت فيه للشتا      قال لھا مستهزئا منكنا  
 كنت أغنى للحمير القمص      قالت له يا صاحبي الآزار قص  
 واعلم بان السعي فى الذخيرہ      يسعد كل خلة وحيرہ  
 والدرهم الابيض وهو فى يدى      ينفعني لدى النهار الاسود

ومع ميل طباع عامة الناس الى التكاسل والفتور فقد تجبر الاحوال  
 والأوقات المصرية على حركة العمل حتى تصير طبيعية وينتج عنها تقدم الجمعيات  
 فمن هذا لا تياس ملة الملل ولا دولة من الدول من ان تأخذ حظها من براعة  
 العمل لاسيا اذا كان لها فيه سابقة نصيب وافر كديار مصر التى سبقت جميع  
 الامم بالمآثر الغربية وكباقي الدول الاسلامية التى جدت فيما سلف انواع  
 المعارف البشرية والمنافع العمومية والتقدمات المدنية ومن آثارها استنارت ارجاء  
 جميع ممالك الدنيا ثم تنقلت من اياها الى غيرها وتكاملت الزايا فى ذلك الغير

## وقال آخر

دعى نفسي التكاسل والتواني والا فالبسي ثوب الهوان  
فلم أر للكسالى الحظ يحنى ثماراً غير حرمان الأمانى

وقيل

وكم حياء وكم عجز وكم ندم جم تولد للانسان من كسل  
وما ألطف ما قيل فى الاثارة لمن يؤثر الغناء الممدود على النفي

المقصود

قال لي الا لحي أما حان أن تترك لوما متعبا قلت حان  
قال فهل قلبك حان على من بت مشغوفاً به قلت حان  
قال فحبيبك فى قتل من يهـ واه حان قوسه قلت حان  
قال فقل لى ما الذى تشهى حان غناء أو غنى قلت حان  
مع ما فيه من محسنات الجناس التام والمراجعة فصفة الكسل مثلبة  
خبثية بل هي أم الخبائث فهي تحمل صاحبها على عدم اعمال الفكر والبدن  
وبعض الفضلاء يزدرى أرباب الرياسات الباطلة والمراتب العاطلة التي  
يشتريها أهلها ليصلوا بها الى درجات العظمة والكبرياء ليستروا بها كسلهم  
حتى لا يتبين للناس انهم أرباب بطالة والأفاضل يعدون ذلك من النذالة  
والسفالة فان فضل الكسلان يدفن معه بدون أن تعود منه على نفسه أو غيره  
أدنى منفعة

وقد أشار الى الشغل والبطالة الحكيم لفتنينه الفرنسي ساوى في حكاية على  
لسان العجاوات جعلها مكاملة بين الصرار والنملة وترجمها بعض الافندية  
فقال

« مطلب »  
منبل المشتغل  
والكسلان  
بصرار ونملة

« مطلب »  
مواظبة قدماء  
مصر على العمل  
ونفوره من  
البطالة والكسل  
وتصورهم  
شخص الكسل  
بصور مختلفة  
مستشعة

كمال النفور ويشخصون الكسل ويجعلونه على صورة بشعة توضع في  
الميادين العامة لتكون عبرة لاهل المرور والعبور فيصرون الكسلان  
بهية شخص مقع اقماء الكلاب عليه هيئة الحزن والا كئئاب مطأطا الرأس  
الى الارض مجمع اليدين بعضها مع بعض وبجانبه قضبان مكسورة تفيد هجره  
للاشغال ونفوره وتارة يصورونه على صورة امرأة مطلوقة الساعدين شعثاء  
غبراء ذات أطمار رثة مسطوحة على الارض متوسدة أحد ذراعيها ويد  
الزراع الآخر منكاب مملوء من الرمل ومقلوب تستدل به على ماضى من  
النهار من الساعات والدقائق ولها عند المصريين رسم آخر فيما غير من الزمان  
وهى رسم الكسل على هيئة امرأة عليها علامة البطء والتوان كأنها تروم أن  
تبتخر في سيرها الممقوت وتجرب ثوبا من نسج العنكبوت متكئة على أريكة  
الحجاجة والمخمصة تمضي جميع أوقاتها في الدعة والاستراحة المقتنصة في غفوان  
شبابها واخضرار وغض عود اهابها لا تميل الى حركة ولا تعطف على بركة  
وفي زمن الكهولة والهرم ترقد على فراش العدم والندم يشيرون بذلك الى  
ان الكسلان لعجزه دائما حزين اذا لم يفعل شيئا لمعاشه ويزيد  
حزنه وأسفه اذا احتاج الى تحصيل شيء لم يقدر على تحصيله ويقال  
مزرعة الكسلان كثيرة الشوك والسعدان تزدحم عليها الحشائش  
لطفيلية والأعشاب الفضولية فلا تحصل له منها ما يفي بالقوت  
ينسطو على جيرانه ليكون كلا عليهم أو يتصف بوصف لص ممقوت  
نال بعضهم

يانفس ذوقى لذة العمل      وواظبى العدل والاحسان في مهل  
فكل ذي عمل بالخير مغتبط      وفي بلاء وشؤم كل ذى كسل



ويقال الخيبة نتيجة مقدمتين الكسل والانشغال وثمرة شجرتين الضجر والملل  
 ويقال ان الحرمان شعاره الكسل واثاره التسويف والعلل قال بعضهم  
 لا تصيب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد  
 عدوى البليد الى الجليد سريعة والحجر يوضع في الرماد فيخمد  
 وقال بعضهم في الرد على من قال الكسل أحلى من العسل

ليس البطالة والكسل يالجالبين لك العسل  
 فاعمل فان الله قد حث المطيع على العمل

وفي كتب الادارة آخر طبقات الرعية طبقة البطالة الغوغاء وهم  
 مما ينبغي أن لا يرحمهم الملك لانهم يغفلون الطعام ويضيعون الطرق  
 لا سيما ان كانوا من الفسقة فهم أظلم الناس يأكلون رزق الله ولا يعملون  
 لله فلا يصلحون للدنيا ولا للآخرة وكل أحد سواهم يعمل لنفسه وهم لا ينظرون  
 لأنفسهم ولا يعملون لدنيائهم ولا عقباهم فمثل هؤلاء يسوغ للملك ان يخرجهم  
 من البلد ان رأى المصلحة في ذلك أو يجعلهم مستعدين لثأب او حادثة يعملون  
 فيها بخلاف طبقة العمال المحترفين فعلى الملك ان يشوقهم بالعطايا وشمول  
 النظر والمساحة حتى يتسابقوا الى الحرف البلدية كما انه ينبغي للملك ان يتلطف  
 باصحاب العاهات كالعميان والمجذومين فان منادى الشرع يقول اذا رأيتم  
 اهل البلايا فاسئلوا الله العافية فيجري عليهم قدر كفايتهم ويعين لهم موضعا  
 على طرف البلدة لمصلحة الجميع

وقدما المصريين من الأزمان الخالية والقرون البالية يعانون الأعمال  
 العجيبة ويجتهدون في انجاز الاشغال الغريبة كالاهرام والمسلات العظيمة  
 والتصاوير والتماثيل العجيبة الجسيمة فهذا كانوا ينفرون من الفتور والكسل

مطلب  
اول من و  
اصول الن

مصر وقرى السودان وعند الهنديين ولهم فيه طريقة يعملونها بالخيط  
والابرة بتلويت الخيط في بثرات اثناء البقرة وينرزونها بين الجلد واللحم  
من كتفى الطفل ويبقى الخيط في الاكتاف وهي من أعظم الالطاف

مطلب  
اول من و  
العروض

فالوضع الاولى في سائر العلوم هو تصور قواعد أولية ابتكارية لا تزال  
تأخذ في الزيادة والاستكمال ويتفرع منها فروع تتسع على مدى الايام والديال  
فيكون للعلم بهذا المعنى عدة من الواضعين وجملة من الافاضل الموسعين  
كالامام على رضي الله تعالى عنه فانه قيد اللسان بعلم النحو حيث أملى على ابي  
الاسود الدثلي اقسام الكلام وقال له تتبعه وزد فيه ما وقع لك مما يلائم  
المقام لتمحوا بذلك من اللحن ما خالط اللسان العربي مما كاد يفسده من  
رطانة الاعجام فوضع أبو الاسود الدثلي قواعد النحو التي فهمها له ثم جاء  
بعد أبي الاسود سيديويه فوضع كتابه الذي كل من جاء بعده منه يعترف  
وبتقدمه عليه يعترف واذا أطلق في عرف النحاة لفظ الكتاب فاليه ينصرف  
ووضع الخليل بن أحمد علم العروض وجعل له ميزانا للشعر وصاغ له من  
التفاعيل أجزاء ثمانية صيرها لوزنه كالمثاقيل وهاهي أنوار تلك العلوم  
النافعة على جميع آفاق الدنيا ساطعة وهي ثمرات الأعمال الصادرة عن  
الابدال

ومن الحكم من طلب جلب ومن جال نال ومن جسر أيسر ومن  
هاب خاب فقد فاز بالدر غائصه وحاز للصيد قاصصه والجرأة من اسباب  
الظفر وغلبة الاقران والشجاع يعرف بالاقدام ولو على الضرغام وبضده  
الجبان والمتواني الكسلان لاسيما الشاب القليل الحيلة والملازم للحيلة  
والمقتنع بالرديلة والراضى بالحشف وسوء الكيلة فمن دام كسله خاب امله

من اهل اليونان و بعضهم يقول ان المستخرج للطب اهل مصر وان المستخرج  
له هرمس المستخرج لسائر الصنائع وقيل المستخرج له المصريون غير هرمس بالهام  
من الله تعالى لجماعة ثم ازداد الأمر في ذلك بكثرة التجارب وقوى وصار علما  
واسعا واحتج القائلون بذلك بان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم  
مبتلاة بالغيب والنكد ومع ذلك كانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوء أخلاطا  
رديئة وكان حيضها محتبسا فاتقن انها اكلت عشابا مرارا كثيرة بشهوة منهالة  
فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها وجميع من كان به شيء مثل  
ما كان بها واستعمله بريء به فاستعمل الناس التجربة على سائر الاشياء  
فالذي جمع هذه التجربات ودونها بمصر هو الواضع له سواء كان هرمس أو  
غيره ولا مانع ان يكون هذا العلم مما تعدد واضعه بلاد الدنيا حيث ان التجربة  
قد تعددت فيه وان أقوى التجارب واكثرها تجارب اسقليينوس وتلقاها  
عنه الحكماء الذين جاؤا بعده في الزمن فعدوا أيضا من الواضعين له

وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى خلق صناعة الطب والهمما الناس واحتج  
أهل هكذا القول بأنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الانسان  
فالواضع الله الذي خلق الداء والدواء وهذا القول ايضا يرجع الى الوحي  
والالهام وينبغي ان يكون الطب النبوي من ذلك باتفاق لمصداق آية وما ينطق  
عن الهوى وبالجملة فوضع الطب عظيم وتدوينه جسيم وفضل التأليف فيه عظيم  
ولا يستكشف شيئا من منافعه الا ذولب سليم

ومن فروعه الفرع الذي حفظ اطفال النوع البشري من الآفات والمهلك  
وهو فن تلقيح الجدرى بالمادة البقرية حيث انتشر في المسالك والممالك وفضل  
استكشافه لحكماء الافرنجة المتأخرين وان كان معلوما قبل ذلك لبعض قري

القدر بالانسان فيكون مشروفا ثم يصير شريفا ويكون فقيرا ثم يصير غنيا  
وبالعكس الى ما لا نهاية له من التقلبات

الناس مثل زمانهم حذو المثال على مثاله  
ورجال دهرك مثل دهرك في قلبه وحاله

«مطلب»  
اول من وضع  
الشرنخ

ولما افتخر الفرس بوضع الرد وكان ملك الهند يومئذ بلاهث وضع له  
الحكيم المسمى صصة الشرنخ وجعلها مثالا على ان لا قدر وان الانسان  
قادر بسعيه واجتهاده أن يبلغ المراتب العلية فان هو أهملها أصاره الخول الى  
الحضيض ومما جعله دليلا على ذلك ان البيدق ينال بحر كته وسعيه منزلة  
الفرزان في الرياسة وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت وجعلها  
درجات ومراتب ومثل الشاه بالمدير الرئيس وكذلك ما يليها من القطع وبين  
لاهل فارس ما خفي عنهم من مكاييد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان  
المغلوب فظاهر للملك مكنون سرها فقال له اقترح ما تشتهي فقال اشتهي ان  
تضع حبة بر في البيت الاول واثنين في البيت الثاني ولا تزال تضعها الى  
آخر البيوت وما بلغ تعطيني اياه فاستخف الملك عقله واستقل طلبه وقال  
كنت اظن رجاحة عقلك وانك تطالب شيئا نفيسا فقال ايها الملك انك الماصرفتي  
الى التمني لم يخطر ببالى غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنه فأنتعم له الملك بما  
سأل وامر الحساب أن يحسبوا ذلك فلم يجدوا ما يفي للحكيم بمراده وقد احصى  
ما طلبه فوجدوه الوف مكررا تكريرا جسيما لا تفي به اشوان الملك فاخترع  
الشرنخ حكمة جليلة تخلدت في جميع البلدان وقامت على شدة ذكاء مبتدعها البرهان  
وأجل من هذا المستخرج للشرنخ من استخراج فن الطب ودونه وهو  
الحكيم اسقلاينوس بباء موحدة تحمية بعد اللام خلافا لمن جعله بالنون وهو

إذا درت نياتك فاحتملها فأتدري الفصيل لمن يكون  
 إذا ملكك بذاك فلا تقصر فإن الدهر عادة يخون  
 وبالجمل فالأمل مغناطيس العمل وخير الأمل انتظار الحمد والشكر  
 وحب الفخر ودوام الذكر ولولا ذلك لما كان اجتهاد ولا استنباط ولا  
 كسب ارتفاع غب انحطاط ولا اختراع مخترع ولا ابتداع مبتدع فهل  
 يحسن بالعاقل أن يعمل فكره الا فيما يخلد ذكره

نافث على الخيرات أهل العلا فانما الدنيا أحاديث  
 فقد تولع العقلاء على اختلافهم بامعان الانظار واعمال الافكار في امور  
 يظهر للعامة أنها حقيرة وهي عند أذكيا الخاصة خطيرة

إذا لم يكن الا الأسنه مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها  
 فمن اخترع حكمة بذكائه وفكره كانت سببا لبقاء ذكره ومن هذا  
 القبيل أزد شير بن بابك وهو أول ملوك الفرس الأخيرة فانه أول من  
 وضع النرد وضربها مثالا للقضاء والقدر وأن الانسان ليس له تصرف في  
 نفسه لا يملك لها ضرا ولا نفعا بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر  
 معرض للنفع والضرر ووضعها على مثال الدنيا وأهلها ورتب الرقعة اثني  
 عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر  
 والدرج التي تكون لكل برج وجعلها مثالا للحظ الذي يناله العاجز بما يجري  
 له الفلك والحرمان الذي يتلى به الحازم بما جرى به عليه الفلك وتوصل الى  
 ايصال تلك العقول بفصين أنزلها منزلة الليل والنهار وجعل لكل فص ستة  
 أوجه كجهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال يشير الى  
 ان الانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير ولا الشر وأشار في قلبها الى تقليب

« مطلب »  
 اول من  
 وضع النرد



وقيل غبار العمل خير من زعفران البطالة قال الشاعر

قصر الناس بي ولو كنت ذاماً      ل جلبت الجميع بالمال حولي  
ولقوا أنت الكريم علينا      وتخطوا الى هواي وميل  
ولمكت المروف كيلا مليثا      يعجز الناس أن يكيلوا ككيلى  
وقال غيره

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة      ان الجلوس مع العيال قبيح  
فالل فيه مجلة ومهابة      والفقر فيه مذلة وفضوح  
(غيره)

فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى      ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر  
ولم أر زين المال الا امتهانه      وهنفده في أوجه الحمد والأجر  
وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه اذا خرج في تجارته أخذ بضائع  
لضعفاء قرش فيبيعها لهم ويشترى ولا يكلفهم شيئاً

ليس التقي بمتق لا لده      حتى يطيب شرابه وطعامه  
ويطيب ما يبخى ويكسب أهله      ويطيب من لفظ الحديث كلامه  
وحسب ترك العمل ذماً أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الكسل  
(وقال) على رضى الله عنه خلق التواني والكسل فزوجهما فتتج من بينهما  
الفاقة (وقال) رضى الله عنه الحركة ولود والسكون عاقر ولا ينشأ عن البطالة  
الا المفسدة فعلى المرء أن يشغل النفس التى هى عين فارغة بما يصلحه والا  
شغلته بما يفسده ولذلك قيل الحركة بركة والتواني هلكة وكاب طائف خير من  
اسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف ومن شمر طالبا جاء الى بيته جالبا قال الشاعر  
اذا هبت رياحك فاغتمها      فان لكل خافقة سكون -

وقال آخر

ذاكرته عهد الوصال فتال لي كم ذا تطيل من الكلام المؤلم  
لما رأى الدنيار أنشد قائلا أين المفر من القضاء المبرم  
وقيل درهمك وسيفك فازرع بهذا فيمن شكرك واحصد بهذا  
فيمن كفرك قال الشاعر

لم أر شيأ صادقاً نفعه للمرء كالدرهم والسيف  
يقضي له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف

وقال آخر

ذريني للغنى أسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير  
وأهونهم وأحقهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير  
يباعده الخليل وتزدريه حليته وينهره الصغير  
ومن بلغ الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير  
قليل ذنبه والذنب جم ولكن الغنى رب غفير  
قيل لميمون بن مهران إن فينا اقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتين  
أرزاقنا فقال هؤلاء حمقى إن كان لهم يقين مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن  
فليفعلوا

لقد هاج الفراغ عليك شغلا واسباب البلاء من الفراغ  
وسئل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ما تقول في رجل قعد في بيته  
أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتيني رزقي قال هذا رجل جهل العلم  
أما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي يعني الغنائم  
زروح ونغدو لحاجتنا وحاجة من عاش لا تقضي

بالليل وكان أغلب الملوكة والولاة على قدم الانبياء والاصفياء يتخذون لهم  
صنائع يكتبون بها وينفقون منها توخيا للانفاق من الحلال وتزها عن  
الاخذ من بيت المال وقال سعيد بن المسيب رحمه الله لا خير فيمن لا  
يجمع المال من حله يخرج منه حقه ويصون به عرضه قال الشاعر

ولا تجمع الأموال الا لبذلها      كما لا يساق الدرال الى النحر

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله عز وجل ويزدكم قوة أي  
مالا الى مالكم فلا يجد الا بالمال والآمال متعلقة بالأموال قال الشاعر

كل النداء اذا ناديت يخذلني      الا ندائي اذا ناديت يا مالي

والمال أصل السوء والرياسة اذبه تستجمع أسبابهما وقد انقاد الناس قديما  
وحديثا للغنى لان القلوب لا تستمال الا بالمال قال ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى      فأنت المسود في العالم

وحسبك من نسب صورة      تخبر أنك من آدم

ولما وصل العزيز بن تميم بن سعد بن منصور العبيدي الى الديار المصرية  
بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط القاهرة وكان العبيديون  
يتسبون الى فاطمة رضي الله تعالى عنها خرج الناس الى لقائه واجتمع به الاشراف  
فقال له من بينهم محمد بن عبد الله بن طباطبا العلوي الى من ينتسب مولانا فقال  
لهم سنعقد لكم مجلسا ونسرد لكم نسبنا فلما استقر في قصره جمع الناس في مجلس  
عام ونثر عليهم الدنانير والدراهم حتى عمهم وقال هذا حسبي ثم سل نصف سيفه  
قال وهذا نسبي فقالوا جميعا سمعنا واطعنا

اذا كنت في حاجة مرسل      وأنت بها هائم مغرم

فأرسل حكيمًا ولا توصه      وذاك الحكيم هو الدرهم

## الفصل الرابع

(في مدح السعي والعمل وذم البطالة والكسل)

قد اسلفنا ان الاعمال هي اسباب السعادة والثروة ومنبع الاموال  
والغنى فالارض الزراعية انما هي مورد للاعمال مساعد وان الارض المخصبة  
بدون العمل لا تنتج شيأ والارض المجربة بكثرة العمل تخبث وتنتج  
النتائج الجمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وفي  
التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق وقد كان الانبياء والسلف الصالح  
يعيشون من كسب أيديهم ويحترفون فقد قال الله تعالى في حق داود عليه  
السلام وعلمناه صنعة لبوس لكم أي عمل الدروع من الحديد فقد علمه الله  
تعالى صنعة الحديد فصار يحكم منها الدروع فاستعان بها على أمره واشتغل  
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بالتجارة بالشام للسيدة خديجة رضي الله عنها  
وبعد النبوة كانت حرفته صلى الله عليه وسلم الجهاد فقد قال صلى الله عليه وسلم  
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال ان الله يحب العبد المحترف ويبغض الصحيج  
الفارغ وقال صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا  
له والكال في طلب الحلال الذي يتعب نفسه في العمل لكسبه وقال عمر رضي  
الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علم ان  
السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وقال رضي الله عنه اني لأري الرجل فيعجبني  
فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني

وكان ابراهيم بن ادم على ورعه يسعي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ  
البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويؤدى الفرائض بالنهار ويصلي النوافل

غير المنتجة فهم من هذا الوجه كالأمرء يعيش في جانبهم خلق كثير بدون  
 تربيح للمنصرف من أرباحهم فقد حازوا فضيلتي الفلاحين والأمرء  
وهذا كله إذا اعتبرنا أن الأمرء واصحاب المناصب الملكية وغيرها  
 لا يتشبثون بالزراعة والتجارة والا فأكثروا في البلاد الزراعية أو التجارية  
 بأسوة كبار الأهلالي فلهم الدوائر العظيمة الراجحة والأملأك الاستغالية فهم  
 بهذا المعنى داخلون في عصابة أهل الفلاحة والتجارة ومتعيش في دوائهم  
 كثير من الناس يعنى من العمال المنتجين وغير المنتجين وأيضا ما يرد لهؤلاء  
 من المرتبات المنصرفة من طرف الاعمال المنتجة يصرفون أكثروا منه على  
 الوظائف غير المنتجة في نظير عوائد أملاكهم فيرد اليهم من الخزائن  
 الملكية مقادير مالية على قدر استعدادهم وأهمية مناصبهم ويصدر منهم  
 أيضا الى تلك الخزائن مبالغ كثيرة أو قليلة على قدر أراضيهم وما عليها من  
 العوائد

وبالجملة فالسكلام على الانتاج وعدمه ومصادر الأموال ومواردها انما  
 هو بالنظر للحيثيات فقد يجتمع في الأمير مثلا أن يكون أيضا له زيادة عن  
 مزية امارته مزية الزراعة والتجارة لرأس مال ايراده فيكون جامعا للمنافع  
 العمومية ويكون منتجا من جهة وغير منتج من أخرى والله يرزق من يشاء  
 بغير حساب

ثم ان الاعمال بنوعها منتجة وغير منتجة ممدوحة مطلقا لما فيها من  
 السعي كما ان البطالة مذمومة عند جميع الأمم شرعا وعقلا فلنذكر ما قيل في  
 مدح العمل وذم البطالة في الفصل الرابع من هذا الباب



والصناعات المنتجة سهلة جدا لمواظبتهم غالبا على ذلك ولذلك تجدد في تعاديل  
فردة الرؤس والعوائد ان عوائد كل واحد منهم بقدر ميسرته و على حسب  
كميات وفره واقتصاده

« مطلب »  
بديل العوائد  
ن قدر الميسرة

ومن هذا كله يفهم أن محصولات الاراضي وأرباح رؤس الاموال  
موردان اصليان يتعيش منهما ارباب الاعمال غير المنتجة وان الوفرة والتدبير  
يليق ويتأتى كل منهما لاهل الفلاحة والتجارة وان طائفة الزراعين والتجار  
يمكنهم على حد سواء تعيش العمال المنتجين وغير المنتجين بل تعيش غير  
المنتجين من ربح اهل الزراعة والصناعة اكثر لجسامة ما يعود على الحكومة  
منهم وهو ايضا احق وأولى لعموم منفعته وتنقله من أيادي أهل الحكومة  
الى حاجة أناس كثيرين فان مراتب الامير مثلا يتعيش منها غالبا أناس  
كثيرون من العلماء والصلحاء والفقراء والخدم والحشم وفاقا لقوله صلى الله  
عليه وسلم ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم  
يحمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال وقال صلى الله عليه وسلم ان  
لله أقواما اختصهم بالنعمة لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نزعها  
منهم وحوّلها الى غيرهم ومن الامراء جم غفير يتعلق الناس بأذيالهم ويتعيش  
من فضول اموالهم كثير من أرباب البطالة والفراغ اكثر ممن يتعيش من  
ارباب الفلاحة لان ارباب الفلاحة لا يتعيش منهم غالبا الا العمال ارباب  
الصناعة المنتجة ومع ان العادة تقضى بان أغنياء التجار يستعملون رؤس  
أموالهم ليعيش منها أناس كثيرون من أرباب الاعمال الشاقة كالاسفار  
ونحوها فهم في ذلك كارباب الزراعة يبحثون عن الربح والفائدة الا ان  
ارباحهم يتعيش منها عادة كثير من الخدم والحشم وأرباب الحرف

« مطلب »  
التعيش من  
تبات الموظفين

بهم تقاييدا لكبار أرباب الاملاك واغنياء التجار فيتعيش في جانبهم اناس كما  
تعيشوا في جانب غيرهم فقد عادت منهم المنفعة على غيرهم كما عادت عليهم من  
منفعة اعمالهم في خدمة غيرهم وهؤلاء الاشخاص اصحاب النعمة الجديدة  
قد تعود المنافع منهم على أناس آخر كارباب حرف الافراح والاراح والمستحقين  
للاعانات فيتعيش منهم طوائف كثيرة من ارباب الاعمال غير المنتجة وكذلك  
هؤلاء العملة المنتجون تنتفع منهم الحكومة بدفع الروايد التي هي في الغالب  
يتحصل منها جزء عظيم يساعد على احتياجات الحكومة لصيانة البلاد والعباد  
ومع ان أرباب الدولة متقلدون باشراف الاعمال الملكية وهم أصحاب الامر  
والنهي والنفوذ فعمليتهم كما قلنا ولو انها مهمة وأولية غير مالية لا يباع منفوعها  
ولا يشترى وانما هو قطب رحي عموم الانتاج

وقد اسلفنا ان العمال المنتجين يأخذون عملهم من جزء الارباح المعتبر رأس  
مال بتعيشهم وان العمال غير المنتجين يأخذون مرتباتهم من الارباح الزائدة  
عن العمليات التشغيلية ونقول هنا ان هذه الارباح التي يتعيش منها صاحب  
المال والعمال غير المنتجين لا يمسها أحد منهم الا بعد جعلها في حركة  
التدويرات التامة لانتاجها وتوزيعها يعني انها لا بد من ترويجها وتشغيلها على  
الطريقة السابقة في السنين السابقة لتكون مضمونة فهذا ينبغي ان تكون أجرة  
العامل مستحصلا عليها بالتام في مقابلة عمله وان يكون استحقاقها بجميعها بعد  
العمل ولا يتصرف في ادنى شيء منها بعمل غير منتج حتى لا تضعع هباء منثورا  
فاذا صرف حيثئذ منها شيئا لا يكون الا سيرا لمقتضيات الاحوال الضرورية  
بل ينبغي ان لا يصرف الا ما دبره ووفره من ازمة سابقة لاسيما ان كان مادبره  
له اراد وترييح فانه يكفيه لمصارفه وطريقة الوفرة عند أرباب الأعمال

مطلب  
وفاء الاجير  
أجرة عمله  
توفيقه للعمل

هي ثمرة العدل المنتج تدفع اجرة ذلك العمل

وهذه الارباح أيضا معدة لتكوين الايراد الذي يخرج منه أرزاق  
الاشخاص المنتجين وغير المنتجين يعني جميع أهالي البلدة مكتسبة  
ومرتقة فدار مؤنة الاهالي جميعهم على الاعمال المنتجة يعني موارد الاموال  
فكل انسان أخرج من ماله شيئا وجعله رأس مال في زراعة أو تجارة  
فلا يكون غرضه منه الا تبيع هذا المال فلا يصرف منه الا للعمال المنتجين  
الذين ينض هذا المال بعملهم فاذا صرف رأس المال على العمل أنتج مما صرفه  
جزأ بوصف الربح يعود على العمال في نظير أجرتهم فربح الشغالة انما هو  
نتاج من عين عملهم لا من رأس مال المالك فاذا أراد المالك ان يستخدم  
خدما لعمل غير منتج وجعل لهم مرتبا فصرف هذا المرتب خارج من أصل  
ماله فيدخل في الحساب ضمن المال البقي لنفقته فليس ما ينفق على الخدم من  
ربح عملهم كارباب العمل المنتجين فأرباب الاعمال غير المنتجة وأرباب  
البطالة يتعيشون جميعا من ايراد واحد له موردان الاول محصول الربح  
السنوي الوارد لصاحبه في مقابلة مال أرضه أو ربح ماله والثاني المال  
الذي يخص العامل في نظير عمله بقصد التعيش به الذي هو عبارة عن رأس  
مال العمل

فاذا وصل هذا القدر من رئيس الدائرة الصناعية او الزراعية الى العامل فانه  
يتعيش منه لنفسه فاذا زاد عن مؤنته فلا مانع ان يتعيش منه ناس آخر منتجون  
او غير منتجين كما اذا كان العمال ارباب أهمية في العمل ولهم أهمية وشرف  
ورياسة في صنائعهم فان مرتباتهم من دوائر العمل تكون جسيمة  
فبمقتضى الاحوال المسعدة لهم يستخدمون من الخدم والحشم من يليق

وهلم جرا فان اشغالهم جميعا واعمالهم أعراض تنتهى عقب فراغها لراغها  
 فاعب الالعب وانشاد المنشد وانغام المغنى وتوقيع الويسيقى ضروبه على  
 حسب المقامات كلها أعراض تنتهى بانتهاء عملها لطلابها وليست مربحة واما  
 عمل آلاتها وكتبها وتأليفها فهو منتج أموالا واما هي في حد ذاتها فملحقة  
 بغير المنتج فجميع أرباب الاعمال غير المنتجة وأرباب البطالة الذين لا عمل  
 لهم كلهم على حد سوى في كون مصارفهم صادرة عن محصولات الارض  
 السنوية وعن عمليات الاهالي الصناعية فنفقهم على غيرهم مع شرف البعض  
 كشرف الولاة والقضاة وآمناء الأديان والانتفاع بخدمة البعض الآخر  
 كارباب الطرب والملاهي وما اشبههم ثم ان المحصول الزراعى أو الصناعي  
 ولو بلغ ما بلغ في العظم والكثرة فهو محدود ومتناه ومقدر بالحساب فاذا  
 أخذنا حساب السنة الماضية وعرفنا منه مقدار المنصرف في استحقاقات  
 ومرتبات غير المنتجين من الاشخاص قل عددهم أو كثر وكذلك مرتبهم  
 وجعلنا الباقي على ذمة مصارف الأشخاص المنتجين فهذا القدر الباقي قليلا  
 كان أو كثيرا يكون هو محصول السنة المقبلة لانه هو الذي يباع ويصير  
 دخوله في التشغيل للتربيح ومن هذا يتبين ان المتحصل من المزارع في  
 السنة هو نتيجة العمل المنتج يعنى اراد المزارع في السنة بعد استئزال اجرة  
 الارض أى ما عليها من المال وما يتبع ذلك من التقاوى وعلف المواشي  
 واجرة المبهات الآلية وغير ذلك فالصافي بعد هذا هو الربح وهو الذي  
 يحصل منه تشغيل السنة المقبلة ومنه تدفع اجرة الاجير المنتج ويقاس على  
 ذلك دائرة الصناعة كالفريقة فان أغلب محصولها في العادة هو في مقابلة  
 راس المال والباقي يعد ارباحا بعد تنزيل المصارف فمن هذه الأرباح التي



المأمون من قوله ان اسباب المكاسب أربعة وعد منها الامارة وقال ان  
 ماء ذلك فهو كل علينا والكل بفتح الكاف الحلق وقد قلنا ان مرجع  
 استحصال الاموال لا يكون الا من الزراعة والصناعة والتجارة فهي محل  
 الأرباح والايراد واما غيرها فهو محل للمصارف لاننا بينا ان غير المنتج  
 من الاعمال هو ما لا يبقى بعد انقضائه شيء من ثمرات العمل يروج ويكفي  
 لعمل آخر فوظائف جميع الاحكام الملكية وضباط العسكرية البرية والبحرية  
 وجميع الجنود كذلك وان كان عليها مدار حركة الانتاج بل هي القوة الباعثة  
 له في الوقائع ونفس الامر الا انها لا تسمى في عرف المنافع العمومية  
 بالمنتجة للاموال بنفسها وبعملها وان كانت لهم مرتبات سنوية جسيمة  
 في نظير مأمورياتهم فهذه المرتبات عائدة اليهم من أهوال غيرهم ولو ان  
 خدمتهم للحكومات في غاية الشرف والمنفعة ومن أشد اللزوم للاهالي  
 فلا تنتج ربحا يروج منه مقدار للمستقبل يساوي الصرف على خدمتهم  
 سنة يعني لا تربح خدمتهم للحكومة مالا ناضيا يعطى لهم في السنة المقبلة  
 فهذا المعنى يقال انهم غير منتجين يعني هم جهة مصرف لاجهة ايراد أى  
 ليسوا جهة أرباح ويلحق بالمنصب الميرية المناصب القضائية والدينية والعمومية  
 كعمال الاوقاف ونحوها فان الموظفين بهذه المناصب المفخمة غير منتجين  
 بالمعنى السابق يعني مناصبهم لا تجلب أرباحا ولا مكاسب ومثل هؤلاء اهل  
 الآداب كالشعراء والمنشئين ومن ذلك أرباب فنون الطرب والملاهي  
 والمصارعين كاهل الموسيقى والمغنين والمنشدين وما أشبه ذلك فجميع هذه  
 الأعمال ليس لها قيمة مالية وكسب وتربح كالا شغال المنتجة لذلك اذ لا  
 تنتج شيئا يباع ويحصل منه لسنة أخرى مصاريف العمل الذي يعطى ربحا



والتعهد فان رئيس الصناعة يعطي المهات الجسيمة لمترا كمة الأجزاء والمواد  
 بقدر معلوم للعمال في نظير الأجرة فاذا تخصصت على الزمن ربما تفرق عن  
 المياومة بكثير فيربح المالك ربها عظيما ويخسر العامل لانه معط نوعا للكثير  
 وأخذ للقليل وجميع هذه المصنوعات والمشغولات توضع في مخازنها الى  
 وقت رواجها فتباع ويتحصل منها مقادير جسيمة بحيث تكفي لتشغيل  
 مشغولات قدر التشغيلات الأولية التي بيعت مشغولاتها عند رواجها يعني  
 ان صاحب المال ربح جودة وسائل التشغيل وأدواته فقد توفر رأس ماله  
 وما اكتسبه من عمل العمال وهلم جرا الى غير نهاية بخلاف خدمة الخادم  
 لسيدته فلا تتر له ثمرة باقية وليس لها مورد ولا محصول ولا بضاعة تباع  
 ولا تشرى بل خدمات الخادم اعراض تنقضى بالفراغ من عملها بدون  
 بقاء أثر ولا قيمة فلا تعطي بعد انقضائها ربها يكفي صرفه لمدة أخرى  
 بقدرها عند العود لثلاثها ولو كانت لزومية وعليها مدار العمل في الجمعية يعني  
 في الملكية المتمدة

نخدمة المقادين للمناصب العالية والوظائف السامية في أى دولة من الدول  
 وكذلك خدمة الخدم المعتادين لسادتهم في أى بلد كان لا تنتج ربها ماليا ولا  
 قيمة مثرية للمخدوم محسوسة يعني لا تنتج بنفسها استغلال الاموال لمن هي  
 منسوبة له وهذا لا يقدر في حقها شياً لان خدمة أرباب المناصب في الممالك  
 عليها مدار العمل والارشاد بالتدبير والسعى في الاصلاح فانتاجها الحقيقي  
 انتاج بالواسطة فهو انتاج الانتاج لا انتاج بالفعل والمباشرة وكلامنا في  
 انتاج رؤس الاموال والسرمايات دون الانتاج الارشادي والا اذا نظرنا  
 الى انتاج الادارة ومعونة الحكومات وجدنا صحة ما سلف نقله عن الخليفة

تدل على المعنى المراد ثم ان العامل في اوسية أو دائرة العامل صناعية أو  
 زراعية تزيد بعمله قيمة البضائع المصنوعة التي هي مورد عمله فله مدخل  
 عظيم في تربيح صاحب الملك فهذا العامل منتج للكسب والاستغلال  
 بخلاف عمل الخادم عند السيد فانه ليس فيه في حد ذاته للسيد ربح ولا  
 مكسب مالى ومن المعلوم ان كلا من العامل والخادم يتعيش من محل  
 العمل أو محل الخدمة لانا اذا نظرنا للحقيقة ونفس الامر نجد أن العامل  
 المستأجر يأخذ من صاحب المصنع أجرة مقدمة على العمل ومع ذلك  
 لا يتكافى على صاحب المصنع شيأ فان أجرته في الغالب تنقص من الربح  
 الزائد المتسبب عن عمله فهو يأخذ من ثمرة كده وعرق جبينه بخلاف  
 ما يأخذه الخادم من سيده من الجامكية في مقابلة خدمته فليس مأخوذا  
 من مورد مالى صادر عن عمل الخادم والدليل على ذلك ان آحاد الناس من  
 ارباب الفلاحة أو الصناعة قد يربح من عمل عماله وآثار مهارتهم شيأ يصير به  
 رئيس جماعته فلاحية أو عريف فرقة صناعية فيتشغله كثيرا من العملة  
 والشغالين في دائرة شغله نحو ماله ويزيد عناده وتكمل سعادته وكلما كثرت اتباعه  
 في هذا الخصوص كثرت ثروته وان السيد قد يكثر من الخدم والحشم  
 فيكون ذلك سببا لتناقص ماله وانحطاط قدره وما ذاك الا أن الأول جميع  
 من عنده من العمال يعملون عملا منتجا مربحا بخلاف الثانى فان عمل خدمه  
 وحشمه غير منتج للمال ومع ذلك فسيد الخدام يحكمهم بقدر استحقاقهم  
 ونشاط خدمتهم وتأدية ما هو مطلوب منهم فهم آخذون لا معطون بخلاف  
 عمال الأشغال الصناعية فأجرتهم تقدر على قدر مورد العمل والمتحصل منه  
 من الأرباح والفوائد هذا اذا كان بالمياومة واذا كان بالمقاوله والالتزام

«مطلب»  
 الفرق بين  
 مل والخادم

وفاكهة اى ثمارا طيبة غير ما تقدم وأبا اى مرعى للدواب أو يابس الفواكه  
متاعا لكم ولا نعامكم اى الابل والبقر والغنم فان الانواع المذكورة بعضها  
طعام وبعضها علف وابتدا تعالى بالمرن بانبات الحب لانه أنفع المنيب ولان  
الانسان اذا تأمل في انبات الحبة الصغيرة استدلل بذلك على عظيم قدرة الله تعالى  
لان الحبة ولو صغيرة جدا اذا دفنت فى الارض وحصل لها نداوة انتفخت  
ثم لا تنشق مع عموم الانتفاخ لها الا من أعلاها وأسفلها فيخرج من الأعلى  
الجزء الصاعد الممتد وهو الساق ثم يتشعب منها أغصان كثيرة الى الجانبين  
ثم يطلع الزهر غالبا ثم منه تصلح الثمرة وهي مشتملة على أجزاء غليظة  
كالقشر ولطيفة كالباب وفيه الدهن وأما الجزء الفاض من أسفل الحبة  
فيتفرع منه عروق تغوص فى الارض الشديدة الصلابة مع غاية لطفها  
ويوصل الله بها الأغذية من الطين الى الجزء الصاعد والاغصان ويوزعها الله  
فى كل جزء من أجزاء الاغصان فاذا تفكر الانسان فى هذا وأمثاله  
ذهبت غفلته وحدث للقلب خشية كما يحدث الله عند الماء السماء للزرع  
وعلم ان الفعل لله حقيقة ولغيره مجازا

وقد قسم ارباب الادارات والتدابير العمل الى قسمين لا ثالث لهما  
منتج المال وغير منتج له لان العمل لا يخلو اما ان تزيد قيمة مورده بالربح  
فهو المنتج واما أن لا تنشأ عنه ثمرة تربح مالي تنسب اليه فهو غير المنتج  
وهذا يرجع الى الاستغلال وعذمه بالعمل وكما يقال للعمل منتج أو غير  
منتج يقال للعامل كذلك فالعمال صنفان مكتسبة ومترقة ويقال للعمل أيضا  
خدمة سواء كان جليلا أو حقيرا فبهذا المعنى يقال لمطلق العمل خدمة  
وانما العرف يخص الخادم بالمعنى المشهور المتعارف والقرينة بحسب المحال

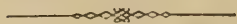
## الفصل الثالث

( في تقسيم الأعمال الى منتجة للاموال وغير منتجة لها اي استتلاية وغير استتلاية )

من المعلوم ان العمل والشغل مترادفان على معنى واحد عند اهل الصناعة والعامل والشغال كذلك فما يقال في العمل والشغل يتصف به العامل والشغال ومن المحقق ان الافعال كلها لله سبحانه وتعالى وانما احوج عباده الى تحصيل اسباب الحاجة المتكاثرة ليظهر للخلق انه اراد استجلابها بوجه حلال وجعل الانسان اكثر اصناف الحيوانات احتياجا وجعل دونه في الاحتياج سائر اصناف الحيوانات حيث اقتضت الحكمة الالهية ان تكون غنية باصوافها وأوبارها واشعارها عن اللباس والدثار وغنية بالارض والأوكار عن ان تتخذ بنيانا واشرك الجميع في مادة الاحتياج الى الغذاء لئلا يشتركوا مع الالهية فاذا ادعى بعضهم الربوبية انفسه كفرعون أو لغيره كان احتياجه الى تكرار الغذاء شاهدا على كذبه كما قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل أى مضوا فهو يمضى مثلهم وليس باله كما زعموا وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أى كغيرهما من الحيوانات المشتركة معهما في ذلك ومن كان كذلك لا يكون آلهما لاحتياجه الى الطعام والى خروج مانسأ عنه من الفضلات فالفعل والتدبير انما هو لله سبحانه وتعالى في تحصيل ما يحتاج اليه الآدمي وغيره من الغذاء والادم والقواكه والأشربة كما قال الله تعالى انا صيونا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا أى بالنبات فانبتنا فيها حبا أى كالخنطة والشعير وعنبا وقضبا أى تبنا للعلف وزيتونا ونخلا وحدائق أى بساتين غلبا أى عظاما لكثرة أشجارها

حرمة من الناس لان الله عز وجل لم يحقر الانسان اذا احسن تقويم خلقه  
وسخر ما في السموات والارض كله لاجله فاحتقاره احتقار لما عظمه الله  
عز وجل وكرمه قال تعالى ولقد كرّمنا بني آدم فازدرأوه من أعظم الذنوب  
والجرائم ثم قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله  
وعرضه يعني انه يحرم على المسلم سفك دم اخيه وسلب ماله وهتك عرضه  
وأدلة تحريم هذه الثلاثة شهيرة من الكتاب والسنة واجماع الامة وهي  
أصول قوام صورة الانسان لان الدم به حياة الانسان ومادة الحياة هي  
المال وبالعرض الذى هو الحسب قوام الصورة المعنوية وما سوى هذه  
الأصول الثلاثة متفرع عنها وراجع اليها فهذا الحديث يحث جميع الناس  
على مكارم الاخلاق وعلى التعاون فى التعيش والمعاملة واكثر الناس معاملة  
هم أهل الزراعة فان أرباب الأملاك والاراضى يحتاجون الى التعاون فى  
زراعة أرضهم بأكثر الصنائع وقد قال صلى الله عليه وسلم استعينوا على  
كل صنعة بصالحى أهلها وكذلك أهالى الصناعات يحتاجون لأرباب الأملاك  
الارضية للتعيش من محصول أراضيهم فيجب عليهم جميعا المناصحة لبعضهم  
وتقوى الله فى صنعتهم ثم ان العمل الذى عليه مدار الفلاحة كما ان الفلاحة  
عليها مدار غيرها من الصنائع ينقسم الى قسمين منتج وغير منتج وهذا هو  
موضوع الفصل الثالث من هذا الباب

« مطلب »  
احتياج الزراة  
لأكثر الصنائع  
وبالعكس





على قبجه وتحريمه الا لمصلحة قوية ضرورية ولا يحقره أي لا يستصغر شأنه  
ويضع قدره ولا يغير عهدده ولا يتقص اماته باستخاته  
وبالجملة فيعامل اخاه بمضمون حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه  
ما يحب لنفسه فلاحتقارنا شيء عن الكبر وهو مذموم لان المتكبر ينظر لنفسه  
بعين الكمال ولنيره بعين النقص فيحتقره ولا يراه أهلا لان يقوم بحقوقه  
قال ابن حجر وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمة لا للاختصاص به من كل  
وجه لان الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بدفع نحو عدوه عنه  
والكذب عليه واحتقاره الامن حيث مغيرة الدين ثم قال صلى الله عليه  
وسلم التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات يعني ان التقوى هي اجتناب  
عذاب الله تعالى بفعل المأمورات وترك المحظورات في القلب الذي في الصدر  
قال تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وفي هذا اشارة  
الى ان العبرة بالقلوب كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ألا وان في الجسد  
مضغة اذا صلحت صالح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب  
فهو المارف بالشرائع والطرائق والحقائق واذا استقام القلب استقامت الجوارح  
لا سيما اللسان فانه ينكف اذاً عن كل انسان وهنالك يستقيم الايمان فعلى  
الانسان ان يتمسك بالتقوى التي هي السبب الأقوي ويقف عند حد كلام  
النبوّة ليتصف بالروءة والفتوة فلا يظلم احدا ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله  
فقد قال صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم وقال ليس منا من لم يرحم  
صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا ثم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرء من  
الشر ان يحقر اخاه المسلم يعني يكفي الانسان في ان تكون اخلاقه موصوفة  
بالشرف وان يكون سيء المعاش والمعاد احتقار أخيه المسلم واحتقار من له

الصحيحين مثل المؤمنين في توادهم وتماطفهم وراحهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر وروى أبو داود المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيقته ويحوطه من ورأه ورواية الترمذي ان أحدكم مرآة أخيه فان رأى به أذى فليمطه عنه أي يبعده عنه ولا مانع أن يعمم في مكارم الاخلاق فجميع ما يجب على المؤمن لآخيه المؤمن منها يجب على أعضاء الوطن في حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلاً عن الأخوة الدينية فيجب ادبالمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناؤه وثروته لان الغنى انما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية وهى تكون بين اهل الوطن على السوية لاستفادتهم جميعاً بمنزلة الأخوة الوطنية فتى ارتفع من بين الجميع النظام والتخاذل وكذب بعضهم على بعض والاحتمار ثبتت لهم المكارم والآثر ودخلت فيما بينهم السعادة بكسب شعائرها وماثرها فلذلك بين عليه الصلاة والسلام قوله المسلم أخو المسلم بقوله لا يظلمه أى لا يدخل عليه ضرراً فى نحو نفسه اودينه او عرضه أو ماله لان ذلك قطيعة محرمة تنافى الأخوة

قال الامام ابن حجر فى شرحه على الاربعين النووية بل الظلم حرام حتى للذمى فالمسلم أولى انتهى وهذا يؤيد ما قلناه من ان اخوة الوطن لها حقوق لاسيما وانها يمكن ان تؤخذ من حقوق الجوار مما للجار على جاره خصوصاً من يقول بأن أهل الحلة الواحدة كلهم جيران وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يخذله اي لا يترك نصرته لشرعة لاسيما مع الاحتياج والاضطرار اليها وقوله ولا يكذبه أى لا يخبره بامر على خلاف الواقع لانه غش وخيانة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقد اجمع جميع الملل

« مطلب »  
تسوية الذم  
بالمسلم في حرم  
ظلمه

وأنا أشتريه منك بأعلى فإن هذا كله من باب الضرر ومثله السوم على السوم والخطبة في الزواج على خطبة الغير ومثل ذلك كل ما كان في معناه مما ينفر القلوب ويورث البغضاء وأغلب أهل الفلاحة والصناعة والتجارة لا يتحرزون عن ذلك لاسيما بعد استقرار البيع والايجار وانتراضى عليه ويتعاملون في جواز القدوم على ذلك بالغبن وبعض العلماء لا يجوز القدوم عليه ولو كان مغبونا وبالجملة لا تجوز الزيادة في ثمن البيع والسوم ولا على الايجار بعد الاستقرار بل تحرم وتجوز الزيادة قبل الاستقرار

ثم حث صلى الله عليه على حسن المعاشرة والملاطفة والتعاون في الخير بقوله وكونوا عباد الله اخوانا يعني يا عباد الله كلكم خلق الله قد أخرجكم من العدم لحكمة انتظام العالم وتكثير منافعه فاكتسبوا ما تصيرون به اخوانا في المودة وقد أمركم بما تقدم ذكره وأتم عبيده فحققكم أن تطيعوه وتتعاطوا أسباب ما تصيرون به اخوانا للتعاقد على اقامة دينه واظهار شعائره وانتظام ملكه وهذا انما يكون بائتلاف القلوب وتواطئ الكلمة كما يفيد قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية ثم ان أخوة العبودية التي هي التساوي في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الاخوة الاسلامية وهي اكتساب ما يصير به المسلمون اخوانا على الاطلاق من اداء حقوق بعضهم على بعض كرد السلام وابتدائه وتعليم الاحكام الشرعية ونحو ذلك من شعب الايمان فهذه هي التي أشار لها صلى الله عليه وسلم بقوله المسلم اخو المسلم يعني أخوة دينية لهما يجمعهما دين واحد وهي أعظم من الاخوة الحقيقية وقد قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي

« مطلب »  
مما ابتاء الوطن  
في مكارم  
لاخلاق بدون  
رقة ولا نظر  
للإختلاف في  
الدين

وخداع وهما محرمان لحديث من غشنا فليس منا وفي رواية من بخش فليس منا ومعناه لا يعامل احدكم صاحبه بالغش والمكر والخديعة فيدخل في قوله ولا تناجشوا جميع انواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس العيوب وكنمها وخطط الجيد بالردى قال الشاعر

ليس دنيا الا بدین وليس الدين الا مكارم الاخلاق  
انما المكر والخديعة في الناس هما من خصال اهل النفاق

ومن المعلوم ان الحسد والغش يتولد عنهما التباغض اذ يكونان من اسبابه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا اى لا يبغض بعضكم بعضا اى لا يتعاطى اسباب البغض ايا ما كانت كاللواكسة السابقة المذكورة بل ينبغي للناس ان يسعوا بما فيه ائتلاف القلوب بتعاطي اسبابه فقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده اذ ألف بين قلوبهم فقال واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى لو انفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولما سكن الله ألف بينهم فلا انسان مكلف بتعاطي اسباب الالفة والمحبة واجتناب اسباب العداوة والبغضة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا تدابروا اى لا يدبر بعضكم عن بعض اى لا يعرض بعضكم عما يجب للبعض الاخر عليه من الحقوق كالاعانة والنصر والتخاطب والتآلف وعدم الهجر في الكلام الا لعذر شرعي كنهوتهم وقصد تأديب ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا يبيع بعضكم على بيع بعض بان يقول بائع لمشتري سلعة في زمن الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثلها بأرخص من ثمنها أو يقول أنا أبيعك أجود منها بثمنها ومثله الشراء على الشراء بان يقول مريد الشراء للبائع في زمن الخيار افسخه

منتج لولاه لما ربحت الارض ربها عظيما فواكسة للمالك له في تقليل أجرته  
محض اجحاف به ووصف استملاك الاراضى والصرف على الزراعة من رأس مال  
المالك لا يقتضى كونه يستوعب جل المحصولات ويجحف بالأجير نظرا الى  
ازدحام أهل الفلاحة وتقيصهم للاجر وسومهم على بعضهم بالازيدات  
التنقيصية وهذا لا يثر محبة الاجير للمالك (من يزرع الشوك لا يحصده غنيا)  
فان هذا فيه ايداء بعضهم لبعض وهو ممنوع شرعا كما يدل عليه ما رواه ابو  
هريرة رضى الله عنه فقد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا  
ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض  
وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا  
يحقد له التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر  
أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم  
وفي رواية ولا يسم على سومه ولا يخطب على خطبته وحيث كان هذا  
الحديث كثير الفوائد عظيم العوائد مشيرا الى حل المبادي والمقاصد حاويا  
لكثير من الاحكام والآداب اشارة وصراحة لا سيما انه ينطبق انطباقا  
كليا على اعمال الفلاحة بينا معناه بطريق الاختصار فقوله صلى الله عليه  
وسلم لا تحاسدوا أي لا يحسد بعضهم بعضا أي لا يتنى زوال نعمة غيره  
لان الحسد حرام لقبحه عند المشرعين وغيرهم قال الشاعر

وأظلم أهل الأرض من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

وليس من الحسد تمنى الانسان مثل ما للغير لنفسه فان هذا هو

الغبطة الممدوحة وقوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا أي لا ينجش بعضهم  
على بعض بان يزيد في المبيع ليخدع غيره وهو أيضا محرم اجماعا لانه غش



والآلات والدواب المهندمة للزراعة فإذا كان مالك الأرض سخيا كريما  
مبسوط اليد كافأ المكافأة التامة ووسع على من ينتفع بفنه فقد جرت العادة  
أن الفلاح لا يكافأ على قدر خدمته وحرثه لقاعدة مشهورة ان من  
يزرع يحصد يعني ان المحصول للمالك وقد قال صلى الله عليه وسلم الزرع الزارع  
مع ان المعنى فيه ان الزرع لمن بزر والثمره له وعليه أجرة مثل الأرض  
لا أن العامل يأخذ أجرة قليلة على عمله ففي خبر الصحيحين انه صلى الله  
عليه وسلم عامل اهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر او زرع أى أعطاهم  
النصف في نظير عملهم وفي رواية دفع الى يهود خيبر نخلها وأرضها والمراد  
بعملهم مساقاتهم ومزارعتهم فالواقع منه صلى الله عليه وسلم مزارعة تابعة  
للمساقاة والزرع المذكور في الحديث كان شعيرا كما استظهره بعضهم ومثل  
الزرع المذكور غيره كملوخية وبامية وخوخ ومشمش فتصح المزارعة على  
ذلك تبعا للمساقاة والبذر فيها من المالك بخلاف ما اذا كان البذر من  
العامل فهي مخابرة وهي المسماة أيضا بالمشاطرة التي تقع في مثل الغنم  
والخوخ فيدفع المالك الأرض للعامل ويزرعها العامل ببذر من عنده وكذا  
القمح بل وقوع المخابرة الآن مع انها غير جائزة موجودة بمصر اكثر من  
المزارعة فحديث الزرع للزارع لا يدل على شيء من جواز استحواذ المالك  
على المحصولات وعدم مكافأة العامل ولا يستند في غبن الأجير الى ان  
المالك دفع رأس ماله في مصرف الزراعة والتزم الاتفاق عليها فهو الأحق  
بالاستحواذ على المحصولات الجسيمة وانه الاولى بربح امواله العظيمة فهو  
الاصل في التربيع وان عملية الفلاح انما هي فرعية انتجها وحسنها رأس  
المال فان هذه التعليقات محض مغالطة اذ فرض الكلام في العامل جرا لعمل

الزراعة وتكثير أشغالها فان حق التملك ووضع اليد على المزارع سوغ  
 للمالك ولواضي الأيدي ان يتصرفوا في عمليات املاكهم التصرف التام  
 وان يعطوا للعمال بقدر ما يظنون انه من لياقتهم ويعتقد المالكون انهم  
 أرباب استحقاق عظيم بسبب التملك وانهم هم الاولى بالسعادة والغنى  
 مما يتحصل من عمليات الزراعة وأن من عداهم من أهل المملكة لا يستحق من  
 محصول الارض شيئا الا في مقابلة خدمته ومنفعته المسأور باجرائها في حق  
 أرضهم فيرتب على هذا ان كل من يريد من الاهالي ان يعميش من الخدمة  
 التي هي العمل يصير مضطرا لان يخدم بالقدر الذي يتيسر له أخذه من  
 الملاك بحسب رضائهم ولو كان هذا القدر يسيرا جدا لا يساوي العمل  
 لاسيما اذا وجد بالجهة كثير من الشغاليين فانهم يتنافسون في الأجرة  
 ويتنافسون في ذلك لمصلحة صاحب الارض مع ان الارض انما تحسن  
 محصولاتها بالعمل فلا يمكن أن يكون ذلك التحسن والزيادة والخصب  
 الا بالعمليات الفلاحية الصادرة من هؤلاء الأجرية الذين تناقصت أجرتهم  
 وكما أن أرباب الاملاك يحتكرون جميع الاعمال الزراعية من طائفة الفلاحة  
 كذلك يحتكرون ثمرات جميع الصنائع لان الصنائع كلها تسعى وتهض في  
 الاشغال والعمليات التي تستدعيها حاجة الفلاحة كالحدادة والنجارة وجميع  
 صنائع أهل الحرف المتعلقة بأمور الفلاحة

فينتج من هذا كله أن زيدا من الناس اذا لم تساعد المقادير على ان  
 يصير مالكا لقطعة أرض لا يزال يقاسم مالك الارض فيما يتحصل من الثروة  
 الزراعية ولكن تمتعه ناقص جدا فانه لا يأخذ من المحصول الزراعي  
 الا القدر الذي يسمح به المالك في مقابلة خدمته وفنه وصناعته وثمرات الأدوات

عند الزارعين هذه الوسائط المتكاملة النافعة حسنت بها نتائج الأعمال اليومية وعظمت بها ثمرات الاشغال

فهذه الطرق والوسائل ينطبع في مرآة عقول الامة المتعيشة من الفلاحة صورة حركات الاشغال التقدمية ويتعودون على المبادرة بنشاط الاعمال الفلاحية فلا تزال تتجدد المنافع العمومية بالتدريج وتأخذ في الزيادة بدون نهاية وبهذه المنافع الالهية تكثر أموال الرعية وسعادتها المتعيشية

ثم ان المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية المحتنى لفوائد هذه الاصلاحات الفلاحية الناجمة في الغالب عن العمل واستعمال القوى الآلية والمحتكر لمحصولاتها الارادية انما هو طائفة الملاك فهم من دون أهل الحرفة الزراعية متمتعون بأعظم مزية فأرباب الاراضي والمزارع هم المغتسمون لنتائجها العمومية والمتحصلون على فوائدها حتي لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتها له وقع فلا يعطون للاهالي الا بقدر الخدمة والعمل وعلى حسب ما تسمح به نفوسهم في مقابلة المشقة يعني ان الملاك في العادة تتمتع بالمتحصل من العمل ولا تدفع في نظير العمل الجسيم الا بالمقدار اليسير الذي لا يكفي العمل فما يصل الى العمال في نظير عملهم في المزارع أو الى أصحاب الآلات في نظير اصطناعهم لها هو شيء قليل بالنسبة للمقدار الجسيم المائد الى الملاك فان المالك يستوفي لنفسه اكثر محصول الارض فانه بعد تصفية حساب مصاريف الزراعة وجميع كلفها يأخذ محصولها تمامه بوصف اراد للارض وعلف للمواشي وأجرة للآلات ولا يعطى لأرباب الاعمال والاشغال منها الا قدرا يسيرا ولا ينظر الى كون بعض هؤلاء العمال هو الذي حسن الزراعة بشغله واخترع لما طرائق منتجة واستكشف استكشافات عظيمة بتنمية

فيئند كل فرد من افراد الجمعية محترف بحرفة اتلاحة والعمل فيها مضطر لان يؤجر نفسه لاجرت والغرس ليتعيش بحرفته ويدخل عند مالك الارض بوصف أجير. عامل ويكف نفسه ان يصرف جميع أوقاته في خدمة الارض بدون راحة الا بقدر المسافات الضرورية لأكله وشربه ونومه وعبادته ونحو ذلك فبهذا تزداد نتائج الزراعة وتنمو يوما فيوما بكثرة العمل فالعامل الذي كان يعمل في الزمن الاول مقدارا يسيرا ويقضى أوقاته في البطالة يضطر الى ان يعمل في الزمن بعينه مقادير جسيمة ويستحصل على كثير من المحصولات بقدر زيادة القوة البشرية وذلك ان كلا من العملة واصحاب الاملاك يجتهد في البحث عن الوسائل والوسائط المقربة للعمل المسهلة له المقللة لأوقاته

فكن باحثا عما عناك فانما دعيت أخاعقل لتبحث بالعقل

ويصير الاجتهاد في ذلك بحيث ما يعمله العامل في يوم يمكنه ان يعمل اضعافه في اليوم الواحد ثلاث مرات او اربعا لان العامل قد تجرد في هذه الحالة عن البطالة وتفرغ للعمل وتمرن عليه بالداومة فكلمما مارسه تجددت عنده معرفة تامة يجيد بها عمله وبتزايد الدرجات في الكمال تحسن الزراعة وتكامل البراعة فيها فيحسن العامل العمل ويتفنن فيه ويقسمه الى اقسام ويعرف الاوقات والفصول والساعات وما يخص انواع الزراعة وما يقويها من المصلحات فتعلو قيمة العامل بالتجربة والجودة وكذلك يقف على معرفة خصائص ما يستعين به من الالات العنصرية المسهلة لصنعتة كالهواء والماء والبخار فتكون هذه الاشياء المسهلة عنده أدوات عمل كأنها عوامل بدون أجره وانما يحسن استعمالها ارباب المهارة والصناعة فاذا توفرت



وهكذا الى ان يبلغ مقدار الاهالي عشرة ملايين بقدر ما تكفيه من الغذاء  
 فتحس الامة احساسات قوية بصعوبة تحصيل غذائها لكثرة اهلها فلا  
 تكاد تحصل منه على الكفاية فكل شخص من الاهالي نقص له شيء من  
 غذائه اضطر على ان يصرف جميع زمنه وجميع قواه في تحصيل الغذاء والمؤنة  
 ففي هذه الحالة يتجدد لاهالي هذا الاقليم صفة نشاط أخرى فيكون مقدار  
 الشغل عندهم والعمل الكافي لهم صرف ما يستطيعونه من الكد والاجتهاد  
 والقوة والنشاط ولا تزال تزايد عندهم القوة النشاطية والارتفاع بالاراضي  
 الزراعية ايا ما كانت خصوصيتها.

ترق الى صغير الامر حتى يريقك الصغير الى الكبير  
 وهذه الحالة حالة تقدم للبيئة الاجتماعية محتاج اليها جميع أعضاء الجمعية  
 ففي اثناء تقدم الاهالي بهذه المثابة يتجدد عندهم حق من الحقوق المدنية وهو  
 مبدأ حق التملك للاراضي وحوزها بوضع اليد عليها باحياء مواتها فن هذا  
 الوقت يصير للارض قيمة في حد ذاتها زائدة عن قيمة العمل فالشاغل  
 لارض يختص بها بدون ان يستولى عليها بالعمل بالتملك وفي هذه الحالة  
 تضطر الاهالي الى الاستيلاء على جميع الاراضي القليلة المحصول التي كانت قبل  
 ذلك عديمة الرغبة فيها فيصير صرف الهممة في اصلاحها بالحرثة ثم لا تكفي  
 الاهالي بذلك بل ربما تدعو الضرورات الى اصلاح الاراضي العقيمة  
 لمجدبة وتقويم أودها بالحرث والخدمة واحياء مواتها بل كل من استولى على  
 ررض بهذه الحالة أجهد نفسه في اصلاحها لاستحصاله منها على البذر  
 التقاوي واجرة العمل والتسوية مدة احيائها وجبر الخسارة التي خسرها



فمن هنا ينتج ان كل امة بمجموع شغلها المنجز يساوى مجموع احتياجاتها البشرية  
 فاذا فرضنا في القضية المتقدمة ان اقليم السلوك والدنكة بالسودان اقليم فلاحه  
 وان مقدار أهله مليون ومساحة ارضه عشرة ملايين من الفدادين وان  
 الشخص الواحد يكفيه في غذائه فدان واحد فتكون ارض هذا الاقليم كافية  
 لغذاء عشرة ملايين من الانفس فحي زائدة تسعة ملايين عن حاجة أهلها  
 الموجودين بها فكل انسان من الاهالى يشتغل بقدر ما يلزم لحاجته فالعمل  
 الزراعي لا يكون من الجميع الا بقدر المؤنة اللازمة للجميع دون الزيادة عليها  
 وفي هذه الحالة يكون عمل كل انسان اقل من طاقته وجهده ودون قواه  
 الطبيعية بحيث يكون له من البطالة نصيب عظيم وايضا لا يزرعون في هذه  
 الحالة من اقليمهم الا المزارع الخصبه التي تكون سهلة الحراثة قريبة السقى بدون  
 ان يكون فيها كبير مشقة على الحارث فتلك الامه التي فرضنا اتصافها بتلك  
 الصفات تنفع بالفلاحة اليسيرة وتكتفى بقدر القوت الضروري للملازمة الكسل  
 وحب الراحة للطبع البشرى فكل فرد من افراد هذا الاقليم مستعد لان  
 يصرف ثلاثة ارباع زمته في التمتع بلذة البطالة والراحة بدون ان يعود عليه  
 ضرر في احتياجاته الاولى واقواته المعاشية فلا يضره ضياع الأوقات  
 والغالب أيضا ان الاهالى الذين هم بهذه المثابة لا يكادون يخرجون عن  
 هذه الحالة مالم تغلب على طباعهم واحوالهم حالة أخرى تعادل قوة الاحتياجات  
 الاولى كالتناسل والتوالد او تشوقهم الحكومة الى ذلك أو تجبرهم عليه فان  
 الكثرة تستجلب الحاجة فهذا يزيد عددهم ويخوف في قليل من السنين ويصير  
 ضعفين فيتضاعف مقدار زراعتهم بذلك فيكون للمليونين من الأتقس مليونان  
 من الفدادين وفي مدة مساوية لما ذكر يكون عدد الاهالى أربعة ملايين

الى الدعة والبطالة وهلم جرا وهذه الحالة في البلاد الخشنة هي حاة طبيعية  
قريبة من الحالة الفطرية التي هي حالة النوع البشري في اول امره  
فالانسان في هذه الحالة من حيث انه فرد من افراد الهيئة الاجتماعية  
لم يكن قوي الميل لتمدن الهيئة الاجتماعية يعني ان كل فرد من افرادها  
يكون بهذه المثابة لا انتفاع للجمعية بعمله فجميع اعضاء الجمعية الخشنة  
تلتذ نفوسهم بالراحة والدعة لا سيما اهل الاقاليم التي لا تستدعي احتياجاتهم  
بها كبير عمل ولا عظيم شغل فبطالة اعضائها كأنها رأس مالهم وراحتهم  
يعدونها من أعظم احوالهم وكذلك بعض اهالى المدن الغنية المثرية ذات  
الايراد المتلذذة بحسن المطعم والمسكن والزينة والرفاهية فانهم يصرفون  
النظر عن التلذذ بالشغل ويميلون للراحة والتلذذ بالبطالة والاستراحة ويهربون  
بالسرعة من التمتع بالرفاهية اذا اضطروا ان يشتغلوا بأنفسهم لا بخدمة فلا  
يعملون الاعمال الشاقة — في اراضيهم التي لا تقوم بهم الا بكثرة العمل  
فيتركون ملاذهم اذا اقتضى الحال ان يكدوا أنفسهم بعمل هين ولو كان  
جزء من ألف جزء من المتاعب التي يتعبها العملة فيفتوتون هذه اللذات  
الجسيمة ايثارا للدعة والراحة عليها لما قلناه من ان محبة الراحة فطرية مألوفة  
للفنوس على الاطلاق متمدة أو غير متمدة يعني ان اهل الممالك المتمدنة  
لو كلف مترفونهم واهالى رفاهيتهم العمل اليسير وكان لولاه لفاتهم التمتع  
بها فانهم يؤثرون الراحة على الشغل ولذلك تقول العامة الراحة والكسل  
أحلى مذاقا من العسل وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

ان البطالة والكسل أحلى مذاقا من عسل

ان لم تجربها فسل من كان قبلي في الكسل

صاحب الميسرة على تكثير ميسرته بقوة العمل ومضاعفة المهمة حسب الطاقة  
أزيد مما تساعد خصوبة الارض عليه يعني لو زرنا أرضا خصبة وميزنا ما  
يمكن ان ينسب من إيرادها للعمل وما ينسب للخصوبة منه وفرزنا كلا على  
حدته وجدنا محصول العمل أقوى من محصول الخصوبة

ودليل ذلك ان الامة المتقدمة في ممارسة الاعمال والحركات الكدية  
ذات الكمالات العملية المستكملة للآدوات السكاكة والآلات الفاضلة  
والحركة الدائمة قد ارتفعت الى أعلى درجات السعادة والغنى بحركات أعمالها  
مخلاف غيرها من الامم ذات الاراضي الخصبة الواسعة الفاترة الحركة فان  
أهلها لم يخرجوا من دائرة الفاقة والاحتياج فاذا قابلت بين أغلب أقاليم  
أوروبا وأفريقية ظهر لك حقيقة ذلك

فمن هذا يظهر ان اساس الغنى مبنى على كثرة الاشغال والاعمال فهي  
مصادر وموارد للاموال ومنابع لاسعد الاقبال ومع ذلك فليس تعويد النفس  
على النشاط سهلا فان الانسان من أصل الفطرة مركوز في طبعه كراحة  
التكليف بالعمل والتباعد منه حسب الامكان مع احتياجه اليه لحفظ نفسه  
وبقاء جنسه بالتناسل الذي من لوازمه كثرة العمل وذلك انما يكون بالتشويق  
للزواج الذي به ينمو النوع البشري في البلاد الخصبة فتبعث الوجدانيات  
صاحب العيلة على ان يستعمل حركة قواه لحاجته وتحصيل لوازمه فيغلب  
الطبع على الطبع ويحمل الانسان على الشغل رغما عن أنفه فهذا الطبع الذي  
هو طبع ثان للانسان طارىء وعارض عليه يزول بانتهاء قضاء الاوطار فيعود  
للانسان طبعه الاول من حب الدعة والراحة والانهماك على البطالة ولا يخرج  
من ذلك الا اذا تولد عنده احتياج جديد فيعمل بقدر قضاء الوطر ثم يعود

كم من رياض لا انيس بها تركت لان طريقها وعز  
ومع ذلك لو استيقظ أهلها من الغفلة لأدوا لوطنهم مفروض العمران ونفله  
لا تكونن للامور هيوبا فالى خيبة يصير الهيوب

فلنفرض أن اقليما مشتملا على قوم يعمرونه كبلاد الشلوكة والدنكة من  
الاقطار السودانية التابعة لهذه الحكومة المصرية به ارض زراعية يعنى قابلة  
للزراعة لخصوبتها وان مقدار أهله مليون من الأنفس وان أراضيه الواسعة  
المخصبة تكفى لتعيش عشرة ملايين من الاهالى فى هذه الحالة كل واحد من  
سكانه يشتغل بحراثة مقدار من الارض بقدر غذائه لاغير وليس له من  
الاشغال غير ذلك فأحد الاهالى بهذا الاقليم مقتصرون على منافعهم  
الشخصية الغذائية فلا يفكر بعضهم وهو القوة الحاكمة ان يطلب من البعض  
الآخر وهو القوة المحكومية شيئا فى مقابلة المحصولات الغذائية بوصف  
الخارج ولا يرضى أحد منهم على فرض ان يطلب منه ذلك ان يدفع شيئا بهذا  
الرسم ولا يرسم آخر كاستعاضات تجارية أو تبرعات ثوابية واذا دفع شيئا لآخر  
فانما يكون فى مقابلة الاعمال فقط اذا كان الحارث يشتغل على ذمة آخر بأجرة  
عمله فلم يكن الحارث مكلفا الا بالشغل على ذمة الزارع الذى وفر من زراعة  
عدة سنوات ماضية شيئا من المحصولات يعطيه للحارث بقدر تقاوى أرضه  
وقدر ما يتعيش به الى أوان المحصول الجديد

فميسرة الزارع أى صاحب الزرع واقتداره على البذر والاجرة ثروة  
له فهي منبع الايراد بعد الشغل والشغل وهو العمل منبع الايراد قبل تحصيل  
البذر واجرة الحارث وهذا ينتج أن منبع السعادة الأولى هو العمل والسكد  
ومزاولة الخدمة ومع ان كد العمل مصدر السعادة الاصلى فهو أيضا يعين

منتشرة في اجزائه الكونية وخواص بحرية ليست من دائرة تصرف القوه البشرية وانما حدثت للانسان من جودة الصناعة وتقدم المهارة والبراعة ومعرفة الانتفاع بتلك القوى الطبيعية التي بثتها في الكون الحكمة الالهية فالمولى سبحانه وتعالى خلق لنا هذه الاسرار والخواص وخلق فينا العقل لتقدر على الاستعانة بها لتكمل ضعفنا والاستفادة منها فيما نحتاج اليه فان الآلات والدواليب البخارية مثلا والسفن المذشورة الشراع في البحار العظيمة نستفيد منها الفوائد الجمة لقوة العمل الذي يعسر ان يكون مثله بالأيدي منتجا مقدار انتاجه بالآلات

وفي الحقيقة جميع هذه الاعمال لا يتمكن الانسان من الانتفاع بها حق الانتفاع الا بوجود الارض المخصبة او القابلة للخصوبة بالصناعة التي هي محل العمل

ولن تصادف مرعي ممرعا ابدا الا وجدت به آثار منتجع فالارض المخصبة فضلها انما هو وجود خاصية الخصب الذي هو قبول الانتاج والاثمار وهذه الخاصية بالنسبة لذات الارض غير محسوسة بل هي عبارة عن الاستعداد والقبول لاستخراج المحصولات منها بالعمل فهي في اول امرها وقبل اصلاحها تحتاج كغيرها من الاشياء الطبيعية الى قوة ارادة واختيار صادرة عن عقل وتميز ممن يريد أن يتعاهدها بالعمل ويصلحها فالمملكة المتسعة الاراضي القابلة للزراعة اتساعا بليغا يزيد عن حاجتها ليس فيها حق الملكية مشروعا ولا منتظما ولايس لها اراد ولا محصول ينتج من القدر الزائد عن حاجة أهاليها لقلتهم فالقدر الزائد من الاراضي ضائع بالنسبة الى المملكة هباء ماثورا ولكون طريقها وعرا بقي اقليمها فقرا



فائدتها ولا يزيد في منفعتها النسبية الا العمل ولشغل يعنى أن جلبها اذا  
احتاج للعمل كان له قيمة بقدر العمل فقط لان الظآن اذا احتاج الى من  
يجلب له الماء في اناء كان الماء المجلوب لسد خلة العطش مقوما عند جلبه اليه  
دون قيمته في النهر فان كوز الماء قد يعطى لمن يطلبه مجانا بدون مقابل وقد  
يعطى بثمن على قدر العمل وقد يبلغ عند الضرورة والاحتياج ثمنا جسيما كما  
وقع في غزوة فرنساوية بمصر أن أحد رؤساء العسكر فرنساوية دفع في  
كوز الماء مائة فرنك يعني أربعائة قرش واذا كان الانسان في بيته واحتاج  
الى استنشاق الهواء فالعمل الذى يكون به فتح المنافذ كالبواب والطاقت  
والشبابيك تجعل له قيمة لم تكن له قبل ذلك وكذلك عند الضرورة كالهواء  
للمسجون فانه يتغالى في تحصيله بدفعه للسجان قدرا جسيما فما يصرفه الانسان  
لتحصيل المباح من الماء والهواء انما هو قيمة العمل وأجرة الخدمة وفي  
مقابلة الامر والنهي والسلب والايجاب بحسب منافع هذه الاشياء ومضارها  
فهذا هو الذى يعد ملكا للانسان وثروة له باستحوازه على الماء والهواء  
وفيه ترويح للعقارات المشتملة على منافع هذين العنصرين ومثلها النار والكلا  
المباح لقوله عليه الصلاة والسلام الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلا والنار  
فلا يجوز لاحد تحجيرها ولا للامام اقطاعها

فالمدار على العمل في الرواج اذ به يستحوذ الانسان على منافع الحيوانات  
وصناعاتها الالهامية فيؤلفها لهذه المنافع لينتفع بها أهل وطنه ويؤنس التوحش  
منها لذلك فيتملك الانسان صناعة النحل وصناعة دود القز بتربيتها وبجودة  
العمل يتوصل الانسان الى اغتنام العون بحركة الهواء والماء وبصلابة الاجسام  
واينها وتصعب الأبخرة وبالسيارات وبكل ما فيه قوة معنوية واسرار

بعامل الزرع وتقليب الارض وتسويتها والقاء البذر فيها مع ان المقصود  
الاخير أى من له البذر

فعلم من هذا أن الله سبحانه وتعالى قد من على عباده بالارض الزراعية  
والسقي وخلق بقية العناصر النافعة لانياتها وانما يحتاجون الى الاعمال  
الحراثة وغيرها فجعل سبحانه وتعالى فيهم القدرة على ذلك وخلق أفعالهم  
المستعدة لذلك فأعدهم للاشغال وبعث همهم صوب الافعال فلامور المعاشية  
في الظاهر جهتان جهة فاعلية وجهة انفعالية اى محمية والاول هو الاشغال  
والثاني هو الاراضى الزراعية

ثم اختلف هل منبع الغنى والثروة وأساس الخير والرزق هو الارض  
وانما الشغل مجرد آلة وواسطة لا قيمة له الابتطيقه على الفلاحة أو ان الشغل  
هو أساس الغنى والسعادة ومنبع الاموال المستفادة وأنه هو الاصل الأولى  
للملة والامة يعنى ان الناس يكتسبون سعادتهم باستخراج ما يحتاجون اليه  
لمنفعتهم من الارض أولراحة المعيشة والفضل للعمل وأما فضل الارض فهو  
ثانوى تبعى وهذا هو الذى يعتمد عليه أهل الفلاحة ويستدلون على ذلك بانه  
لا يمكن ايجاد الخصب فى الارض الا بدوام الشغل واستمرار العمل  
والالبقيت مجدة اذا انقطع الشغل عنها فان الشغل يعطي قيمة لجميع الاشياء  
التي ليست متقومة بدونه كالاىياء المباحة التي لا تباع ولا تشتري مما لو خليت  
ونفسها لا تساوي شياء مثلاً الماء والهواء أصلان لمنافع حياة الانسان  
ولا يدخلان فى الثروة والسعادة ولا فى الملكية المسعدة لان هذين العنصرين  
اقتضت الحكمة الالهية الاكثار منهما فى جميع المحال وايبح لكل انسان  
التمتع بهما فهما فى حد ذاتهما على العموم ليسا من الاملاك المتقومة وان عظمت

تعالى أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فأشار بذلك الى خالق الرزق الذي به بقاء المخلوقات ثم ذكر الماء الذي به الانبات ومنه المشروب ثم ذكر ما به اصلاح الماكول وهو النار فقال تعالى أفرأيتم النار التي تورون أي تقدحونها أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون فامتن سبحانه وتعالى بثلاثة أمور وهى الماكول والمشروب والمصلح للماكول فذكر من الماكول الحب لانه الاصل ومن المشروب الماء لانه الاصل ومن المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الأغذية وأعمها ودخل في كل واحد منها ما هو دونه

مطاب  
الحرث والزرع

ثم ان الحرث هو أوائل الزرع ومقدماته من برش الارض وردها وتخليدها وخدمتها والقاء البذر فيها وسقي المبدور واما الزرع فهو آخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق فهو بهذا المعنى ليس فعلا للحارث الذي لا ينسب اليه الا المبادئ فان ايجاد الحب في السنبلة ليس بفعل الناس وانما فعلهم هو القاء البذر والسقى ولكن لما كان الحرث متصلا بالزرع وكان الحرث أوائل الزرع والزرع أواخر الحرث جاز اطلاق احدهما على الآخر ولهذا قال تعالى أعجب الكفار أى الزراع نباته أي الحراث وقال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون بمعنى المنتبتون وقوله صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع بمعنى آخر وفيه فائدة أخرى وهى ان الزرع لا يكون الا لمن أتى بالامر المتأخر وهو القاء البذر أى من له البذر على مذهب أبى حنيفة رحمه الله فقوله للزارع أظهر لانه بمجرد الالتقاء فى الارض يجعل الزرع للملقى سواء كان مالكا أو غاصبا وهذا يفيد لفظ الزراع لانه لو قال الزرع للحارث لأفاد أنه لا بد من الابتداء

والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين اعلوكم تذكرون  
فقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده ببناء السماء أي خلقها وبتهد الارض  
وخلقة زوجين من كل شيء لان السماء يأتي من جهتها المطر النازل من  
السحاب ولان فيها تقدير الارزاق كلها ولولاه لما حصل في الارض حبة  
قوت وجمع بين السماء والارض في الامتنان لان السماء مسكن الارواح  
والارض موضع الاعمال والمراد بالايده القوة وليكون المخلوقات المتعيشة بالارض  
هي التي تعمرها قال ومن كل شيء خلقنا زوجين والمراد بالزوجين ما يشمل  
الزوجين الحقيقيين والمتشاكين والضدين ونحو ذلك وقوله تعالى في جانب السماء  
وانا لموسعون أي أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء  
والهواء بالنسبة الى السماء وسعتها كحلقة في فلاة والبناء الواسع الفضاء  
العجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناءون لانهم يحتاجون الى اقامة  
آلة يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك اجزائها الى ان يتصل بعضها الى  
بعض فقلوه وانا لموسعون يرجع الى تمام القدرة بالنسبة اليه تعالى ومنه لا  
يكلف الله نفسا الا وسعها أي ما تقدر عليه وقوله تعالى فنعم الماهدون يعني  
الفارشون لها بعد خلق السماء ومع ذكر الامتنان على عباده فتميه افادة  
الوحدانية في الذات والصفات والافعال الحقيقية وفيه تعليم لعباده ان  
يتشبثوا باستثمار ما خلق لاجلهم واكتساب فوائده كما أرشد موسى عليه  
السلام حين استسقى لقومه بقوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت  
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم فبضره عليه السلام الحجر  
بعصاه استخرج الماء الذي به حياة النفوس من الصخرة الصماء فالرزق انما  
يكون عادة بالعمل في الارض لكن بفعل الله سبحانه وتعالى ولذلك قال

والمر والحلو متدانيات يقرب بعضها من بعض في الجوار تختلف بالتفاضل  
وجنات أى بسايتين من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان الآية  
والصنوان النخلات يجمعهن أصل واحد ويتشعب منه الرأس فيكون نخلا  
وقال سبحانه ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل  
الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى أولم يروا أنا نسوق الماء  
الى الارض الجرز وهى التى لانبات فيها فنخرج به زرعاً الآية وقال عز وجل  
وآية لهم الارض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا الآية وقال تعالى والارض  
وضعها للأنام فيها فاكهة الى قوله والحب يعنى جميع الجبوب من حنطة وشعير  
وغيرها ذوالعصف يعنى البذر أول ما يبدو وقال تعالى ومثلهم فى الانجيل كزرع  
اخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع الآية فقوله  
تعالى ومثلهم يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم وقوله  
فى الانجيل كزرع اخرج شطأه يعنى فراخه يقال أشطأ الزرع اذا أفرخ فازره  
أى قواه من الموازرة بمعنى المعاونة أو من الايزار وهى الاعانة فاستوى  
على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق يعجب الزراع بكشافته وقوته وغلظه  
وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا  
واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس وقال تعالى أفرايتم ما تحرثون  
أنتم ترزعونهم أم نحن الزارعون فحسب أرباب الزراعة نفرا ان الله تعالى  
وصف نفسه بهذا الوصف فى قوله أم نحن الزارعون وهو مثل قوله تعالى  
خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولا يكن الله رمى ومعنى  
الزارعون المبتون وسيأتى بعض الكلام على هذه الآيات فالافعال فى  
الحقيقة كلها لله سبحانه وتعالى قال تعالى والسماء بيناها بأيدى وانا الموسعون



## الفصل الثاني

(في العمل الذي هو القوة الأولية في إبراز المنافع الالهية وفي تطبيقه على الأرض الزراعية)

« مطلب »  
منايع الثروة

قد سبق أن منايح الثروة ترجع الى أربعة اشياء وهى الزراعة والصناعة والتجارة وتربية الحيوانات واما الامارة فهى القوة المدبرة لهذه المنايع ويمكن ادخال تربية الحيوانات فى الزراعة فتكون أصول المكاسب ثلاثة وأفضل هذه الاشياء الزراعة لانها أطيب الجميع حيث هي الى التوكل أقرب والله يحب المتوكلين (قال) النووى انما كانت الزراعة أفضل من غيرها لان نفعا يتعدى الى غير الزراع من الطيور والبهائم وكثير من الحيوانات وما كان متعديا فهو أفضل من اللزوم فى غالب الاوقات وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يفرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعاً فياً كل منه انسان أو دابة أو طير الا كانت له صدقة يوم القيامة

فمن فضائل الزرع ان الله سبحانه وتعالى كرر فى كثير من الآيات ما أنعم به فى اخراج الزرع والنبات ووصف نفسه بانه هو الذي أخرجه للحاجات فقال تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به اى بالماء نبات كل شىء فأخرجنا منه يعنى من الماء خضرا يعنى اخضر نخرج منه حبا متراكما يعنى سنابل البر والشعير والأرز والذرة وسائر الحبوب يركب بعضه بعضا وقال تعالى وهو الذي أنشأ جنات معروشات وهو ما انبسط على الارض وانتشر كالغنب والقرع وهو شجرة الدباء والبطيخ وغيرها وغير معروشات ماقام على ساق وبسق كالنخل والزرع وسائر الاشجار ثم قال والنحل والزرع مختلفا اكله أى ثمره وطعمه الحامض

بالنفس والمال وقد قيل في الحكم والامثال من العجائب عبد بطال ويطلب  
 منازل الأبطال بغير الناس من صنع الخير وانتفع بمعرفته قال الشاعر  
 لا تقطن يد المروء عن احد مادمت تقدر فالايام تارات  
 واشكر فضيلة صنع الله اذ جعلت اليك لالك عند الناس حاجات  
 وقال امرؤ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال  
 ولكنما أسعى لمجد مؤثر وقد يدرك المجد المؤثر امثالي  
 وقال ايضا

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا  
 فمات له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنقبه برا  
 ومن الكلام الهاشمي قول عبد المطاب

انا نفوس لنيل المجد عاشقة ولو تسلت أسلماها على الأسل  
 لا ينزل المجد الا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل  
 وقال آخر

يفوص البحر من طلب الآلى ومن طاب العلا سهر الليالي  
 تروم العز ثم تنام ليلا لقد أتعبت نفسك في الوبال  
 ومن رام العلا من غير كد أضاع العمر في طاب المحال

فدار تأسيس قوة الملة والدولة ونفع الاوطان وعمار البلدان على العمل الآتي  
 في الفصل الآتي

تمتحن الطباع وصف الادب      وأحسن الآداب آداب النبي  
وما سوى اخلاقه فباطل      ومن تحلى بسواها عاقل  
ولا يليق من غلام الطاعة      خروج رأيه عن الجماعة  
ففي اجتماع الحكمة السلامة      بها يتم الفتي مرامه  
والحمد لله وصلى الله      على النبي وكل من والا

مطالب  
تعداد كل  
الافضيلة ما

وينبغي أن يعلم أن كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها أقرب وبالوصول  
اليها أخرى ولاجل ذلك يجب على مدبر المدن أن يسوق كل انسان نحو سعادته  
التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره اليهم الى قسمين أحدهما في تسديد  
اناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والاعمال  
الحسية فكل من هاتين الفضيلتين عليه مدار العمل وخلاصته العدل الذي  
لا ينقطع ثوابه المشار اليه بحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث  
الحديث

فتاخص من هذا الحديث النبوي أن الانسان يخلد عمله بمد انقضاء حياته بالعلم  
النافع الامة والصدقة الجارية التي تؤبد شرفه ونبله والولد الصالح الذي يؤبد  
نسله فاذا أكثر أفراد هؤلاء الناس الجامعين لهذه الفضائل المستكملين للمآثر  
الجيلة والشامل انتظم بهم التمدن والعمران وحسنت أحوال الأهالي والبلدان  
لا سيما وان ابن آدم في الحديث هو الانسان فهو يعم أشخاص الملوك والسوقة  
واكثر الملوك جامع للاتصاف باستجماع هذه المزايا ثم يليهم الوزراء والامراء  
والكبراء والقضاة ووجوه التجار ووجوه أهل الفلاحة والصناعة فكل على  
قدر مرتبته وبحسب ميسرته يسارع في تقويم أود مملكته وتقديم منافع  
بلدته لكسب القوة المالية واخراج الرتبة العلية وهذا كله انما يتم بتمام السعي

للود ليس مثلها وسيلة  
 كتم الصغير عن أب أو أم  
 ابدأوه وعنها لا يحتجب  
 بعلمه لكنه قد يمهله  
 تحز صلاح الحال والمآل  
 وساء حاله وللرشد عدم  
 ما لم يتب فلا يضيع عمله  
 وصبره لعسره مع شكر  
 يعقبها اليسر ويبقى السودد  
 يحب بل يكرم عند الكل  
 تشمله بركة المؤدب  
 ومن حوت علما به تفوز  
 من جنسهم والحيا يرام  
 من حسن أخلاق الفتى الشريف  
 أمن من الشر وسوء العاقبه  
 فليسعد الناس ليقى مسعدا  
 يعطى أخاه جانبا من خيره  
 على مرار بل وللكبير  
 جربه بالتقسيم واقتل نصحا  
 وما لعاقل عليه طاقه  
 وبالرفيع والوضيع يزري

والامثال صفة جليلة  
 مما يعد من صفات الذم  
 سرا حقيرا او جليلا بل يجب  
 يطلع المولى على ما تعلمه  
 ففزع بفعل صالح الأعمال  
 من يعص والديه ضل وندم  
 وضاع سعيه وخاب أمله  
 وعفة الشريف عند الفقر  
 خير فضيلة عليها يحمد  
 والولد الصالح عند الاهل  
 يمتاز عن أقرانه في المكتب  
 فضل البنات الشغل والتطريز  
 في سائر الأحوال الاحتشام  
 الزفق بالفقير والضعيف  
 وخوف رب العرش والمراقبه  
 من رام نظمه بسلك السعدا  
 يحب مثل ما له لغيره  
 يحسن حفظ اللوح للصغير  
 يرسخ في الذهن ولايس يمحى  
 الكبر ناشئ عن الحماقه  
 يبغيض كل الناس رب الكبر

وقد كنت نظمت في كتاب تعريب الامثال في تأديب الاطفال منظومة

لطيفة تحسن بمنوال التعريب نسجها فيحسن هنا بمناسبة المقام ادراجها

الحمد لله وصل رب على النبي وآله والصحب

وبعد فالتأديب للابناء

من اجل ذا نظمت للتأنيبه

في نحو ساعتين والمولى على

في بر والدبك بالغ تغم

وان ترم سرور أم او أب

من رام عند الناس طرا ان يحب

وان يكون طيب السريرة

من رام بين العالم ارتفاعه

هل ذل عند الناس عبد يقنع

ان رمت ان تشوق الأولادا

فعده بالاتحاف يوم العيد

يعاقب الجاني بما جناه

والظلم لا يتركه المولى سدى

من رام ان يكتسب اللطافه

فانها من شعب الايمان

وشرأوصاف الفتى هو الغضب

فيا له من خصلة ذميمة

وقوة الرأس مع العناد

على النبي وآله والصحب

أكد واجب على الآباء

خمسا وأربعين بيتا فيه

قصدي أعان جل ربي وعلا

لا سيما في العيد أو في الموسم

يوما فكسب العلم خير مكسب

فليأتم حسن السالك والأدب

مهذب الاخلاق زاكي السيرة

فليسأزم العفة والقناعة

او عز سيد لديهم يطمع

وان ترى من نجلك اجتهدا

وقدم الوعد على الوعيد

وذاك في دنياه أو عقباه

ما آل كل ظالم الى الردى

عليه طول الدهر بالنظافه

تطلب في الثياب والأبدان

يفضى الى ارتكاب ما لا يرتكب

في تركها مصلحة جسيمة

من أقبح الخصال في الاولاد



الكثرة من تحتف به وتقويه ولموافقة طبيعة الانسان في أول ما ينشأ هذه  
اللذات واجماع جمهور الناس على ما أمكنهم منها وطلب ما تعذر عليهم  
بغاية جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم سهل بل هم قريبون الى الفضائل قادرون  
عليها متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة  
بين هاتين الحالتين

وقد كان ملوك الفرس الفضلاء لا يربون أولادهم بين حشمهم وخواصهم  
خوفا عليهم من الأحوال التي ذكرناها وكانوا ينفذونهم مع ثقاتهم الى النواحي  
البعيدة منهم ومن سماع ما حذرنا منه وكان يتولى تربيتهم أهل الجناء وخشونة  
العيش ومن لا يعرف التمتع ولا الترفه وأخبارهم في ذلك مشهورة وكثير من  
رؤساء الديلم ينقلون أولادهم عند ما ينشؤون الى غير بلادهم ليتعودوا بها هذه  
الاخلاق ويبعدوا عن الترفه وعادات أهل البلدان الرديئة

واذ قد عرفت هذه الطريق المحمودة في تأديب الأحداث فقد عرفت  
اضدادها أعني أن من نشأ على خلاف هذا المذهب والتأديب لم يرج فلاحه ولا  
ينبغي أن يشتغل بصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الوحش الذي لا يطمع في  
رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الفضبية فهي منهمكة  
في مطالبها من الزوات وكما أنه لا سبيل الى رياضة سباع البهائم الوحشية التي  
لا تقبل التأديب كذلك لا سبيل الى رياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها  
وأمن قليلا في السنن اللهم الا أن يكون في جميع أحواله عالما بقبح سيرته  
ذاما لها عابا على نفسه عازما على الافلاع والانابة فان مثل هذا الانسان من  
برجى له النزوع عن أخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة  
ومصاحبة الاخيار وأهل الحكمة وبالا كباب على التأمل والعلوم النافعة

وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات أن يلعب لعبا جميلا ليسترىح  
من تعب الادب ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد ويعود طاعة والده  
ومعلميه ومؤديه وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهاهم  
وهذه الآداب النافعة للصبيان هي للكبار من الناس أيضا نافعة ولكل  
للأحداث أنفع لانها تعودهم بحبة الفضائل وينشئون عليها فلا يشغل عليهم تجنب  
الرزائل ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة  
ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة وتكفهم عن  
الانهماك في شيء منها والفكر الكثير فيها وتسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالي  
أي الحكمة النافعة وترقيهم الى معالي الامور من التقرب الى الله عز وجل  
ومشاهدة الملائكة في التنزه عن الشهوات مع حسن الحالة في الدنيا وطيب  
العيش وجميل الأحدثى وقلة الأعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته ما  
الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الرتبة وبلغ أيامه الى ان يفهم أغراض الناس  
وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها الناس  
ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيول والفرش وأشباه  
ذلك انما هو ترقية البدن وحفظ صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان  
لا يقع في الامراض وان لا تفجأ المنية وان يتهنى بنعمة الله عليه ويستعد لدار  
البقاء والحياة السرمدية وان اللذات كلها بالحقيقة هي خلاص من آلام النصب  
وراحات من التعب فاذا عرف ذلك وتحققه ثم تعود بالسييرة الدائمة عو  
الرياضات التي تحرك الحرارة الفريزية وتحفظ الصحة وتبقى السكسل وتطهر  
البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس

فمن كان ممولا مترفا كانت هذه الاشياء التي رسمناها أصعب عليه

اوسلطان من أهله ان اتفق الى غضب من هو دونه او استهداء من لا يمكنه ان يرده من هواه او تطاول عليه كمن اتفق له ان كان خاله وزيرا أو عمه سلطانا فيطرق به الى هضيمة أقرانه وثلث اخوانه واستباحة أموال جيرانه ومعارفه وينبغي أن يعود ان لا يتبرق في مجلسه ولا يتخط ولا يتثاب بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده فان هذا دليل الكلال وانه قد بلغ به التمتع أن لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده ويعود ان لا يكذب ولا يحلف ألبتة لا صادقا ولا كاذبا فان هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الأوقات فلما الصبي فلا حاجة به الى التمين

ويعود أيضا الصمت وقلة الكلام ولا يتكلم الا جوابا فاذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له ويمتنع من خيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن واللغو من الكلام ويعود حسن الكلام وطرايفه وجمل اللقاء وكرمه ولا يرخص له أن يستمع لاضدادها من غيره ويعود خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه

وأحوج الصبيان الى هذا الادب اولاد الاغنياء والمترفين وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يصرخ ولا يستشفع بأحد فان هذا فعل المالميك ومن هو خوار ضعيف ولا يعير أحدا لا بالقبيح ولا بالسبيء من الادب ويعود ان لا يحس الصبيان بل يبرع ويكافئهم على الجميل بأكثر منه لئلا يتعود الريخ على الصبيان وعلى الصديق ويغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما أكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي فان حب الفضة والذهب للصبي آفته أكثر من آفة السموم

النهار كسل واحتاج الى النوم وتلد فيه مع ذلك وان منع اللحم في أكثر أوقاته كان نافعا له في الحركة واليقظ وقلة البلادة وبثته على النشاط والخفة فأما الحلو أو الفواكه فينبغي ان يمنع منها ألبتة ان أمكن والا فليتناول أقل ما يمكن فانها تستحيل في بدنه فيكثر انحلالها وتعوده أيضا الشره ومحبة الاستكثار من المأكول ويعود أن لا يشرب في خلال طعامه الماء فاما النبيذ وأصناف الاشربة المسكرة فايها واياها فانها تضره في بدنه وفي نفسه وتحمله على سرعة الغضب والتهور والاقدام على القبائح وعلى القحة فيها وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغي ان يحضر مجلس أهل النبيذ بل مجلس الأدباء والفضلاء فاما مجلس غيرهم فلا ثلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجرى فيه وينبغي ان لا يأكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي يتعلمها ويتعب تعباً كافياً وينبغي ان يمنع من كل فعل يستره ويخفيه فانه ليس يخفي شيأ الا وهو يظن أو يعلم أنه قبيح

ويمنع من النوم الكثير فانه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خوارطه وهذا بالليل فاما النهار فلا ينبغي أن يتعوده ويمنع أيضا من الفراش الوطى أى اللين وجميع أنواع الترفع والرخاوة حتى يصلب بدنه ويتعود الخشونة ولا يعود للملابس الرقيقة والمداراة في الصيف ولا الفراء والنيران في الشتاء ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع في مشيه ولا يرخى يديه بل يضمهما الى صدره ولا يربى شعره ولا يزين بملابس النساء ولا يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه ولا يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداد ولا بشيء من مأكله وملابسه وما يجري مجراه بل تواضع لكل أحد ويكرم كل من يعاشره ولا يتوصل بشرف ان كان له

يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله انه قد تجار على مثله ولا هم به لا سيما  
ان ستره الصبي واجتهد في ان يخفي ما فعله على الناس فان عاد فليوبخ عليه  
مرا وليعظم عنده ما أتاه ويحذر من مـ اودته فانك ان عودته التوبيخ  
والمكاشفة حملته على الوقاحة وحرصته على معاودة ما كان استقبحه وهان  
عليه سماع الملامة في ركوب القباح من اللذات التي تدعو اليها نفسه وهذه  
اللذات كثيرة جدا

والذي ينبغي ان نبدأ به في تقويمها أدب الطعام فيفهم أولا انها انما تراد  
للصحة لا للذة فان الأغذية كلها انما خلقت وأعدت لنا لتصح بها ابداننا  
وتعسير مادة حياتنا فهي تجري مجرى الأدوية يداوي بها الجوع والألم  
الحادث منه فكما ان الدواء لا يراد للذة ولا يستكثر منه للشهوة كذلك  
الأطعمة لا ينبغي ان يتناول منها الا ما يحفظ صحة البدن ويدفع ألم الجوع  
ويتنعم من المرض فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه أهل الشره ويقبح  
عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجة بدنه أو ما لا يوافقها  
حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب في الألوان الكثيرة واذا جلس مع غيره  
لا يبادر الى الطعام ولا يمد يده قبل غيره ولا يديم النظر الى ألوانه ولا يحرق  
اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل ولا يوالى بين اللقم  
بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ولا يتبع نظره موقع الأيدي  
من الطعام ويعود أن يؤثر غير بما يليه ان كان أفضل ما عنده ثم يضبط  
شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وادونه واما كل الخبز القفار الذي  
لا آدم معه في بعض الاوقات وهذه الآداب وان كانت جميلة  
بالفقراء فهي بالاغنياء أجل وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشى فانه ان استوفاه



فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً على حب الكرامة ولا سيما ما يحصل  
 له منها بالدين دون المال من سننه ووظائفه ثم يمدح الاختيار عنده ويمدح  
 هو في نفسه إذا ظهر شيء حسن منه ويخوف بالمدح على أدنى قبيح يظهر  
 منه ويؤاخذ بالاستهانة بالمال كل والمشارب والملابس الفاخرة ويزين عنده  
 صاف النفس والترفع عن الحرص في المطامع خاصة وفي اللذات عامة ويحجب  
 إليه إثارة غيره على نفسه بالغذاء والاقتصار على الشيء المعتدل والاقتصاد في  
 التماسها وإن أولى الناس بالملابس الملونة النساء اللواتي تزين للرجال ثم العبيد  
 والخلول وأن الأحسن بأهل النبل والشرف من اللباس البياض وما أشبهه حتى  
 إذا تربى على ذلك وسمعه قلما يقرب منه ويكرر عليه ذلك ولا يترك ومخالطة  
 من يسمع منه ضداً ما ذكرته لاسيما من أترابه ومن كان في مثل سنه ممن يعاشره  
 ويلعبه وذلك إن الصبي في ابتداء نشئه كثيراً ما يكون قبيح الأفعال جداً فإنه  
 يكون كذوباً يخبر ويحكى بما لم يسمعه ولم يره ويكون حسوداً سرور قائموا لحوفاً  
 ذا فضول وعك وكيد أضرب شيء بنفسه وبكل أمر يلبسه ثم لا يزال به  
 التأديب والسن والتجارب حتى ينتقل في أحوال بعد أحوال فلذلك ينبغي  
 أن يؤاخذ مادام طفلاً بما ذكرناه ونذكره ثم يطالب بحفظ محاسن الأخبار  
 والأشعار التي تجرى مجرى ما تعود به بالأدب حتى يتأكد عنده بروايتها  
 وحفظها والمذاكرة بها جميع ما قدمنا ذكره ويحذر من النظر في الأشعار  
 السخيفة وما فيها من ذكر العشق وأهله وما يوهمه أصحابها أنه ضرب من  
 الظرف ورقة الطبع فإن هذا الباب مفسدة للأحداث جداً ثم يمدح بكل ما  
 يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكره عليه فإن خالف في بعض  
 الاوقات ما ذكرته فالأولى أن لا يوبخ عليه ولا يكشف بأنه أقدم عليه بل

على التحرك نحوها بالآلات التي تخلق له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التي  
تحصل له هذه ثم تحدث له من الحواس قوة على تخيل الامور ويرسم في قوته  
الخيالية مثالات فيتشوق اليها ثم تظهر فيه قوة الغضب التي يشاق بها الى دفع  
ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منفعه فان أطلق بنفسه أن ينتقم من مؤذياته  
انتقم منها والا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء ثم  
يحدث له الشوق الى تمييز الافعال الانسانية خاصة أولا أولا حتي يصير الى كماله  
في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا وهذه القوى كثيرة وبعضها ضرورى في  
وجود الأخرى الى ان ينتهى الى الغاية الأخيرة وهي التي لا تراد لعلة أخرى  
وهي الخير المطلق الذي يتشوقه الانسان من حيث هو انسان

وأول ما يحدث فيه من هذه القوة الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح  
منه ولذلك قلنا ان أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء  
فانه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف  
ان يظهر فيه أو منه فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحييا مطرقا بطرفه الى  
الأرض غير وقاح الوجه ولا محمدا اليك فهو أول دليل نجابته والشاهد لك  
على أن نفسه قد احست بالجميل والقبيح وان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من  
قبيح يظهر منه وهذا ليس شيء اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح  
بالتمييز والعقل

وهذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية لا تحب ان تهمل ولا تترك  
ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقاربة والمداخلة من كان بهذه الحال من  
الاستعداد لقبول الفضيلة فان نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة ولا لها  
رأى وعزيمة تميزها من شيء الى شيء فاذا نقش بصورة وقبلها أنشأ عليها واعتاها

على صغيرهم بحق الوالد على ولده

وقد ذكر في كتاب الحسبة في الكلام على مؤدبي الاطفال انه لا يجوز لهم تعليم الاطفال في المساجد انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمره بتنزيه المساجد عن الصبيان والمجانين لانهم لا يتحرزون من تسويد حيطان المساجد بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب واطراف الاسواق قال وينبغي للمؤدب ان لا يعلم الصبي القصار من سور القرآن الا بعد حذفه معرفة الحروف وضبطها بالشكل وتأليف طبعه اليها ثم يؤلف طبعه على القرآن وحفظه ثم يعرفه عقائد الدين ثم أصول الحساب وما يستحسنه من المراسلات والاشعار ثم يأمر الصبيان بتجويد الخط على المثال والمشق ويكافئهم بالحفظ. على ظهر الغيب ومن كان عمره سبع سنين أمره بالصلاة وفي الجماعة وهذا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على ابوابها المظاهر وجروها في الجمع لان النبي صلى الله عليه وسلم قال مروا اولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر فالمنع محمول على ما دون السبع التي هي سن التمييز

قال صاحب الاخلاق عند ذكر تأديب الأحداث والصبيان خاصة ان أول قوة تظهر في الانسان أول ما يكون هي القوة التي يشترك بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتصمه من الثدي الذي هو معدنه من غير تعاليم ولا توقيف وتحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودائمه الذي يدل به على اللذة والاذى ثم تزايد فيه هذه القوة ويتشوق بها أبدا الى الازدياد والتصرف بها في أنواع الشهوات ثم تحدث له قوة

مطلب  
لوار الصغير

يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

فهذا هو الصلاح الموروث المسلسل المقصود من قوله في الحديث أيضا  
أو ولد صالح يدعو له فالرجل إذا علم ولده ما فيه صلاحه واستقامته اجتنب ثواب  
ثمرة عمله دنيا وأخرى أما ثواب الآخرة فأمره ظاهر وأما ثمرة عمله في الدنيا  
فهي البر والطاعة وهما حق كبير على الولد لو والده قال الخليفة المأمون لم أر أحدا  
أبر من الفضل بن يحيى وهو في سجن الرشيد لا يبه بلغ من بره أنه كان أبوه  
لا يتوضأ لا بماء مسخن فمنعهم السجن من الوقود في ليلة باردة فلما اخذ يحيى  
مضجعه قام الفضل إلى قفم فأدناه إلى المصباح فلم يزل قائما وهو في يده حتى  
أصبح فشمع السجن بذلك فغيب المصباح فتأبطه إلى الصباح (قال) على رضى  
الله عنه لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من أف حرمه فليعمل العاق ماشاء أن  
يعمل فإن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يدخل النار

ومن البر أن لا ينتمى الولد إلى غير أبيه قال صلى الله عليه وسلم ملعون  
ملعون من اتهمى إلى غير أبيه أو ادعى غير مواليه ومن البر أيضا أن لا  
يكون سببا لسب أبيه لحديث أبي هريرة رضى الله عنه لا تمسني أمامك  
ولا تجلس قبلي ولا تدعه باسمه ولا تستسب له أي لا تعرضه للسب وتجرحه  
إليه بأن تسب أبا غيرك فيسب أباك مجازاة لك وقد جاء مفسرا في الحديث  
الآخر أن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قيل وكيف يسب  
والديه قال يسب الرجل فيسب أباه وأمه (وقال) ابن عمر رضى الله عنه  
أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن والدي يأخذ مالى وأنا  
كاره فقال أما علمت أنك ومالك لا بيك ومن حق الأولاد اعظام الأصغر  
للكبير وحنو الأكبر على الأصغر قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الأخوة

الجمعية التأسيسية وهى الكتابة والقراءة وما يحتاج اليه فى دينه من العقائد وغيرها وأصول الحساب ونحو ذلك من السباحة والعموم والفروسية وأسبابها من ركوب الخيل والرمى واللعب بالرمح والسيف وأشباه ذلك من آلات الحرب ليتمرن على وسائل الدفع عن وطنه والمحاماة عنه فان هذه الاشياء من المنافع العمومية التى ينبغى تمرين الاطفال فى زمن الشبوبة عليها هذا بالنسبة للذكور وأما بالنسبة للبنات فان ولى البنت يعلمها ما يليق بها من القراءة وأور الدين وكل ما يليق بالنساء من خياطة وتطريز وان اقتضى حال البلاد تعليم النساء الكتابة وبعض مبادئ المعارف النافعة فى ادارة المنازل فلا بأس بتعليم الحساب وما أشبهه لمن ويشترك الصبيان والبنات فى تعليم الاخلاق والآداب وحسن السلوك

فهذا كله يتيسر للجميع كسب الفوائد الجسيمة المنتجة للاستقامة النامة وغنى النفس بما اكتسبه العقل من العلوم والمعارف ومارسته الأيدى من الصنائع واللطائف التى هي أمن من الفقر الذى استعاذ منه صلى الله عليه وسلم فى قوله اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال وفى رواية أخرى من الفقر والعيالة (وقل) صلى الله عليه وسلم كسب اليد أمان من الفقر وقال أيضا ان الله يحب العبد المحترف ويكره الصحيح الفارغ وفى عوارف المعارف روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم انتهى وفى ذلك قيل

رأيت صلاح الرء يصلح أهله ويعيدهم عند الفساد اذا فسد

مطلب  
بر الولد لو ائده



فقد دخل صلى الله عليه وسلم في ضمن حديثه الشريف من قوله أو ولد صالح يدعو له

ثم ان توصيل الولد الى الرتبة المطاوعة والدرجة المرغوبة توقف على حسن التربية والتهديب والتعليم والتأديب ولا يخفى ان الله سبحانه وتعالى شرف الانسان بمضغتين صغيرتين وهما قلبه ولسانه وخصه بصفتين عظيمتين وهما همته واحسانه وما عدا ذلك من محض المال او الجلال فانما هو حظ الاذنياء من النساء والرجال فلا يرتفع المرء حتى يرفعه اكبراه وأصغراه فالجنان قابل واللسان قائل والهمة حاملة والاحسان فضيلة عاملة والجنان عارف مستقر واللسان معترف مقر والهمة حركة منتشرة والاحسان بركة مبشرة فان الجنان ينشئ واللسان يفشى وكلاهما يساعد الهمة والاحسان والعزم والاتقان ولذلك كان المرء بأصغريه ومعلوم ان الولد الصغير مستعد بأصغريه الى استكمال اكبريه فيحتاج الى التربية التي هي صفة المربي الذي يقيمه الولي لتأديب الصبي فيما يقصد منه فيجب على الولي أن يتأمل في حال الصبي وما هو مستعد له من الاعمال ومتهىء له منها فيعلم أنه مخلوق له لحديث اعمالوا فكل ميسر لما خلق له فلا يحمله على غيره فانه ان حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه عادة فينوته ما هو متهىء له فاذا رآه حسن الفهم صحيح الادراك جيد الحفظ واعيا فهذا من علامة قبوله للعلوم والفنون وتهيئه لها فلينقشها في لوح قلبه مادام خاليا فانها تتمسكن من القلب وتستقر فيه وتركو معه وان رآه بخلاف ذلك من كل وجه علم انه لم يخلق لذلك فان رأي عينه طامحة الى صنعة من الصنائع مستعدا لها قابلا عليها وهي صناعة مباحة نافعة لأهل وطنه فليمكنه منها وهذا كله بعد تعليمه المعارف الابتدائية التي يشترك فيها كل فرد من افراد

وبشر الإمام عمر الفاروق رضي الله عنه بولد فتعال ربحانة لشمها برهة من الزمان  
وعما قليل اما ولد بار واما عدو ضار وأنشد بعضهم

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

(وقال) الفضيل ربح الولد من الجنة ومزايا الأولاد دينا وأخرى لاتعد

ولا تحصى فانه قد يعود من الولد على رحمه ولو كان الرحم حاملا أنواع

الرعاية فقد روى كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال استوصوا بالتبسط خيرا فان لحم ذمة ورحما يعني أن هاجر أم اسماعيل

كانت قبطية ومارية أم سيدنا ابراهيم كانت كذلك وقال صلى الله عليه وسلم

لوعاش ابراهيم لو وضعت الجزية عن كل قبطي ولحمة الولد والوالد وارتباط

العلاقة المتينة بينهما بما تقتضيه الحقوق أقسم الله بهما في قوله تعالى لا أقسم

بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد المراد

بالبلد مكة المشرفة التي جعلها الله حرما آمنا وجعل مسجدها قبلة لاهل المشرق

والمغرب والمراد بالوالد ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم لان

ابراهيم باني مكة واسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها وقيل المراد بالوالد في

الآية ابراهيم وما ولد جميع ولد ابراهيم من العرب والعجم فانهم مكان البقاع

الفاصلة من أرض الشام وبليت المقدس وأرض العرب ومنهم الروم لانهم ولد عيص

من أسحق فقد عمرت البقاع الفاصلة من نسل ابراهيم عليه السلام وآخر

الأنبياء وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أولاده فلذلك قرن

اسمه باسمه في الصلوات بالصيغة الابراهيمية التي هي أيضا عظيمة الفضيلة

في جميع الاوقات وكان صلى الله عليه وسلم يتسلى بها فيذكر بها جده

فروع تكون سببا في ذكره وتوصيل الثواب له فكان يقال بنو أمية دن خل  
أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز فهو الولد الصالح المستوفى  
للفرد إلا كهل النسب من الحديث (ويحكي) أن الخليفة المنصور قال له رجل  
من الهاشميين اعتل أبي رحمه الله ومات في وقت كذا رحمه الله فقال الربيع  
وزير المنصور كم تترحم على أبيك بين يدي أمير المؤمنين وكيف ذلك فقال  
له الهاشمي لا ألوئك فإنك لم تعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور وخجل  
الربيع لانه لم يكن له أب يعرف على ما قيل والذي في التواريخ أنه ابن يونس  
ابن أبي فروة مولى الحرث الحفار مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه كان حاجبا  
للمنصور ثم صار وزيره وكان يميل اليه ويعتمد عليه فقال له يوما ياربيع سل  
حاجتك فقال حاجتي أن تحب الفضل ابني فقال له ويحك ان المحبة تقع باسباب  
فقال له قد أمكنك الله من ايقاع سببها قل وما ذاك قال تفضل عليه فانك  
اذا فعلت ذلك أحبك واذا أحبك أحبته قال قد والله حبيته الى قبل ايقاع  
السبب ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء قال لانك اذا أحبته  
كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب  
الصبيان وحاجته اليك حاجة الشفيع العريان يشير بذلك الى قول  
الفرزدق

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤزرا      مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا  
فقد سمى الربيع في تقديم ولده الفضل عند الخليفة وأدى ما يجب للولد  
على الوالد

وبالجملة فقد قال صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة وقال بعضهم  
الولد ريحانة الى سبع ووزير الى سبع أخرى وبعد ذلك اما حديق حميم واما غدوميين

ودخل عبد الملك بن مروان على معاوية ومعه بنوه فلما جلسوا على الكرسي  
وأخذوا يجالسهم اغتاض معاوية ثم قال كأنك أردت مكائرتي ببنيك يا ابن  
مروان وما وجدت مثلي ومثلك الا كما قل الشاعر

تفاخرني بكائرتها قريظ . وقبلي والد الحجل الصقور

فقال عبد الملك يا أمير المؤمنين انما هم ولدك ويدك وعضدك وقد علمت  
انما خفت عليهم من العين وليدوا عائدین ( قل ) بعضهم للمهلب ما النيل أي  
الشرف قال ان يخرج الرجل من منزله وحده ويعود في جماعة وكان المهلب  
كثير البؤس ومن الشجاعة والسخاء بمكانة فقبل له انك لتلقى نفسك في المهلب  
قال ان لم آت الموت مسترسلا أتاني مستعجلا ثم انسد

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن اتقدما  
وسر بقوم من ربيعة في مجلس لهم فقال رجل من القوم هذا سيد  
الأزد قيمته خمسمائة درهم فسمعه المهلب فأرسل اليه بخمسمائة درهم وقال دونك  
يا ابن أخي قيمة عمك ولو كنت زدت فيها لزدتك وقال بعضهم في المهلب وبنيه  
يمدحه

براك الله حيث براك بحرا . وغر منك انهارا غزارا  
بنوك السابقون الى المعالي . اذا ما أعظم الناس الخطارا  
والخطار فعال من خاطر يعني سابق وراهن وبمعنى الخطر وهو المراد  
وهذان البيتان لكعب بن معدان الاشقمري الازدي يقال ان الخليفة  
المنصور حسد آل المهلب على المدح بهما وكذلك بعده المؤمن قال للشعراء  
ألا قلم في كما قل كعب في المهلب وولده وانشد هم هذين البيتين السابقين  
وقد ينتج من العنصر الطيب فروع تزیده طيبا على طيبه ومن غير الطيب

ابن آدم الخ والمراد بالولد ما يعم الذكر والأنثى كما ان المراد بالدعاء له عموم  
 اعمال ولده الصالحة فان الوالد ينتفع باعمال ولده الصالحة لانه السبب في  
 وجوده وصلاحه وارشاده الى الهدى ومن جملة الاعمال التي تصدر عن  
 الولد الصالح وينتفع بها والده دعاؤه له فقد ورد ان الانسان ينعم في الآخرة  
 بنعيم عظيم فيقول من أين هذا النعيم فاني لم أعمل في الدنيا عملا يوجب لي  
 ذلك فيقال هذا من دعاء ولدك الصالح لك وبالجملة فالولد الصالح من الباقيات  
 الصالحات لان أعماله الصالحة ينتفع بها والمزاد ايضا بالولد ما يعم ولد الولد  
 ذكورا واناثا أسباطا وحفدة فانهم لا صولهم كالأجنة وهم اصول يصلون  
 بهم الأكبر ويده بهم تطول وهم العدة عند الشدة (فيل) لمحمد بن  
 الحنفية كيف كان على رضي الله عنه يقحمك في المارق اى المتألف ويولجك  
 في المضائق دون الحسن والحسين فقال لانهما كانا عينية وكنت يديه وكان  
 يقى بيديه عينية \* ورأى على رضي الله عنه الحسن يتسرع الى الحرب  
 فقال امسكوا عنى هذا الغلام لا يهدنى فاني أنفس بهذين على الموت لثلا  
 ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فاني أنفس بهذين  
 أي بالحسن والحسين أي أخشى ان ينقطع بموتهما النسل النبوى (وكان)  
 يقال لعمر بن الوليد بن عبد الملك خل بني مروان وقد كان يركب معه  
 ستون رجلا لصلبه \* وقد كان لماوية امرأة لؤى بن غالب اولاد منه  
 فقالت له يوما اى بنيك أحب اليك قال الذى لا يرد بسط يده بخل ولا  
 يلوى لسانه عجر بالراء المهملة اى لسكنة ولا يلون طبيعته سفه وهو احد  
 ولدك بارك الله لى ولك فيه يعنى كعب بن لؤى احد اجداده صلى الله



ولا ينزل ولا يستنقوية والاثبات في الصبي ان يعلمه وليمه صنعة الجدل  
والكلام بل يشغله بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشغل  
مع ذلك بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه  
من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الحديث وفوائده وبما  
يسطع عليه من انوار العبادة ووظائفها وبما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين  
ومجالستهم وسياهم وهيئاتهم في الخضوع لله تعالى وهذه هي التربية الحسنى  
حتى ينمو في الصبي بذر الايمان ويقوى فيه شجرة راسخة طيبة أصلها ثابت  
وفرعها في السماء فيظهر اعتقاده في الثبات كلطود الشاخ ثم ينوطه بالصناعة  
التي تميل اليها نفسه ويستحسنها ظنه وحدثه ومع ذلك فلا يتأخر مع أداء  
صنعة عن تلاوة القرآن (قال) صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ كما  
يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن (وقال) صلى  
الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا أوتي أفضل مما أوتي فقد  
استصغرنا عظم الله \* وعن مالك بن انس رضي الله عنه انه كان اذا دخل  
رمضان نفر من مذاكرة الحديث ومجالسة اهل العلم وأقبل على القراءة في  
المصحف (وكان) ابو حنيفة والشعبي يمتحنان في رمضان سستين ختمة وقال  
صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبا من بعدكم وحكم ما بينكم \*  
قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ  
آيات الله هزوا وتقييد الولد بالصالح مع زيادة قوله يدعو له اشارة منه  
صلى الله عليه وسلم الى حق الولد على الوالد وهي تربيته تربية حسنة وتوصيله  
الى درجة الصلاح والاستقامة والى حق الوالد على الولد وهي الدعاء لوالده  
لان فرض الكلام بقاء الولد بعد موت والده المفهوم من قوله اذا مات

لشح به والأسف عليه خديعة للعقول الواهية والآراء الفاسدة وقد  
قال الشاعر

منعت شيئاً فأكثر الولوع به أحب شيء إلى الإنسان ما منعاً  
فالمتشبثون بمثل هذه الأمور لا ينتفع بهمهم فلا يدخل في هذه  
الفضيلة المذكورة في قوله أو علم ينتفع به

( الفضيلة الثالثة ) المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم أو ولد  
صالح يدعو له إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن الإنسان مخلوق لحكمة  
الهيية وهي تعمير الدنيا وتتمام انتظامها وهذه الحكمة إنما تتم بتكثير النوع  
البشرى واستمرار نسله وهذا إنما يكون بالتوالد والتناسل وأن كل إنسان  
اجتهد في تحصيل مال أو علم أو جاه يحب طبعاً امتياز به في حياته دون  
غيره وأن لا يتوارثه عنه الأنسلة بعده ليكون حياة معنوية دائماً للنسل  
باقى الذكر والا لكان الإنسان لا يجتهد إلا بقدر عيشته الضرورية فأمل  
انتقال الوراثة إلى النسل والولد أكد في النوع البشرى تكثير العمل فقد  
يكون مدار الأعمال المعاشية والمعادية على الآمال التولدية فأشار الحديث  
الشريف إلى معنى لطيف وهو الحث على التناسل والتوالد وتأهيل النسل  
لدرجة الرشد وبلوغ غرض الوراثة النافعة وينبغي للولد أن يهتم بشأن الصبي  
في شبابه ليعلم ما ينبغي تعلمه حفظاً في حال صغره لينكشف له معناه في حال  
كبره فأبتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق وذلك مما  
يحصل في الصبي من غير برهان فقد من الله عز وجل على قلب الإنسان  
بالحفظ وشرح له صدره في أول نشأة الإيمان من غير حجة وبرهان  
وانما تحصل التقوية والاثبات في الصبي والعامى بعد ذلك حتى يرسخ الإيمان

فيصير طالب الأواخر بترك الأوائل تركا للأواخر والأوائل جميعا ومثل ذلك  
الفنون والصنائع

وقد يقصد الانسان بطالب العلم التكسب والتجمل فيمنهض من العلم بتعلم  
يشتهر به من مسائل الجدل وماريق النظر ويتعاطي علم ما يختلف فيه دون ما اتفق على  
لينظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ويجادل الخصوم وهو بمجهل مذهب  
مخصوص فكثيرا ما تجد من هذه الطبقة عددا وقد تحمقوا بالعلم تحمق  
المتكافين واشتهروا به اشتهار المتحيزين فاذا أخذوا في مناظرة الخصوم ظهر  
كلامهم واذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت أفهامهم حتى انهم ليخبطون  
في الجواب خبط عشواء فلا يظهر لهم صواب ولا يتقرر لهم جواب ثم لا  
يرون ذلك نقصا حيث تمقوا في المجالس كلاما موصوفا ولم يقوا  
في المحافل احتجاجا مألوا وقد جهلوا من المذهب ما يعرفه المبسدي  
فهذه طرائق من يقول اعرفوني وهو غير عروف ولا معروف وقد  
قال زهير

ومهما تكن عند امرى من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلم  
وبالجملة فالتواضع من طلبة العلم أكثرهم علما كما ان المكان المنخفض  
أكثر البقاع ماء وينبغي لطالب العلم ان يخرج دائما في عباراته من الرمز  
الخفي الى اللفظ الجلي فان الرمز لا يليق بالعلم المعنوي ولا الكلام اللغوي  
وانما يختص غالبا باحد شيئين اما بذهب شنيع يخفيه معتقده ويجعل الرمز  
به سببا لتطلع النفوس اليه واحتمال التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه كالنجم  
والطالسم واما بما يدعي أربابه انه علم معوز وان ادراكه بعيد معجز  
كالصنعة التي وضعها أربابها اسماء لعلم الكيمياء ورمزا بأوصافه ليوهوا

« مطلب »  
وضوح العبارة  
وترك الرموز  
الخفية

أصبحت موصوف العلامة موصوفة لا أختشى من جانب تفويته  
يا قاصرا فينا يحاول صيته أأبليت سهران الدجى وتبته  
نوما وتبني بعد ذاك حاقى

فمن هذا ينتج ان صاحب العلم أو الفن أو الصناعة ينبغي دائما ان يجتهد  
في تكميل قواعد علمه أو فنه أو صناعته أصولا وفروعا اجتهدا واستنباطا  
ويرغب الى الله تعالى في العون على ذلك فاذا تمت فضيلته وكملت اهليته فعليه  
ايضا ان يشتغل بالتصنيف والجمع والتأليف ليطلع جميع الناس على حقائق الفنون  
ورقائق العلوم ودقائق الصنائع وعليه ان يجيد البيان حسب الامكان  
وكل ما يعم نفعه وتكون الحاجة اليه أولى يقدمه على غيره ويعتني بمالم  
يسبق اليه

ويقدم المبادي على المقاصد لان المعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها ومداخل  
تفضي الى حقائقها فلا يطلب الآخر قبل الاول ولا الحقيقة قبل المدخل لان البناء على  
غير أساس لا يثبت والثمر في غير غرس لا يجنى ولا ينبت فلا تحمل طالب  
المنفعة الاسباب الفاسدة والدواعي الواهية على ان يتبع أغراض نفسه المختصة  
بنوع من العلم فيدعوه الغرض الى قصد ذلك النوع ويعمل عن مقدماته كرجل  
يؤثر القضاء أو يتصدى للحكم فيتمدد من علم الفقه أدب القاضى وما يتعلق به من  
الدعاوى والبيانات أو يحب ان يختص بوظيفة الشهود فيتعلم كتاب الشهادات  
لثلا يصير موسوما بجتهل ما يعانى فاذا أدرك ذلك ظن انه قد حاز من العلم جهوره  
وادرك منه مطويه ومنشوره ولم يرمابق الا غامضا طالبا وعويا استخراجه  
فلو نصح نفسه لعلم ان مترك أهم مما أدرك لان بعض العلوم مرتبطة ببعض والكل  
باب منها تعلق بما قبله فلا تقوم الا و اخر الا بأوائها وقد يصح قيام الاوائل بانفسها

وراثه مصحف ورباط ثغر وحفر البئر أو اجراء نهـر  
وتعليم لقرآن كريم شهيد في القتال لاجل بر  
كذا من سن صالحة ليقضى نخذها من أحاديث بشعر  
والكل في الحقيقة ترجع الى الثلاث وتزيد بالنظر انفعولها التي لا تنحصر  
فالعدد لا مفهوم له

«مطلب»  
لا جتهاد في  
تحصيل العلم  
ومدرجه

وما أحسن قول الزمخشري وقول من خمسة آياته

قطع الجهول زمانه بتنزل ان الجهول عن الكمال بعزل  
انا لا اميل الى كلام العذل سهري لتقحيح العلوم أذلى  
من وصل غاية وطيب عناق

ان كنت جئت لدى العدا بتيصة فهي الكمال وذالك عن خصيصة  
طلبي لغالية ببذل رخيصة وتمايلي طربا لحل عوصة  
في الذهن أبلغ من مدامة ساقى

سم الجهالة زال من ترياقها وهي العلوم بمقتضي اشراقها  
حررتها بالطرس باستحقاقها وصرير أقلامى على أوراقها  
أشهى من الدوكاء والعشاق

فانهض لتحصيل العلوم ورفها حقا بأشرف حالة وأعفها  
ان كلفت عن السوى بأكفها وألذ من نقر القيان لدفها  
نقرى لألقى الرمل عن اوراق

تعلو على اوج المعالى همى في نيل مقصودى وقرب أحبتي  
وانا الذي عزمى كسيف مصات يامن يبالغ بالاماني رتبتي  
كم بين مستمل وآخر راقى



في قوله أو علم ينتفع به شامل لتعليم المعارف النافعة سواء كانت علوما أو فنونا أو صناعات أو آلات فانها لا تخلو عن مدارك علمية وشامل أيضا لاجتهاد المجتهدين ووضع الواضعين وتدوين المدونين والتصنيف والتدريس وغير ذلك فالعمدة على العمل الذي ينشأ عنه معلومات نافعة لاهل الملة والوطن ولناس أجمعين ويدل على ذلك ما ورد في رواية أخسرى اذا مات ابن آدم ختم على عمله الا عشر فذكر هذه الثلاثة وزاد غرس النخل ووراثه المصحف والرباط في الثغر وحفر البئر واجراء النهر وبناء بيت للغريب وبناء مسجد لله تعالى وتعليم القرآن فهذا يفيد أن الصدقة الجارية يدخل فيها جميع ما ذكر كما بيناه اولا وتعليم القرآن ووراثه المصحف يدخلان في العلم المنتفع به وان الثلاثة المذكورة ليست حاصرة فلا مانع ان يقاس على التعليم كتابة الكتب وطبعها ممن يأمر بذلك او يباشره او يعين عليه أو من يدل عليه حيث كان الدال على الخير كفعله

فكل من سن سنة حسنة دائمة النفع فهي داخلة في العلم النافع يدل على ذلك ماورد عنه عليه الصلاة والسلام في قوله من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة فالمؤمن الفارس غرسا حسيا أو معنويا يحصد ثمره ثمرا حلوا حسيا أو معنويا ففرسه لا يثمر شوكا مادام ملازم الاخلاص فقاصد النفع العمومي يشاب ثواب الخواص فخصر الامام السيوطي للمستثنيات من انقطاع العمل فيما هو مذكور في النظم الآتي وهو

اذا مات ابن آدم جاء يحسرى	عليه الاجر عدد ثلاث عشر
عالم بئسها ودعاء نجل	وغرس النخل والصدقات تجرى
وبيت للغريب بناء يأوى	اليه أو بناء محل ذكر

والصناعات وهي أيضا علوم وعمليات من درجات أخرى متفاوتة لا تتم العلوم  
الشرعية الا بها وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فان الفنون والصنائع  
عليها مدار انتظام الممالك وتحسين الحالة المعاشية للأمم والا حاد فهي من فروض  
الكنائيات أو ليس ان من الفنون صناعة الخط الذي له فضل وشرف ومنفعة  
لا يجهلها من عرف وبه تقيد العلوم وثبت وتزرع في الصدور فتنبت وقد  
قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المحكم اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم  
علم الانسان ما لم يعلم وقل عليه السلام والسلام فيدو العلم بالكتابة  
ولم يكن عند اكثر العرب كتابة في الجاهلية وكانت اذ ذاك امة  
أمية جعل لها الشعر عوضا فأدركت به مراما وغرضا أقيم عن الكتابة مقامها  
فأبدت بحفظ الشعر كلامها وعرفت به نسبها وأيامها فكان أول من  
أدخل في بلاد العرب الكتابة العربية هو سيدنا اسماعيل فاختص بهذه  
الفضيلة الاولية وأول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز هو حرب  
ابن أمية أوسفيان بن أمية فتشبهوا بالحققة وساعدتهم على المجازيعي فازوا  
بالصناعتين واتسعت تجارتهم بالبضاعتين وقس على منفعة الخط في البلاد  
المنظمة غيره من الفنون والصناعات التي اكسبت جميع البلاد المجد والعظمة  
مما يفيد المال الصالح للرجل الصالح فانه لا تصلح الفعال الا بالاموال من  
الحلال والاموال لا تكون الا بالكسب من وجه من وجوه الصنائع  
المعاشية لتعين على المعادية فلا أحسن ممن يكسب المال من حله وبصره في  
محله ويكف به وجهه عن الناس فالفنون التي هي وسائل ذلك ليس عنها  
مندوحة وهي في اشرع ممدوحة فلا مانع من دخولها تحت قوله صلى الله  
عليه وسلم أو علم ينتفع به أي نفعا متصلا دائم الثواب فالحديث الشريف

« مطالب »  
فضل الكتابة

الشدس أو في السرار مما لم تعبد به بل أأحانا الشرع على الرؤية التي يستوى فيها  
الناس فقال صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا  
له أى اكلوا عدة شعبان فهذه منافع الحساب في العبادات والمعادات ومنافعه في  
المعاملات والمقليات وفي كل شيء لا تحصى ولا تحصر فهو أصل له فروع  
كثيرة \* والعلم الذي له أصل ولا فرع له فهو علم النجوم فالنجوم لها حقيقة  
وأثر ظاهري في العالم كالفصول والاوقات ونحو ذلك ولا يتفرع عنها شيء  
وأما العلم الذي له فرع ولا أصل له فالطب فانه مبني على التجارب الى  
يوم القيامة يعنى أن أصله من نفسه فهو يتجدد بفروعه التجريدية وهذا لا يمنع  
من كونه يتسم الى عدة أقسام اتسعت أيضا فروعها بالتجارب حتى صارت  
علومها وتعددت موضوعاتها بالنسبة لأجزاء بدن الانسان على تعددها  
فالموضوع السكلى للطب المبحوث عنه فيه هو بدن الانسان صحة واعتلالا  
ثم تعدد الموضوع كطب العين والاذن والانف وهكذا وكالتشريح وتشخيص  
الامراض وكل هذا هو عين التجربة التي هى دائما آخذة في التجدد الى ما  
شاء الله \* وأما العلم الذي لا أصل له ولا فرع فهو العلوم السوفسطائية  
والمغالطات والجديات التي هى عبارة عن الفاسنة الفاسدة الهادمة لاصول  
الاديان والفلسفة الصحيحة المرادفة للحكمة وأما العلوم الشرعية فهي وآلاتها  
أول العلم النافع

« مطلب »  
تقسيم العلوم

وقد اعتنى العلماء بالتأليف فيها لاسيما العلوم الثمانية وهى علم التفسير  
ويلحق به علم القراءات والتجويد ثم علم الحديث دراية ورواية ثم علم الفقه  
ثم علم أصول الدين ثم علم النحو ومنه الصرف ثم علم المعاني والبيان ويلحق  
بهما البديع والعروض ثم علم التصوف وكل هذه علوم نافعة ثم يليها الفنون

العربية رق طبعه انتهى فقد جمع في ذلك العلوم الشرعية النقليّة وأدواتها وهي علوم العربية والرياضية التي عبر عنها بالحساب (قل) بعضهم وأما العلوم العقلية فترجع الى أربعة علوم فعلم له أصل وفرع وعلم له أصل ولا فرع له وعلم له فرع ولا أصل له وعلم لا أصل له ولا فرع \* فاما الذي له أصل وفرع فهو الحساب والعلوم الرياضية ليس بين أحد من الخلق فيها اختلاف

مطالب  
الحساب

فالحساب مستنبط من حروف المعجم وهو في حد ذاته أصل من أصول العلوم النافعة لانه كما قل ابن حجاج به يعلم عدد الصلوات والزكوات والصيام والشهور والسنين وتحدث السنون من الشهور والشهور من الجمعات والجمعات من الايام والايام من الساعات والساعات من الدرج والدرج من الدقائق والدقائق من الشعائر والشعائر من الانفاس وتنتهي قسمة الانفاس الى أجزاء لا يعلمها الا الله تعالى ومنشأ هذه الازمنة من دوران الفلك ويستدل على ذلك بسير الكواكب والشمس والقمر فتشأ بين ذلك كله الازمنة والاوقات التي يستدل بها على معالم الدين من اوقات الصلوات والصيام والحج وحين الزكاة ومدد عدد النساء ومحل الآجال ويقيد ذلك كله بالحساب والعدد حتى لا يشذ شيء مما يحتاج علمه بالتاريخ المصطلح عليه وقد عدد الله تعالى نعمه علينا بذلك في قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقد أخذت العرب حسابهم من أبجد فوجدوه ينتهي من واحد الى ألف لا زيادة ولا نقصان أولها الالف الذي هو واحد وآخرها الغين الذي هو ألف ولكن تعبدت الامة المحمدية برؤية الهلال عند الصوم وعند الافطار لا بالحساب الذي يقوله الحساب والمنجمون من ان الهلال لم يظهر لانه كان في حجاب

من الاختلاف والتنازع وتنضى اليه احوالهم من التباين والتقاطع فلم يستغنوا  
عن شريعة يأتفون اليها ويتفقون عليها \* ونقل القطب الشعراي عن شيخه  
سيدي علي الخواص انه قال أحب لاخواننا من طلبة العلم ان لا يحكموا  
على علم الله القديم بظاهر أدلتهم واقاويلهم وان لا يعطوا أنفسهم من العمل  
ويقولون حتي نفرغ من التعلم ثم نعمل وان لا يستغرقوا عمرهم في زوائد العلوم  
التي لا يحتاج اليها الا في النادر وان لا يتركوا عمل الحرفة التي يكون بها قوام  
معاشهم خوفا عليهم ان يأكلوا بدينهم وعلمهم أو يتعرضوا لصدقات الناس  
وأوساخهم فان الاكل بذلك يطمس أفهامهم بخلاف أكل الحلال فان له  
مدخلا في فهم دقائق العلوم ولذلك فاق النووي أقرانه مع قصر عمره وصار  
ترجيح المذهب راجعا اليه لانه كان لا يأكل الا من الحلال أنهى (وقال)  
بعضهم ارزاق الفقهاء من صدقة أموال الظلمة مكسرة بشروط الواقفين  
منفصلة بمن النظر من باشرها أكلها صدقة ومن لم يباشرها أكلها حراما  
وبالجملة فان الاكل من صدقات الناس وولائمهم يقسى القلب ويسد الفهم وهو  
ضد الورع فالعلماء للشريعة هم الزمام وبانتظام احوالهم يكمل الانتظام فاذا  
تكسبوا من الحلال بصنعة استغنوا عن الشبهة المتوسطة بين الحرام والحلال  
واكتفوا شر السؤال كما قيل

ان حزب علما فاتخذ حرفة      تصون ماء الوجه لا يبذل  
ولا تهنه أن يرى سائلا      فشان أهل العلم أن يسئلوا

ويتعلق بالشريعة الغراء عدة علوم بين الشافعي رضى الله تعالى عنه فضيلة  
كل علم منها فقال من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبيل مقداره  
ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم

«مطاب»  
تعداد فضائل  
العلوم الشرعية  
والآثار



وقال على كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسن فقيل في هذا المعنى

لا يكون العلي مثل الدنيا لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء قدر ما يحسن المرء قضاء من الامام على

واعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها أمر عا ( قيل ) ابعض الحكماء من يعرف كل العلوم فقال كل الناس وحسبك قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا \* قال بعض الحكماء المتعمق في العلم كالساح في البحر ايس يرى أرضا ولا يعرف طولا ولا عرضا

قل للذين قضوا في العلم عمرهم ثم اطمانوا وظنوا أنهم فرغوا

العلم أعظم مما تزعمون فكم قد بالغ الناس في هذا وما بالغوا

واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة أهمها والعناية بأولها وأفضلها ذأولى العلوم وأفضل العلوم الشرعية التي بمعرفتها جميع الناس يرشدون وبجهلها يضلون ولا يهتدون فهي كما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم خيار أمتي علمائوها وخير علمائها فقهاؤها \* وروي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النفقة في الدين حق على كل مسلم الا فتعلوا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا انتهى

وربما مال بعض التهاونين بالدين الى العلوم العقلية ورأى أنها أحق بالفضيلة وأولى بالتقدمة استثقالا لما تضمنه الدين من التكليف واستصعابا لما جاء به الشرع الشريف من التعبد والتوقيف ولكن قل ان ترى ذلك فيمن سلمت فطنته وصحت رويته لان العقل يمنع من ان يكون الناس هملا او سدى يعتمدون على آرائهم المختلفة ويتقادون لأهوائهم المشبهة لما تؤل اليه أمورهم

وأطفال تحقق بها جاري الصدقات الوطية حيث نافست قديم المرتبات القلاوونية  
فشل هذه من الصدقات الجارية المذكورة في حديث اذا مات ابن آدم  
انقطع عمله الا من ثلاث الحديث

والفضيلة الثانية تؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم أو علم ينتفع به أي علم  
علمه الانسان لغيره فصار نافعاً والعلم النافع مرادف للحكمة المفسرة به فهو  
ما يوصل الى الصفات العلية والمناقب السنية ويثمر الثمرات الدنيوية والأخروية  
ويدعو الى المكرمة وينهي عن القبيح وهو المراد بقوله تعالى ومن يؤت  
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً حيث فسر العلماء الحكمة بتفسير كثيرة  
ترجع الى العلم النافع والأفعال الحسنة الصائبة فالعلم بهذا المعنى يشمل العلوم  
النظرية والعملية يعني معرفة الحقائق والأقدام عليها بالعلم بجميع العلوم النافعة  
عقلية وتقليدية ونظرية وعملية داخلة بهذا المعنى تحت قوله صلى الله عليه وسلم  
أو علم ينتفع به

ثم ان العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلبة وجد فيه الطالب  
وأمنع ما اكتسبه واقتناء الكاسب

اذا رمت تسمو لنيل العلا وقدرك بالله عال وغالى  
فبالعلم فالهم لها محرزا فما مثله لطلاب المعالي  
لان شرفه يتم على صاحبه وفضله ينمي عند طالبيه قال تعالى هل يستوى  
الذين يعلمون والذين لا يعلمون فنع من المساواة بين العالم والجاهل لما خص به  
العالم من فضيلة العلم وأنشد الرشيد عن المهدي

يانفس خوضي بحار العلم أو غوصي فالناس ما بين معوم ومغموص  
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به الا احاطة منقوص بمنقوص

مدوحة عند جميع الدول والمال لاعانة المحتاجين لالاهل البطالة والكسل  
ولهذا لما تغلبت فرنساوية على الديار المصرية لمحوها أن بها كثيرا من  
الكسالى القادرين على الاشغال الذين يؤثرون السؤال على الاعمال ويلجئون  
في الطلب فخلق حاكمهم من ذلك ونشرفا نونا مشتملا على خمسة بنود  
البند الاول جميع الناس الذين يسألون الناس في الطريق ويطلبون الحسنة  
منهم يصير انقبض عليهم وحضورهم امام ضابط مصر ثم يتوجهون الى سجن  
القلعة مالم يكونوا من اصحاب العاهات كالعميان والعرجان والعاجزين  
عن الاشغال

« مطلب »  
قانون الشجادة

البند الثاني كل ملة من الاسلام والنصارى من اروام وقبط وشوام  
ومن اليهود أيضا تعمل من الآن فصاعدا حانوتا لقبول كافة العميان والعرجان  
والشحاذين العاجزين عن الشغل يكون معدا لهم  
البند الثالث كل رئيس ملة يلزم بلوازم حانوته وكافة مصاريف الحانوت  
من نفقة الاكل والشرب وخلافه تقرر على اهالى الملة المذكورة  
البند الرابع في مدة تدير الحوانيت وترتيبها يأمر كل كبير ملة بجمعه  
كافة فقراء ملته ويرضيهم ويعطيهم لوازم الاكل والشرب والسكنى الى حد  
انتهاء تدير الحوانيت المذكورة واستكمالها

البند الخامس يجب على كبير كل ملة أن يتصرف في أمر تدير الحانوت  
ملته ويأخذ الامر اللازم لذلك من شيخ البلد ويسعى في اتمامه فهذه التدابير  
في حد ذاتها خيرية ولكن الحكومة المصرية الحالية قد كفت أهل الحاجة  
والمسكة مؤنة السؤال ورتبت للجميع في جامع طيارن اسبالية جسيمة منقسمة  
الى بلوكات للفقراء والمساكين وأرباب العاهات من نساء ورجال وكبا

الجنة بدينه \* طاب رجل حكيم من رجل أن يدينه دينا فلم يفعل فقال  
الحمد لله لم يكن من منعك الا ان وجهي احمر من الحياء مرة واحدة ولو  
أعطيتني لم يصفر وجهي من مطالبتك مرة بل ألف مرة قال تعالى وعسى ان  
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعلى لسان العامة لاهم الاهم الدين ولا وجع الا  
وجع العين وهذا كله محمول على الدين الذي ينفق في غير الرشد أو يترتب  
عليه المطل وعدم الوفاء والا لما كان القرض مشروعا ( وقال ) جعفر بن  
محمد المستدين تاجر الله في أرضه \* وقال عمر بن عبد العزيز الدين وقر  
طلما حمله الكرام ( وقال ) عمرو بن العاص من أكثر صديقه أكثر دينه وقال  
بعضهم الدين رق فلينظر احدكم اين يضع رقه وكان ابن الزبير رضى الله عنه  
ينشد

الا ليت النهار يعود ليلا فان الصبح يأتي بالهموم  
حوارج ما نطق لها قضاء ولا دفعا وروعات الغريم  
وذلك لان الدين هم بالليل وذل بالنهار فالعجب كل العجب ممن يتطوع  
بالخير ويتصدق بأموال الناس ويخلط العمل الصالح بالسيء ويظن أنه من الفعل  
الحسن مع انه بمنزل عن الحزم والاستقامة معتمدا على قضاء دينه الذي استدانه  
بدون باعث شرعي ولا مقتضى سياسي ومعو لا على سوف وعسى ولعل فهذا  
هو المديان الذي يتراكم عليه الدين ودين الدين لا الى نهاية ولا الى أجل بل  
ربما لا ينقضى وان انقضى الاجل فصدقة من هو بهذه المثابة قل ان تقع موقع  
الاصابة فليست موضع الصدقة الجارية المذكورة في حديث اذا مات ابن آدم  
انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية الحديث وانما موضوعها أرباب الغني  
واليسار انفرادا واجتماعا انفصالا واشتركا ومن المعلوم ان محارم الاخلاق

الحنابلة فقد رتب لرواقهم جرايات للشيخ والطابة وحضر وامن الشام لاهياء  
هذا المذهب وكان المشار اليه للخير العظيم سببه فهذا هو فعل الخير المبني  
علي الاخلاص في البر والاحسان من أمير خطير هو خلاصة اشراف معد  
وعدنان فما أحسن هذا الصنيع من الامير صاحب المقام الرفيع الذي وضع  
الندي في موضعه وما أوضع الحريص المضيع لماله لشهره وطعمه

ومما ينظم في سلك التعاون علي البر والتقوي ومراعاة وجه الله الكريم  
في التمسك بالسبب الأقوى ما صنعه حضرة خليل اغا باش أغاوات حضرة  
ذات الدولة والعصمة والدة الجناح الخديوى ولي النعمة حيث أنشأ بجانب  
المشهد الحسيني مدرسة لعدد كثير من الايتام المتعطلين وأوقف عليهما ما يقوم  
باجراء عوائدها وتبرع لها بما لم يسبقه به أحد من المتبرعين فخصص رأس  
مال جسيم لدوام هذه المدرسة ونشر علومها وأسس أصولا مستحسنة لحسن  
ادارتها وتنظيمها وأنشأ أيضا تكية للأغوات العديدي الاكتساب ولم يسبق  
في ذلك وخصه الله بالهام هذا الصواب وهذا مما يخذ ذكره ويضاعف ثوابه  
وأجره وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزيد في العمر الا البر ولا يرد القدر  
الا الدعاء

« مطلب »  
الدين

وهذا كله اتفاق ممدوح وعلامة القبول عليه تلوح بخلاف اتفاق من  
يحمل نفسه ولو في الضيق فوق ما تطيق فيعلوه الدين الذي لا يعرف له جهة  
وفاء فيدخل نفسه في ربة الضيق ويعدم الحليم والصديق فتسوء أخلاقه ولا  
ينفعه تصدقه وانفاقه قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ان قتلت  
في سبيل الله مقبلا غير مدبر أ يكفر الله عني خطاياي قال نعم الا الدين بذلك  
اخبرني جبريل وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال صاحب الدين محبوب عن



المصالح الخيرية من جملة أغنياء ترصد عليها الارصادات وترتب لها الرواتب  
اللازمة الدائمة الاستغلال فهذه صدقات جارية من جهة شركات تعاونية يقتسمون  
أجرها ويحرزون شكرها فجمعيات فعل الخير بالاشتراك قليلة في بلادنا بخلاف  
الصدقات الشخصية والارصادات الاهلية يرصدها الواحد في الغالب كالسبيل  
والصهريج والمكتب فان هذا تجد بمصر كثير اولاً يتأسس له مابه يكون الدوام  
والاستمرار ومن العجيب انه يسهل على النفوس احداث الجديد ويصعب  
عليها اصلاح القديم المحتاج للاصلاح والتعمير ومع ذلك فالمصر لا يستغنى عن  
الخيرات العمومية التي تقتضيها الاوقات والاحوال كارصاد مكاتب لتعليم البنات  
لا سيما مكاتب لتعليم فاقدمات البصر منهم ويتمنى أن من يفوز بارصاد هذه المكاتب  
للنساء يكون من الخواتين الغنيات اللاتي يوقفن في العادة أوقافاً عظيمة دون  
ما ذكر في الأهمية ومن الثابت ان زبيدة زوجة الرشيد فعلت كثير من الخيرات  
وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن وكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع  
في قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن مع ما أحدثته من الخيرات العديدة  
وحسبها العين الجارية بالحجاز المسماة عين زبيدة فليت جميع الخواتين والهوانم  
يقتدين بها في احياء المآثر واسداء المكارم

وكذلك عظماء الامراء فانهم اولى بالارصادات العظيمة التي تليق بمقامهم  
فياليتهم يقتدوا في ذلك بحضرة الامير راتب باشا الشهير ناظر عموم  
الاوقاف سابقا حيث بنى رواقا واسعا متصلا بالجامع الازهر موقفا على طلبة  
العلم من الحنفية وعلى مدرسى هذا المذهب وأجزل فيه من الخيرات الوفية  
لتكثير اهل المذهب فرواقه الآن بالازهر علم منيف وطاراز مذهب بل  
عمت خيرات الباشا المشار اليه المتواصلة حتي اقتضت احياء مذهب السادة

نظم مقدمات القضية باستيلاء المرحوم محمد على على المملكة اليوسفية فكان  
 من أعظم الاعوان والانصار لمصر في رفع التكاليف الشاقة ودفع متاعب  
 الآصار فقصده إعادة فضيلة مصر على سائر الامصار مما لم يسبق لها مثله في  
 سائر الاعصار وقد وجد في ارضاد هذه المراتب شذوذا في أساليب  
 الترتيب فدرت عليها الى نظام جيد عجيب وزاد في هذه الخيرات أضعافا مضاعفة  
 وأجري ما درج عليه ملوك الاسلام من الطرائق الشرعية والمتعارفة وما أسسه  
 من صنائع الخير والبركات يكاد أن يكون خصوصية جعلها الله له من أعظم  
 الكرامات واقدي به في ذلك خلفه الصالح فجددوا لفعل الخير في مصر صالح  
 المصالح وفي مشهور الحكم أسعد الملوك ملك له وزير اذا نسي ذكره واذا  
 ذكر أعانه ونسأل الله تعالى ان يديم العز والنصر لمن يريد الخير العميم لمصر  
 ومما ينبغي اعانة ولي الامر على مضاعفة المحال الخيرية من أرباب جمعيات  
 الأغنياء واهل الميسرة لتكثير وسائل البر والتقوى كتكثير المارستانات  
 التي ترصد على المرضى والزمنى العاجزين عن المعالجة في بيوتهم وكترتيب مارستانات  
 ترصد على الاطفال الذين يلتقطونهم من الطرق والايتام وعلى الشيوخ المتقدمين  
 في السن والعميان والبله والمجانين وأرباب العاهات العاجزين وكالمحال الخيرية  
 والشركات السلمية اي المتعلقة بالبيع والشراء على سبيل السلم لتسهيل الاخذ  
 والعطاء وقطع دابر الربا ولاغاثة الملهوفين من القرض بربا الفضل ولاعانة  
 المعسرين والفلسين من التجار المتعطلين عن الاشغال لحصول حادثة جبرية أو جبت  
 الكساد وسوء الحال بالجملة فارصاد التكايا والمدارس والرباطات والشركات  
 المباحة شرعا وكل ما فيه مصلحة هي مشروعات خيرية لا يستطيع ان تقوم بها  
 الدولة وحدها وانسان مخصوص وحده ويد الله مع الجماعة فلا بد في ابراز هذه

مطلب  
 استحسان اعانة  
 هل اليسار لولي  
 الامر على فعل  
 الخير لتكثير  
 المحال الخيرية

المجلس على ذلك وقد أفتى بذلك أيضا سلطان العلماء الغز بن عبد السلام وغيره من العلماء الاعلام ولم تزل الملوك العادلون يقتفون أثر من قبلهم في ذلك ويسلكون في ترتيب الخيرات واجراء الصدقات الجارية أقوم المسالك الى أن تولي الملك المنظر السلطان سليم خان ونظم مصر في سلك دولة بني عثمان فأبقى جميع ما بمصر من العرفات والرتبات على ما كان عليه ولما وشى اليه بعض أمرائه بأن تلك الموقوفات قد استغرقت كثيرا من الاموال وطلب منه رفعها لاقتضاء الاحوال قابله بالمنع والطرده ورد عليه أشنع الرد وقل تلك صدقات من قبلنا فلا يجب ان يكون قطعها من قبلنا ولما تولي بعده ولده السلطان سليمان خان تغمده الله بالرحمة والرضوان سعى اليه بعض أهل الحدثان وذكروا له ان هذه المراتب الآيلة للاولاد والعيال والحريمات لم تعد ادف من انشرع حلال وانها باطلة فراءوا أصلا فأرسل خطا شريفا بإبطال ذلك فراجع علماء عصره وزمانه وترجوا عظيم عطفه واحسانه وذكروا له ان مراتب وأرصده على تلك الخيرات وعلى الارامل وعيال المقاتلة وأولادهم والعلماء لاسبيل الي نقضه شرعا لصدوره عن نواب السلطنة مع موافقته المصالح الشرعية وذكروا له احسان والده على الاقطار المصرية فأبقى ما كان على ما كان وزاد من لطفه فوق ذلك الاحسان وأصدر فرمانه الشريف وخطه الهمايوني المنيف بابقاء المراتب على ما هي عليه اغتاما للشواب واحرازا للدعوات الصالحات التي ليس دونها حجاب

«مطلب»  
تنظيم الصدقات  
الجارية بأسلوب  
جديد في آيا  
الرحوم محمد  
واقف خلفه

ولم تزل هذه الارزاق على مستحيتها دارة وبها عيون العواجز والارامل وأهل العلم والقرآن قارة الى ان حصلت التقلبات والفتن وتصاريف الدهر بالحن وتغلب الفرنساوية على الديار المصرية بعد عسف وجور دولة المماليك وسوء تدبيرهم في الرعية ثم أزيحت اشكال هذه البلية وانتج الانتاج الصحيح

قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي وأصرفها الى قوم لا يقاتلون عني الا  
 اذارأوني بسهام قد تخطى وتصيب وهؤلاء لهم نصيب في بيت المال كيف  
 أقطعه عنهم ولا أصرفه لهم ثم تبعه على ذلك السلطان صلاح الدين يوسف  
 فأرصد كثيرا من بيت المال للمستحقين والارامل وأرباب الانساب من  
 البكرية والعمرية وغيرهم وتبعه الملك الكامل من بني أيوب فانه لما ملك مصر  
 أرسل وزيره ليكشف له على أموال مصر وخراجها فأرسل الوزير يخبره  
 في رقعة ان المرتبات من بيت المال للعلماء والفقراء في كل سنة مائتان وسبعون  
 ألف دينار وانه يحصل بذلك خلل في الخزائن السلطانية ونقص من الاموال  
 فكتب الملك الكامل تحت ذلك بخطه الفاقة مرة المذاق والمال مال الله  
 الرحيم الرزاق واخلق عيال الله وهو الواحد الخلاق ما عندكم ينفد وما عند  
 الله باق أجروا الناس على عوائدهم في الاستحقاق فانا لا نحب أن ينسب الينا  
 المنع والى غيرنا الاطلاق والاثار الحسنة من مكارم الاخلاق واليكم هذا  
 الحديث يساق وقال صلى الله عليه وسلم من تسبب في قطع رزق أخيه المسلم  
 قطع الله رزقه

فلما تولى السلطان الظاهر برقوق الديار المصرية أراد أن يبطل المرتبات  
 والعلوفات التي احدثها ملوك الاكراد قبله من بيت المال وعقد لذلك مجلسا  
 حافلا وقال ان أصول هذه المرتبات قد أخذت من بيت المال بالحيلة وقد  
 استغرقت نصف أموال بيت المال وأراد ابطال ذلك فأقنعه علماء عصره ومنهم  
 شيخ الشيوخ اكل الدين شارح الهداية مفتي السادة الخفية وعلامة عصره  
 الشيخ البلقيني شيخ السادة الشافعية وغيرهما من العلماء وقالوا جمع ما أرصد  
 وقرر على مستحق بيت المال ومصاريفه فلا سبيل لولي الامر على نقضه وانقضى

مطالب  
 اقرار السلطان  
 سليم خان  
 المرتبات بمصر  
 على حالها



في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة أو ليس أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخر حتي غلغلته من الحل الى الحرم وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة فقالت اعملها ولو كانت ضربة فاس بدينار

ثم ان فعل الصدقة يكون في البلاد المتمدنة للمحتاج اليها من الفقراء العاجزين والمتقاعدين والارامل وأهل الضرورات من أهل الديار أو من غريب الاقطار ومن المعلوم أن دين الاسلام الذي شرع لسعادة الامة هو وسيلة التمدن العظمى فأول ما فتح الله سبحانه وتعالى مصر في عهد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول من رتب وأرصد من بيت مال المسلمين على الخيرات والعلماء والمجاهدين وأولادهم وعيالهم وأهل الضرورات ما لزم من الارصادات وما زالت هذه الارصادات الشرعية مستمرة في جميع الدول والقرون والله في شريعته أسرار لا يعقلها الا العالمون وتبع أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه على زيادة هذه الارصادات واجراء حقوقها من جاء بعده من الخلفاء والسلطين فكانت سنة حسنة متبعة الى وقت تولية السلطان نور الدين الشهيد فأحدث هذا السلطان مرتبات وعلاوفات وأنشأ أوقافا كثيرة من بيت المال على جهات خير من مساجد ومارستانات أعانت المستحقين على وصول حقهم اليهم من بيت المال بسهولة فليل للسلطان نور الدين الشهيد ان في بيت المال مرتبات كثيرة مصروفة للفقراء والضعفاء والقراء فلو استعنت بها في الجهاد ومنعتها عن هؤلاء وصرفتها للاجناد لكان أمثل فغضب رحمه الله تعالى وقال اني لارجوا لنصر بأولئك القوم قال صلى الله عليه وسلم وهل تنصرون وترزقون الا بضعمائكم كيف أقطع خيرات

« مطلب »  
خيرات نور الدين  
الشهيد ومن  
اقتنى أثره



قال عبد الله بن عتبة كان اعمان رضى الله عنه يوم قتل مائة ألف وخمسون دينار وألف ألف درهم وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف من ضياعه بئر أريس وخيبر ووادي القرى ما قيمته مائتا ألف دينار وبلغ مال الزبير بن العوام خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وغني عبد الرحمن بن عوف أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في اكفهم لا في قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله تعالى حين وجدت ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالفاقة في أول أمرهم حتى تكلمت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلوا لهم حينئذ لانهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت تأخذ بمجامع قلوبهم فلما أعطوها بعد التمسكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين وامتثلوا فيها قول رب العالمين وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا في أيدي الصحابة لا في قلوبهم

ويكفيك في ذلك خروج عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن سبعمائة بعير وموقورة الاحمال وتجهيز عثمان بن عفان رضى الله عنه جيش العسرة الى غير ذلك من أفعالهم فتضمنت الآية التزكية لظواهرهم وسرائرهم ولا شك أن الصحابة الأكرامين والسلف الصالح صاروا قدوة لغيرهم فهذا المعنى سنوا سننا فكان لهم أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ولا شك أنها من الصدقات الجارية وداخلة أيضا في العلم الذي ينتفع به الآتي في الفضيلة الثانية وأما ما صنعه الخلفاء من الصدقات فهو أكثر من أن يحصر ولو لم يكن الا ما فعلته أم جعفر زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد من الخيرات لكان كافيا في الدلالة على همة الخلفاء في فعل المعروف فقصتها

« مطلب »  
مآثر الصحابة  
في الصدقات

« مطلب »  
الصدقة التي  
تصادف محلا

علي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم قال كما قسم فيهم أرزاقهم  
وقال الامام مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من أهل بيت فيهم اسم محمد  
الا رزقوا ورزق خيرا وقال بعض الحكماء ليس كل طالب للدنيا مذموم وما بل  
المذموم من طالبها لنفسه فمن طلب الدنيا للدنيا كان مذموماً ومن طلب الدنيا  
لإصلاح معاشه ومعاده كان ممدوحاً

وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم فكل ما دخلوا فيه من  
أسباب الدنيا فهم بذلك إلى الله متقربون وفي رضاه متسببون لا يقصدون  
بذلك زخرف الدنيا وزينتها ولا ذوق حلاوتها ولذتها ولذلك وصفهم الحق  
سبحانه وتعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم  
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وما ظنك بقوم اختارهم الله  
تعالى لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من  
المؤمنين إلى يوم القيامة الا والصحابة في عنقه ممن لا تحصى وأياد لا تستقصى  
لأنهم هم الذين حملوا الدينار عنه صلى الله عليه وسلم الحكم والاحكام وبينوا  
الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل  
الشرك والعناد وقال صلى الله عليه وسلم فيهم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم  
اهتديتم وقد وصفهم الله تعالى بأوصاف إلى أن قال يبتغون فضلاً من الله ورضواناً  
فدل ذلك على أن ما ابتغوه من الدنيا لم يقصدوا به الا وجه الله الكريم وقال  
سبحانه وتعالى في آية أخرى في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه  
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله  
فلم ينف عنهم الاسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء فلا يخرجهم<sup>هـ</sup> عن  
المدحة غنائم اذا قاموا بحقوق مولاهم

« مطالب »  
الرزق

« مطالب »  
طالب الدنيا  
لغرض

## وقال الحمدوني

رأيت أبا زرارة قال يوما  
 حلال الله من أهل ومال  
 لئن فارقت باب الدار شبرا  
 لأنصف منك بكل حق  
 فقال له الغلام فان أتاني  
 فقال لئن أتني في البيت هر  
 اذا حضر الطعام فلا حقوق  
 فما في الارض أقبح من خوان  
 لحاجبه وقد حضر الطعام  
 على وكل ما يجري حرام  
 وعندى منه عرق أو عظام  
 وأملأ منك سيفي والسلام  
 أبوك وليس لي فيه مرام  
 على خبزي أضارب أو أضام  
 على لوالدي ولا ذمام  
 عليه الخبز يحضره زحام

وقال ابن بسام

أما الرغيف على الخوا  
 ما ان يحس ولا يمس ولا يذاق ولا يشم  
 فمن حملات الحرم

وقال الحمدوني

أبو نوح دخت عليه يوما  
 وجاء بالحم لا شيء سمين  
 فكان كمن سقي الظمان آلا  
 فقدمه على طبق الكلام  
 فعداني برائحة الطعام  
 وكنت كمن تغدى في المنام

فالمسك عن الانفاق حرصا على الدنيا وخشية من الاملاق ضعيف  
 الايمان قليل الوثوق بالرزق الذي ضمنه لعباده الملك الرزاق حيث قال نحن  
 قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا مع ان الرزق يتيسر بالصدقات وفعل  
 الخيرات فهي من جملة أسبابه فقد قال عليه الصلاة والسلام استنزلوا الرزق  
 بالصدقة وقال جعفر بن محمداني لا ملق فأناجز الله بالصدقة فأريح (وقيل)

يأكل معه كيف كان طعامه فقال كان على مائدته رغيفان قيل كيف كانت صحانه  
قال كأنها خرطت من الخردل قيل فكم بين اللون واللون قال فترة نبي قيل  
فن كان يأكل معه فقال الكرام الكاتبون وأنشد فيه

أبو دلف يضيع ألف ألف ويضرب بالحسام على الرغيف  
أبو دلف لمطبخه قنطار ولكن دونه ضرب السيوف  
والقنطار راحة القدر وما قيل من الاشعار في البخلاء

ثقلت على الرئيس أبي على وكنت على قرينته خفيفا  
ومالي عنده والله ذنب سوي أنى كسرت له رغيفا

غيره

رأيت الشيخ أعرض حين جئت وكاد يموت لما أن دخلت  
فقلت سلام تجزع من لقائي لك البشرى فاني قد أكلت

غيره

ويعجن للضيف في مسعط دقيق الشعير ولا ينخل  
ويستقبل الضيف من فرسخ أيا ضيف قل لي متى ترحل

وقال آخر

أتيت عمرا سحرا فقال اني صائم  
فقلت اني قاعد فقال اني قائم  
فقلت آتيك غدا فقال صومي دائم

وقال الشيخ شمس الدين المزين

مساماني أضافنا لبنا ماله ثمن  
بيض الله وجهه كلما جاء بالابن

هذه مخارجه ما سن سنّها في مثل ذال يوم بهرام و فيروز  
وأما قوله نحن بصريون نتخرج على جاري عادتنا فإشارة الى بخل أهل  
البصرة كما تقيده واقعة النضر بن شميل النحوي فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة  
خرج يريد خراسان فشيعة من أهلها نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا  
محدث أو نحوي أو عروضي أو اخباري أو لغوي فلما صار بالمربد قال يا أهل  
البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتم فلم  
يكن فيهم من يتكاف له بذلك وهذه الواقعة تشبه واقعة القاضي عبد الوهاب  
البغدادى المالكى فانه لما نبت به بغداد خرج منها طالبا مصر فشيعة من  
اكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقتال لهم لما ودعهم لوجودت بين ظهرانيكم  
كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمنايس دار الضنك والضيق  
أقيمت فيها مضاعا بين ساكنها كأنني مصحف في بيت زنديق

« مطلب »  
ما قيل في  
لبخلاء من الشعر

وقيل حلف بعض البخلاء على صديق له فاحضر له خبزا وجبنا وقال  
لا تستقل هذا الجبن فان رطله بثلاثة دراهم فقال ضيفه أنا أجعل الرطل بدرهم  
ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بغير جبن (وقيل) شوي  
لبعض البخلاء دجاجة وقدمت اليه فوجد نخذهما قد عدم فنادى في داره  
من ذا الذي تعاطي فعقر والله لا خبزت في هذا التنور خبزا مدة شهر فقتال له  
غلامه وكان ذكيا ياسيدى أهلكنا بما فعل السفهاء منا فقال ويحك أما قرأت  
قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقيل) سمع  
بعض البخلاء قارئاً يقرأ قوله تعالى الذين يخولون ويأمرؤن الناس بالبخل فقال  
هنا هم الله (قيل) كان أبو دلف سخيا بالمال بخيلا بالطعام سئل رجل كان



الدينار فقال له المملوك وكيف ذلك فقال لا ترى في يدك فلسا حتى تصرف  
درهما ولا ترى في يدك درهما حتى تصرف دينارا وهذا الفلس الذي رميت به  
يقضى حاجة ساعة وحاجة يوم وحاجة أسبوع وحاجة شهر وحاجة عام وحاجة  
الدهر كله فقال له مملوكه وكيف ذلك فقال اما حاجة ساعة فقصة عقيد أو كوز  
فمخاع وأما حاجة يوم فبائة بقل أو زيت للسراج وأما حاجة أسبوع فقطن للثناديل  
وأما حاجة شهر فكبريت وأما حاجة عام فإلح وأما حاجة الدهر فو تديق  
في الحائط ايعاق عليه الثياب (قال) عبد العظيم بن أبي الاصبغ نزلت من قلعة  
الرها يوما وصحبنى اثنان من اصحاب الملك المظفر شهاب الدين لقصد السلام  
على العماد الحلبي بالمدرسة وكان وكيل بيت المال بالرها من قبل الملك العادل قال  
فلما اجتمعنا به طلبنا الغداء منه فقال نحن بصريون نتخرج على جاري عادتنا ولكن  
ما احيف عليكم لاني صاحب البيت انا وحدى من عندي ثلاثة أشياء وأتم الثلاثة  
من عندي شيء واحد أنا من عندي الغلام الذي يشتري الحاجة والبيت للجلوس  
والسفرة التي يؤكل عليها وأتم الثلاثة من عندي الفضة التي يشتري بها الحاجة فقلت  
له يا عماد ما شبه هذه المخارجة بمخارجة بعض الخلفاء مع نديم له اجتمع به في يوم  
نوروز وعزما على الشرب فقال له نديمه من عندك شيء ومن عندي شيء وقد تم  
المقام وقال اسمع مني شعرا اذكر فيه ما يكون من عندي وما يكون من عندك وأنشد

منى ومنك غدا يوم نسربه	في صبحه اليوم ان اليوم نوروز
الييت منك ومني الكنس اكسه	والرش منى ومنك الماء والكوز
واللحم منك ومني النار تطبخه	والاكل منى ومنك الخبز مخبوز
والراح منك وريحان وفاكهة	والشرب منى اذا دارت قواقيز (١)

(١) قوله قواقيز جمع فازدزة وهي مشربة أو قدح أو الصغير من القوارير ام مؤلفه

قال فلما بلغ سلم الخاسر قول أبي العتاهية قال

ما أقبح التزهيد من واعظ      يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقا      أضحي وأمسى ببيتة المسجد

ان رفض الدنيا فبا به      يكثر المال ويسترفد

يخاف أن تنفد أرزاقه      والرزق عند الله لا ينفد

الرزق مقسوم على من ترى      يسعى له الابيض والاسود

« مطلب »  
نوادير البخل

فقد بين ذلك البيت وهو تعالى الله يا سلم بن عمرو الخ نتيجة الحرص  
وعاقبة البخل فشطره الاول من التهويل المبكت وشطره الاخير من جوامع  
الكلام المبكت

وقد تفنن الأدباء وأرباب النوادر في حكاية وقائع للبخلاء اما واقعية أو  
اختراعية فلنذكر جملة منها لترويح النفوس فنقول مما يحكي انه قيل لبعض البخلاء  
ما الفرج بعد الشدة فقال أن يحلف على الضيف فيمتد بال الصوم قيل ان رجلا  
من البخلاء حضر بخضم الى حاكم فقال يا حاكم المسامين اشتريت البارحة رأسا  
فاكلت لحمه وتركت عظمه على بابي لا تجمل به فجاء جاري هذا فنقله الى بابه  
وتخاصما فسمعه الحاكم وهو يقول له ويحك انت تقعد يوما على باب دارى ويوما  
تقعد فى ظل جدارى ويوما تقول كيف راح فلان فهل بلغك اننى على مطلب  
قيل وكان العماد الحلى يقول ليس الشجاع عندي عمرو بن معدي كرب ولا  
عنتره العيسى ولا خالد بن الوليد انما الشجاع الذى يري طعامه يؤكل بحضرته  
وهو صابر ويقال ان العماد الحلى المذكور اشترى مملوكا تركيا فحضر اليه يوم  
سبت بدمشق المحروسة فقال له أريد أن أتفرج مع المماليك فاعطنى شيئا فأعطاه  
فلما فرماه فغضب العماد وقال ويحك ترمي انفس وهو النقطة التي فى وسط

المهلك ويرى ان الامساك خير من الانفاق وأولى فلا ينتفع بثواب الآخرة  
ولا بمنفعة الأولى فهذا قابض بيده على أسباب الحرص والامل ولا شك ان  
الحرص من سبل المتالف وآفة من آفات الحرمان واطالة الامل من اساءة  
العمل وذلك لما فيه من التسويف وقيل الامل مذموم الا من العلماء فلولاً  
أملهم لما صنفوا وأيضاً لا يخلو الامل من سر لطيف لانه لولا الامل ماتهنأ  
أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا فالمدموم  
منه الاسترسال فيه وعليه يحمل حديث أنس رفعه أربعة من الشقاوة جهود  
العين وقسوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا أخرجه البزار (قال)  
بعض الحكماء الرزق مقسوم والحريص محروم والحسود مغموم والبخیل  
مذموم وقال الشاعر

لا تحسدن أخا حرص على سعة      وانظر اليه بعين الماقت القالی  
ان الحريص لمشغول بشقوته      عن السرور بما يحوى من المال  
وكان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية  
تعالى الله يا سلم بن عمرو      أذل الحرص أغناق الرجال  
وقبله نعى نفسه الى من الليالى      تصرفهم حالا بعد حال  
فمالي لست مشغولاً بنفسي      ومالي لا أخاف الموت مالى  
لقد أيقنت انى غير باق      وابكى أرانى لا أبالى  
تعالى الله يا سلم بن عمر الخ

وبعد

هـب الدنيا تساق اليك عفواً      أليس مصير ذاك الى الزوال  
فما ترجو بشيء ليس يبقی      وتنسى ما تغيره الليالى

ويحبسون عليها الدور والخنانات والخوانيت وغيرها ويكتبون أسماءهم عليها ليتخذ ذكركم ويذكر في صحف أهل الخير خیرهم فاذا كان هذا البناء وما يرصد عليه من وجه حلال طيب كان من مصداق الحديث یعنی من الصدقات الجارية النفع والثواب والا بأن كان بوجه الاغتصاب أو كان لمجرد الفخر كان راصده مجردا عن الاجر مجازى بالعقاب فلو كان صاحبه رد المال على أربابه لسكن أولى وكذلك من تظاهر بصرف ماله على الفقراء كمن يرسل الى نظار الجوامع والمساجد أشياء جسيمة لا تصل الى أربابها المحتاجين اليها بل أخذها من لا يستحقها ويظن مرسلها ان صدقته صادفت محلا فقد تساهل في صدقته اذ قد تعدت مصارفها الحقيقية فأولى من هذه الصدقات الظاهرية صرف الاموال في منفعة عمومية حقيقية يكون فيها العبطة والمنفعة للفقراء والمساكين بحيث تعود عليهم مستمرة لا منقطعة

ومن جملة الصدقات ما يكون للنفس فيه خبيثة وهي حب المدح والاعطاء والرياء والسمعة يقال فلان يعطى كصدقة المتصدقين في المحافل لقصد الشكر وافشاء المعروف ومن الناس من يكثر من الملاحى والافراح بدون لزوم وينفق في ذلك النفقات الجسيمة وهو يعلم كثرة الفقراء في قريته والجباء من جيرته وأهل بلده بل ومن أرحامه فلو أنفق عليهم ما صرفه في محضر اللغو واللعب لفاز ولو استفتى العقل في ذلك لافتاء بالنجاسات ولسكن قد فات كمال السباق الى الفضائل في ميدان السابقين وما درى ان أداء الواجب خصوصاً في اطعام الفقراء للمستحقين خير من نوافل النوافل بيقين ودون من لا يعرف وجوه المصارف الحقيقية وأبواب المنافع العمومية من يجمع المال ويخجل باخراجه ولا يتصدق به ولا يقرضه لمحتاجه فيجهد النفس في البخل

أخوانه (وقل) بعض الحكماء كمل المروءة من أحب المسكرم واجتنب  
 المحارم فالبر الحقيقي المذكور في قوله تعالى إن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون  
 حليف للمروءة الكاملة ويطابق هذه الآية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم  
 إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو  
 ولد صالح يدعو له رواه الإمام مسلم رضي الله عنه بلفظ إذا مات المسلم بدل  
 ابن آدم فتدحى الحديث النبوي على ثلاث فضائل جامعة شاملة لأساس  
 الدنيا والدين في حق صاحب العمل تديم عمله وتجعله باقيا كأن صاحب العمل  
 حي بعمله مأجور دائما فهذه الفضائل خلدة للذكر مؤبدة للآجر وبضدها  
 تميز الأشياء فإن من لا صدقة له في حياته ولا علم ولا ذرية فعمله مقطوع  
 من أصله فهو ميت الأحياء حيث عدم الفضائل الثلاثة

فالفضيلة الأولى الصدقة الجارية خصها بعض العلماء بالوقف وجعلها من  
 أدلة تشريع وقال بعدم دخول الوصية في معنى الصدقة وبعدم دخول صدقة  
 التطوع والقرينة دالة على العموم لا سيما إذا كان الحديث في معرض فضائل  
 الأعمال فالعبرة بعموم لفظه فالمدار على أن تكون الصدقة جارية مستمرة  
 باقية خلدة لا ينقطع نفعها ولا يمتنع من الدرر زرعها كحفر الآبار في أي محل  
 من المحال حيث يصير النفع بها رصدت على جهة أم لم ترصد وغرس الأشجار  
 التي يتظل بها وأجراء الأنهار وتسليك الطرق وجميع الأفعال الخيرية الدائمة  
 فالصدقة الجارية بهذا المعنى جامعة لاكثر أركان المنافع العمومية والأوقاف  
 داخلة فيها مما يرصد للمساجد والمؤسسات ونحو ذلك مما يبتغي به الواقف  
 وجه الله تعالى حتى يكون من المنافع العمومية والباقيات الصالحات والأعمال  
 الحسنة فان كثيرا من أبواب اليسار يحرسون على بناء المساجد والمدارس

مطلب  
 حديث إذا ما  
 ابن آدم انقطع  
 عمله إلا من  
 ثلاث

مطلب  
 الصدقة الجارية



وحرمت غيبته (وسئل) بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال  
العقل يأمرك بالأفنع والمروءة تأمرك بالرفع ولا ينقاد للمروءة مع ثقل تكلفها  
الا من سهلت عليه الشاق رغبة في المحمدة وهانت عليه الملاذ حذرا من المذمة  
ولذلك قيل سيد القوم أشقاهم أي أكثرهم مشقة قال المتنبّي

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

وقال

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

والداعي الى استسهال الصعب في التمسك بالروءة شيئان علو الهمة  
وشرف النفس فأما علو الهمة فإنه باعث على التقدم وداع الى التخصص أنفة  
من خمول الضعة واستكبارا إهانة النقص وفي الحديث الشريف ان الله تعالى  
يحب معالي الامور ويكره سفاسفها وأما شرف النفس فيه يكون قبول التأديب  
وتقويم التهذيب فاذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة وفي الفضائل رغبة فاذا  
تجرد شرف النفس عن علو الهمة كان الفضل به عاطلا حتي قيل ان شرف النفس مع  
صغر الهمة أولى من علو الهمة مع دناءة النفس لان من غلبت عليه همته مع دناءة  
نفسه كان متعديا الى طلب ما لا يستحقه ومتخطيا الى التماس ما لا يستوجبه ومن  
شرفت نفسه مع صغر همته فهو تارك لما يستحقه ومقصر عما يجب له والفرق  
بين الامرين ظاهر وان كان لكل واحد منهما من الذم نصيب قال الشاعر

ان المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المكارم عن أب فأضاعها

أمرته نفس بالدناءة والخفا ونهته عن سبل العلا فأطاعها

فاذا أصاب من المكارم خلة يابني الكريم بها المكارم باعها

قال أنوشروان الكامل المروءة من حصن دينه ووصل رحمه وأكرم

أى بستان بالمدينة وهو أحب أموالى الى أفأصدق به فقال عليه السلام بخ  
 بخ ذاك مال راجح واني أرى ان تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل  
 يا رسول الله فتمسها في أقربيه وروى انه جعلها بين حسان بن ثابت وأبي  
 بن كعب رضى الله عنهما (وروى) ان زيد بن حارثة رضى الله عنه جاء عند  
 نزول هذه الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم أسامة فوجد زيد في نفسه فقال عليه السلام ان الله  
 قد قبلها \* واشتري ابن عمر جارية اعجبته فأعتقها فقبل له أعتقها ولم تصب  
 منها فقال لن تسالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون والانفاق هنا يشمل الزكاة  
 وغيرها من كل شيء أنفقه الانسان من ماله يبتغي به وجه الله تعالى حتى التمرة  
 وقوله مما تحبون فيه اشارة الى ان انفاق الكل لا يجوز كما قال تعالى والذين  
 اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهذا أدب الله تعالى وقال  
 عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

ويقال ثلاثة من حقائق الايمان الاقتصاد في الانفاق والانصاف من  
 نفسك والابتداء بالسلام وضابط الاقتصاد في الانفاق ان ما دبره العقل  
 وناله الفضل فهو الاقتصاد الجليل الحسن فالعقل السليم لا يميل الى الفرط ولا  
 الى الشطط بل يتبع الوسط الذي هو خير الامور

ومن شواهد فضيلة البر ودلائل السكرم والانفاق المروءة التي هي حلية  
 النفوس وزينة الهمم وهي مجارة النفس على أفضل أحوالها (روى) عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم  
 ووعدهم فلم يخافهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته

حاجة فقال لا ولكن رأيت ذا المال مهيباً فهبته ويقال الدراهم مرام  
 لأنها تدأوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال أحيحة بن الجلاح  
 رزقت لها ولم أرزق مروة وما المروءة إلا كثرة المال  
 إذا أردت مواساة تقاعد بني عما ينوه باسمي رقة الحال  
 (وقال بعضهم)

ومن يطلب المال المنع بالقنا يعش ما جداً أو تخترمه الخوارم  
 وقال آخر

كفى حزناً أني أروح وأغتدى ومالي من مال أصون به عرضي  
 وأكثر ما ألقى الصديق بمرحبا وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي

وأما ذم جمع المال فهو محمول على من يقتني الأموال ليدخرها ويكف  
 عن صرفها في وجوه الخيرات حيث أن ذلك يستدعي سوء ظنه بخالقه مع أن  
 في حسن الظن بالله راحة القلوب مصداق ذلك والذين يكتزون الذهب  
 والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

ثم إن مشروعية التعاون على المنافع العمومية يدل عليها كثير من الآيات  
 والأحاديث النبوية فمن ذلك قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا  
 على الأثم والعدوان وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أي إن من  
 أنفق كان من جملة الأبرار الذين قال تعالى فيهم أن الأبرار أنفي نعيم على الأرائك  
 ينظرون الآية والبر أيضاً أكثر أعمال الخير فهو صفة جامعة ومعنى الآية عليه  
 لن تنصفوا بهذه الصفة وهي استجماع أعمال الخير حتى تنفقوا مما تحبون فتفوزوا  
 بفضيلة البر فافضل طاعات الإنسان اتفاق ما يحبه فكان السلف إذا أحبوا شيئاً  
 جعلوه لله تعالى (روي) أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو دالمجة يا رسول الله لي حائط

فقد من أبناء الدنيا قلت الرغبة فيه وكثرت الرهبة منه ومن لم يكن منهم  
بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به وما أحسن مقاله مع التورية الامام  
العارف بتيق السلف الطاهر أبو الفضل بن وفي

وخل سمته صفعاً بمال      فتال توازعه وه يا صاحبي  
إذا الحمل الثقيل توازعه      أكف القوم هان على الرقاب

ومثله في التورية ما كتبه ابن أبي حجلة الى الخواجه شهاب الدين الذهبي  
وقد مطله بحمالة ذهب من قوله

قد منعم صرف الدنانير عني      واسم في الوري هبات كثيرة  
وأنا شاعر وفي شرع نظمي      صرفها واجب لاجل الضرورة

قال مجاهد الخير في القرآن كله المال فقوله تعالى وأنه حب الخير لشديد  
يعني المال وأحببت حب الخير عن ذكر ربي يعني المال وقوله تعالى فكتبوهم  
ان علمتم فيهم خيراً يعني مالا وقال تعالى عن شعيب اني أراكم بخير أي بمال  
وغنى وانما سمى الله المال في القرآن خيراً اذا كان في الخير مصر وفاقلاً ما أدى  
الى الخير فهو في نفسه خير (وقد روى) عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحساب أهل الدنيا هذا المال (وقال) عبد  
الرحمن بن عوف يا حبذا المال أبصون به عرضي وأرضي به ربي (وقال) ابن  
عباس الدراهم والدنانير خواتم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب وحيث  
قصدت بها قضيت حاجتك \* قيل لبعضهم لم تحب الدنانير وهى تدنى من النار  
قال هى وان أدنت منها فقد صانت عنها (وقال) بعض الحكماء من الملوكة من  
أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض ومر رجل من أبواب الاموال  
بعض العلماء فتحرل له وأكرمه وأدناه فقيل له بعد ذلك أكانت لك اليه

للدروشة لا يحصل لهم شيء من الفضائل الانسانية المدنية المعهودة التي عددناها  
 وذلك ان من لم يخاطب الناس ويساكنهم في المدن لا تظهر فيه هذه الفضائل  
 من العفة والنجدة والسخاء والعدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التي ركب فيها  
 بالنسبة للخيرات المدنية والمنافع العمومية عاطلة لانها لا تتوجه الى خير ولا  
 الى شر بالنسبة للعموم فاذا تعطلت ولم تظهر أفعالها الخاصة بها صاروا بالنسبة  
 لقصور صفاتهم عليهم وعدم عودها بالمنفعة على غيرهم بمنزلة الجمادات أو الموتي  
 من الناس ولذلك يظنون ويظن بهم أنهم اعفاء وليسوا باعفاء فهم كقال الشاعر  
 يقول أبو سعيد مذرآني غفيفا منذ عام ما شربت

على يد أي شيخ تبت قل لي فقلت على يد الافلاس تبت  
 وتقول العامة من العفة ان لا تجدد وكذلك في سائر الفضائل أعني انه اذا  
 لم يظهر منهم اضداد هذه التي هي شرور ظن بهم الناس أنهم أفاضل وليست  
 الفضائل اعداما بل هي افعال وأعمال تظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفي  
 المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم وتعلم الفضائل الانسانية التي  
 نساكن بها الناس ونخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات أخر اذا صرنا الى  
 حال أخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الآن فالسقاء فرع عن وجود مال  
 بيد الانسان استفاد بالخاطلة حسن صرفه في الخير فاذا أحسن صرفه بالوجه  
 الاوسط كان حازر الفضيلة السخاء وعلى كل حال فمن جوامع الحكام قول بعض  
 الحكماء لا خير في السرف كالا سرف في الخير فمن يطلب زيادة المال ويلتمس  
 الكثرة في اسباب الكسب ليصرف مكاسبه في وجوه الخير ويتقرب بها في  
 جهات البر ويصنع بها المعروف جدير بالحمد اذا توفى مطالب التبعات ومكاسب  
 الشبهات لان المال آلة المسكارم وعون على الدين ومؤانف الاخوان ومن



على نفسك وأهلك في وجود صلة الرحم وسبيل الخيرات أي لا تجعل يدك في انقباضها كالمغولة الممنوعة من الانبساط ثم قال ولا تبسطها كل البسط أي ولا توسع في الانفاق توسعا مفرطا بحيث لا يبقى في يدك شيء ثم قال تعالى فتعبد ملوما محسورا أي تلوم نفسك وأصحابك يلومونك على تضييع المال بالسكينة ومعنى محسورا مقطوعا عن الانفاق يعني عاجزا متحيرا وقد ذكر الحكماء ان لكل خلق طرفين أحدهما الافراط وثانيهما التفريط وهما مذمومان فالخل مثلا افراط في الامساك وهو مذموم والتبذير تفريط في الانفاق وهو مذموم أيضا والوسط ممدوح وهو العدل في الانفاق وهكذا كل فضيلة لها طرفان ووسط والوسط عبارة عن الانصاف في الفضيلة وهو الممدوح منها ولكن ربما يقطع في الوهم فضيلة أحد الطرفين لعدم الوقوف على الحقيقة بترك معاشرة أرباب الفضائل فهذا ينبغي تعيين محل تعلم الفضائل حتى لا تشبهه باضدادها وبيان ذلك ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته ولا بدله من معاونة قوم كثيرى العدد حتى تتم حياته طيبة ويجرى أمره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدني بالطبع أي هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير لتم له السعادة الانسانية فكل انسان بالطبع وبالضرورة محتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الى مضافة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ويحبهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتمون انسانيته وهو أيضا يفعل بهم مثل ذلك فاذا كان ذلك كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلي وتعاطي ما يري الفضيلة في غيره فاذن القوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم اما بلازمة المغارات في الجبال واما ببناء الصوامع في المقافز واما بالسياحة في البلدان

البر للتعاون عليه كالقرض والعارية والهبة والصدقة والوقف، وما أشبه ذلك مما يقتضي الألفة واتفاق الآراء في تدبير المعاش والمعاد وتطلق في عرف تدبير المنزل على ما يفعل لمصلحة تخص بلدة أو مدينة أو مملكة لراحة أهلها وتنظيم أحوالهم من كل ما يعود عليهم بفائدة لها وقع في المملكة وبها يترقي الوطن وتشارك في ثمرتها أربابه فهذا تقيد بالعمومية فبني بالمعنى العرفي تخص السياسة حيث انه قد لا تقتضي الاوضاع الشرعية المتأدب بها في المملكة عين المنفعة السياسية الا بتأويلات للتطبيق على الشريعة ومع ذلك فبني المنفعة في السياسة انشريعة على طريق اكتساب المال من غير مهانة ولا عسف وانفاقه في المصارف الحميدة والعاقبة الجليلة الذكر وبني المنفعة أيضا على صرف الهبة الى ازالة المكروه عن الناس بقدر ما تسعه القدرة البشرية من اسعافهم وعانتهم وسيأتى في الفصل الاول من الباب الثاني تعريفه في اصطلاح الادارة الاوربية وانها تجمع الفضائل وقد ذكرنا في المقدمة انقسام أسباب المعاش الى أربعة أقسام وهي زراعة وصناعة وتجارة ونتاج الحيوانات ونقول ان هذه المنافع اذا وجدت في مملكة دامت متى روعي فيها العدل والانصاف فتكون مقابلة للاستثمار والتمول وتحصيل النقود والمتاع والعقارات وجميع الاملاك الاحتياطية فبواسطة اكتساب الاهالى هذه المكاسب يصح لهم الانفاق المنزلى مع السعة والثروة وبفضل أموالهم يؤدون حقوق المملكة القائمة بحفظهم وصيانتهم مما يوجب ثروتها واقتدارها وينفقون في سبيل الله ما شاء ان ينفقوا رحمة بذوى الحاجات فهذا يتم النظام المنزلى والنظام المدنى وقوام كل من النظامين على الاقتصاد في الانفاق وترك الحرص والطمع والاسراف والتبذير عملا بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق

الفوائد الجمة من أسباب الرفاهية والنعمة كما قال النابلسي  
 لم أزل في الحب يا أملى أمزج التوحيد بالغزل  
 وتكفي الأدلة الاقتناعية في إفادة أهمية المنافع العمومية وليكون للجميع  
 في وسائلها ومقاصدها كمال العلومية

كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل ادراك العلا غرضا  
 فالآن تعطر ملك مصر بشذا نسائم منافع الممالك الأجنبية فصار كما قيل  
 كأن تجارا تحمل الطيب عرسوا به ثم فضوا ثم كل ختام  
 أي فضوا ختام المسك فتعطرت الأرجاء فهو لرجاء بلوغ الدرجة الكمالية  
 أقرب حصولا وأرجي

## الباب الاول

﴿ في بيان المنافع العمومية من حيث هي وفي موادها ومتفرعاتها وما يتعلق بها وفيه فصول ﴾  
 تعريف المنافع  
 العمومية

### الفصل الاول

﴿ فيما يتعلق عليه المنافع وبيان موادها الاصلية وانها دالة على التمدن والعمران ﴾  
 المنافع جمع منفعة وهي في اللغة ضد المضرّة ومنه قوله  
 اذا أنت لم تنفع فضر فانما يرجي النفع كما يضر وينفع  
 وتند تطاق على الدواء كقوله

هم الناس فالزم ان عرفت طريقهم فقيمهم لضر العالمين منافع  
 وتطلق على المنفعة الشرعية فتكون عبارة عن جمع ما شرع من أنواع

مألوفاً يخالف مألف العلماء والتجار وأصله ان يكون للناس على اختلافهم سمة  
 يتميزون بها فان عدل واحد عن عرف بلده وجنسه بدون مندوحة عد ذلك  
 منه حمقاً فكل يتبع القيافة الخاصة به ولزوم العرف المعهود واعتبار الحد المحدود  
 أدل على الحق وامنع من الذم وربما توهم البعض أن التزني بزنى البلاد الاجنبية  
 المشهورة بالتمدن هو من المروءة الكاملة والسيرة الفاضلة فبادر بالامتيار بها  
 عن الاكثرين بدون موجب مع ان قيافة بلده لا تنص عنها شيئاً وانما قصد  
 بذلك الخروج من قيافة وطنه التي استرذلها الا جانب وخفي عليهم تعدي طورهم  
 وتجاوز قدرهم وقبح بين أهل الوطن ذكرهم

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فالتمدن ليس في زينة الملابس بعرف مجهول متخيل استحسنانه لا سيما  
 اذا كان لا يمكن لمن تزييه احسانه

وما الحلى الا زينة لنقيصة يتم من حسن اذا الحسن قصرا

وأما اذا كان الجمال موفرا كحسنك لم يحتاج الى ان يزورا

فحاجة الوطن الى المنفعة الحقيقية أشد من حاجته الى تقليد العرف الذي  
 هو منفعة ظاهرية ولما كانت الديار المصرية فائقة في المآثر جاهلية واسلاما  
 ولها أسبقية التمدن قديما وحديثا والآن تنافس الممالك الاخرى في الفنون  
 والصنائع وسائر أنواع المنافع لها الآن أن تزاخم في ميادين صحيح الفخار  
 وتصون درجة السلف التامة الاعتبار حتي يصح أن نقول

نشيد كما شادوا ونبني كما بنوا لنا شرف ماض وآخر غابر

فلهذا وجب علينا أن نسرّد في صحائف هذا الكتاب ما يبدو لنا من  
 أحوال المنافع الملائمة لزاج الوقت والحال مما عساه أن يستفيد منه الاهالي

مطلب  
اختلاف احوال  
المنافع  
العمومية

وصناعة وتجارة وامارة فمن خرج عنها كان كلا علينا ولكن سيأتي لنا ان  
الامارة هي قطب رحي المنافع العمومية

ثم ان احوال المنافع العمومية تختلف بتقل الأحوال وتغير العادات ولا  
يمكن استيعاب طرق تحسينها وأدوات تمكينها وانما يجتهد كل انسان في الحصول  
على ما بلغه من الوسع في صنائع زمانه وما استحسن عرفا من محسنات عصره  
وأونه ولولا تغير الاحوال والعادات لكان المتقدم كفى المتأخر تكلفها وانما حظ  
التأخر أن يعاني نشد الشارد مع حفظه وجمع المتفرق بل حفظه ثم يعرض ما تقدم  
على حكم زمانه وعادات وقته وأوانه فيثبت ما كان موافقا وينفي ما كان شاقا  
ثم يستمد خطره في استنباط الزوائد واستخراج الفوائد واختراع ما به السهولة  
وابتداع ما يبلغ رب البصائر ما موله

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها اذا لم يكن للمبصرين بصائر  
وهل ينفع الخطي غـيز مثقف وتظهر الابالـصال الجواهر  
فتى اسعف الانسان بشيء اخترعه حظي بفضله بشرط ان يكون مألوفاً  
لوقت وعرف أهله فان لاهل كل وقت عادة تؤلف ومنافع تعرف تقع من  
النفوس بموقع المحبة والرغبة لوضوح مسلكها وسهولة ماخذها والا كان  
ضائعا مستهجنا والأتان به تعسف والالزام به تكلف فان العادة حقيقة  
بقول القائل

شيء به فتن الوري غير الذي يدعى الجمال ولست أدري ما هو  
فان مستحسن العرف والعادة لا يوجبه عقل أو شرع بدليل اختلاف ذلك  
باختلاف البلاد كالتجمل والزينة فان لاهل المشرق زيا مألوفاً ولاهـل المغرب زيا  
مروفاً غيره وكذلك يختلف العرف باختلاف اجناس الطوائف فان للاجناد زيا



وتعالى بقولهم وأرشدكم إليها بطاعتهم حتي لا يتكفوا ائلافهم في المعاش  
 المختلفة فيعجزوا ولا يعانو تقدير موادهم بالكاسب المتشعبة فيختلوا حكمة من  
 الله سبحانه اطلع بها على عواقب الامور قال تعالى ربنا الذي اعطي كل شيء  
 خلقه ثم هدي قيل في تفسيره اعطي كل شيء ما يصلحه ثم هدا له وقيل اعطي  
 كل شيء صورته ثم هدا اميسته وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا  
 أي معاشهم متى يزرعون ومتى يفرسون وقال تعالى وقدر فيها أقواتها في  
 أربعة أيام سواء للسائلين أي قدر في كل بلدة منها ما لم يقدره في الاخرى  
 لمعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد

ثم ان الله تعالى جعل للناس مع ما هداهم اليه من مكاسبهم وأرشدهم اليه من  
 معاشهم دينا يكون لهم حكما وجعل لهم شرعا يكون عليهم قيما ليصلوا الى مرادهم  
 بتقديره ويطلبوا أسباب مكاسبهم بتديره حتي لا ينفردوا بآرادتهم فيتغالوا ولا  
 تستولى عليهم أهواؤهم فيتقاطعوا قال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت  
 السموات والارض ومن فيهن ثم انه جلت عظمته جعل توصلهم الى منافعهم  
 من وجهين مادة وكسب اما المادة فهي حادثة عن اقتناء أصول نامية بذواتها وهي  
 شيآن نبت نام وحيوان متناسل قال تعالى وانه هو أغني وأقني أي أغني خلقه بالمال  
 وجعل لهم فنية وهي أصول الاموال وأما الكسب فيكون بالافعال الموصلة الى  
 الكفاية والتصرف المؤدى الى الحاجة من وجهين أحدهما تقب في تجارة  
 والثاني تصرف في صناعة وهذا ان الوجهين هما فرع لوجهي المادة السابقين  
 فصارت أسباب المواد المألوفة وجهات المكاسب المعروفة أربعة أوجه نماء  
 زراعة ونتاج حيوان وربح تجارة وكسب صناعة وكذلك حكى الحسن بن رجاء  
 عن الخليفة المأمون انه كان يقول معاش الناس على أربعة أقسام زراعة

مطل  
 هم أسباب  
 د المكاسب

والغيرة عليها بحرارة جديدة محمية متمكنة من الابدان الالهية متى حلت  
 بيد الانسان غلبت على الحرارة الغريزية فلذلك اذا ظهرت الحمية الوطنية  
 في أبناء الديار المصرية وولعت بمنافع التمدنية فلا جرم ان تذكو نارها وتغلب  
 على القوة الاولية فيحصل لهذا الوطن من التمدن الحقيقي المعنوي والمادى  
 كمال الالهية فبقدر زناد السكد والسكدح والنهض بالحركة والنقلة والاقدام  
 على ركوب الاخطار تنال الاوطان بلوغ الاوطار

وع الحوينا وانتصب وانتشب واكدح فنفس المرء كداحه  
 وكن عن الراحة في منزل فالصنع موجود مع الراحة  
 (وقال آخر)

ثقل فلذات الحوى في الثقل ورد كل صاف لا تقف عند منهل  
 فما دامت المنافع متفرقة في الجهات فلتكن الهمم في تحصيها من جهاتها  
 قضايا موجهات فلا بد لكل انسان وكل مملكة من الحصول على المادة  
 الكافية لبلوغ الوطر لا سيما التي لا يعري منها بشر قال تعالى وما جعلناهم  
 جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا انعدمت المادة التي هي قوام  
 النفس لم تدم الحياة ولم تستقم الدنيا لاهلها فاذا تعذر على الانسان شئ من  
 معاش الدنيا لحقه الوهن والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه  
 لان الشئ القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله والما كانت المواد مطلوبة  
 لحاجة الكفاية اليها وجب الحصول عليها من جهاتها ثم ان اسباب المواد مختلفة  
 وجهات المكاسب متشعبة وانما كانت كذلك ليكون اختلاف اسبابها علة  
 الائتلاف بها وتشعب جهاتها توسعة لطايلها كي لا يجتمعوا على سبب واحد  
 فلا يلتصمون أو يشتركون في جهة واحدة فلا يكثفون وقد هدام الله سبحانه

مطلب  
 اختلاف أسباب  
 المواد وتشعب  
 المكاسب

الى مصر وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدير حتي ان الماء  
يجري من تحت منازلها وأفنياتها فيحبسونه كيف يشاؤوا انتهى وهذا عين  
التمدن اذ لا يكون ذلك الا بتقدم الصنائع والفنون ويؤيده بقايا الآثار  
المشاهدة التي لا كان مثلها في غير مصر ولا يكون مع ما انمحي منها بشهادة  
قوله تعالى ودرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقد قنع  
المؤمن بهذه الآية حين استصغر مصر في عينه وذهل عن حقيقة الدراية  
والرواية فأدرك بها من الحكمة الغاية

وبالجملة فهي فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ماسواها فيحمل منها من طريق  
بحر القزم الى الحرمين واليمن والهند والصين والسند وبلاد افريقية ومن جهة  
بحر الروم الى بلاد الروم والقسطنطينية والافرنج وسواحل الشام والنفور الى  
حدود العراق والى صقلية وكريد وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد الى بلاد  
الغرب والنوبة والسودان والحبشة والحجاز واليمن ولا سيما الآن بوصل  
البحرين الابيض والاحمر واتصال افريقية بآسيا على وجه أظهر فبهذا يقرب  
النقل منها واليها من سائر الاقطار المعمورة والمنظور انها تصير بمنافع جميع  
ممالك الدنيا مغمورة وتكثر مخرجاتها مع جميع الامم فلا غرو أن يأتي لها زمان  
يصير فيه تمدنها راسخ القدم فان لطالع التمدن دورا مخصوصا من أدوار  
الجماعات التأسيسية عند حضور الاوان تسطع أنواره على سائر الافاق والبلدان  
وما البدر الا واحد غير أنه يغيب ويأتي بالضياء المجدد  
فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة فجماعتها من نير متردد  
فكل مملكة تأخذ حظها الاوفر من نير التمدن مدة قرون وأزمان بحمية  
أهلها ومغالاتهم في حب الاوطان فقد شبه بعضهم حب الاوطان الحقيقي

جميع الارض فيها طيب عيش ولذات وروضات أنيقه  
وهذا كله في غير مصر مجازي وفي مصر حقيقه

فلهذا يقال ان مصر هي اختيار نوح عليه السلام لولده وكذلك صارت  
اختيار الحكماء لانفسهم واختيار عمرو بن العاص لنفسه واختيار مروان بن  
الحكم لابنه عبد العزيز وهكذا فكيف لا وهي بلد العلم والحكمة من قديم  
الدهر وحديثه ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا ممالك الدنيا بتدبيرهم  
وحكمتهم وفنونهم وصنائعهم ولم تزل الى الان يسير اليها طلبة العلم وأصحاب  
الفهم من سائر الاقطار لتحصيل درجة السكالم وكفاها نفرا أنها تسمى  
خزائن الارض كما حكاها الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله لملك مصر  
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ولذلك قال بعضهم ان مصر خزائن  
الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها يعني ان يوسف لما تمكن من  
أرض مصر يتبوا منها حيث يشاء كان بسلطانه فيها سلطان جميع الارض كلها  
لحاجتهم اليه والى ما تحت يديه حتى في أيام الخلفاء كانت مثرية بالماثر  
والمسكارم تغني الوافد عليها والقادم كما قال بعض الشعراء

قدمت مصر فأوتني خلافتها من المسكارم ما أربى على الازل  
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن تمامها انها جاءت ولم أسل

ومما يدل ايضا على انها كانت بمكانة من التمدن في قديم الازمان قوله  
تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملأه  
زينة وأموالا في الحياة الدنيا وكذا قوله تعالى مخبرا عن فرعون انه قال أليس  
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون قال بعض المفسرين  
ولم يكن في الارض ملك أعظم من ملك مصر وكان جميع الارضين يحتاجون

خزائن الارض والجيزة غيضة من غياض الجنة ذكر هذا الحديث صاحب  
 المفاخرة بين مصر والشام (قال) بعض من انتصب لتفضيل دمشق لكونها  
 وطنه على مصر عرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها ولما نحن لا نجفو  
 الوطن حيث حبه من الايمان ومع هذا فلا ننكر ان مصر اقليم عظيم الشأن  
 وان مغناها كثير وان ماءها نعيم وان ساكنها ملك أو امير وان الذهب فيها  
 لا يوزن بالثاقيل ولكن بالتناطير وان دمشق يسامح ان تكون بستانا لمصر  
 ولا شك أن أحسن ما في البلاد البستان وهل دمشق الا لمصر مثل الجنان  
 وقال عبد الله بن عمر أهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يداؤا وأفضلهم  
 عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقرش خاصة يشير بهذا الى هاجرام اسماعيل  
 عليه السلام فانها من قرية أم دينار أو قرية أم دين وكلاهما بمصر او يقال انها من  
 بلدة بقرب القرى الى مارية أم ابراهيم فانها من قرية بصعيد هامن اقليم الجيزة  
 (وقد روى) عن أبي ذر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم  
 ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بالهاها خيرا فان لهم ذمة وحرما  
 فاذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فآخروا عنها قال فربربعة وعبد الرحمن  
 ابني شرحبيل يتنازعا في موضع لبنة نخرج منها (ويروي) عن عمر أمير المؤمنين  
 رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح  
 عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة (وقال)  
 عبد الله بن عباس رضى الله عنهما دعانوح عليه الصلاة والسلام لولده وولدولده  
 مصر يم الذى به سميت مصر مصر ا فقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك فيه  
 وفي ذريته واسكنه الارض الطيبة المباركة التي هي أم الدنيا وما احسن قول

مطلب  
مصر لبنيها  
وغيرهم

مطلب  
خير مصر  
وبركانها



فقلت لها قلى الملامة وانصفي هوي كل نفس حيث حل حبيبها  
وحسب المؤمن بحب الوطن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
خرج من مكة غلاميته واستقبل الكعبة وقال والله لأعلم انك أحب بلد  
الله الى وانك أحب أرض الله الى الله تعالى عز وجل وانك خير بقعة على وجه  
الارض واحبها الى الله تعالى ولولا ان أهلك أخرجوني منك لما خرجت  
وبالجملة فحب الاوطان على عظم الحسب وكرم الادب أبهى عنوان وهو  
فضيلة جليلة لا يؤدي حق الوفاء بها الا من حاز الشايل النبيلة ولا تعين عليها  
الا الهمم العلية والعزائم الملوكة التي تقلد أعناق الامة حلى المنة والنعمة فتبعثهم  
على التثبت بالوطان والتعلق باذيال الاخوان والخلان لاسيما اذا كان الموطن  
منبت العز والسعادة والنخار والمجادة كديار مصر ففي أعز الاوطان لبنها  
ومستحقة لبرها منهم بالسعى لبلوغ أمانيتها بتحسين الاخلاق والآداب من  
جهتين عظيمتين (الاولى) أنها لم لساكنيها وبر الوالدين واجب عقلا وشرعا  
على كل انسان (الثانية) انها ودود باره بهم مشمرة للخيرات منتجة للمبرات  
فبرها يعود على ابناءها ثمرته وترجع اليهم فائدة ويحسن الصنيع بتضاعف  
الفوائد العوائد اضعافا مضاعفة وكلما تحسنت جهات البر من أهاليها حسنت  
أيضا الثروات لطالبيها فاذا كانت لا تحرم من ثروات مصر الا جانب فبالأحرى  
ان تتمتع بها الاقارب ففي الأثر من أعيته المكاسب فعليه بمصر وعليه بالجانب  
الغربي منها (ويروي) ايضا قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة في مصر وجزء  
في الامصار كلها ولا يزال في مصر بركة ما في الارضين كلها وقيل في تفسير  
قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها ان  
المراد بمشارق الارض ومغاربها أرض مصر وقال عليه الصلاة والسلام مصر

هل من سبيل الى خمر فأشربها أم هل سبيل الى نصر بن حجاج  
 أى الى وصله لانه كان حسن الصورة وهو من بنى سليم فدعاه عمر فرآه أحسن  
 الناس وجها وله شعر حسن خالق شعره فكان أحسن الناس بلا شعر فقال له أمير  
 المؤمنين لا تساكنى فى بلدى فتشفع نصر اليه ان لا يخرج من المدينة فلم يقبل عمر  
 رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا أمير المؤمنين سميتى قتل نفسى فقال عمر كيف  
 ذاك فقال قال الله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم  
 ما فعلوه فقرن هذا بهذا فقال ما أبعدت يا نصر لكن أقول ما قال شعيب ان  
 أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله وقد أضعت لك يا نصر عتاءك  
 ليسكون ذلك عوضا لك ومن أحسن ما قيل فى حب الاوطان قول الصقلي

ذكرت صقلية والاسى يهيج للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنة فانى أحدث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البسكا حسبت دموعي أنهارها

وصقلية جزيرة بايطاليا المسماة الآن سيسيليا كانت فى يد الاسلام زمنا

طويلا ويناسب هذا قول من قال

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى وحنينه أبدا لاول منزل

وما أحسن قول بعضهم

على لربع العامرية وقفه ليلى على الشوق والدمع كاتب

ولى مذهب حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

(وقل آخر)

وقائلة ماذا وقوفك ههنا بيرية يعوى من العصر ذبيها

أبأت أرجي أن يلم خيالهم      وكيف يزور الطيف دون منامي  
فلا برق الا خاب بعد بينهم      ولا عارض الا بياض جهام

وخالف ذلك شرف الدين البيهقي حيث قال

أبابل لا واديك بالبر مفعم      لدى ولا ناديك بالرحب أهل  
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة      وحسبك عارا اني عنك راحل  
وان كنت بالسحر الحرام مدلة      فعندي من السحر الحلال دلائل  
قواف تعير الأعين النجل حسنها      فكل مكان خيمت فيه بابل

وقال آخر يخاطب أحد الملوك

ان تكرموني فاني غرس دولتكم      فما بقيت فمطواع ومذعاب  
وان اهنتم فارض الله واسعة      لا الناس أنتم ولا الدنيا خراسان

وقال آخر في حق مصر

لم لا أدين كبارهم      وصفارهم تيهها وكبرا  
ما النيل من ماء الحياة      ة ولا جميع الارض مصرا  
فهذا قول المغلوب وكلام مهجور الوطن لا المحبوب وأحسن من ذلك

قول من تغرب وأصيب في الغربة بداء حب وطنه وتجرب

وبلدة قد رمتني      بكل داء عنادا

ولورجعت لاهلي      كانت بلادى بلادا

ويكفي حب الوطن ان كرامة الاجلاء منه مقرونة بكرامة قتل الانسان

نفسه في قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من

دياركم ما فعلوه (مما يحكي) أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر ايا في

المدينة فسمع امرأة تقول

وخرق من بني غمي نحيف أحب الى من علاج عنيف  
 فلما سمع معاوية الايات قل ما رضيت ابنة بحدل حتي جعلتني علجاً من  
 علوج العجم فالعربي كثير التعلق بباديته فلا يتمدح الا بها كما قال بعضهم  
 هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم  
 والضال والسلم من أشجار البوادي ذوات الشوك فأشار الشاعر بذلك  
 الي ما يتمدح به العرب من سكني البادية لان العز عندهم مفقود في الحضر  
 فكان العظيم منهم بين الضال والسلم أشهر من نار على علم أو أنه من البعد  
 عن الحضرم والضيم شمس أو قر بلا غيم بخلاف المتمدن فانه يكثر التنقل  
 ولكن في الحقيقة تنقله ثمرة من ثمرات التمدن مرتفعة تعود على الوطن  
 بالمنفعة ولا نظر الى من حصل له ذل وهوان فرغب بذلك عن الاوطان  
 كما قال الشريف الرضي

مالي لا أرغب عن بلدة يكثر فيها الدهر حسادي  
 ما الرزق في السكرخ مقيما ولا طوق الدلا في جيد بغداد  
 وقال بعض امرء الحرمين

قوض خيامك عن أرض تهان بها وجانب الذل ان الذل مجتلب  
 وارحل اذا كانت الاوطان منقصة فالندل الرطب في أوطانه حطب

فقد ينم الوطن من واحد ويمدح من آخر بحسب حال المتوطن فقد  
 مدح الشريف المرتضي بابل وتشوق اليها بقوله

الا يا نسيم الريح من أرض بابل تحمل الى أهل الخيام سلامي  
 واني لاهوى أن اكون بأرضهم على اني منها استغفدت مقامي  
 وقد كنت كالعقد المنظام منهم فيها أناذا سلما بنير نظام

فاذا تمَّثل في الضمير رأيتَه      وعليه أغصان الشباب تُميد  
(وقال آخر)

إذا أنا لا أشتاق أرض عشيرتي      فليس مكاني في النهى بمكين  
من القمل أن أشتاق أول منزل      غيت بخفض في ذراه ولين  
وروض رعاه بالأصائل ناظري      وغصن ثناه بالغداة يميني  
واني لا أنسى اليهود إذا أتت      بنات الهوي دون الخليط ودوني  
إذا أنا لم أرفع اليهود على النوي      فلست بأمون ولا بأمين  
والمراد بينات الهوي بنات الدهر أي حوادثه فلوطن محبوب والمشأ  
مألوف حتي غير المتمدن بل يقال ان البادي الجملي يتعلق بجبال جبال أوطانه  
ويلتقي بأذيال باديته ولا يعاق الحاضر بمدينته وحاضرتة بحيث لا ينتقل  
الجلف من باديته الا للالتجاع في الفلوات ويستسهل خرط القتاد ويرى عزه  
في الصحارى التي ألف طبعه سكني خيامها وتريض عتله عليها واعتاد كما يدل  
لذلك ما حكي عن ميسون بنت بحدل أنها لما اتصلت بمعاوية رضى الله عنه  
ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها وانتذكر بمسقط  
رأسها فسمعها ذات يوم وهي تنشد

ليت تخفق الأرواح فيه      أحب الي من قصر منيف  
واكل كسيرة من كسر بتي      أحب الي من أكل الرغيف  
وأصوات الرياح بكل فج      أحب الي من تقرر الدفوف  
ولبس عباءة وتقرر عيني      أحب الي من لبس الشفوف  
وكلب يذبح الطراق حولي      أحب الي من قسط ألوف  
وبكر يتبع الاطعمان صعب      أحب الي من بغل زفوف



العمل وصناعة اليد وهو لازم لتقدم العمران ومع لزومه فإن أرباب الأخلاق  
والاداب يخشون صولة تقدم أهل الفنون والصنائع ويخافون ارتفاع مراتبهم  
بقوة مكاسبهم في المنافع وأهل الفلسفة والعلوم الحكيمة النفيسة يعتقدون أن  
الصنائع من المهن والامور الخسيسة وأرباب الاقتصاد في الاموال والادارة  
يبلغون في توسيع دائرة المنافع ووسائل العمارة ويتغالون بتكثيرها في دوائرهم  
لجاية فوائدهم منها وتيسيرها ويباشرون جمع متفرقاتها ونظم مشورها ويبحثون  
عن نشيد كل شاردة وتقييد كل آبدة لان مصلحتهم تقتضيها وحاكم اغراضهم  
يرتضيها

« مطلب »  
اخلاق  
الاغراض في  
لنافع العمومية

وارادة التمدن للوطن لا تنشأ الا عن حبه من أهل الفطن كما رغب فيه  
الشارع في الحديث حب الوطن من الايمان قال أمير المؤمنين ع ربن الخطاب  
رضي الله عنه عمر الله البلاد بحب الاوطان وقال على كرم الله وجهه سعادة  
المرء أن يكون رزقه في بلده وقال بعض الحكماء لولا حب الوطن لما عمرت  
البلاد الغير المخصبة وقال الاصمعي دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب  
فقلت له أفدني فقال اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده ومكارم  
اخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه لاوطانه وشوقه الى اخوانه قال  
الشاعر

« مطلب »  
الترغيب في  
حب الوطن

وحب أوطان الرجال اليهم  
ما رب قضاها الشباب هذا الكا  
اذا ذكرت أوطانهم ذكرت لهم  
عهد الصبا فيها خبوا لذلكا  
ولى موطن آليت اني أعزّه  
وان لا أري غيري له الدهر ما الكا

(وقال آخر)

بلد صحبت به الشبيبة والصبا  
ولبت ثوب العيش وهو جديد

لتقدمت كل التقديم في حيازة جواهر المنافع وأعراضها انتهى فقد لا يستوفى  
كيفه الجوهر القائم بنفسه ولكل شيء آفة من جنسه

ويفهم مما قلناه ان للتمدن أصليين (معنوي) وهو التمدن في الاخلاق  
والعوائد والآداب يعني التمدن في الدين والشريعة وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة  
التي تسمى باسم دينها وجنسها لتمييز عن غيرها فمن اراد أن يقطع عن ملة دينها  
بدينها أو يعارضها في حفظ ملة المخفورة الذمة شرعا فهو في الحقيقة معترض  
على مولاد فيما قضاه لها وأولاد حيث قضت حكمته الالهية لها بالاتصاف  
بهذا الدين فمن ذا الذي يجترى ان يعانده ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة  
وحسبنا في هذا المعنى قول السكرار أما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل  
امريء وما يختار فبهذا كانت رخصة التمسك بالاديان المختلفة جارية عند كافة  
الملل ولو خالف دين المملكة المقيمة بها بشرط أن لا يعود منها على نظام  
المملكة أدنى خلل كما هو مقرر في حقوق الدول والملل وما أحسن قول بعض  
الظرفاء

يقولون نصرانية ام خالد	فقلت ذروها كل نفس ودينها
فان تلك نصرانية ام خالد	فان لها وجهها جميلا يزيناها
ولا عيب فيها غير زرقة عينها	كذلك عتاق الطير زرق عيونها
وعلى ذكر زرق العيون يحسن ذكر قول الشاعر مع ما فيه من التورية	
لك يا أزرق اللواحظ مرأي	قري أضحي على الوجه يزهي
يا لها من سواف وخسود	ليس تحت الزرقاء أحسن منها

(والقسم الثاني) تمدن مادي وهو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة  
والتجارة والصناعة ويختلف قوة وضعفا باختلاف البلاد ومداره على ممارسة

فحقيق على العاقل ان يكون به متمسكا ومحافظا عليه ومتنسكا فأدب الشريعة ما أدى الفرض وأدب السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع الى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره وأظلم بالاساءة أمسه

( والواسطة الثانية ) هي المنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال وتنعيم البال على عموم الجمعية وتبعدها عن الحالة الاولى الطبيعية فان نور التمدن الجامع لهاتين الوسيلتين تذوق به العباد طعم السعادة ويعد تمدنا عموميا وأما اذا كان في البلد تقدمات جزئية في أشياء خصوصية كالبراعة في الفلاحة فلا يعد هذا التمدن الا محليا ولذلك نرى كثيرا من الممالك والامصار امتاز اهلها بمزايا خصوصية وبرعوا فيها بحيث لا تصل الى اصطناعها الممالك المتمدنة ومع ذلك فلا تعد في باب التمدن مثل غيرها متمكنة وأيضا الفنون الموجبة لتقدم التمدن مختلفة قوة وضعفا فيه ففن الملاحة مثلا أقوى في انتاج التمدن من الفلاحة ونفعه أعم منها في توسيع دائرة العمران عند عارفيه وقد اقتضت الحكمة الالهية ان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض فلا تكتسب الا بالاسفار وجوب مفاوز البراري والبحار فالمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب فالمملكة التي سخر الله لها الجمع بين صنعتي الملاحة والفلاحة كالديار المصرية لقابلية انتظامها محرزة لوسائل التمدن على وجه اكمل بشرط زوال الموانع والعوائق التي لا تخلو منها مملكة في ادراك مرامها كما أشار الى ذلك نابليون الاول ملك فرنسا بقوله ان فرنسا تسارع دائما في اسباب التمدن وتحصل منه على الكثير الا أن دولة الانكليز تعوقها عن تميم بعض اغراضها ولولا ذلك

مطلب  
عانة النافع  
عمومية على  
التمدن

المطلب  
لفاضلة بين  
حمة والملاحة

## مقدمة

﴿ في ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تمدينه أرباب الفطن ﴾

قد تحقق في مصر اسمها بالمعنى المتعارف أكثر من غيرها لمصير الناس إليها واجتماعهم فيها لمنافعهم ومكاسبهم وما ذاك الحسن موقعها العجيب الذي أسرع في اتساع دائرة تقدمها في التأنس الانساني والعمران وازدهارها أعلى درجة التمدن من قديم الزمان وعلى مر العصور وكر الدهور انصقلت في مرآة جوهرها صور أخلاق الخلائق وتهذبت طباعهم على التدرج وتشبثوا بثمرات العلوم والمعارف ووقفوا على الحقائق وبمخالطة غيرهم من الأمم ذاقوا حلاوة الأخذ والعطاء وكثرة العلائق وكما تمدنوا بصنائع العمران تدينوا بما اتخذوه من الأديان وكان يعرف خواصهم وحكماؤهم في الباطن بوحدة الملك الديان ورق الرياض اذا نظرت دفآر مشحونة بأدلة التوحيد

فتحقق فيهم من الاحقاب القديمة الواسطتان المقومتان اذ ذاك لكمال التمدن والعمران ( احدهما ) تهذيب الاخلاق بالآداب الدينية والفضائل الانسانية التي هي لسلوك الانسان في نفسه ومع غيره مادة تحفظية تصونه عن الأدناس وتطهره من الأرجاس لان الدين يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب على ارادتها حتى يصير قاهرا للسرائر زاجرا للضمائر رقيبا على النفوس في خلواتها نصوحا لها في جلواتها فهذا المعنى كان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وهو زمام للانسان لانه ملاك العدل والاحسان فالدين الصحيح هو الذي عليه مدار العمل في التعديل والتجريح

« مطلب »  
وصف مصر

« مطلب »  
نفع الدين  
في الملكة

وكم له حفظه الله على الوطن من صلوات موصولات وموائد متواصلات  
تقول بلسان حالها معربة عما أسدته اليد البيضاء من جزيل نوالها  
كم من يد بيضاء قد أسديتها      تشنى اليك عنان كل ودا  
شكر الاله صنائعاً أوليتها      سلكت مع الارواح في الاجساد  
ورتبت هذا الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة حسني بحسنها  
الدعاء مستجاب وعلى الله القبول وهو لبلوغ الأمل مسئول من





ولاشك ان الوطن كالجسد يصلحه ازالة النضو الغير النافع كما ان الشجرة  
تثمر بتقليم الغصن اليابس وابقاء الثمر اليناع فلهذا بذلت المجهود لبيان الغرض  
والمقصود بتصنيف نخبة جلية وترصيف تحفة جميلة في المنافع العمومية التي  
بها للوطن توسيع دائرة التمدية اقتطفها من ثمار الكتب العربية اليناعة  
واجتنتها من مؤلفات الفرنسيات النافعة مع ما سنبه بالبال واقبل على الخاطر  
أحسن اقبال وعززتها بالآيات البينات والاحاديث الصحيحة والدلائل المبيّنات  
وضمنتها الجمل الغفير من امثال الحكماء وآداب البلغاء وكلام الشعراء من كل  
ما تروح اليه الافهام وتزاح به عن الذهن الاوهام وتأييده السعادة وتتأبد  
به السيادة وبالجملة فقد أودعتها ما يكون لاهل الوطن ذخرا ويعقبه النجاح  
دنيا واخرى وسميتها مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية  
متحفها بها حضرة ولي عهد هذا الوطن الشريف وحامي حمي مصر المنيف  
الوزير الاعظم والمشير الانخم الجامع لأسباب الفضائل والحكم والرافع لجمعية  
المعارف تحت لواء أبيه أعلى علم من هو بالمجد الاثيل جدير وتحقيق حضرة  
محمد باشا توفيق لازال في ظل والده ممتعا بطريف العز وتالده

واذا الصنيعة صادفت أهلا لها دلت على توفيق مصطنع اليد

فقد بدت من جنبه العالي دلائل حب الاوطان باصطناع التطول  
لجمعية العرفان حيث حلى جيدها بعقود المنة وجعل حصين حماه لها وقاية  
وجنة فلذلك شكر حسن صنيعه الوطن وأطلق حسان مدحه على محمد  
الفضائل لسانه بالثناء الحسن

اطاق لسانك بالثناء على الذي أولاك حسن رغائب وغرائب  
واشكره شكر الروض حياه الحيا كما تقوم له ببعض الواجب

في الأطراف والاكناف بكل عشيرة واقتبس الأهالي لوطنهم من مستحسن  
الصنائع والفنون مالا يحصى كثرة في مدة يسيرة وهذا أدل دليل وأجل برهان  
على أنها قد عا د لها الزمان وعدلها بقسطاس تعديل الاماني والامان وصح ما قيل  
فيها من موافيقها

ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الأنام فقابلها بتفضيل  
يامن يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل  
فمن ذا الذي يجحد الآن تقدمها في التمدنية ولا يشهد بترقيها في القيام  
بحقوق الوطنية ومراعاتها لما تقتضيه علائق المودة مع أهالي الممالك الاجنبية  
فإنها وسيلة عظيمة لانقياد المنافع العمومية الأبية وكما حسنت أخلاق اهل الوطن  
مع الاجانب وجذبوهم بمغناطيس الألفة من كل جانب يحسن اينما من الاغراب  
أن يحسنوا اخلاقهم ويحفظوا الرفاهة وفوقهم

لاتعاد الناس في أوطانهم قلما يرعي غريب الوطن  
واذا ما شئت عيشا بينهم خلقي الناس بخلق حسن

ولما كان من الواجب على كل عضو من اعضاء الوطن أن يعين الجمعية بقدر  
الاستطاعة ويبدل ما عنده من رأس مال البضاعة المنفعة وطنه العمومية وينصح  
لبلائه ببث ما في وسعهم من المعلومات بذلت جهدي وجدت بما عندي وجلت  
في مضمار المحسنات وقلت انما الاعمال بالنيات علما بأن من خدم وطنه برهة  
من الزمن عطف عليه بتنسيق أحواله الوطن ومن المعلوم ان طرائق خدمه  
عديدة وكلها سديدة مفيدة وادناها يرجع الى تحريض من يعي \*

اذا لم تحارب يا جبان فشجع \*

اني سمعت مع الصياح مناديا يامن يعين على الغنى المعوانا

مطلب  
تأليف هذا  
الكتاب

فقد تعزز الوطن المحروس والبلد المأفوس بالعلوم والمعارف والمنافع  
واللطائف جملة وتفصيلا وتأسيسا وتأصيلا وصارت فيه قواعد التمدن على  
أساس مكين وتمكن وجودها من وصف البقاء أتم تمكين ذلك من أحياها  
آثار المسكرات وبني بها أسوار العهود وبين أسرار المبهمات بالهمة العلية  
والنخوة العلوية حتي أثقلت معالم العلوم وآداب اليراعة بعوامل الفنون وعملات  
الصناعة واكتسبت براءة التجارة كمال البراعة وتجرى العدل استقامت  
الأمور واعتدلت مصالح الجمهور ونمت بركة المنافع العمومية بالامنية وسمت  
حركة المعاملة وبلغت درجة الأهمية واحرزت مصر بين الممالك المتمدنة أسنى الزايب  
وصارت في البلاد الشرقية أهني الاقطار المنزهة عن شوائب الريب فعاد الى  
بحرها العذب درره وجواهره وترنم من روضها فوق الأيك طائرّه ووفد  
عليها من جميع المسالك كل سالك ومن رفيع المسالك كل أمير ومالك وورد  
اليها كل صاحب صناعة يؤديها وبضاعة يبيدها وقصدها كل سياح متفرج  
ومتنزه متبرج ومشرقي ومغربي وأعجمي وعربي وامتزج أهلها بهم امتزاج  
الماء بالراح والاجساد بالارواح وقوى جأش الجميع حسن سياسة الحكومة  
المصرية وشمولها بعين العدل الحقيقي المساوي بين الرعية وغير الرعية مع ما  
في طباع أهل مصر من الوفاء للاقارب وخلوص النية والصفاء للاجانب  
والتواضع والتعجب مع أهل المشارق والمغرب كما قيل

لا تعجبوا من أهل مصر ان وفوا      بعودهم ما في الوفا منهم جفا  
وافي لهم في كل عام نياهم      فتعلموا من نيلهم ذاك الوفا  
وحسن سياسة حكومتها في هذه الأزمان الأخيرة قد قوت استمدادها  
فيما يكون لزيادة العمارة عمدة وذخيرة فقد اختلطت معايشة الأغراب

# بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الخير وخير الحديث حمدا لله القديم وأتم صلاته وأتم سلامه  
على نبيه الكريم ذى الخلق العظيم المرسل بدينه القويم والهادى الى صراطه  
المستقيم وعلى آله منابع الحكم ومنافع الأئمة وأصحابه الهادين وخلفائه الراشدين  
ثم الدعاء ببلوغ أشرف الدرجات العلية للحضرة العزيزة الاسماعيلية أدام الله  
لتجديد هذا العصر علاها وخلد على جيد مصر حلاها (أما بعد) فكل  
عاشق لجمال العمران وناشق لشذا عير هذا الزمان يتهلل سرورا ويمتلئ  
قلبه حبورا حيث يرى بعين المحبة أنه قد عاد لمصر عزها القديم وبهوها  
الفخيم ومجدها المؤئل وسعدها الاول وانها لا زالت مجدة السير على غاية  
من السرعة لتحظى بالخط الوافر من نمو المجادة وسمو المنعة وتستحوذ على  
ضخامة الشأن ونخامة الرفعة وتصير أبهى قطر من افطار المعمورة وأزهى بقعة  
وليس هذا التقدم العجيب والسبق في ميدانه الرحيب الا من عهد المرحوم  
محمد على وورثائه من بعده فكل منهم أبدى في مصر من المحسنات بقدر طاقته  
 وجهده وعلى حسن نيته وخلوص قصده وفي هذه الحالة الراهنة ظهرت  
بمادة العمران ظهورا جليا وصار في معلاها مسعى اسمعيل بصفا النية عليا  
وحظيت بما تحب وتشتهي وفازت من ثغر التمدن ونية الصفاء بلثم مقبله الشهي  
ومن يكن أصله قد طاب منبته فما له غير احراز الملا ثمره

# كِتَاب

مناهج الالباب المصرية  
في

مباهج الآداب العصرية

تأليف

أحمد زمانه \* ونادرة عصره وأوانه

المجد في نفع وطنه بنشر المنافع

المرحوم الامير المعظم

رفاعة بك رافع

( ناظر قلم ترجمة واعضاء مجلس القومسيون )

طبعة ثانية

عني بتصحيحها طبقا للنسخة المطبوعة بدار الطباعة الاميرية الكبرى

—\*—

« حقوق الطبع محفوظة لحفيد المؤلف السيد محمد رفاعه »

مطبعة شركة الرغائب بشارع المنجلة بالقرب من الحزاوي بمصر

١٩١٢ ★ ١٣٣٠



صحيفة

- ٤٠٨ مطالب تعريف الشجاعة
- ٤١١ » كونه صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلبا
- ٤١٢ » الاعتراف من الجميع بشجاعة الصحابة
- ٤١٣ » من اشتهر بالشجاعة من الابطال
- ٤١٦ » من جمع بين فضيلتي الشجاعة والرأى
- ٤١٨ » مدح السيف وان القصد منه في بعض المواطن آلات الحرب
- ٤٢١ » وصية حكيم لتلميذه الامير على السرية
- ٤٢٥ » وصية بعض الملوك لناظر جيشه
- ٤٢٦ » كون امراء الجيوش هم نواب ولى الامر في الجهاد وفي عقد العقود والوفاء بالعهود
- ٤٢٨ » وفاء أبي عبيدة عامر بن الجراح بعهده للروم عند فتح دمشق
- ٤٣٠ » ذم التجرد عن الشفقة والرحمة بعد القتال في حق الاسرى
- ٤٣٢ » وفاء عمرو بن معدى كرب بالعهد
- ٤٣٣ (الفصل الرابع) في طبقة أهل الزراعة والتجارة والحرف والصنائع
- ٤٣٤ » العائز الخيرية التي أجرتها والدة الخديو ولى النعمة وما أجراه جناب خليل اغا المعفور في نعمائها من المدرسة والتكية المهمة
- ٤٣٥ » خيرات سعادة راتب باشا
- ٤٣٦ » تمام المرغوب وختام المطلوب لكمال المنافع العمومية من تشكيل شركات مرعية
- ٤٣٧ » فك العيد وتأسيس الدوائر البلدية لراحة الرعية المصرية
- ٤٣٨ » ان تقسيم مصر الآن أنسق من تقسيماتها القديمة
- ٤٤١ » أصل الحوارة وتوطنهم بالصعيد
- ٤٤١ » انه ليس كل مبتدع مذموم وان المبتدع النافع يقع موقع الاستحسان
- ٤٤٦ تنمة في دور الطباعة

صحيفة

- ٣٨٦ مطلب سبب تخصيص القضاء على مذهب أبى حنيفة النعمان بعد ان  
كان تعدد القضاة بتعدد المذاهب الاربعة فى سالف الازمان
- ٣٨٧ » اقتضاء الاحوال والمعاملات العصرية تنقيح الاقضية والاحكام  
الشرعية بما يوافق مزاج العصر بدون شذوذ
- ٣٨٨ » صحة تقليد غير الاربعة للحاجة وافتاء العلامة الصبان فى شأن  
ذلك مع بعض ملحوظات
- ٣٩٢ » حديث من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم
- ٣٩٢ » انتخاب القضاة
- ٣٩٣ » آداب القاضى ووصاياه
- ٣٩٥ » آداب قاضى العسكر المستقل
- ٣٩٦ » التفتيش عن احوال القضاة من طرف ولى الامر كتنفيس غيرهم من الولاة
- ٣٩٨ » سعى علوية المغنى باين اخته القاضى الخلنجى عند المأمون
- ٣٩٩ » عدم قبول وثى الوشاة وتجهيمهم
- ٤٠١ » رؤساء أهل الكتاب
- ٤٠١ » آداب بطريك القبط
- ٤٠٢ » آداب رئيس اليهود
- ٤٠٤ » امرة جبلة بن الایهم من قبل قيصر الروم على من معه من عرب  
غسان لحرب عرب الاسلام بالشام
- ٥٠٥ » مخالطة أهل الكتاب ومعاشرتهم
- ٤٠٦ » ان محض التعصب فى الدين والاكرام عليه لا ينتج الا النفاق  
وان الممدوح انما هو التعصب لاعلاء كلمة الله
- ٤٠٧ (الفصل الثالث) فى طبقة الغزاة المجاهدين
- ٤٠٧ » كون تولى الملك للحرب العظيم بنفسه من شهامته
- ٤٠٨ » انه يجب على المحارب متاورة العلماء أولى التجارب

صحيفة

- ٣٦٣ مطالب ما نتج في أوروبا من الحروب الصليبية لاختد القدس الشريف وغيره  
من بلاد الاسلام
- ٣٦٥ » كون الاحكام الاسلامية ممتنضية تسوية لجميع الناس في العدل والانصاف
- ٣٦٥ » ترتيب عهد الدوائر والمشورات البلدية
- ٣٦٦ » خصائص شيخ الدائرة البلدية
- ٣٦٦ » الترخيص لشيخ الناحية باجراء ما هو من خصائصه بدون  
استئذان من هو فوقه من الحكم الا في أمور جسيمة
- ٣٦٧ » ما يجب ان يكون عليه شيخ البلد من المعلومات
- ٣٦٧ » كون الملك ينتخب للولايات المهمة من ارباب المعارف السياسية  
من فيهم الكفاءة اللازمة والمعلومات الكافية
- ٣٦٩ (الفصل الثاني) في طبقة العلماء والقضاة وأمناء الدين
- ٣٦٧ مطلب انه ينبغي للعلماء الشرعيين أن يتشبهوا أيضا بمعرفة المعارف  
البشرية كالعلوم الحكيمة العملية
- ٣٧٦ » منصب القضاء وجلالة قدره
- ٣٧٦ » اجتماع منصب القضاء مع نقابة الاشراف في عائلة مؤلف  
الكتاب ومن تولى من عائلته قضاء مصر وذكر نسبهم
- ٣٧٧ » تقليد القاضي عمر سراج الدين المنفلوطي الطهطاى قضاء مصر  
ونسب جده أبى القاسم الطهطاى
- ٣٧٩ » تقليد القاضي محمد بن أبى بكر حسام الدين المنفلوطي الطهطاى قضاء مصر
- ٣٨٤ » الاشراف المنفرعة عن ذرية سيدى أبى القاسم بطهطا وان منهم  
اشراف ابيار والقاسمية بالوجه البحرى وغير ذلك
- ٣٧٥ » انشاء سيدى أبى القاسم المذكور في الطريقة الى الشيخ محمد الحلالى العريان  
وانشاء أولاد أبى القاسم المذكور له في النسب من جهة الام
- ٣٨٥ » تجديد سعادة لطيف باشا ناظر البحرية سابقا جامع سيدى ابى القاسم الطهطاى

صحيفة

- ٣٥٠ مطلب استصابة تعليم ادارة الحكومة لابناء الاهالى فى صغر سنهم
- ٣٥١ » ان استخدام الانسان فى الحكومة يستدعى سبق معرفة باصول وظيفته
- ٣٥٢ » سبب كتمان الامور السياسية عن العموم وجعلها من اسرار الدولة فى الازمان السابقة
- ٣٥٢ » صدور الاوامر الخديوية بقيد ابناء وجوه الناس بوظيفة معاونين ليتعلموا على الاحكام
- ٣٥٣ » اختصاص الملك بعمالى الاحكام ووكلائها وتقبضه جزئياتها وكلائه
- ٣٥٤ » خصائص الملوك فيما يجب لهم وعليهم
- ٣٥٤ » كون الذمة محكمة قضائية تثيب صاحبها وتعاقبه على الخير والشر
- ٣٥٥ » كون الرأى العمومى يحمل ولاية الامور على العدل والاحسان
- ٣٥٦ » ان نفوذ ولاية الامور يعود على الرعية بالفوائد الجسيمة
- ٣٥٧ » وظائف المجالس
- ٣٥٧ » كون دأب المنصب الملوكى الصفح عن الجانى أو تخفيف العقوبة عنه
- ٣٥٨ » تعريف الحلم بالنسبة للملوك
- ٣٥٨ » كون صفح الملك عن الجانى يمحو العقوبة ولا يمحو الذنب
- ٣٥٩ » كون صفح الملك لا يكون فى حقوق العباد
- ٣٥٩ » فى ان عفو الملوك مطلوب لكونهم أولى بالتخلق بأخلاق الرحمن
- ٣٦٠ » الكلام على الرعية وما يفعله الملك لاصلاحهم
- ٣٦٠ » حقوق الرعية المساة بالحقوق المدنية اى حقوق اهالى المملكة الواحدة بعضهم على بعض
- ٣٦١ » حقوق الدوائر البلدية التى هى فرع من المدنية
- ٣٦١ » سبق تكون الدوائر البلدية على تكون الحكومات والممالك
- ٣٦٢ » سبب تلميع ريبب الناحية بشيخ البلد
- ٣٦٣ » تحكير الملتزمين فى اوربا قديما على الاراضى والفلاحين

صحيفة

- ٣٣٤ مطلب ما قيل في حمام البطاقة من الادب نثرا وتظما
- ٣٣٧ » مرا كز هجن الثلج في الممالك المصرية وسفن الثايج بها
- ٣٣٧ » مواضع المنور بالممالك المصرية لمعرفة الاخبار
- ٣٣٨ » ترتيب المحركات للمراعى والمخصبات التى يأتى من جهتها العدو
- منعا لاغارته على الممالك المصرية
- ٣٤٠ » مدح الغنى وانه صفة من صفاته صلى الله عليه وسلم
- ٣٤٢ » ما نتج من ثروة الحكومة المصرية واسعافها للاهالى بهذه
- الوسيلة فى الاحوال الضرورية
- ٣٤٢ » ان مصر كوكب المشرق
- ٣٤٣ » السياسة واقسامها
- ٣٤٤ » مدح حب المعالى وعدم الاقتناع بالدون
- ٣٤٥ » ان زينة الاسماء الخمسة سادسها
- ٣٤٥ » ان مطمح نظر مصر التمدن بالاعمال الرابحة
- ٣٤٥ » ان تعاطى الاسباب لا ينافى التوكل ولا ينافر القضاء والقدر
- ٣٤٦ » الصورة المثمنة الشكل التى كانت عند اسكندر والمكتوب
- على اضلاعها من المسائل السياسية الحكيمة
- ٣٤٨ (خاتمة) فيما يجب للوطن الشريف على ابنائه من الامور
- المستحسنة الخ
- ٣٤٨ (الفصل الاول) فى ولاية الامور
- ٣٤٩ » احتياج الانتظام العمرانى الى قوتين قوة حاكية وقوة محكومية
- ٣٤٩ » اركان الحكومة وقواها
- ٣٥٠ » علم تدبير المملكة
- ٣٥٠ » ان البوليتيقة هى العلم بالسياسة واحوال الناس



صحيفة

- ٣١٧ مطلب شراء مملكة فرانسا في الازمان السابقة الاصواف المغزولة باثمان  
غالية قبل تجديد دواليب الخليج والغزل
- ٣١٩ » ابقاء الصوف بلا جز عدة سنوات وان التجربة افادت افادة  
حسنه بعدم جزه كل سنة
- ٣١٩ » الجوخ الفرنساوى المسمى بالكزميز
- ٣٢٠ » ورود قوافل افريقية الى مصر للتجارة
- ٣٢٢ » تمثل المال والعقل والسعد للاسكندر
- ٣٢٣ (الفصل الرابع) في اسعاد الحاكم للبلاد والعباد
- ٣٢٣ » تأميم شورى النواب
- ٣٢٤ » تبصر وتبصر أهل مصر عند نفق المواشى بالوباء وذكر نادرة  
تناسب ذلك في التعزية بشور أبيض
- ٣٢٥ » جواب التعزية
- ٣٢٦ » القوة المحصلة للغنى
- ٣٢٨ » ان صرف الهمة الى الصنائع في بلدة من البلاد يقطع عرق الفتن  
والشروع فيها
- ٣٢٨ » ان الاختراعات الجديدة كان لها نظائر في الازمان القديمة  
تقوم مقامها من بعض الوجوه
- ٣٢٩ » وجود البريد في عهد الاكسرة والقيصرة ومن بعدهم من  
ملوك الاسلام
- ٣٣١ » ترتيب مراكز البريد من قلعة مصر الى ولايتها
- ٣٣٣ » حمام الرسائل وان منشأه بالموصل ونقل نور الدين الشهيد له  
لترتيبه في ممالكه
- ٣٣٤ » مراكز الحمام بالديار المصرية

صحيفة

- ٢٩٣ مطلب تحويل مصر الى حالة مستحسنة في نحو عشرين سنة
- ٢٩٣ » حفظ قوى أهل مصر العقلية الى آخر عمرهم في الغالب
- ٢٩٥ (الفصل الثالث) (وكتب غلطا الرابع) في بيان بلوغ المنافع العمومية بالديار المصرية درجة ارتقاء جليلة في عهد الحكومة الحالية الخ
- ٢٩٦ مطلب عدم ضرورة المروج المدبرة في مصر
- ٢٩٦ » زرع القطن وغرس شجرة التوت وتربية دود القز
- ٣٠٠ » بيان تسبيخ الارض المهيأة لزراعة القطن
- ٣٠١ » زمن بزر القطن
- ٣٠٢ » الاعتناء بشجرة القطن في أثناء انشائها ونموها
- ٣١١ » مساعدة مياه النيل على حسن التلون بالصباغة
- ٣١٢ » تحسين زراعة الأرز بالاقاليم المصرية
- ٣١٢ » غرس قصب السكر في مديرية المنية
- ٣١٤ » اقدمية اتخاذ الصوف للصناعة وأقدمية الفلاحة وبيان من اختراعها من الامم
- ٣١٥ » تشريف ملك الصين للزراعة بحرثه بنفسه قدرا من الارض في يوم مشهود
- ٣١٦ » الاعتناء بتربية المواشى لا سيما تربية الغنم
- ٣١٦ » الاعتناء بتربية الغنم البيض عند الرومانيين والنهي عن ذبحها
- ٣١٧ » جلب ادوارد ملك الانكليز من اسبانيا مقدارا جسيما من الغنم البيض الى مملكته للتنمية
- ٣١٨ » ورود نوع مخصوص من غنم الهند الى بلاد الانكليز لتحسين الصناعة باصوافها وما تنتج عن ذلك من البراعة

الاصلاحات المصرية بمقتضى اصطلاحات الحال المصرية وفيه فصول

٢٨٢ (الفصل الاول) وكتب غلطا (الرابع) في ذكر تقدم مصر في هذا الوقت الحالى

٢٨٣ مطلب توسيع المزارع والمسالك

٢٨٥ (الفصل الثانى) في ذكر ملحوظات عمومية تتعلق بالديار المصرية

أبداها بعض من ارخ مصر من أرباب السياحة الخ

٢٨٥ مطلب عدم الوقوف على حقيقة مصر لأرباب السياحة

٢٨٦ » رأى الفرنسيون حين تغلبهم على مصر فى عمارها

٢٨٦ » حالة أطيان مديرية البحيرة

٢٨٦ » حال اطيان مديرية روضة البحرين

٢٨٧ » ما يستثنى من دفع العوائد المالية ترغيبا لتكثير العمارية

٢٨٨ » اطيان مديرية الشرقية

٢٨٩ » اطيان مديرية الجزيرة ومديرية القاوية

٢٨٩ » أطيان اقليم الفيوم

٢٨٩ » اطيان مديرية بنى سويف

٢٨٩ » اطيان الاطفيحية

٢٩٠ » اطيان مديرية المنيا

٢٩٠ » اطيان مديرية اسيوط وجرجا

٢٩٥ » صلاحية أرض الصعيد الاعلى لزراعة شجرة البن

٢٩١ » نتاج أغنام المارينوس بأودية الفيوم

٢٩١ » تحسين جنس الخيول فى الفيوم والشرقية بتأسيس اصطبلات

خصوصية

٢٩٣ » استعداد ابناء مصر بقرائحهم الذكية لجميع المعارف والمنافع البشرية

الوافدين عليه

- ٢٥٧ مطلب سفر المرحوم محمد على من الخرطوم الى جبهة سنار
- ٢٥٧ » ارشاد المرحوم محمد على أهل السودان الى وسائل الزراعة وغيرها
- ٢٥٧ » مسير المرحوم محمد على الى اقليم فازغلو
- ٢٥٨ » وصول المرحوم محمد على الى قرية فاموكو واستحسانه اياها وأمره ببناء قصر فيها على اسمه
- ٢٥٨ » وصول المرحوم محمد على الى فشنغارد
- ٢٥٨ » جمع المعدنجية وعمل تجربة عمومية
- ٢٦٠ » يأس المرحوم محمد على من استخراج معادن الذهب بالسودان في نفسه وعوده الى مصر
- ٢٦٠ » موت رئيس المعدنجية وافادته قبل موته ان تقرير الجمعية بعدم ربح استخراج المعادن لا يعول عليه
- ٢٦١ » ان معادن الذهب بالسودان لا تنكر وان الزراعة تفلح فيها ان اعتنى بها وان خيراتها كثيرة
- ٢٦٢ » استعداد اهالى السودان للمعارف والكمالات ووجود التعاون
- عندهم على طاب العلم
- ٢٦٥ » موعظة ملك السودان لمرwan بن محمد حين التجأ اليه
- ٢٦٥ » سفرى للسودان ونظمى قصيدة تشير الى أحوال تلك البلاد وعوائدها وتخمس قصيدة برعيه هب منها نسيم الفرج ببركة مدح خير البرية
- ٢٧٠ » تخميس القصيدة البرعية التى مطلعها خل الغرام لصب دمعهم
- ٢٨١ » ان المرحوم محمد على كان يجعل كسب المعالى دائماً نصب عينيه وكان لا يحرم منها
- (الباب الخامس) فى الآمال الحسنة والاعمال المستحسنة من ٢٨٣

صحيفة

- ٢٤٣ مطلب ارسالية المرحوم محمد على لاستكشاف منبع النيل  
 ٢٤٣ » انشاء المدارس المصرية
- ٢٤٩ (الفصل الرابع) في سفر جنتمكان محمد على الجليل الشان الى  
 جبال فازغلو ببلاد السودان لاستكشاف المعادن  
 بها والكشف عنها بحضوره واعمال الطرق  
 التجريبية
- ٢٤٩ مطلب امهات المعادن المستخرجة في هذا العهد  
 ٢٥٠ » معادن الفضة في افريقه  
 ٢٥١ » مشابهة افريقه لامريقه وظن انها يستكشف منها معادن  
 التقدين بالبحث فيها  
 ٢٥١ » ارسال المرحوم محمد على معدنچية بالسودان لاستكشاف المعادن  
 ٢٥١ » نتيجة تجربة معادن فازغلو  
 ٢٥٢ » تجربة جهات سنجه وزنبو وتوماتو  
 ٢٥٢ » تجربة معادن ابو غولجى  
 ٢٥٢ » عرض جبل سنجه  
 ٢٥٣ » هجوم اهل سنجه على العسكر  
 ٢٥٣ » تجربة وادى بولغيديه  
 ٢٥٤ » رجوع المعدنچية من تلك الجهات  
 ٢٥٥ » تصميم المرحوم محمد على على السفر الى بلاد السودان  
 ٢٥٦ » استصحاب المرحوم محمد على في سفره جمعا من ارباب الخبرة  
 في المعادن وغيرها  
 ٢٥٦ » دخول المرحوم محمد على الخرطوم وما حصل من الاستقبال به  
 وارساله المعدنچية الى عدة جهات واقامته بالخرطوم لاستقبال



صحيفة

٢٢٨ مطلب صرف همة المرحوم محمد على في مبدا امره لتنظيم العدة العسكرية

وايثاره لها على كثير من المنافع العمومية

» ٢٢٨ عدم قياس النيل بغيره من الأنهار

» ٢٢٩ انشاء ترعة المحمودية لتسهيل النقل

» ٢٢٩ تفرغ المرحوم محمد علي للعمليات النافعة لثروة مصر عند الاوان

» ٢٢٩ زعم بعض الحكماء أن أرض مصر حادثة من الطمى

» ٢٣٠ الانتباء للمضار الثلاث النيلية التي يجب التحفظ منها

» ٢٣٠ مضار البحر عند مصب النيل

» ٢٣٠ مضار البحر المالح عند مصب النيل

» ٢٣١ تكثير عدد المحصولات بجعل الارض رواتب

» ٢٣١ ازالة الموانع الطبيعية الموجبة لتقليل أراضى الزراعة

٢٣٣ (الفصل الثالث) فيما دبره المرحوم محمد على من أصول المنافع

العمومية الجسيمة والوصول بها الى الحصول

على التقدمات العميمة في زمن يسير مما لو أنجزه

من الملوك جم خفير لعد من العمل الكثير

وحسن التدبير

٢٣٤ مطلب ما يترتب على انتظام مصلحة الرى

» ٢٣٥ حالة الرى في عهد حكومة الممالك

» ٢٣٧ تسخير المولى تبارك وتعالى المرحوم محمد على لاهياء عمارة

مصر

» ٢٣٩ تصوير الاراضى للرشيد واستحسانه منها اقليم الاسيوطية

» ٢٤٠ كمال مصلحة الرى باتمام القناطر الخيرية

» ٢٤٠ لزوم الرياحات للقناطر الخيرية والمديريات المنتفعة بها

صحيفة

- ٢٠٩ مطلب انما الاعمال بالنيات
- ٢١٣ » كون مقدونيا موطن اميرين جليلين اسكندر ومحمد علي
- ٢١٤ » فتوح السلطان سليمان
- ٢١٤ » الملك شر لكان قرال اسبانيا والنيمسا
- ٢١٦ » بعث السلطان سليمان عمارة بحرية الى فرانسيا لنجدة ملكها
- ٢١٦ » سفر السلطان سليمان بجيشه من جبة البر الى اوربا وعوده منصورا
- ٢١٧ » اخذ خير الدين باشا لتونس من يد مولاي حسن من بني حفص
- ٢١٧ » ورجوعها اليهم ثم تمام أخذها أيام السلطان سليم
- ٢١٧ » ابلاغ عصر الويز الرابع عشر اوربا درجة الكمال
- ٢١٩ » وزارة كولبرت على الملكية ووزارة تورين على العسكرية
- ٢١٩ » تجديد كولبرت المنافع العمومية وجاب خصائص المصنوعات
- الاجنبية ومحاسنها لوطنه
- ٢٢٠ » رثاء ولتير الشاعر لوزير الرابع عشر
- ٢٢١ » فيمن كان من السلاطين العثمانية في عصر لوزير الرابع عشر
- ٢٢٢ » مساعدة كبار الوزراء أرباب القرائح لملوكهم على التمدن
- ٢٢٣ (الفصل الثاني) في أن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل
- التمكن من الذات المحمدية العلية وتسلطت على
- قلبه وأخذت بمجامع لبه
- ٢٢٣ » كون الفلاحة هي منبع ثروة مصر الحقيقي وتحفظ حكماء الملوك
- على شؤونها
- ٢٢٥ » رأى نابليون في تحسين أراضى مصر واستغلالها وتكثير أهلها
- ٢٢٥ » ما خطر في بال المرحوم محمد علي من الملحوظات السنة لاهيا
- ما في مصر من الموات والتشبت ياسباب الاحياء

صحيفة

- ١٩٦ مطلب قصد فلبش حرب العجم وحمل أمم اليونان على المساعدة
- ١٩٦ » قتل فلبش في عرس ابنته
- ١٩٧ » تربية ارسططاليس لاسكندر
- ١٩٧ » ثمره التاريخ للملوك
- ١٩٩ » توجه اسكندر لحرب بلاد آسيا باهبة يسيرة
- ١٩٩ » فتوح اسكندر لبلاد العجم وانطلاقه الى مصر عقب ذلك
- ٢٠ » وفاة اسكندر في عنفوان شبابه بدون ان يعهد الى احد في السلطنة
- ٢٠١ » ظهور نتائج فتوح اسكندر لمصر في عهد البطالسة ومن بعدهم
- ٢٠١ » مدفن اسكندر ومنارة اسكندرية المعدودة من عجائب الدنيا
- ٢٠٢ » كتبخانه اسكندرية
- ٢٠٢ » تقديم الملاحة والاسفار البحرية في عهد بطليموس الاول
- ٢٠٣ » ذخائر خزائن مصر في ايام بطليموس الاول
- ٢٠٣ » جلب بطليموس اليهود الى اسكندرية وتأسيسه لهم حارة خصوصية
- ٢٠٥ » ضيق دائرة المنافع المصرية في الادوار الاخيرة
- ٢٠٥ » استيلاء السلطان سليم خان على مصر
- ٢٠٥ » تغلب فرنساوية على مصر
- ٢٠٦ » استخلاص المرحوم محمد علي مصر من قبضة المماليك
- ٢٠٧ (الباب الرابع) في التثبت بعود المنافع العمومية الى مصر حسب  
الامكان في عهد محيي مصر جنتمكان وفيه فصول
- ٢٠٧ (الفصل الاول) في مناقب جنتمكان محمد الاسم على الشان  
وانه نادرة عصره ومحيي مآثر مصره واعقابله بينه وبين  
عدة من مشاهير ملوك العصر القريية
- ٢٠٩ » كون قاصد التغلب اما كالصائد او كالمثقف للترقية وكسب الاجر

صحيفة

- ١٨٣ مطلب تدبير يوسف لغلال مصر وحفظ الحب في سنبه
- ١٨٤ » تعرف اخوة يوسف
- ١٨٤ » ذهاب البشير بقميص يوسف الى أبيه
- ١٨٥ » سبب نزول سمورة يوسف عليه السلام
- ١٨٥ » استنباط علو درجة مصر من قصة يوسف
- ١٨٧ » كيفية عيد فرعون السنوى ودلالته على التمدن
- ١٨٨ (الفصل الثالث) في ان أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالى الممالك الاجنبية واعتبارهم في الوطن كالاهلية
- ١٨٨ مطلب مساعدة الملك ايسا ميطيقوش ملك مصر للتجارة داخلا وخارجا
- ١٨٩ » فتح الملك أماسيس ثغور مصر للاجانب واحسان ميثاقهم لاسعاد رعيته بالثروة والغنى
- ١٩٠ » نصيحة الملك أماسيس لملك جزيرة صيصام
- ١٩٠ » مساعدة البخت للانسان وما قيل في البخت والحظ
- ١٩٣ » مناقب سولون الحكيم اليونانى وقوانينه
- ١٩٤ (الفصل الرابع) فيما ترتب على فتوح اسكندر الرومى للديار المصرية من اتساع دائرة المنافع العمومية الناتجة عن مقدمات الحزم والكياسة وشرطيات أشكال العدل فى التدبير والسياسة
- ١٩٥ مطلب سلوك اسكندر فى البلاد المفتوحة له مساكايابن مسلك الفاتحين
- ١٩٦ » تمريج اسكندر للامم المختلفة والتأليف لساثر من تحت حكمه من الملل
- ١٩٦ » نسب اسكندر وولاية أبيه وما رتبته أبوه فى العسكرية

صحيفة

١٧٠ (الباب الثالث) في تطبيق أقسام المنافع العمومية في الازمان  
الاولية على مصر النخ

١٧٠ (الفصل الاول) في تقدم مصر وغناها في عدة ازمان سابقة النخ

١٧١ مطلب استكشاف اعمدة مصرية بمعد قديم في نابولي

١٧٢ » المعاصرة بين ساطنتي مصر والعراق في القديم

١٧٣ » تأسيس مدينة بابل ومدينة نينوى

١٧٦ » تسلطن الملك نياسر وأخذه زمام المملكة من امه

١٧٦ » تسلطن سردانيال على العراق وانه احرق نفسه ونساءه

١٧٦ » دخول اذرييجان والعراق تحت مملكة الفرس

١٧٦ » ما تسبب عن تولية كيروش ملك العجم مملكة العراق

١٧٧ » ما كانت عليه مدينة منف في الزمن القديم

١٧٨ » دخول المأمون العباسي مصر

١٧٨ » أساس التمدن

١٧٨ » مياسة مصر في القديم

١٧٨ » توزيع أراضي مصر على طوائف ثلاثة

١٧٨ » السياسة العسكرية بمصر في القديم

١٨٠ » ترتيب مجالس القضاء في القديم

١٨٠ » المعاقبة على الذنوب عند قدماء المصريين

١٨٠ » الفحص عن وجه التعيش

١٨١ (الفصل الثاني) في تأييد تقدم مصر وامتيازها بالمعارف في الزمن

القديم النخ

١٨١ مطلب حسد اخوة يوسف لاختيمهم وما ترتب على ذلك



صحيفة

- ١٤٧ مطلب تفسير سورة قريش على حسب الطاقة
- ١٤٩ » سياحة العرب مطلقا في الارض قديما
- ١٥٠ » ثبوت فضل العرب على غيرهم بالتواتر في أغلب الخصال الحميدة
- ١٥٠ » الكلام على مدينة سبا وما يتعلق بها
- ١٥٢ » استكشاف الحكومة المصرية محل مدينة سبا
- ١٥٣ » سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في تجارته لخديجة رضى الله عنها وما حصل في ذلك من خوارق العادات
- ١٥٤ » الحكمة في رعى الانبياء للغنم قبل النبوة
- ١٥٤ » سفر موسى عليه السلام الى مدين
- ١٥٦ » اجتماع موسى بشعيب وما جرى بينهما
- ١٥٧ » تزوج موسى بآمنة شعيب
- ١٥٨ » ثمرة الشفقة على خلق الله
- ١٥٩ (الفصل الرابع) في أن الصور بين وهم اهل سواحل بر الشام قدموا في سالف الازمان التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع
- ١٦١ » ان اختراع العرب لبيت الابرة من المنافع العمومية المتأخرة التي لا يعرفها المتقدمون
- ١٦٢ » صناعة الساحات من المصنوعات النفيسة التي سبق بها العرب غيرهم
- ١٦٢ » اشمال كتب الفقه الاسلامية على بعض المنافع العمومية
- ١٦٦ » ان الصور بين هم أول من استكشف الصباغة باللون الاحمر الارجواني
- ١٦٦ » في أن أول من نقل حروف الهجاء من الصور بين اليونان
- ١٦٧ » في أن الكتابة من الفضائل الاولى
- ١٦٨ » المفاخرة بين القلم والسيف

صحيفة

مطلب وضع الطب	١١٨
» اول من وضع أصول النحو	١١٩
» اول من وضع العروض	١١٩
» مواظبة قدماء مصر على العمل ونفورهم من البطالة والكسل	١٢١
وتصويرهم شخص الكسل بصور مختلفة مستبشرة	
» تمثيل المشتغل والكسلان بصرار ونملة	١٢٢
» تقسيم المنافع العمومية وتعريفها بالمعنى العرفى الصناعى	١٢٩
(الباب الثانى) فى تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب اصلية الخ	١٢٩
(الفصل الاول) فى تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرفى الصناعى الخ	١٢٩
» تعريف الفضيلة	١٣٠
» بعض أركان الفضيلة	١٣٠
» اقسام الفضيلة	١٣٠
» منشأ تولد الغنى	١٣٤
» التجارة الخارجية	١٣٤
» اقسام حركات المنافع العمومية	١٣٤
» تقدم المنافع العمومية الآن بالنسبة لما سبق	١٣٤
(الفصل الثانى) فى حالة المنافع العمومية فى الازمان القديمة الخ	١٣٥
» حروب رومية مع قرطاجنة	١٣٧
» حرب رومية مع مقدونيا	١٤٣
» غزوة تبوك التى يقال لها غزوة العسرة	١٤٣
(الفصل الثالث) فى ان الاسفار والسياحات مما يعين على تقدم	١٤٦
المنافع العمومية	

- ٦٥ مطالب تربية الاولاد
- ٦٦ » بر الولد لو الله
- ٦٧ » ترتيب تعليم الاطفال
- ٦٨ » أطوار الصغير
- ٧٨ » استعداد كل انسان لفضيلة ما
- ٨٠ (الفصل الثاني) في العمل الذي هو القوة الاولى في براز المنافع  
الاهلية وفي تطبيقه على الارض الزراعية
- ٨٠ » منابع الثروة
- ٨٣ » الحرث والزرع
- ٩٧ » تفسير قوله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا الخ
- ٩٨ » تعميم أبناء الوطن في مكارم الاخلاق بدون تفرقة ولا نظر  
للاختلاف بالدين
- ٩٩ » تسوية الذمى بالمسلم في حرمة ظلمه
- ١٠٤ » احتياج الزراعة لاكثر الصنائع وبالعكس
- ١٠٢ (الفصل الثالث) في تقسيم الاعمال الى منتجة للاموال وغير منتجة لها الخ
- ١٠٤ » الفرق بين العامل واخذام
- ١٠٩ » وفاء الاجير اجرة عمله عقب توفيته للعمل
- ١١٠ » تعديل العوائد على قدر الميسرة
- ١١٠ » التعميش من مرتبات الموظفين
- ١١٢ (الفصل الرابع) في مدح السعى والعمل وذم البطالة والكسل
- ١١٦ » اول من وضع النرد
- ١١٧ » اول من وضع الشطرنج

صحيفة

٣١	مطلب الصدقة الجارية
٣٤	» نواذر البخلاء
٣٦	» ما قيل في البخلاء من الشعر
٣٩	» الرزق
٣٩	» طلب الدنيا لغرض
٤٠	» مآثر الصحابة في الصدقات
٤٠	» الصدقة التي تصادف محلها
٤١	» خيرات نور الدين الشهيد ومن اقتفى أثره
٤٢	» اقرار السلطان سليم خان المرتبات بمنصر على حالها
٤٣	» تنظيم الصدقات الجارية بأسلوب جديد في أيام المرحوم محمد علي واقتفاء خلفه أثره
٤٤	» استحسان اعانة أهل اليسار لولى الامر على فعل الخير لتكثير المحال الخيرية
٤٦	» الدين
٤٨	» قانون الشحاذة
٤٩	» العلم النافع
٥١	» تعداد فضائل العلوم الشرعية وآلاتها
٥٢	» الحساب
٥٣	» تقسيم العلوم
٥٤	» فضل الكتابة
٥٦	» الاجتهاد في تحصيل العلم ومدحه
٥٧	» تقديم أوائل العلوم على أواخرها
٥٨	» وضوح العبارة وترك الرموز الخفية
٦٢	» الانتفاع بالذرية والتعضد بها

# فهرست

﴿ كتاب مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب المصرية ﴾

صحيفة

مطلب سبب تأليف هذا الكتاب	٤
» العنوان والاتحاف	٥
مقدمة في ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تمدنه أرباب الفطن	٧
مطلب وصف مصر	٧
» نفع الدين في المملكة	٧
» اعانة المنافع العمومية على التمدن	٨
» المفاضلة بين الفلاحة والملاحة *	٨
» حرية الذمة	٩
» اختلاف الاغراض في المنافع العمومية	١٠
» الترغيب في حب الوطن	١٠
» بر مصر لبنها وغيرهم	١٦
» خير مصر وبركاتها	١٦
» اختلاف أسباب المواد وتشعب المكاسب	١٩
» تقسيم أسباب المواد والمكاسب	٢٠
» اختلاف أحوال المنافع العمومية	٢١
(الباب الاول) في بيان المنافع العمومية من حيث هي وفي موادها الخ	٢٣
(الفصل الاول) فيما تطلق عليه المنافع الخ	٢٣
مطلب تعريف المنافع	٢٣
» المروءة	٢٩
» حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث	٣١



بما اشتراه اولاده نحو ٤٥٠٠ كتاب وفيها من الكتب الغربية ما ليس في غيرها توفي رحمه الله تعالى عام نيف وتسعين ومائتين وألف بالحرسة ودفن في بستان العلماء بقرافة المجاورين الكبرى وقد أعقب ابنين جليلين غير الاناث لازما الازهر مدة واقتبسا من معارف والدهما وكانا على غاية من المعارف والآداب ومحاسن الشيم وعلو الهمم وأحدهما وهو على باشا رفاعه كان قد تقلد وكالة نظارة المعارف المصرية وسنه اذ ذاك لم يتجاوز الثلاثين عاما وقد أكل ما تركه والده من التاريخ على أسلوبه وارتقى الى رتبة والده علما وقدرنا واما ابنه الآخر وهو المرحوم بدوى بك رفاعه والد حضرة السيد محمد رفاعه محيي هذه الآثار فقد كان مقيما بمدينة طهطا في ملاحظة دائرتهم التي هناك مع إدامة النظر والمطالعة في الكتب العلمية على اختلاف مشاربها هذا ومن اراد الوقوف على ترجمة حياة المؤلف تفصيلا فعليه بمراجعة كتاب حلية الزمن بسيرة خادم الوطن لمؤلفه المرحوم السيد صالح بك مجدي والد سعادة محمد باشا مجدي مستشار محكمة الاستئناف وأحد تلامذة المترجم فقد ذكر كثيرا من أحواله وعدد تلامذته وقسمهم الى ثلاث طبقات كانوا اجمال العصر وغرة الدهر وبالله التوفيق

ومنها بنو الآداب اخوان جميعا وأخذان بمختلف البلاد  
وهي مطبوعة في هذا الكتاب ولم يزل مكبا على شغله الى أواخر عام  
١٢٧٠ فعاد الى مصر بامر المرحوم محمد سعيد باشا حين ولايته على مصر  
وبعد رجوعه من السودان جعل عضوا و مترجما في مجلس المحافظة تحت رئاسة  
المرحوم أدهم باشا ثم جعل ناظر ثانيا للمدرسة الحربية التي كانت بالحوض  
الرصود تحت نظارة سليمان باشا الفرنساوى وبعد قليل أمر بعمل قوانين  
ونظامات لمدرسة مستقلة أريد انشاؤها وجعل مقرها بالقلعة تكون كافلة للعلوم  
الادبية وافية بالفنون المدنية فبذل همه في ذلك وراعي في نظاماته ما يجلب  
خواطر الاهالى الى تلك المدرسه ورتب لها من المعلمين كل من له به ثقة من  
الاكفاء المتدربين على تعليم العلوم وأدارها ادارة جيدة حتى ظهرت نجابة تلامذتها  
وكان شديد الرغبة في الاطلاع على فنون التاريخ وله في السيرة  
النبوة كتابه نهاية الایجاز في سيرة ساكن الحجاز أوله حمدا لمن  
أسعد نبيه بأعلى درجات الشرف وأصعده الى أسمى مدارج الغرف  
انتقاه من صحيح كتب السير ورتبه ترتيبا بديعا لم يسبق بمثله ولما وصلت  
نسخته الى سعادة على باشا مبارك ناظر المعارف المصرية أمر بطبعه في روضة  
المدارس تعجيلا للفائدة ثم طبع مستقلا بمطبعة المعارف العمومية  
ولرغبته في نشر العلوم وسعة دائرتها استصدر أمرا من المرحوم  
سعيد باشا بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة منها تفسير الفخر  
الرازى ومعاهد التنصيص وخزانة الادب والمقامات الحيرية وغير ذلك من  
الكتب التي كانت عديمة الوجود في ذلك الوقت وكان للمترجم رحمه الله  
عناية كبيرة باقتناء الكتب فاشترى الكثير النادر منها حتى ان كتبه تبلغ

وقد قضى مدة حياته الى آخر مدة المرحوم سعيد باشا في سبيل التعليم ادارة وعملاهو وتلامذته ثم من بعد تلك المدة واقتصراره على نظارة قلم الترجمة وعضوية قومسيون المعارف في عهد حضرة الخديو اسماعيل باشا قام في كثير من المدارس بهذه الخطه عليها

وله في المرحوم محمد علي باشا ونجله الاكبر ابراهيم باشا المدائح التي سارت بها الركبان منها قصيدته اللامية التي مطلعها

ملا الكون بشرا عدله واعتداله وأغنى البرايا بره ونواله

وهي التي يقول فيها تلويحا ببلد المدوح

منازل منها اسكندر فاتح الورى اذا لم يكن عم الامير نخاله

وقصيدته النونية التي قالها وهو في باريس ومطلعها

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة مغبرم ولها من

ومنها وقد كان قائما باعباء الحروب اذ ذاك نجل المدوح المشار اليه

في كفه سيفان سيف عناية والشهم ابراهيم سيف ثاني

ومنها يتذكر اولاده وعائلته

ابكي بعيني مهجتي لفراقهم وأود أن لا تشمر العينان

ثم الغيت المدرسة في مدة المرحوم عباس باشا الاول واستقر رأى

المجلس الخصوصى على انشاء مدرسة في السودان للاحتياج لها هناك فاختر

المترجم ناظر اعليها ولما وصل اليها أنشأ المدرسة وربتها أحسن ترتيب وأدارها

احسن ادارة وكان ذلك أواخر عام ١٢٦٥ هجرية وقد ترجم هناك كتباً عديدة

منها كتاب تليماك المطبوع في الشام وأنشأ قصيدته التي مطلعها

الا فادع الذي ترجو ونادي يحبك وان تكن في أي ناد

صاحب الترجمة من الاسكندرية الى القاهرة فتشرف بمقابلة المرحوم محمد علي باشا ورآى من ميله اليه ما حمله على الثقة بنجاح المبدأ والنهاية وصدر الامر العالى بتعيينه مترجماً في مدرسة طرا تحت رياسة ناظرها سكورا بك الفرنساوى فترجم كتباً عديدة وفي اثناء ذلك حصل وباء في القاهرة فسافر صاحب الترجمة الى بلده طهطاً ثم رجع وقابل الجناب العالى بترجمة جزء ضخمة من جغرافية ملطبرون فانعم عليه بمبالغ جزيلة من النقود ثم عرض للجناب العالى ان في امكانه ان يؤسس مدرسة السن يمكن ان ينتفع بها الوطن ويستغنى بها عن الدخيل فاجابه الى ذلك ووجه به الى مكاتب الاقاليم لينتخب منها من البلاد ما يتم به المشروع فأسس المدرسة وفي المدة المعينة امتحنت في اللغة الفرنسية وفي غيرها من العلوم المدرسية فظهرت نجابة تلامذتها ثم تشكل بها فلم ترجمة وترقت الى المراتب السنية وترجم فيه كثير من الكتب على اختلاف العلوم والفنون والمواضيع وكان لهذه المدرسة مدرسة تجهيزية هي أيضاً تحت رياسته وكان خوجاتها من تلامذة مدرسة الاسن وأحيل عليه تفتيش مكاتب الاقاليم عموماً وتفتيش مدارس الانجال وغيرهم وكان دأبه في مدرسة الاسن وفيما اختاره للتلامذة من الكتب التي اراد ترجمتها منهم وفي تأليفاته وتراجمه خصوصاً انه لا يقف في اليوم والليلة على وقت محدود فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء أو عند ثلث الليل الاخير ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه في درس اللغة أو فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الاجنبية وكذلك كان دأبه معهم في تدريس كتب فنون الادب العالية بحيث أصبح جميعهم في الانشاء نظماً ونثراً أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم ومع ذلك كان هو بشخصه لا يفتر عن الاشتغال بالترجمة أو التأليف وكانت مجامع الامتحانات لا تزهر إلا به

العطار فتخرج عليهما في سائر العلوم العربية حتى صار أهلا للتدريس فدرس في الازهر مدة عامين وكان له رحمه الله منزلة خاصة عند الشيخ العطار وكان يشترك معه في الاطلاع على الكتب العربية التي لم تتداولها أيدي علماء الازهر وقد اتفق ان المرحوم محمد علي باشا صاحب الديار المصرية بعث بجملة من ابناء اكابر الحكومة المصرية وغيرهم لتعلم العلوم الاورباوية بمدينة باريس وطلب من الشيخ العطار أن ينتخب لهم إماما من علماء الازهر فيه الاهلية واللياقة فاختار تعيين صاحب الترجمة لتلك الوظيفة فتوجه مع تلك الارسالية الى باريس وشرع حين ركوب الباخرة من الاسكندرية في تعلم مبادي اللغة الفرنسية وبعث بهمة عالية وعزيمة صادقة واتخذ له بعد وصوله الى باريس معلما خاصا على نفقته وما لبث في هذه البلاد حتى عرفه أعظم العلماء وكبرأئهم وكان للعالم الشهير موسيو جومار عليه فضل التعهد بالارشاد والتعليم وقد ساعده مساعدات جمة في هذه البلاد وكذلك حاله مع العالم الشهير البارون دساسي هذا وفي مدة اقامته بباريز التي هي من سنة ١٢٤١ الى سنة ١٢٤٦ كان قد نبغ في العلوم والمعارف الاجنبية وعلى الخصوص في فن الترجمة في سائر العلوم على اختلاف اصطلاحاتها وأدمن على ادامة النظر واستعمال الفكر والحرص على التحصيل والاستفادة وترجم في مدة اقامته جملة رسائل وكتب منها قلائد المفاهر في غريب عوائد الاوائل والاواخر المطبوع بمطبعة بولاق وبعد انتهاء رحلته وحصول بغيته استقدمه المرحوم محمد علي باشا الى مصر مع رفقته وعند وصوله اسكندرية حظي بمقابلة المرحوم ابراهيم باشا وسأله عن بيت آبائه بطهطا وكان للمرحوم ابراهيم باشا معرفة بهم ولهم به انتماء خاص فوعده بادامة الالتفات اليه وقد أقضمه في مدته حديقة نادرة المثال في الخانقاه تبلغ مساحتها ٣٣ فدانا وتوجه



al-Tahlawī, Rifā'ah Rafī'

# كِتَاب

مناهج الالباب المصرية  
في

مباهج الآداب العصرية

*Kitāb manāhij al-alkāb al-Miṣriyah*  
تأليف

أوحد زمانه \* ونادرة عصره وأوانه

المجد في نفع وطنه بنشر المنافع

المرحوم الامير المعظم

رفاعة بك رافع

( ناظر قلم ترجمة واعضاء مجلس القومسيون )

---

﴿ طبعة ثانية ﴾

﴿ عني بتصحيحها طبقاً للنسخة المطبوعة بدار الطباعة الاميرية الكبرى ﴾

✽✽✽

« حقوق الطبع محفوظة لحفيد المؤلف السيد محمد رفاعه »

---

﴿ مطبعة شركة الرغائب بشارع المنجلة بالقرب من الحمزاوي بمصر ﴾

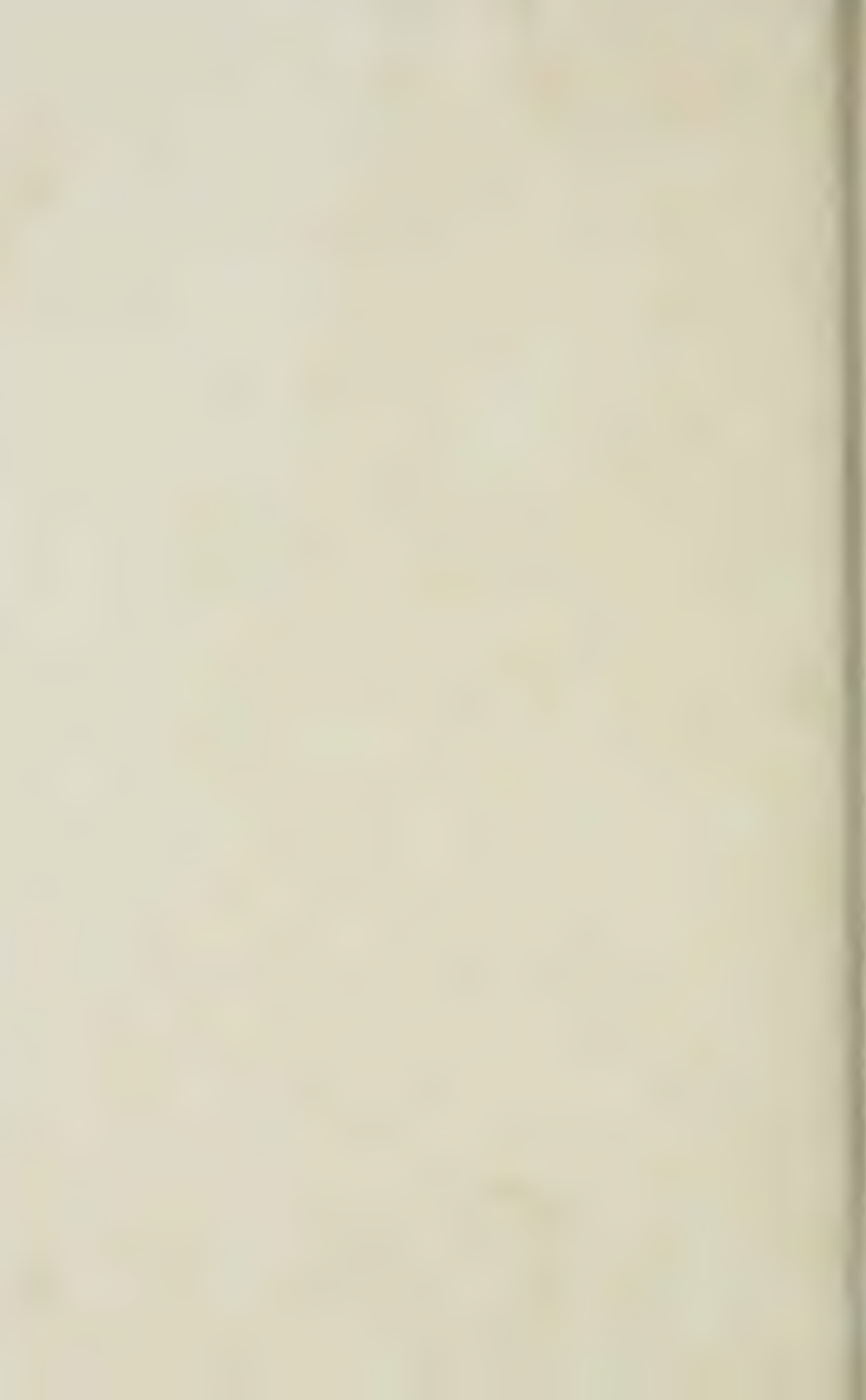
١٩١٢ ★ ١٣٣٠

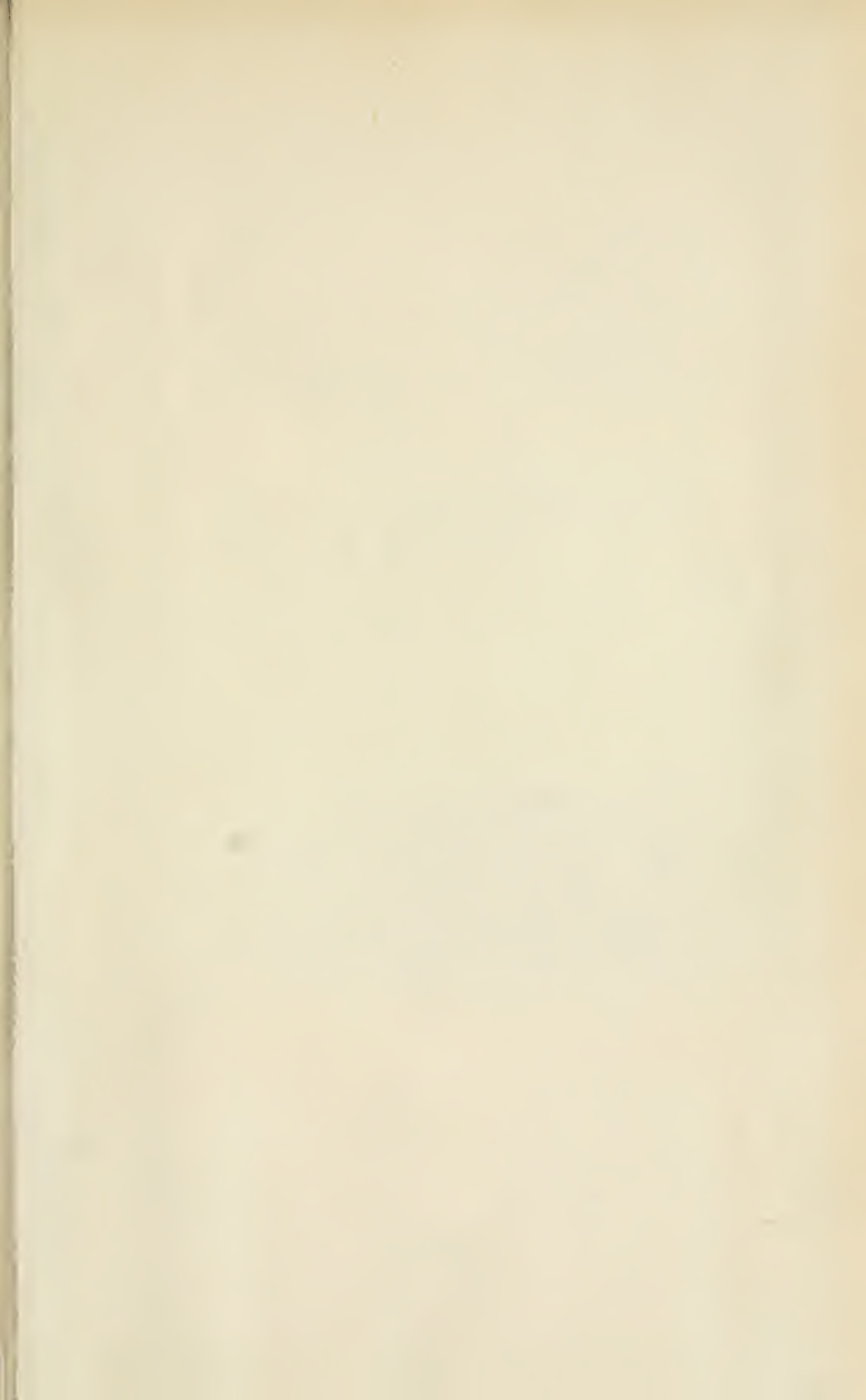


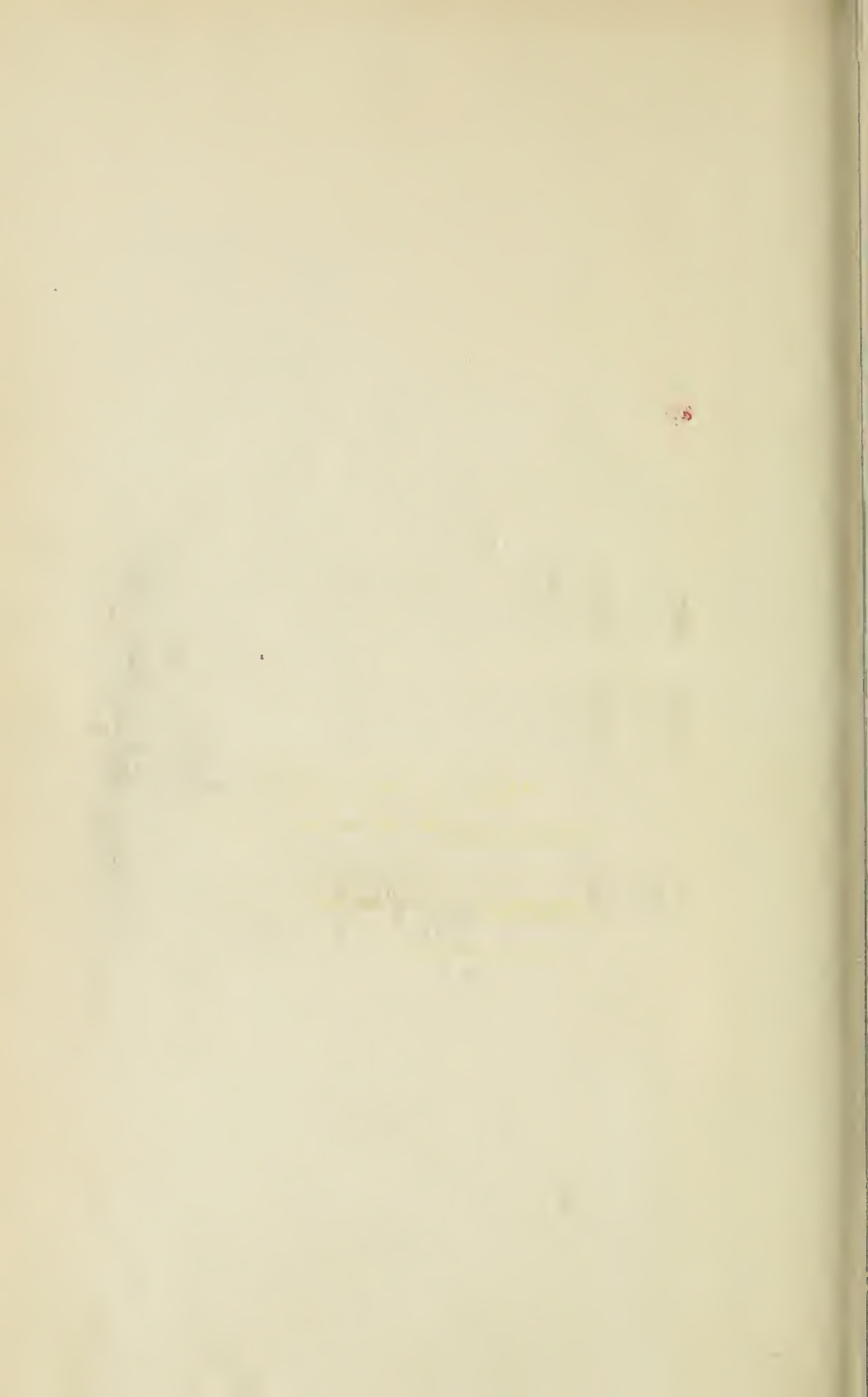
## صورة المؤلف

وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ

ولد سنة ١٢١٦ هـ









W3  
535  
T34  
1012

al-Tahtawi, Rifa'ah Rafi'  
Kitab manahij al-albab  
al-Misriyah

PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

